٢٧٩٢
ع ع ت

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

الدراسات العليا
شعبة التفسير

تفسير محمد بن كعب القرظي

جمعاً ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد
عبيد بن عبد الله الجابري

إشراف
الدكتور عبد العزيز محمد عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

بعون الله تعالى وتوفيقه أتم الشيخ/ عبيد بن عبدالله الجابري
إصلاح جميع الملاحظات التي أبديتُ على بحثه وكلها ملاحظات غير جوهرية.

عبدالعزيز محمد عثمان
عضو لجنة المناقشة
١٤٠٩/٧/١هـ

د/ محمد سالم محيسن
عضو لجنة المناقشة
١٤٠٩/٧/١هـ

المقدمة

=((بسم الله الرحمن الرحيم))=

=(مقدمة البحث)=

ان الحمد لله . نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد ألا اله الاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد :

فانه حين تم نقل خدماتي الى الجامعة الاسلامية ، كي أعمل مدرسا بالمعهد الثانوى بها ، وذلك في الثامن والعشرين من ذى الحجة عام أربعة وأربعمائة وألف ، بادرت فورا بطلب الالتحاق بالدراسات العليا ، وفي عام خمسة وأربعمائة وألف صدرت موافقة قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية على قبول طلبي وتوجيهي الى شعبة التفسير بالقسم ، فسرني ذلك ، اذ كان موافقا ما في نفسي وان لم أتقدم بطلبه .

=(سبب اختيار الموضوع)=

وبعد مرور السنة المنهجية بالشعبة المذكورة ، وجاء دور اختيار الموضوع ، وبعد وقت ليس بالقصير قضّيته في قراءة قوائم البحوث والرسائل الجامعية ، شأني في ذلك شأن كل باحث ، يفتّش عن موضوع لم يسبق اليه ، لتسجيل رسالته .

وبمشورة أستاذنا الدكتور :

عبد العزيز القارى

رئيس شعبة التفسير بالدراسات العليا

بالجامعة

الذى كان له الفضـــل في الاشراف على البحث والتوجيه الى جمع المرويات في السنة الأولى من اعداد الرسالة .

فقد تم اختيار الموضوع التالي :

=((**محمـــد بن كعـــب القرظـــي ومروياته في التفســـير**))=

(جمعاً ودراســـــــــة)

من سورة الفاتحـــة حـــتى نهايـــة ســـورة التوبـــــــــة .

وذلك حين تأكدت من عدم دراسة الموضوع من قبل .

وفي اليوم السادس من شهر ربيع الأول عام ستة وأربعمائة وألف ، ووفـــق على الموضـــوع بعنـــوان :

=((**تفسير محمد بن كعب القرظي " جمعا ودراســـــة**))=

من أول القرآن الى آخـــــره

فاستعنت بالله على ذلك ، وجمعت المراجع اللازمة للبحث ، على ما سيأتي بيـانـــه بعـــد .

=((**منهجـــي فـــي البحـــث**))=

يتألف هذا الموضوع - بالاضافة الى المقدمة - من :

تمهيـــد ، ونبـــذة تاريخيـــة عن عصر القرظي ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

وقد سلكت فيه ما يلـــي :

أولا : التمهيـــد :

وفيه بيّنت أهم مدارس التفسير بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلـــــم - ثم أتبعت ذلك بمبحثين :

المبحث الأول :

يحتوى على ترجمة مختصرة للقائم على مدرسة المدينة ، وهو أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ . وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

في نسبه وفضائله .

المطلب الثاني :

في منزلته العلمية .

والمبحث الثاني :

في أثر تلك المدرسة في نشر التفسير .

ثانيا : الخلفية التاريخية :

وتشتمل على أهم الفتن والحروب التى حدثت في القرن الأول الهجرى ابتداء من مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ، ثم الأدلة على أن ذلك القرن هو أفضل القرون .

ثالثا : الباب الأول : التعريف بالقرظي :

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

ترجمة القرظي . وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول :

في نسبه .

المبحث الثاني :

في مولـــده ونشأتـــه .

المبحث الثالث :

في حياته وتاريخ وفاتـــــــه .

المبحث الرابـــع :

في مكانته العلميـــــــــة .

الفصل الثاني :

في شيوخـــــــه . وفيـــه مبحثـــان :

المبحث الأول :

في شيوخه من الصحابـــــــة .

والمبحث الثاني :

في أشهر شيوخه من التابعـــــين .

والفصل الثالـث :

في الرواة عنـــه . وفيـــه مبحثـــان :

المبحث الأول :

في أشهر من روى عنه التفســـير .

والمبحث الثاني :

في أشهر من روى عنه من غير أهل التفســـير.

رابعا : الباب الثاني : طريقته في التفسير والرواية عنـــه :

وفيـــه فصـــلان :

الفصـل الأول :

طريقته في التفســـير . وفيـــه خمسة مباحـــث :

المبحث الأول : تفسير القرآن بالقـــرآن والاستشهاد به .

والمبحث الثاني : تفسير القرآن بالروايـــــة .

والمبحث الثالث : تفسير القرآن باللغـــــة .

والمبحث الرابع : تفسير القرآن بالاجتهـــاد .

والمبحث الخامس : تفسير القرآن بالقصص .

الفصل الثاني : طرق الرواية عنـــه :

وفيـــه مبحثـــــان :

المبحث الأول : في أصح الطرق .

والمبحث الثاني : في أضعف الطرق .

خامسا : الباب الثالث : التفسير جمعا ودراسة .

أولا- **مصادر البحـــث** .

لقد تم بحمد الله وتوفيقه في هذا الباب جمع أربع وثمانين وأربعمائـــة رواية بعد حذف المكرر وما ليس له تعلق بالتفسير ، جمعتها من أربعة مصادر أصلية هـــي :

المصدر الأول : أهم كتب التفسير بالمأثور واخترت منها ما يلي :

- تفسير مجاهد برواية أبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الهمذاني ، وينتهي السند الى مجاهد -كما نص على ذلك المحقق[1] وذكر أن هذا الطريـــق هي أعظم الطرق .

- تفسير النسائي بتحقيق حمد ابراهيم الصليفيـــع .

- تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني . بتحقيق الدكتور/ مصطفـــــى مسلم محمـــد .

- تفسير الطبري .

- تفسير ابن أبي حاتـــم .

---

(١) تفسير **مجاهـــــد** ١/٥٨ .

- تفسـير البغـوى .
- تفسـير ابن كثـير .
- الدر المنثـور في التفسير بالمأثور للحافظ السيوطي .
- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن عليّ بن أحمد الواحدى بتحقيـق : السيد أحمد صقـر .

المصدر الثاني : أبواب التفسير من كتب السنة واخترت من ذلك :

- صحيح البخبـارى .
- جامع الترمـذى .

المصدر الثالث : كتب التراجم والتاريخ واخترت منها ما يلـي :

- الطبقات الكبرى لابن سعد .
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني .
- سيرة ابن هشـام .

المصدر الرابع : كتب أخرى عرضت لتفسير بعض آى القرآن ، اما في الزهـد ، واما لابراز مظاهر عظمة الله . واخترت من ذلك :

- كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك ، برواية أبي عمر بن حيويه ، وأبي بكر الـوراق .
- كتاب العظمة لأبي محمد عبدالله بن جعفر بن حيان الأنصارى المعروف بأبي الشيخ .

ويرجع اختيارى هذه الكتب الى الأسباب التالية :

١ - أنها من أفضل ما يعنى بالتفسير بالمأثور .

٢ - القدم في الرواية . فهي في الغالب عمدة لما بعدها .

٣ - صعوبة الاحاطة بكتب التفسير بالمأثور فضلا عن غيرها .

مع ملاحظة كتب أخرى نقلنا منها بعض المرويات ، وليست مصادر أصليـة

لنا ، ولكن رجعنا إليها ،لأنه نقل منها : إما الحافظ ابن كثير، وأما الحافظ السيوطي فاعتمدناها محافظة على نقل المرويات من أصولها . ومن تلك الكتب :

أولا : السنن الكبرى . **ثانيا :** دلائل النبوة .

ثالثا : الأسماء والصفات . وجميعها للامام البيهقي .

رابعا : المستدرك على الصحيحين للامام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري .

خامسا : المصنف للامام أبي بكر عبد الله بن أبي شيبة .

=((ثانيا : الطريقة في دراسة التفسير))=

وبعد الفراغ من عملية جمع المرويات ، بنيت دراستها على خمسة أمور :

أولا : عزوت الآيات القرآنية الى مواضعها من المصحف الكريم ، مع العناية بضبطها بالشكل ، سواء في ذلك ما تناوله القرظي بالتفسير ، أو ما كان من شواهدنا .

ثانيا : أبرزت الآيات المفسرة مراعيا ترتيبها حسب مواضعها من السور .

ثالثا : أتبعت كل آية بما جاء فيها عن القرظي مع تخريج كل قول في المصادر التي اعتمدتها ، مبينا ان كان ذلك القول للمفسر ، أو معه سواه ،أو كان قولا رواه عن غيره ، أو حديثا رفعه الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الاشارة غالبا الى من قال بقوله أو نحوه . وكثيرا ما أذكر أقوال المفسرين في الآية .

رابعا : أوضحت بالدراسة مضمون كل قول مبديا رأيي من حيث موافقتي ذلك القول أو مخالفتي اياه ، مؤيدا ما أراه بالدليل ، وذلك الدليل اما من الكتاب الكريم ، ومن ذلك سياق الآية ـ أو الآيات ـ التي جاء القول

تفسيرا لها ، أو من السنة ، أو من أقوال أئمة التفسير من السلف ، أو كلام أهل اللغة ، وفي حال مخالفتي ما جاء عن ابن كعب - رحمه الله - فاني أضم الى تلك الأدلة ما يلوح لي من الضعف في السند أو النكارة في المتن

خامسا : تركت الحكم على سند ما جاء عن مفسرنا في خمسة مواضع :

الموضع الأول :

اذا كان تفسيرا للقرآن بالقرآن ، أو باللغة ، أو بالاجتهاد ، فان كان صحيحا ، فاني استشهد له ، كما أوضحته في الفقرة السابقة ، ثم أبيّن أنه صحيح في المعنى ، فقد يكون هذا البيان بعد الدليل أو قبله وأحيانا أقول : - مثلا - " وبهذا يظهر لك أن ما جاء عن مفسرنا صحيح المعنى ولا يضره أنه من رواية أبي معشر ".

الموضع الثاني :

بعض مرويات البغوى [1] ، لأنه - كما ذكر رحمه الله في مقدمته - أن أكثر التفسير عن القرظي من طريق أبي معشر ، ولأن ما صح من ذلك كان بشواهده ، وما جاء عنده من غير تلك الطريق بهيئت موقفي منه .

الموضع الثالث :

معنى فواتح السور ، اكتفاء بما أوردته من الكلام عند تفسير أول آية من سورة البقرة .

الموضع الرابع :

بعض ما جاء من التفسير بالقصص الذى لم يستند الى دليل ، يجب

---

(١) تفسير البغوى المقدمة ص ٢٩ .

التسليم له ، لأن ذلك القصص هو في الغالب من الاسرائيليات، أو من أخبار الأمم السابقة .

الموضع الخامس :

بعض المواضع التى مر فيها حديث الصور اكتفاء بما أسلفته من الكلام على متنه وسنده .

سادسا : الخاتمة . وفيها لخصت أهم النتائج التى توصلت اليها من البحث

سابعا : قسمت الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث الى خمس فئات :

الفئة الأولى :

من جاء ذكرهم عرضا ودون أن يكون لهم رأى أو قول ، و.

الفئة الثانية :

مشاهير أصحاب الأقوال من الأئمة مثل : ابن عباس من الصحابة ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، والشعبي ، من غيرهم ، فلم أترجم لأى من هاتين الفئتين ، لأن الأولى جاء ذكرهم عرضا ، ولأن الثانية قد بلغوا لدى الخاصة والعامة من الشهرة ما يغني عن ترجمتنا لهم .

الفئة الثالثة :

شيوخ القرطبي .

الفئة الرابعة :

رواته .

وهاتان الفئتان ترجمت لأشهرهما في موضعه .

الفئة الخامسة :

أصحاب الأقوال الذين بدا لي أنهم غير مشهورين لدى العامة من

طلاب العلم ، وهؤلاء وضعت تراجمهم في ملحق بعد الخاتمة ، واليه أشير في الحاشية بقولي : (انظر الملحق ؛رقم) . فالرقم الذى أشير اليه هو رقم ترجمة ذلك العلم .

وعلى سبيل المثال : (على بن الحسين : انظر الملحق ، رقم(٤٧) .

ثامنا : وضعت أربعة فهارس - بالاضافة الى جريدة المراجع - والفهارس هي :

١ - فهرس الآيات القرآنية المفسرة .

٢ - فهرس ما جاء برواية القرظي من الأحاديث النبوية .

٣ - فهرس الأعلام .

٤ - فهرس عام لمحتويات البحث (حيث يأتي قبله جريدة المراجع) .

ومسك الختام لهذه الكلمة أتذكر قوله صلى الله عليه وسلم : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " .

واعترافا لذى الفضل بفضله ، فاني أقدم خالص الشكر وجميل العرفان لشيخي وأستاذى الكريم :

الدكتور/ عبد العزيز محمد عثمان

الذى كان له الفضل - بعد الله عز وجل - في توجيهي الى سداد الرأى ، وصواب القول ، فقد أحاطنى جزاه الله خيرا ، باهتمامه ورعايته من أول يوم بدأت فيه الدراسة ، ولم يقتصر على ساعات الأشراف المقررة فقد حظيت منه - جزاه الله خير الجزاء - بما يفوق الوقت الرسمي أضعافا كثيرة ، وقد عرفت سلفا أن ذلك دأبه مع طلابه ، مما كان له طيب الأثر في نفسى ، فما كان في هذا البحث من صواب ، فبفضل الله ، ثم بحسن توجيهه ، وفضله ، وما كان فيه من خطأ ، فعلىّ وحدى تقع التبعة ، واستاذى منه برئ .

كما أوجه الشكر الجزيل الى مشائخنا الكرام أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقراءة هذه الرسالة . ومن ثم قبول مناقشتها ، ثم أرسل الشكر تباعا الى هذه الجامعة التى أتاحت لي فرصة التعليم ، ابتداء من القسم الجامعي . . . حتى نهاية مرحلة الماجستير . والى كل من أسهم معى أو أسدى اليّ معروفا من داخل الجامعة وخارجها ، حتى ظهر هذا البحث الى حيّز الوجود .

كما أشكر كافة المشائخ والزملاء والأخوة الذين تفضلوا بالحضور معنا هذه الساعة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه . ومن اتبع سبيله باحسان الى يوم الدين . ،،،

* * *

* *

*

التمهيد

قبل الشروع في دراسة هذا العالم الجليل وتفسيره ، نرى أنه من الأجدر ، الحديث عن المدرسة التي ينتمي اليها ، وهي ثالثة المدارس التي نشأت بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتعليم الناس الكتاب والسنة .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية[1] : " وأما التفسير فان أعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس - كمجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس - وغيرهم من أصحاب ابن عباس ، كطاوس ، وأبي الشعثاء ، وسعيد بن جبير ، وأمثالهم ، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ، وذلك لما تميّزوا به على غيرهم . وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل : زيد ابن أسلم ، الذي أخذ عنه مالك التفسير ، وأخذه عنه أيضا ابنه عبد الرحمن ، وأخذه عن عبد الرحمن : عبد الله بن وهب " . ا . هـ .

قلت : وعلى هذا سنضمن حديثنا عن مدرسة المدينة مبحثين :

المبحث الأول :

ويحتوى ترجمة مختصرة للقائم على تلك المدرسة ، وهو أبيّ بن كعب - رضي الله عنه - وفيه مطلبان :

المطلب الأول : في نسبه وفضائله .

المطلب الثاني : في منزلته العلمية .

المبحث الثاني :

في أثر تلك المدرسة في نشر التفسير .

المطلب الأول :

ترجمة أبيّ بن كعب[2] : هو أبوالمنذر ، ويقال : أبوالطفيل أبيّ بن كعب

---

(١) دقائق التفسير : ١ / ٩٩ .
(٢) الاصابة : ١ / ١٦ .

ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، حضر العقبة الثانية ،وشهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان مشهورا بسيد القراء ، ولم يرتحل عن المدينة حتى توفي في آخر خلافة عمر (في قول الأكثرين) .

المطلب الثاني : منزلته العلمية :

كما أن هذا الصحابي الجليل نال شرف السبق الى الاسلام ، فقد حظيّ بنصيب وافر من العلم بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والفقه في دين الله ، مما جعله يحتل منزلة علمية عالية بين أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتبرز تلك المنزلة في ثلاثة أمور :

الأول :

فيما شهد له به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من العلم ، فقد روى مسلم وغيره عن أبيّ بن كعب قال :" قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " يا أبا المنذر ! أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟" قال : قلت: الله ورسوله أعلم . قال :" يا أبا المنذر ! أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ " قال : قلت : الله لا اله الا هوالحي القيوم . قال :" فضرب في صدرى وقال :" والله ! ليهنك العلم أبا المنذر "[1] . ا . هـ .

وأخرج البخارى[2] عن مسروق قال :" ذكر عبدالله بن مسعود عند عبدالله بن عمر . فقال :ذاك رجل لا أزال أحبه سمعت النبي ـ صلى الله

---

(١) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ،باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ١/٥٥٦ حديث ٨١٠ .

(٢) البخارى ، كتاب فضائل أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،باب مناقب أبيّ بن كعب (رضي الله عنه) ٥/٣١ حديث ٣٨٠٨ .

عليه وسلم - يقول :" خذوا القرآن من أربعة نفـر : من عبد الله بن مسعـود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعـب ".

الأمر الثانـي :

في شهادة بعض الصحابة الأجلاّء . قال عمر بن الخطاب - رضي اللـه عنه - :" أقرؤنا أبيّ ، وأقضانا عليّ ، وانا لندع من قول أبيّ ، وذاك أن أبيّا يقول :" لا أدع شيئا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد قـال الله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأتي بخير منها أو مثلها . . . الآية" ا . هـ . أخرجـه البخـاري .[1]

وقال أنس بن مالك - رضي الله عنه - :" جمع القرآن على عهد رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعة كلهم من الأنصار : أبيّ بن كعب ، ومعاذ ابن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبوزيد" . أخرجه البخاري .[2]

الأمر الثالـث :

رواية الجم الغفير عنه من الصحابة والتابعـين . منهم عمر بن الخطاب وأبوهريرة ، وأنس بن مالك ، وأبوأيوب ، وعبادة بن الصامت ، وسهل بن سعد ، وأبوموسى ، وسعيد بن المسيب ، وأبوالعاليـة الرياحي .[3]

أثر تلك المدرسة في نشر التفسـير :

ذكرنا قبل قليل أن مدارس التفسير بعد رسول الله - صلى الله عليـه

---

(١) البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله : (ماننسخ من آية أو ننسها ... الآية" ١٧/٦ .

(٢) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي - صلـى الله عليه وسلم - ١٥٤/٦ حديث ٥٠٠٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٩٠/١ .

وسلم - ثلاث ، وأن من تلك المدارس : مدرسة المدينة التي على رأسها أبيّ بن كعب ، ونضيف هنا شهادات بعض أهل العلم :

قال الزرقاني : " ثم انقضى عهد الخلافة الرشيدة ، وجاء عهد بني أمية ، وهمّة مشاهير الصحابة والتابعين متجهة الى نشر علوم القرآن بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين ، ولكن هذه الهمّة في هذا النشر ، يصح أن نعتبرها تمهيدا لتدوينها ، وعلى رأس من ضرب بسهم وفير في هذه الرواية : الأربعة الخلفاء ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبوموسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير ، وكلهم من الصحابة - رضوان الله عليهم - ، وعلى رأس التابعين في تلك الرواية : مجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، وقتادة ، والحسن البصري ، وسعيد بن جبير ، وزيد بن أسلم بالمدينة ، وعنه أخذ ابنه عبد الرحمن ، ومالك بن أنس ، من تابعي التابعين - رضي الله عنهم أجمعين - وهؤلاء جميعا يعتبرون أنهم واضعوا الأساس لما يسمى علم التفسير ، وعلم أسباب النزول ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم غريب القرآن ، ونحو ذلك"[1] ، ا . هـ .

وقال في موضع آخر : (طبقة أهل المدينة : (منهم) زيد بن أسلم . وقد أخذ عنه ابنه عبد الرحمن ، ومالك بن أنس ، امام دار الهجرة .

(ومنهم :) أبوالعالية ، وهو من رواة أبيّ بن كعب . وقد روى عنه الربيع بن أنس .

(ومنهم :) محمد بن كعب القرظي : الذى قال فيه ابن عون : " ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي)[2] . ا . هـ .

---

(١) مناهل العرفان ١ / ٣٠ : ٣١ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٢١ .

قلـت : لا غـرو أن تحتل طيبـة أولى المراتب في نشر العلوم الشرعيـة، فقد وضع اللبنة الأولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم خلفاؤه من بعده والسابقون الى الاسلام من أصحابه ، ثم درج من بعدهم على نشر العلـم بالرواية والتلقين التابعون وأتباعهم ، ويبرز ذلك ثلاث حقائق :

الحقيقـة الأولـى :

أن كثيرا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلقوا تعليمهـم - أو بعضـه - في المدينة ، وذلك اما من رسول الله - صلى الله عليه وسلـم - أو من اخوانهم من الصحابة .

الحقيقـة الثانيـة :

كان بين علماء هذه الطبقة : أبوهريرة ، وعائشة ، وجابر بن عبد اللـه، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأولئك يعدون من المكثرين في الحديث .

الحقيقـة الثالثـة :

اشتهر بالمدينة الفقهاء السبعة ، ومنهم عروة بن الزبير ، والقاسـم ابن محمد بن أبى بكر الصديـق .

* * *

* *

*

=((نبذة تاريخية عن عصر القرطبي وما قبله))=

وبعد ما عرفت من اسهام مدرسة المدينة في نشر العلوم الشرعية عامة، والتفسير خاصة ، يجدر بنا أن نعرض لك نبذة تاريخية مختصرة للتعرف على عصر هذا العالم الجليل من أئمة التابعين . فنقول :

قد كان مولد ابن كعب ـ رحمه الله ـ قبل منتصف القرن الأول الهجرى كما سنبين لك الراجح لدينا بعد قليل ، وهذا القرن هو خير القرون ، وقد عاش المسلمون خلاله حِقبتين من الزمن احداهما أفضل ما عاشه أهل الاسلام من سني حياتهم ، ولم يمر عليهم خير من تلك الفترة ، وأعنى بذلك صلى الله عليه وسلم أول سنة هاجر فيها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة ، حتى قبيل آخر خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وتشمل هذه الحقبة الزمنية زمنا لنبوة وخلافة أبي بكر وعمر ، وصدرا من خلافة عثمان ـ رضي الله عن الجميع ، وثانية الحقبتين بدأت من سنة خمس وثلاثين [1] ، وهي السنة التى بدأت تطل منها الفتن بدءا بمقتل ثالث الخلفاء الراشدين بتدبير من ابن السوداء :عبد الله بن سبأ ، وهذه أول فتن ذلك العصر .

والفتنة الثانية : فتنة مطالبة أمير المؤمنين عليّ ـ رضي الله عنه ـ بالاقتصاص من قتلة عثمان ، ولم يكن في نية من قام بهذه الدعوة ، مثل عائشة ، وطلحة ، والزبير ، وغيرهم من أفاضل الصحابة أن تتحول تلك المطالبة الى مقتلة عظيمة يذهب ضحيتها آلاف المسلمين من الصحابة والتابعين ، ولكن أبى ابن السوداء وأتباعة من السبأية ، إلاّ أن يضرموها فتنة حربية ، فكان من تدبيرهم الخبيث نشوب موقعة الجمل [2] سنة ست وثلاثين بين أمير المؤمنين عليّ ، من جهة ، وأم المؤمنين ومن في صفها ، من جهة أخرى ، والذى حمل

---

(١) البداية والنهاية ٧ / ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ٧ / ٢٤١ .

السبأية على اشعال نار الحرب بين الفريقين من الصحابة هو يقينهم بالاقتصاص منهم لو تم الصلح بين الفريقين ، وقد مال كل منهما اليه بعد أن عرف حسن نية الآخر .

وثالثة الفتن : تلك التى كانت بين عليّ والخوارج ، وأعنى موقعة النهروان[١] ، وقد كانت تلك الموقعة نقمة منهم على الخليفة حين قبل مبدأ التحكيم[٢] بينه وبين أتباع معاوية بعد موقعة صفين[٣] سنة ست وثلاثين ، فان الخوارج أكرهوا عليّا - رضي الله عنه - أولاً على قبول التحكيم ، وقد لاحت بوادر النصر لجيشة ، ثم خرجوا عليه وكفروه بعد ظهور نتيجة التحكيم ، فما كان منه رضي الله عنه إلاّ أن سار اليهم وأحلهم الهزيمة وأراح الناس من شرهم وأخمد فتنتهم .

تلك أهم الفتن التى عصفت بالأمة وجعلت الحليم منهم حيران ، ولكن لا يزال هذا القرن في خضم تلك الحوادث الجسيمة والحروب العارمة خير القرون مصداق خبر المعصوم صلى الله عليه وسلم . فقد روى البخارى وغيره عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " . قال عمران : " فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا . . . الحديث " .[٤]

قلت : وقد تحقق ما أخبر عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم من خيرية هذا القرن فى أمور كثيرة منها :

---

(١) البداية والنهاية ٧ / ٣٠٠ .
(٢) المصدر نفسه ٧ / ٢٩٣ .
(٣) المصدر نفسه ٧ / ٢٦٤ .
(٤) البخارى ، باب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ٥ / ١ حديث : ٣٦٥٠ .

أولا : سلامة الاسلام والمسلمين من الفتن قرابة عقدين بعد زمن النبـــوة .

ثانيا : اتساع رقعة الاسلام عبر الفتوح المتتاليـة حتى امتد سلطان الدولة الاسلامية الى المحيط الهندى جنوبا ، وجبال البرانس في أوربا شمـالا والصين شرقـا ، والمحيط الأطلسي غربـا .

ثالثا : انتشار العلوم الشرعية عامة ، والتفسير بالمأثور خاصة ، روايـــة وتلقينا ،على يد كثير من الأئمة ، على رأسهم من الصحابة : الخلفـاء الأربعة ، وأبي بن كعب ، وابن عباس ، وابن مسعود ، ومن التابعين الفقهاء السبعة بالمدينة وغيرهم ،وسعيد بن المسيب ، وسعيد بـــن جبير ، وعلقمة ، وغير أولئك من الذين تفرقوا في الأمصار ، وقد كـــان مفسرنا ـ رحمه الله ـ من تلك الصفوة من العلمـاء .

* * *

* *

*

الباب الأول

الباب الأول
التعريف بالقرطبي

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ترجمة القرطبي .

الفصل الثاني : في شيوخه .

الفصل الثالث : في الرواة عنه .

الفصل الأول

ترجمة القرطبي

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : في نسبه .

المبحث الثاني : في مولده ونشأته .

المبحث الثالث : في حياته وتاريخ وفاته .

المبحث الرابع : في مكانته العلمية .

المبحث الأول
اسمه ونسبه

هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي ، وهذا ما ذكره الأكثرون من الحفاظ ، منهم الذهبي (١) ، والمزى (٢) ، ورفع ابن حبان (٣) في نسبه حتى بلغ الجد التاسع . فقال :

" محمد بن كعب بن سليم بن عمرو بن اياس بن حيان بن قرطه بن عمران ابن عمير بن قريظة بن الحارث القرظي " ا . هـ .

قلت : وهذا الذى ساقه - رحمه الله - لم أجد من ذكره غيره ، والعلم عند الله .

كنيته : أبوحمزة وقيل أبوعبد الله حليف الأوس الكوفي ثم المدني .

* * *

* *

*

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/٦٥ .

(٢) تهذيب الكمال ٣/١٢٦٢ .

(٣) كتاب الثقات ٥/٣٥١ .

المبحث الثاني
مولده ونشأته

ولد سنة أربعين في آخر خلافة عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهذا ما جزم به ابن حجر[1] حيث قال : (محمد بن كعب بن سليم بن أسد ، أبوحمزة القرظي ، المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة،ثقة ، عالم ، من الثالثة ، ولد سنة أربعين على الصحيح ، ووهم من قال : ولد في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -) ا . هـ .

وكان والده كعب بن سليم من سبي[2] قريظة ، وقد ترك ولم يقتل لأنه لم ينبت .

وهل عاش مفسرنا أول شبابه في كنف أبوية معا ؟ أو في كنف أبيه ؟ أو أمه ؟ ، أو في ولاية أحد أقاربه ؟ .

ذلك ما لم ينقله لنا التاريخ . لكن ذكر الأئمة أن القرظي - رحمه الله - كان عالما ،عابدا ، ورعا ،موصوفا بالصدق ، ولم نجد من نقل عنه هفوة ، أو زلة ،من نعومة أظفاره ، حتى وفاته ،وكان أول حياته بالكوفة ،ثم انتقل الى المدينة .

فان قلت : هل لوالد القرظي دور في تعليمه ؟

فالجواب : أننا لم نجد من الحفاظ من عرض لذلك ، سوى ابن عبد[3] البر فقد قال في ترجمة كعب بن سليم :" لا أحفظ له رواية " .

* * *

---

(١) التقريب : ٢٠٣/٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء : ٦٥/٥ .
(٣) الاستيعاب : ١٣١٧/٣ .

المبحث الثالث
حياته وتاريخ وفاته

لقد تخللت حياته من السنة الثانية من عمره ، وهي سنة احدى وأربعين فترة زمنية ملآى بالحوادث السياسية العظيمة ، والتيارات الفكرية المختلفة ، وأعنى بتلك الفترة التى بدأت من ولاية معاوية - رضي الله عنه - ثم امتدت حتى سقوط الدولة الأموية في عام اثنين وثلاثين ومئة ، وهذه العقود التسعة ما خلا عام منها قط من فتنة أو حادثة ، سوى ما كان في خلافة عمر بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم ، فقد امتازت ولايته - في ما بين تسع وتسعين واحدى ومئة (١) - بالسكون، والمعروف عنه - رحمه الله - أنه أعدل خلفاء بني أمية ، ومع الأحداث الجسيمة والفتن العارمة التى عصفت بالأمة خلال تلك الحقبة الزمنية ، فانا لم نجد من الأئمة من ذكر أن القرظي تقلد ولاية من الولايات ، مثل القضاء ، والخراج ، والامارة ، فلا أظن الا أن شأنه شأن أجلاء الأئمة في وقته الذين عصمهم الله من الفتن في دينهم ودنياهم ، فكان من أثر ذلك تفرغه للعلم والتعليم ، وما وجدنا في سيرته أنه يختلف الى الولاة أو الخلفاء سوى ما كان من عمر بن عبد العزيز ، فانه كان يستنصحه ويسترشد به . فقد روى الحاكم (٢) بسنده عن ابن كعب قال : " لقيت عمر بن عبد العزيز بالمدينة في شبابه وجماله وغضارته قال فلما استخلف قدمت عليه فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فجعلت أحد النظر اليه ، فقال لي : " ابن كعب ! ما لي أراك تحد النظر ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، لما أرى من تغير لونك وتحول جسمك ونفار شعرك . فقال : يا ابن كعب . فكيف لو رأيتني بعد

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (خلافة عمر) ٩/١٩٢ ، (وفاة عمر) ٩/٢٠٠ .

(٢) المستدرك ، كتاب الأدب ٤/٢٦٩ .

ثلاث في قبرى ، وقد انتزع النمل مقلتي وسالتا على خدى ، وابتدر منخراى وفمي صديدا ، لكنت لي أشد انكارا ، دع ذاك أعد عليّ حديث ابن عباس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : " قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ان لكل شيء شرفا وان شرف المجالس ما استقبل به القبلة ، وأنكم تجالسون بينكم بالأمانة ، واقتلوا الحية والعقرب ، وان كنتم في صلاتكم ، ولا تستروا جدركم ولا ينظر أحد منكم في كتاب أخيه ، الاّ باذنه ، ولا يصلين أحد منكم وراء نائم ولا محدث . قال :" وسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أفضل الأعمال الى الله تعالى . فقال : من أدخل على مؤمن سرورا اما أن أطعمه من جوع ، واما قضى عنه دينا ، واما ينفس عنه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كرب الآخرة ، ومن انظر موسرا وتجاوز عن معسر أظله الله يوم لا ظل الاّ ظله ، ومن مشى مع أخيه في ناحية القرية لتثبت حاجته ثبت الله عز وجل قدمه يوم تزول الأقدام ، ولان يمشى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف في مسجدى هذا شهرين ، وأشار باصبعه ألا أخبركم شراركم قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الذى ينزل وحده ويمنع رفده ويجلد عبده " ا . هـ .

كما نقل السيوطي[1] من طريق ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال :"دعاني عمر بن عبد العزيز . فقال : " صف لي العدل . فقلت : بخ[2] . . . سألت عن أمر جسيم ، كن لصغير الناس أبا ، ولكبيرهم ابنا ، وللمثل

---

(١) الدر المنثور : ١٤ / ١٦١ .

(٢) قال الرازى (بخ) بوزن بل ، كلمة تقال عند المدح والرضا بالشئ وتكرر للمبالغة . فيقال : بخ بخ) ، فان وصلت خفضت ونونت . فقلت (بخ بخ) وربما شدّدت كالاسم . فقيل (بخّ) . مختار الصحاح (بخخ) ٤٢ .

منهم أخا ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم ، وعلى قدر أجسادهم ، ولا تضربن بغضبك سوطا واحدا متعديا ، فتكون من العادين" ا . هـ .

وفاتـــه :

اختلفت أقوال الأئمة في تحديد السنة التى توفي فيها القرظي على أربعة أقوال :

الأول :

كانت وفاته سنة ثمان ومئة ، وهذا ما حكاه البخارى[1] عن أبي نعيم ، وأرّخ له في من مات ما بين سنة ثمان ومئة الى عشر ومئة . وأخرجه ابن معين[2] عن أبى معشر .

الثاني :

وهو قول الواقدى ، وخليفة ، والفلاس[3] ، وجماعة ، توفي سنة سبع عشرة ومئة[4] .

وثالث الأقوال :

أنه توفي سنة تسع عشرة ومئة ، وبه قال محمد بن عبدالله بن نمير .

---

(١) التاريخ الكبير ١/٢١٦ ، والتاريخ الصغير ١١٥ .

(٢) كتاب التاريخ ٢/٥٣٦ .

(٣) هو عمرو بن علىّ (انظر الملحق رقم : ٤٥ .

(٤) طبقات خليفة ٣٤٨ .

الرابـــع :

قال ابن معين ، وابن المديني ، وابن سعـــد : " توفي سنة عشريـــن ومئـــة ، وهو قول ابن حجـــر في التقريـــب "[1] .

حكى هذه الأقوال الأربعة : الذهبي[2] ، ثم قال :" وأخطأ من قـــال سنة تسع وعشريـــن ومئـــة " . ا . هـ .

ولم أجد ما يمكن الجزم به في تحديد سنة وفاته ، غير أن الأكثريـــن - كما ترى - على أنها سنة سبع عشرة ومئـــة . والله أعلم .

* * *

* *

*

---

(١) التقريـــب ٢٠٣/٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٦٦/٥ .

المبحث الرابع
مكانته العلمية

لقد بلغ رحمه الله من العلم بكتاب الله وسنة رسوله ، والفقه في الدين ، مكانة عظيمة حتى صار الأئمة والحفاظ يتحدثون بجلالة قدره ويشيدون بعلمه ، وفقهه .

واليك بعض ما قاله الأئمة الفضلاء في الثناء عليه :

* قال أبوزرعة : " مدني ثقة "(١) .
* وقال ابن سعد : " كان ثقة ،عالما ، كثير الحديث ، ورعا ، من خلفاء الأوس(٢) .
* وقال ابن حبان : " كان من أفاضل المدينة علما وفقها "(٣) .
* وقال العجلي : " مدني ، تابعي ، ثقة ، رجل صالح ، عالم بالقرآن"(٤).
* وقال عون بن عبدالله : " ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن منه"(٥) .

* * *

(١) الجرح والتعديل ٨/ ٦٧ .
(٢) الطبقات الكبرى ١٣٧ .
(٣) الثقات ٥/ ٣٥١ .
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٥١ .
(٥) التهذيب ٩/ ٤٢١ .

الفصل الثاني
في شيوخه

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : في شيوخه من الصحابة .

المبحث الثاني : في أشهر شيوخه من التابعين .

لقد هيأ الله لمفسرنا أئمة فضلاء من أجلاء العلماء في عصره . فتلقى عنهم العلم بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وتفقه عليهم في دين الله ، وأولئك نخبة من أفاضل الصحابة والتابعين .

وسنترجم في هذا الفصل لأشهر أولئك الأئمة :

* * * * *

* * * *

* * *

* *

*

المبحث الأول
شيوخه من الصحابة

١- أنس بن مالك[(١)] بن النضر الأنصارى الخزرجي من بنى النجار ، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكناه :" أبا حمزة " . حضر بدرا ولم يعد في البدريين ، لأنه لم يكن من المقاتلة لصغره ، حدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حدث عن جمع كثير من الصحابة، فيهم : أبوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وأبيّ ابن كعب ، وحدث عنه من التابعين : أبان بن صالح ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهم ، وكانت وفاته بالبصرة سنة اثنتين وتسعين ، وقيل ثلاث وتسعين .

٢- البراء بن عازب[(٢)] بن الحارث بن عدى الأنصارى الأوسي المدني ثم الكوفي ، صحابي ، شهد أحدا ، وبعض المغازى ، مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . روى من كبار الصحابة مثل : أبي بكر وعمر ، وروى عنه : أبوجحيفة ، وعبدالله بن يزيد الخطمي ، وجماعة من الصحابة والتابعين . توفى سنة اثنتين وسبعين في ولاية مصعب ابن الزبير .

٣- جابر بن عبد الله[(٣)] بن عمرو بن حرام الأنصارى المدني أبوعبد الله، أحد المكثرين في الحديث ، غزا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - تسع عشرة غزوة ، حدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حدث عن

---

(١) انظر ترجمته : الاصابة ١ / ٧١ ، تهذيب الكمال ١ / ١٢٢ ، تقريب التهذيب ١ / ٨٤ .

(٢) انظر ترجمته : الاصابة ١ / ١٤٧ ، التقريب ١ / ٩٤ .

(٣) انظر ترجمته : الاصابة ١ / ٢٢٢ ، تهذيب الكمال : ١ / ١٧٩ ، تقريب التهذيب ١ / ١٢٢ .

عليّ بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، ومعاذ بن جبل ، وخلق كثير من الصحابة ، وروى عنه من التابعين : زيد بن أسلم ، وسعيد ابن المسيب ، والشعبي ، وغيرهم ، توفى بالمدينة بعد السبعين ، وله من العمر أربع وتسعون سنة .

٤- زيد بن أرقم[1] بن زيد الأنصارى الخزرجي ، صحابي جليل ، شهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبع عشرة غزوة ، أولاها غزوة الخندق ، وصدّقه الله فيما قص على النبي - صلى الله عليه وسلم - من مقالة عبد الله بن أبيّ بن سلول ، رأس المنافقين بالمدينة : " لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل " . فقد روى البخارى عنه رضي الله عنه . قال : " كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول : " لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا" . وقال - أيضا - : " لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل " . فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى عبد الله ابن أبي ، وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ، فصدقهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكذبني ، فأصابني همّ لم يصبني مثله ، فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل : " اذا جاءك المنافقون . . . " الى قوله : " . . . هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ..." الى قوله : ". . . ليخرجنّ الأعز منها الأذل " . فأرسل اليّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقرأها عليّ ، ثم قال : ان الله قد صدقك" . ا . هـ .

حدث عنه جماعة كثيرون منهم : أبو الطفيل ، وأبو عثمان النهدى ،

---

(١) انظر ترجمته : التقريب ١ / ٢٧٢ ، الاصابة ٣ / ٢١ ، تهذيب الكمال : ١ / ٤٤٧ . البخارى ، كتاب التفسير ٦ / ١٢٦ حديث ٤٩٠ .

وطاوس ، وأحاديثه عند الجماعة ، توفي بالكوفة في زمن المختار ابن أبي عبيد الثقفي سنة ست وستين ، وقيل ثمان وستين .

٥- عبد الله بن جعفر[1] بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدني ، كنيته : -على المشهور- أبوجعفر ، أبوه ابن عم النبي - صلى اللهعليه وسلم - وأمه : أسماء بنت عميس الخثعمية ، وجميعهم رضي الله عنهم صحابة ، ولد بأرض الحبشة ، وهو أول مولود يولد بها على الاسلام ، استشهد أبوه جعفر في سرية مؤتة ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كما روى عن عمه عليّ بن أبي طالب ، وعماربن ياسر ، في آخرين من الصحابة ، وحدث عنه : بنوه اسحاق ، واسماعيل ، ومعاوية ، والحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، وآخرون من التابعين ، وتوفي سنة ثمانين ، وهو ابن ثمانين سنة .

٦- عبد الله بن عمر[2] بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوى المكي ، ثم المدني ، كنيته : أبوعبد الرحمن ، وأول مشاهده مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الخندق ، عرف عنه -رضي الله عنه- أنه أشد الناس حرصا في اتباع الأثر ، وهو أحد المكثرين في الحديث ، حدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كما حدث عن أبيه ، وأبى بكر ، وعثمان ، وعائشة ، وابن مسعود ، في آخرين من الصحابة ، وروى له ابن عباس ، وجابر ، وسعيد بن المسيب ، ومسروق في آخرين ، توفي سنة ثلاث وسبعين .

---

(١) انظر ترجمته : التقريب ١/٤٠٦ ، تهذيب الكمال ٢/٦٧٠ ، الاصابة ٤/٤٨ .

(٢) انظر ترجمته : الاصابة ٤/١٠٧ ، تهذيب الكمال ٢/٧١٣ ، التقريب ١/٤٣٥ .

٧- عبد الله بن[1] يزيد الأنصارى الخطمي الأوسي المدني ، ثم الكوفي ، شهد مع النبي - صلى الله عليه وسلم - الحديبية ، وما بعدها ، كما شهد مع عليّ ، الجمل ، وبقية مشاهده ، جزم ابن حجر في التقريب ، بأنه من صغار الصحابة ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كما روى عن : البراء ، وأبي أيوب ، وحذيفة في آخرين من الصحابة ، وروى له : الشعبي ، وابن سيرين في جماعة من التابعين ، وتوفي بالكوفة زمن ابن الزبير .

٨- فضالة بن عبيد[2] بن نافذ بن قيس - ، الأنصارى الأوسي ، المدني ثم الدمشقي ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كما روى عن : عمر بن الخطاب ، وأبي الدرداء في آخرين من الصحابة ، وروى عنه : ثمامه بن شفي ، وحبيش بن عبد الله الصنعاني ، وعبد الله بن محيريز ، وغيرهم ، شهد مع النبي - صلى الله عليه وسلم - أحدا ، وما بعدها ، ولاه معاوية الغزو ثم قضاء دمشق ، وبها توفي سنة ثمان وخمسين كما جزم ابن حجر في التقريب .

٩- كعب بن عجرة[3] ، كنيته : أبومحمد الأنصارى الخزرجي ، وقيل : حليفهم مختلف في نسبه اختلافا كثيرا ، شهد بيعة الرضوان ، وفيه نزل قوله تعالى : " فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أوصدقة أو نسك " . أخرج ذلك البخارى وغيره ، حدث عن

---

(١) انظر ترجمته : الاصابة ٤/١٤٣ ، تهذيب الكمال ٢/٧٥٥ ، التقريب ١/٤٦١ .

(٢) انظر ترجمته : الاصابة ٥/٢١٠ ، التقريب ٢/١٠٩ ، تهذيب الكمال ٢/١٠٩٥ .

(٣) انظر ترجمته : الاصابة ٥/٣٠٤ ، تهذيب الكمال ٣/١١٤٧ ، التقريب / . - البقرة : ١٩٦ .
البخارى ، كتاب التفسير (سورة البقرة) ٦/٢٣ حديث ٤٥١٧ .

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعمر بن الخطاب ، وبلال في جماعة من الصحابة ، وروى له خلق كثير فيهم من الصحابة : ابن عمر ، وابن عباس، وجابر بن عبد الله ، ومن التابعين : أبناؤه محمد واسحاق والربيع، ومحمد بن سيرين ، وغيرهم ، توفي بالمدينة بعد سنة خمسين ، وله خمس وسبعون ، أو سبع وسبعون سنة .

١٠- معاوية بن[(١)] أبي سفيان ، واسم أبيه : صخر بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموى ، ولى الشام في عهد عمر ، ثم عهد عثمان ، وصار خليفة للمسلمين سنة احدى وأربعين ، بعد تنازل الحسن[(٢)] بن عليّ ـ رضي الله عن الجميع ، وكان معاوية رضي الله عنه ، أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة عام الفتح ، روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما روى عن جماعة من الصحابة فيهم : أبوبكر الصديق ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وروى له خلق كثير فيهم من الصحابة : ابن عباس ، وجرير بن عبد الله البجلي ، ومن التابعين : سعيد بن المسيب ، وحمران بن أبان مولى عثمان ، ومحمد بن سيرين ، وغيرهم ، وكانت وفاته ـ رضي الله عنه ـ في عاصمة خلافته دمشق سنة ستين .

١١- المغيرة بن[(٣)] شعبة بن أبي عامر الثقفي ، أبوعيسى المدني ، ثم الكوفي ، أسلم ـ رضي الله عنه ـ عام الخندق ، وكان أول مشاهده مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحديبية ، حدث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، كما حدث عنه : ابنه حمزة ، ومولاه وزاد ،

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٣ / ١٣٤٤ ، البداية : ٨ / ١٨ ، التقريب ٢ / ٢٥٩ .

(٢) البداية والنهاية ٨ / ٢٢ .

(٣) انظر ترجمته : الاصابة ٦ / ١٣١ ، تهذيب الكمال ١٣٦١ .

وابن سيرين ، والشعبي ، وغيرهم ، ولى الكوفة في عهد معاوية ، وتوفى بها سنة خمسين في قول الأكثرين .

١٢- أبوأيوب[1] الأنصارى هو : خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة الأنصارى النجارى ، أحد السابقين الى الاسلام ، وأقام عنده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين مقدمه المدينة ، حتى بنى مسجده وبيوته ، شهد بيعة العقبة ، وبدرا ، والمشاهد كلها مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يزل مجاهدا حتى بعد زمن النبوة ، واستخلفه عليّ ، على المدينة حين ارتحل الى العراق ، ثم لحق به ، وشارك معه في قتال الخوارج ، حدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبيّ بن كعب ، وروى له من الصحابة : البراء ، وجابر بن سمرة ، وأبوصرمه وآخرون ، ومن التابعين : عطاء بن يسار ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، ابن عوف ، ومحمد بن المنكدر ، وعلقمة ، وغيرهم ، مات - رضي الله عنه - في غزاة القسطنطينية سنة خمسين ، وقيل بعدها .

١٣- أبوصرمه[2] الأنصارى ، اسمه : مالك بن قيس ، وقيل غير ذلك ، أنصارى ، مازني من بني النجار ، شهد بدرا وما بعدها من المشاهد ، حدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبيّ أيوب ، وعنه : عبد الله ابن محيريز الجمحي ، ولؤلؤة مولاة الأنصار ، ومحمد بن قيس المدني .

١٤- أبوهريرة[3] الزهراني الدوسي ، مشهور بكنيته ، واختلف في اسمه ، واسم أبيه اختلافا كثيرا ، والذى حكاه ابن حجر عن النووى أنه اسمه : عبد الرحمن بن صخر ، وهذا هو المشهور ، أسلم - رضي الله

---

(١) انظر ترجمته : الاصابة ٨٩/٢ ، تهذيب الكمال ٣٥٣/١ .
(٢) انظر ترجمته : الاصابة ١٠٤/٧ ، تهذيب الكمال ١٦١٦/٣ .
(٣) انظر ترجمته : الاصابة ١٩٩/٧ ، تهذيب الكمال ١٦٥٥/٣ .

عنه ـ سنة سبع من الهجرة ، وهو أكثر الصحابة حديثا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، روى عن : أبي بكر ، وعمر ، وعائشة ، والفضل ابن العباس ، وأسامة بن زيد في آخرين من الصحابة ، وحدث عنه خلق كثير فيهم من الصحابة : ابن عمر ، وابن عباس ، وروى له من التابعين : سعيد بن المسيب ، ومحمد بن سيرين ، ومحمد بن قيس، وغيرهم كثيرون ، توفي سنة سبع وخمسين فيما رجحه ابن حجر .

١٥- عائشة .[1] هي أم المؤمنين بنت الصديق أبي بكر ، وزوج النبي صلى الله عليه وسلم ـ ، ولدت سنة أربع أو خمس ، من البعثة النبوية ، تزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي بنت سبع ، وبنى بها ، وهي بنت تسع ، وروت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ علما طيبا مباركا ، فهي معدودة في المكثرين من الحديث ، روت عن أبيها ، وعمر ، وسعد ابن أبي وقاص ، وأسيد بن حضير ، وآخرين من أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وروى عنها الجمّ الغفير ، فيهم من الصحابة : ابن عمر ، وابن عباس ، وفيهم من التابعين : القاسم بن محمد ، وابن اختها عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، ومسروق . توفيت بالمدينة سنة سبع وخمسين ، وقيل : ثمان وخمسين .

* * *

* *

*

---

(١) انظر ترجمته : الاصابة ٨/١٣٩ ، تهذيب الكمال ٣/١٦٨٩ .

المبحث الثاني
أشهر مشائخه من التابعين

١- أبان بن عثمان[1] بن عفان الأموي القرشي ، أبوه ثالث الخلفاء الراشدين ، كنيته : أبوسعيد ، قال فيه العجلي : " مدني ، تابعي ، ثقة ، من كبار التابعين ، وعدّه يحى بن سعيد القطان في فقهاء المدينة العشرة ، وقال عمرو بن شعيب :" ما رأيت أحدا أعلم بحديث ، ولا فقه منه ". توفي - رحمه الله - سنة خمس ومئة بالمدينة ، في قول ابن حجر ، وخليفة ابن خياط ، وروى عن أسامة ابن زيد ، وأبيه عثمان ، وزيد بن ثابت ، وعنه : عمر بن عبد العزيز ، وعمرو بن دينار ، والزهري وآخرون .

٢- عبد الله بن شداد[2] بن الهاد الليثي ، المدني ، أبوالوليد ، ولد في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - روى عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وعليّ بن أبي طالب ، والعباس في آخرين من الصحابة ، وروى له : الحكم بن عتيبة ، والشعبي ، وطاوس بن كيسان ، وغيرهم ، قال فيه العجلي : " مدني ، تابعي ، ثقة ، من كبار التابعين ، قتل في فتنة ابن الأشعث ، زمن ولاية الحجاج على العراق سنة احدى وثمانين ، وقيل : بعدها .

* * *

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١/ ٤٧ ، التقريب ١/ ٣١ .
الثقات للعجلي ١/ ١٩٩ ، تاريخ خليفة ٣٣٦ .

(٢) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢/ ٦٩٢ ، التقريب ١/ ٤٢٢ .
الثقات للعجلي ٢/ ٣٦ .

الفصل الثالث
في الرواة عنه

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : في أشهر من روى عنه التفسير .

المبحث الثاني : في أشهر الرواة عنه من غير أهل التفسير .

عرفت فيما سبق من ترجمة القرظي ، عدم انشغاله بالأمور السياسية ، وأن الله عصمه من الفتن التى عصفت بالأمة في عصره ، شأنه شأن أجلاء العلماء الذين عصمهم الله في دينهم ودنياهم من تلك الفتن المحيرة ، وأن الرجل تفرغ للعلم والتعليم، فكل من ترجم له ، مثل : الذهبي ، والمزى ، وابن حجر - رحمهم الله - ذكر أنه روى عنه خلق كثير ، وقد أحصينا من رواته نيفا وستين راويه ، منهم من روى التفسير ، ومنهم من روى غيره من الأخبار .

وسنترجم في هذا الفصل لأشهر هاتين الطائفتين :

* * * *

* * *

* *

*

المبحث الأول
في رواة التفسير

١- أسامة بن زيد[(١)] بن أسلم ، كنيته : أبوزيد ، العدوى مولاهم المدني ، روى عن أبيه ، وسالم ، ونافع مولى ابن عمر ، ونافع مولى بني أسد ، وروى عنه : ابن المبارك ، وابن وهب ، وآخرون ، ضعّفه أحمد في أكثر الروايات عنه ، كما ضعّفه ابن معين ، وابن المديني ، والنسائي في الأكثرين من الحفاظ ، وقال فيه ابن حيان : " كان يهم في الأخبار ، ويخطئ في الآثار ، حتى كان يرفع الموقوف ، ويوصل المقطوع ، ويسند المرسل ". ا . هـ . توفي في خلافة أبي جعفر المنصور .

٢- أسامة بن زيد[(٢)] الليثي ، مولاهم المدني ، كنيته : أبوزيد ، روى من الزهري ، ونافع مولى ابن عمر ، وعطاء بن أبي رباح في آخرين ، وروى عنه : يحي بن سعيد القطان ، وابن المبارك ، والثوري ، وغيرهم ، اختلف في تضعيفه وتوثيقه ، والخلاصة أنه صدوق ، يهم ، وهو أفضل من أسامة بن زيد بن أسلم . توفي سنة ثلاث وخمسين ومئة ، وله بضع وسبعون سنة .

٣- أفلح بن سعيد[(٣)] الأنصاري ، مولاهم المدني القباني ، صدوق ،

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب التهذيب ١ / ٢٠٧ ، المجروحين ١ / ١٧٩ ، التقريب ١ / ٥٢ .

(٢) انظر ترجمته : ميزان الاعتدال ١ / ١٧٤ ، التقريب ١ / ٥٣ ، تهذيب التهذيب ١ / ٢٠٩ .

(٣) انظر ترجمته : ميزان الاعتدال ١ / ٢٧٤ ، التقريب ١ / ٨٢ ، تهذيب التهذيب ١ / ٣٨٦ .

قليل الحديث ، روى عن : عبدالله بن رافع مولى أم سلمة ، وبريدة ابن سفيان الاسلمي ، وغيرهما ، وروى عنه : ابن المبارك ، وأبوعامر العقدى ، وعيسى بن يونس ، وغيرهم . توفي سنة ست وخمسين ومئة .

٤- بريدة بن سفيان[1] بن فروة الاسلمي المدني ، من السادسة ،ضعيف ، فيه رفض ،قال فيه ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني :" ردئ المذهب جدا غير مقنع ، مغموص عليه في دينه ، قليل الحديث" ، روى عن أبيه ،وطارق ابن مخاشن ، وغيرهما ، وعنه : أفلح بن سعيد ، ومحمد بن اسحاق ابن يسار .

٥- الحكم بن عتيبة[2] الكندى مولاهم الكوفي ، من الخامسة ، أثنى عليه الأئمة ، ووثقوه ، فممن وثقه : أحمد بن حنبل ، والعجلي ،والنسائي ، وأبوحاتم ، روى عن ابراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ،والشعبي ، وغيرهم ، وعنه : أبان بن صالح ، وحجاج بن أرطأة ، وأشعث بن سوید ، وخالد الحذاء ، وآخرون ، توفي سنة ثلاث عشرة بعد المئة ، وقيل : غير ذلك .

٦- أبوصخر[3] هو : حميد بن زياد الخراط المدني ، اختلف في توثيقه وتضعيفه ، وخلاصة القول فيه ، أنه صدوق ، يهم ، روى عن زيد ابن أسلم ، وسلمة بن دينار ، ونافع مولى ابن عمر ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن في آخرين ، وروى له : عبدالله بن لهيعة ، وعبدالله

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١/ ١٤١ ، التقريب ١/ ٩٦ .

(٢) انظر ترجمته : معرفة الثقات للعجلي ١/ ٣١٢ ، تهذيب الكمال ١/ ٣١٢ ، التقريب ١/ ١٩٢ .

(٣) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١/ ٣٣٦ ، ميزان الاعتدال ١/ ٦١٢ ، التقريب ١/ ٢٠٢ .

ابن وهب ، ويحي بن سعيد القطان في جماعة كثيرين ، توفي سنة تسع وثمانين ومئة .

٧- خصيف[(١)] بن عبد الرحمن الحضرمي الجزري الحراني ، من موالي بني أمية ، كنيته : أبوعون ، روى عن : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، والثوري ، وجماعة ، وروى عنه : محمد بن اسحاق ، والثوري ، وابن عيينه ، ومعمر بن راشد في آخرين ، ضعفه أحمد في قول الأكثرين ، وقال فيه ابن حجر :" صدوق ، سيئ الحفظ ، خلط بآخره ، ورمي بالارجاء من الخامسة ، مات سنة سبع وثلاثين ومئة ، وقيل غير ذلك .

٨- داود بن[(٢)] قيس الفراء الدباغ القرشي ، مولاهم المدني ، وثقه : أحمد ، والشافعي ، وغيرهما من الأئمة ، وهو معدود في الطبقة الخامسة ، روى عن : عمرو بن دينار ، ومحمد بن عجلان ، وموسى بن يسار ، وجماعة ، وعنه : اسحاق بن سليمن الرازي ، واسماعيل بن جعفر ، وأبوالمنذر ، واسماعيل بن عمر ، والسفيانان وغيرهم ، توفي في خلافة أبي جعفر المنصور .

٩- زيادة بن[(٣)] محمد الأنصاري ، من بني عمرو بن عوف ، روى عن : عبد الله بن أنس بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، وروى عنه : عبد الله بن لهيعة ، والليث بن سعد ، ضعيف ، منكر الحديث ، معدود في السادسة .

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١ / ٣٧٢ ، الميزان ١ / ٦٥٣ ، التقريب ١ / ٢٢٤ .

(٢) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١ / ٣٨٩ ، التقريب ١ / ٢٣٤ .

(٣) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١ / ٤٤٧ ، التقريب ١ / ٢٧١ .

١٠- سالم بن أبي حفصة العجلي الكوفي[1] ، كنيته : أبويونس ، من غلاة الشيعة ، متكلم في حديثه ، غير أن ابن حجر قال فيه : " صدوق الحديث ، إلاّ أنه شيعي غال من الرابعة ، مات في حدود الأربعين ، - قلت : يعني بعد المئة - "، روى عن : عطية العوفي ، وعامر الشعبي ، وابراهيم بن يزيد التيمي في جماعة ، وروى عنه السفيانان ، وعبد الواحد بن زياد ، وخلف بن حوشب ، وآخرون .

١١- سلمة بن دينار[2] الأعرج القصّار ، كنيته : أبوحازم ، تابعي ، ثقة ،عابد ،صالح ، كثير الحديث ، من الخامسة ، وثقه : العجلي ، وغيره ، روى عن سهل بن سعد الساعدى ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن أبي قتادة ، وعطاء بن أبي رباح في آخرين ، وروى عنه : أسامة بن زيد الليثي ، والحمادان ، وأبوصخر حميد بن زياد الخراط ، وجماعة ، توفي سنة أربعين ومئة وقيل قبلها .

١٢- سليمان بن حميد[3] المدني ، ذكره البخارى في الكبير ، وجزم بأن روايته عن القرظي مرسله"، وذكره ابن حبان في الثقات .

١٣- عاصم بن محمد[4] بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوى ، مدني ،ثقة ، من السابعة ، وثقه : العجلي ، وأحمد ، وأبوداود ، وابن معين ، وغيرهم ، روى عن أخيه : زيد بن محمد ، وعبد الله بن أبي سعيد المقبرى ، ومحمد بن المنكدر ، وأخيه :

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١ / ٤٥٩ ، التقريب ١ / ٢٧٩ .

(٢) انظر ترجمته : معرفة الثقات للعجلي ١ / ٤٢٠ ، تهذيب الكمال ١/٥٢٣ ، التقريب ١ / ٣١٦ .

(٣) انظر ترجمته : التاريخ الكبير ٤ / ٨ ،كتاب الثقات ابن حبان ٦ / ٣٨٥ .

(٤) انظر ترجمته : الثقات للعجلي ٢ / ١٠ ، تهذيب الكمال ٢ / ٦٣٩ ،التقريب ١ / ٣٨٥ .

واقد بن محمد بن زيد في جماعة ، وعنه : أحمد بن عبد الله بن يونس، واسحاق بن منصور الأسدى ، وسفيان بن عيينه وآخرون .

١٤- عبد الله[(١)] بن حبيب بن أبي ثابت الأسدى ، مولاهم الكوفي ، من السادسة ، وثقه ابن معين ، والعجلي في الأكثرين من الأئمة ، توفي بعد سنة خمسين ومئة ، روى عن : اياس بن معاوية بن قرةالمزني ، وسعيد بن جبير ، وطاوس بن كيسان ، وجماعه ، وعنه : اسباط بن محمد القرشي ، وسفيان الثورى ، وعبد الله بن المبارك .

١٥- عبد الله[(٢)] بن كثير الدارى المكبي أبومعبد القارى ، من السادسة، وثقه : ابن المديني ، وابن عيينه ، والنسائي ، وغيرهم ، روى عن : عبد الله بن الزبير ، وأبي المنهال ، وعبد الرحمن بن مطعم ، وعكرمة ، مولى ابن عباس ، ومجاهد بن جبر ، وغيرهم ، وعنه : اسماعيل ابن أمية ، وأيوب السختياني ، وحماد بن سلمة ، وسفيان بن عيينه ، وآخرون ، توفي سنة عشرين ومائة .

١٦- عبد الرحمن[(٣)] بن أبى الموالى ، قيل اسم أبيه : زيد ، كنيته : أبومحمد المدني ، من السابعة ، صدوق ، صالح الحديث ، وثقه : ابن معين ، والترمذى ، والنسائي ، وأبوداود ، روى عن : عمرو ابن أبي مسلم ، ومحمد بن المنكدر ، وعبيد الله بن عبد الرحمن ابن وهب ، وآخرين ، وعنه : زيد بن الحباب ، وسفيان الثورى ، وعبد الله ابن وهب ، وغيرهم ، مات سنة ثلاث وسبعين ومئة .

---

(١) انظر ترجمته : الثقات للعجلي ٢ / ٢٥ ، تهذيب الكمال ٢ / ٦٧٣ ، ميزان الاعتدال ٢ / ٤٠٦ ، التقريب : ١ / ٤٠٨ .

(٢) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢ / ٧٢٦ ، التقريب ١ / ٤٢٧ .

(٣) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢ / ٨٢١ ، التقريب ١ / ٥٠٥ .

١٧- عبد العزيز بن أبي رواد[1] ، مختلف في اسم أبيه ، المكي ، مولى المهلب بن أبي صفره الأزدي ، من السابعة ، صدوق ، صالح الحديث ، وثقه : ابن معين ، وأبوحاتم ، وغيرهما ، روى عن : الضحاك بن مزاحم ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ونافع مولى ابن عمر في جماعة ، وروى عنه : سفيان الثوري ، وعبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن المغيرة ، وآخرون ، توفي سنة تسع وخمسين ومئة .

١٨- عبيد الله بن[2] عبد الرحمن بن عبد الله بن موهب القرشي التيمي المدني ، من السابعة ، اختلف الأئمة في توثيقه وتضعيفه ، والذي خلص اليه ابن حجر : أنه ليس بالقوي ، روى عن : سعيد بن المسيب ، وشهر ابن حوشب ، وعبد الله بن أبي نمر في جماعة ، وعنه : سفيان الثوري ، وابن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، وآخرون .

١٩- عثمان بن[3] حكيم بن عباد بن حنيف الانصاري الأوسي المدني ، ثم الكوفي ، كنيته : أبوسهل ، من الطبقة الخامسة ، وثقه : أحمد ، وابن معين ، وغيرهما ، روى عن : سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن المنكدر ، وغيرهم ، وروى عنه : زهير بن معاوية ، وسفيان الثوري ، وشريك بن عبد الله ، وعيسى بن يونس ، وآخرون ، توفي قبل سنة أربعين بعد المئة .

٢٠- عمر بن ابراهيم بن[4] محمد بن الأسود ، عن محمد بن كعب القرظي ، وعنه هاشم بن هاشم ، ذكره العقيلي في الضعفاء ، ونقل عنه ذلك

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢/٨٣٧ ، التقريب ١/٥٠٩ .

(٢) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢/٨٨١ ، التقريب ١/٥٣٦ .

(٣) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢/٩٠٦ ، التقريب ٢/٧ .

(٤) انظر ترجمته : الميزان ٣/١٧٩ ، الضعفاء الكبير ٣/١٤٥ ، التاريخ الكبير ٦/١٤١ .

الذهبي ، وذكره البخاري في الكبير دون جرح ولا تعديل .

٢١- عمر بن عبد الله المدني[1] مولى غفره بنت رباح ، من الخامسة ، ضعفه ابن معين ، والنسائي ، وقال فيه ابن حبان : " كان ممن يقلب الأخبار ، ويروى عن الثقات ما لا يشبه حديث الاثبات ، لا يجوز الاحتجاج به ولا ذكره في الكتب الا على سبيل الاعتبار ، روى عن : أنس ابن مالك ، وهشام بن عروة ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، وغيرهم ، وروى عنه : اسماعيل بن عياش ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة وآخرون ، توفي سنة خمس وأربعين بعد المائة ، وقيل بعدها .

٢٢- عيسى[2] بن جارية الأنصاري المدني ، من الرابعة ، قال ابن حجر فيه : " لين " . قلت : وضعفه ابن معين ، وأبو داود ، وغير واحد من الأئمة ، ولم أجده في رواة القرظي ، كما لم أجد القرظي في شيوخه ، ولكن كلا الرجلين مدني ، وفي عصر واحد . وقد أخرج له الطبري بلفظ - عيسى بن حارثة - وهو خطأ . روى عن : جابر بن عبد الله ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهم ، وعنه : أبو صخر حميد بن زياد الخراط ، وعنبسة بن سعيد البراز ويعقوب بن عبد الله الأشعري .

٢٣- عيسى بن ميمون[3] المدني ، مولى القاسم بن محمد المعروف بالواسطي ، ضعيف ، من السادسة . وقال فيه الفلاس : " متروك " ، روى عن:

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢ / ١٠١٥ ، المجروحين لابن حبان ٢/ ٨١ ، التقريب ٢/ ٥٩ .

(٢) انظر ترجمته : الجرح والتعديل ٦/ ٢٧٣ ، تهذيب الكمال : ٢/ ١٠٧٧ ، التقريب ٢/ ٩٧ ، الطبري المحقق ٩/ ٥٢٨ هـ (١) .

(٣) انظر ترجمته : الميزان ٣/ ٣٢٥ ، تهذيب الكمال ٢/ ١٠٨٤ ، التقريب ٢/ ١٠٢ .

سالم بن عبد الله بن عمر ، والقاسم بن محمد ، ونافع مولى ابن عمر ، وهشام بن عروة ، وغيرهم ، وعنه : حماد بن سلمة ، والفضل بن دكين ، ومحمد بن جعفر المدايني في جماعة .

٢٤- كثير بن عبد الله[(١)] بن عمرو بن عوف المزني المدني ، من السابعة ، ضعيف ، ومنكر الحديث ، وكذبه بعض الأئمة ، روى عن : بكر ابن عبد الله المزني ، وربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، ونافع مولى ابن عمر ، وغيرهم ، وعنه : زيد بن الحباب ، وعبد الله ابن نافع الصائغ ، ومحمد بن عمر الواقدي ، وآخرون .

٢٥- ليث بن أبي سليم[(٢)] الكوفي الليثي ، أحد العلماء ، قال فيه ابن حجر :" صدوق ، اختلط أخيرا ، ولم يتميز حديثه فترك ، من السادسة ، وقال فيه أحمد :" مضطرب ، ولكن حدث عنه الناس ، وضعفه ابن معين ، والنسائي ، وكان يحي بن سعيد القطان أسوأ رأيا فيه ، روى عن : الربيع بن أنس ، وزيد بن أرطأة ، وشهر بن حوشب ، والشعبي ، وغيرهم ، وعنه : سفيان الثوري ، وداود بن عيسى ، وشعبة بن الحجاج ، وآخرون ، توفي سنة ثمان وأربعين ومئة .

٢٦- محمد بن[(٣)] اسحاق بن يسار أبوبكر المخرمي المطلبي ، مولاهم المدني صاحب السيرة ، قال فيه ابن حجر :" صدوق ، يدلس ، من صغار الخامسة ، وقال الذهبي في التذكرة :" كان خبرا في معرفة

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٣ / ١١٤٣ ، التقريب ٢ / ١٣٢ .

(٢) انظر ترجمته : الميزان ٣ / ٤٢٠ ، تهذيب الكمال ٣ / ١١٥٥ ، التقريب ٢ / ١٣٨ .

(٣) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٣ / ١١٦٧ ، الميزان ٣ / ٤٦٨ ، التقريب ٢ / ١٤٤ ، تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٣ .

المغازى والسير ، وليس بذاك المتقن ، فانحط حديثه عن رتبة الصحة، وهو صدوق في نفسه مرضي ..." . الى أن قال :" ... والذى عليه العمل أن ابن اسحاق اليه المرجع في المغازى والأيام النبوية، مع أنه يشذ بأشياء ، وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام ، نعم ولا بالواهي ، بل يستشهد به "(١).

روى عن : أبان بن صالح ، وأبان بن عثمان بن عفان ، وأيوب السختياني في جماعة ، وروى عنه : السفيانان ، وسلمة بن الفضل ، وشعبة بن الحجاج ، وآخرون ، توفي سنة خمسين ومئة ، وقيل غير ذلك .

٢٧- محمد بن رفاعة[(١)] بن ثعلبة بن أبى مالك القرظي المدني ، قال فيه ابن حجر :" مقبول ، من السابعة ، قلت : والمعروف عن ابن حجر[(٢)] ـ رحمه الله ـ أنه يعني بهذا أنه لين الحديث ، اذا لم يتابع، وذكره ابن حبان في الثقات ، روى عن أبيه رفاعة بن ثعلبة ، وسهيل بن صالح ، وعبد الله بن دينار ، وابن عم أبيه محمد بن عقبة ، وروى عنه: أبو عاصم النبيل .

٢٨- محمد بن قيس[(٣)] المدني أبوابراهيم ، قيل أنه مولى أبي سفيان ابن حرب ، وقيل غير ذلك ، قال فيه ابن حجر :" ثقة من السادسة ، وحديثه عن الصحابة مرسل" ، قلت : وثقه : أبوداود وغيره ، روى عن : عبد الله بن أبى قتادة ، وعمر بن عبد العزيز ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن، وغيرهم ، وعنه : أسامة بن زيد الليثي ، واسماعيل بن أمية ، وأبومعشر

---

(١) انظر ترجمته : كتاب الثقات ٧ / ٤٢٣ ، تهذيب الكمال ٣ / ١١٩٧ ، التقريب ٢ / ١٦١ .

(٢) التقريب ١ / ٥ .

(٣) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٣ / ١٢٦١ ، التقريب ٢ / ٢٠٣ .

نجيح بن عبد الرحمن ، وآخرون ، توفي بالمدينة أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

٢٩- موسى بن عبيده[1] بن نشيط بن عمرو بن الحارث الربذي أبوعبد العزيز المدني ، من صغار السادسة ، ضعفه أحمد ، وابن معين ، وقال فيه أبوحاتم : " منكر الحديث " ، روى عن أبان بن صالح ، وسلمة بن دينار ، وعبد الله بن دينار ، وعبد الله بن رافع ، وغيرهم ، وعنه : زيد بن الحباب ، وسفيان الثورى ، وشعبة بن الحجاج ، ووكيع بن الجراح ، وآخرون ، توفى سنة ثلاث وخمسين ومئة .

٣٠- أبومعشر[2] . هو نجيح بن عبد الرحمن السّندى المدني الهاشمي ، مولاهم مشهور بكنيته ، صدوق ، من السادسة ، ضعفه : أحمد ، وابن معين ، والنسائي ، وابن المديني ، وغيرهم ، روى عن : محمد بن قيس ، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن المنكدر ، في آخرين ، وعنه : سعيد بن منصور ، وسفيان الثورى ، ومحمد بن عمر الواقدى ، والليث ابن سعد ، وغيرهم ، توفي ببغداد سنة سبعين ومئة .

٣١- أبومودود[3] . هو عبد العزيز بن أبى سليمان الهذلي المدني ، كان قاضيا بالمدينة ، قال فيه ابن حجر : " مقبول ، من السادسة " ، قلت : ووثقه : ابن معين ، وأبوداود ، روى عن : نافع مولى ابن عمر ، وعثمان بن الضحاك ، والسائب بن يزيد ، وغيرهم ، وعنه : زيد بن الحباب ، وخالد بن مخلد ، ووكيع بن الجراح ، وآخرون .

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٣ / ١٣٩٠ ، التقريب : ٢ / ٢٨٦ .

(٢) انظر ترجمته : الميزان ٤ / ٢٤٦ ، تهذيب الكمال ٣ / ١٤٠٧ ، التقريب ٢ / ٢٩٨ .

(٣) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢ / ٨٣٧ ، التقريب ١ / ٥٩ .

٣٢- هشام بن سعد[1] المدني أبوعباد ، ويقال : أبوسعيد القرشي ، قال فيه ابن حجر : " صدوق ، له أوهام ، ورمي بالتشيع ، من كبار السابعة " . قلت : وضعفه : ابن معين ، والنسائي ، وغيرهما ، وقال فيه أحمد : " ليس بمحكم الحديث " ، روى عن : سلمة بن دينار ، وعطاء المخراساني ، والزهري ، ونافع مولى ابن عمر ، في جماعة ، وعنه : سفيان الثوري ، ووكيع بن الجراح ، والليث بن سعد ، وآخرون ، توفي سنة ستين ومئة ، وقيل غير ذلك .

٣٣- يزيد بن زياد[2] ، ويقال : يزيد بن أبي زياد ، نسبة الى جده ، المدني ، مولى عبد الله بن عباس بن أبي ربيعه المخزومي ، من السادسة ، وثقه : النسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، روى عن : عبد الله ابن رافع ، مولى أم سلمة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعنه : مالك ابن أنس ، ومحمد بن اسحاق .

* * *

* *

*

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٣ / ١٤٤٠ ، التقريب ٢ / ٣١٨ .

(٢) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٣ / ١٥٣٣ ، التقريب ٢ / ٣٦٤ .

المبحث الثاني
في رواته من غير أهل التفسير

١- أبان بن صالح بن عمير بن عبيدة القرشي ، مولاهم المدني ، ثم الكوفي (١) ولد سنة ستين ، روى عن : أنس بن مالك ، والحسن البصرى ، والحكم ابن عتيبة ، والزهرى ، وآخرين ، وروى له : محمد بن اسحاق ابن يسار ، وموسى بن عبيدة الربذى ، وابن جريج ، وجماعة ، وثقه : العجلي ، وابن معين ، وأبوزرعة ، وغيرهم ، توفي بالكوفة سنة بضع عشرة ومئة ، وهو ابن خمس وخمسين .

٢- أيوب بن موسى بن عمرو بن سعد بن العاص القرشي الأموى أبوموسى (٢) المكي ، روى عن : عطاء بن أبي رباح ، والزهرى ، وسعيد المقبرى ، في آخرين ، وروى له : السفيانان ، وشعبة ، وابن جريج ، والليث ، ابن سعد ، ومحمد بن اسحاق ، وغيرهم كثيرون ، وثقه : أحمد ، وابن معين ، وأبوزرعة ، والعجلي ، وغيرهم ، مات في خلافة أبي جعفر المنصور .

٣- زيد بن أسلم (٣) القرشي العدوى ، مولى عمر بن الخطاب ، أبوأسامة المدني ، تابعي ، ثقه ، فقيه ، روى عن : أنس بن مالك ، وجابر وعبد الله بن عمر ، وأبي هريرة في جماعة من الصحابة ، والتابعين ، روى عنه : أبناؤه : عبد الرحمن ، وأسامة ، ومالك بن أنس ، ومحمد

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١/ ٤٧ ، التقريب ١/ ٣٠ ، الثقات للعجلي ١/ ١٩٨ .

(٢) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١/ ١٣٦ ، التقريب ١/ ٩١ ، الثقات للعجلي ١/ ٢٤١ .

(٣) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ١/ ٤٤٨ ، التقريب ١/ ٢٧٢ .

ابن اسحاق ، والسفيانان ، وغيرهم ، توفي في أول خلافة المنصور .

٤- عمرو بن دينار[1] المكي أبومحمد الأثرم الجمحي ، تابعي ، وثقه : يحي بن سعيد القطان ، وابن عيينه ، وغير واحد من الأئمة ، حدث عن جابر بن عبدالله ، وابن عمر ، وابن عباس في آخرين من الصحابة ، كما حدث عن : سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ابن جبر في آخرين من التابعين ، وروى له السفيانان ، وقتادة ، وغيرهم ، توفي سنة خمس وعشرين ومئة ، وقيل : سنة ست وعشرين ومئة .

٥- عمير بن هاني[2] العنسي الدمشقي أبوالوليد ، تابعي ، ثقة ، روى عن : ابن عمر ، ومعاوية ، وأبي هريرة في جماعة من الصحابة ، وروى عنه : الأوزاعي ، وعمرو بن شرحبيل ، وقتادة ، والزهري ، وغيرهم ، وثقه : العجلي ، وغير واحد ، توفي سنة سبع وعشرين ومئة ، وقيل قبلها .

٦- محمد بن المنكدر[3] المدني القرشي التيمي أبوعبدالله ، ثقة ، جليل القدر ، تابعي ، من الصالحين ، وثقه : العجلي ، وغير واحد من الحفاظ ، حدث عن : جابر بن عبدالله ، وأنس بن مالك ، وابن الزبير ، وابن عباس ، وابن عمر ، من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وحمران وغيرهم ، من التابعين ، وروى عنه : السفيانان ، وزيد بن أسلم ، وأيوب السختياني ، وغيرهم ، توفي سنة ثلاثين ومئة ، وقيل بعدها .

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢ / ١٠٣٠ ، التقريب ٢ / ٦٩ .

(٢) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٢ / ١٠٦١ ، التقريب ٢ / ٨٧ ، معرفة الثقات للعجلي : ٢ / ١٩٣ .

(٣) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٣ / ١٢٧٦ ، الثقات للعجلي ٢ / ٢٥٥ .

٧- نافع بن[1] مالك بن أبي عامر الأصبحي ، حليف بني تيم أبوسهل المدني ، تابعي ، ثقة ، روى عن : أنس بن مالك ، وسهل بن سعد الساعدي ، وابن عمر ، وغيرهم من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كما روى عن سعيد بن المسيب ، وعمر بن عبد العزيز ، والقاسم ابن محمد ، وعلي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب في آخرين من التابعين ، وروى عنه : سليمان بن بلال ، وعمر بن حمزة العمري ، وابن أخيه : امام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي ، وخلق كثير ، وثقه : أحمد ، والنسائي ، وأبوزرعة ، وغيرهم ، توفي سنة أربعين ومئة .

٨- يزيد بن[2] عبدالله بن أسامة بن الهاد الليثي أبوعبدالله المدني ، ثقة ، مكثر ، روى عن : عبدالله بن دينار ، وزياد بن أبي زياد ، وأبي حازم بن دينار ، وجماعة ، وروى عنه : شيخه يحيى ابن سعيد الأنصاري ، وابراهيم بن سعد ، ومالك ، وغيرهم ، وثقه : ابن معين ، والنسائي ، والعجلي ، وغير واحد من الأئمة .

* * *

* *

*

---

(١) انظر ترجمته : تهذيب الكمال ٣ / ١٤٠٥ ، تهذيب التهذيب ١٠ /٤٠٩.

(٢) انظر ترجمته : العجلي ٢ / ٣٦٥ ، التقريب ٢ /٣٦٧ ، تهذيب التهذيب ١١ / ٣٣٩ .

الباب الثاني

الباب الثاني
طريقته في التفسير والرواية عنه

وفيه فصلان :

الفصل الأول : طريقته في التفسير .

الفصل الثاني : طرق الرواية عنه .

الفصل الأول
طريقته في التفسير

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن .

المبحث الثاني : تفسير القرآن بالرواية .

المبحث الثالث : تفسير القرآن باللغة .

المبحث الرابع : تفسير القرآن بالاجتهاد .

المبحث الخامس : تفسير القرآن بالقصص .

اذا تتبعت ما جاء عن مفسرنا من التفسير ، يظهر لك جليا ، أنه لم يشذ في الجملة عن ما درّج عليه معاصروه ، مثل : ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وسعيد ابن المسيب ، فكل أولئك لا يعدو تفسيرهم - في الغالب - أن يكون تفسير آية بأخرى تارة ، أو ذكر سبب نزول آية ، أو الحكم على آية بأنها منسوخة ، أو الاستنباط من آية تارة أخرى .

وسنذكر لك في هذا الفصل أمثلة لما سلكه القرظي - رحمه الله - في تفسير كتاب الله :

* * * *

* * *

* *

*

المبحث الأول
تفسير القرآن بالقرآن والاستشهاد به

أولا :

قوله :" فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هوالتواب الرحيم"[1] .

قوله :" فتلقى ءادم من ربه كلمات " قال : قوله :"ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين "[2] . رواه ابن أبي حاتم[3] ، عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ثم قال :" وروي عن الحسن وقتادة ، ومحمد ابن كعب القرظي ، وخالد بن معدان[4] ، وعطاء الخراساني ، والربيع بن أنس نحو ذلك .

ثانيا :

قوله :" ولقد علمنا المستقدمين منكم ، ولقد علمنا المتسأخرين"[6] .

ولقد علمنا المستقدمين منكم : الميت والمقتول ، والمستأخرين : من يلحق من بعد " وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم "[7] . رواه ابن جرير[8] .

ثالثا :

قوله :" يطوفون بينها وبين حميم ءان "[9] .

يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس ، وهي كالتي يقول الله تعالى :" في الحميم ثم في النار يسجرون "[10] . حكاه ابن كثير[11] .

---

(١) البقرة ٣٧ .
(٢) الاعراف ٢٣ .
(٣) ابن ابي حاتم . ١/٨٢ ب
(٤) انظر الملحق رقم : ٢٣
(٦) الحجر ٢٤ .
(٧) الحجر ٢٥ .
(٨) الطبري ١٤/٢٣ .
(٩) الرحمن ٤٤ .
(١٠) غافر ٧٢ .
(١١) ابن كثير ٢٧/٢٩٦ .

المبحث الثاني
تفسير القرآن بالرواية

أولا :

قوله :" فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " .(١)

عن كعب بن عجره ، قال :" أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أذاني القمل أن أحلق رأسي ، ثم أصوم ثلاثة أو أطعم ستة مساكين ، وعلم أنه ليس عندي ما أنسك به ". رواه الطبري .(٢)

ثانيا :

قوله :" يا أيها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين . . . الآية ".(٣)

مرت على عثمان فخارة من ماء فدعا به ، فتوضأ فأسبغ وضوءه . ثم قال : " لو لم اسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الا مرة أو مرتين ، أو ثلاثا ما حدثتكم به ، أني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :" ما توضأ عبد فأسبغ الوضوء ، ثم قام الى الصلاة الا غفر له ما بينه وبين الأخرى . قال محمد بن كعب :" كنت اذا سمعت حديثا عن رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التمسته في القرآن ، فالتمست هذا فوجدت :" انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته "(٤) .

---

(١) البقرة ١٩٦ .
(٢) الطبري ٦/٢٣٣ .
(٣) المائدة ٦ .
(٤) الفتح ١ ، ٢ .

فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه ، ثم قرأت الآية التي في سورة المائدة :" اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق " حتى بلغ :"... ولكن يريد ليطهركم و يتم نعمته عليكم " . فعرفت أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم " . رواه ابن المبارك .(١)

ثالثا :

قوله :" هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ..." الى قوله تعالى :" ... لا يعلمون " .(٢)

عن زيد بن أرقم قال :" لما قال عبد الله بن أبيّ : " لا تنفقوا على من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال أيضا :" لئن رجعنا الى المدينة أخبرت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فلامني الأنصار . وحلف عبد الله بن أبيّ ما قال ذلك ، فرجعت الى المنزل فنمت ، فدعاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتيته . فقال : " ان الله صدقك ونزل :" هم الذين يقولون لا تنفقوا ... الآية " . رواه البخاري(٣) واللفظ له ، والترمذي(٤) ، والنسائي(٥) ، وأبونعيم(٦) .

* * *

---

(١) الزهد ، " باب ذكر رحمة الله تبارك وتعالى " ٣١٦ .

(٢) المنافقون ٧ ، ٨ .

(٣) البخاري ، كتاب التفسير ، سورة المنافقون ٦/١٢٧ .

(٤) الترمذي ، كتاب التفسير ، سورة المنافقون ٥/٤١٧ ، حديث ٣٣١٤ .

(٥) النسائي ١/٢٣٨ .

(٦) حلية الأولياء ٣/٢١٨ .

المبحث الثالث
تفسير القرآن باللغة

أولا :

قوله :" قال رب اجعل لي ءاية قال ءايتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الاّ رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار ".(١)

قوله :" الاّ رمزا " .

الاشارة . رواه ابن أبي حاتم .(٢)

ثانيا :

قوله :" اذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا ولبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى " .(٣)

قوله : " ثم جئت على قدر يا موسى " .

جئت على القدر الذى قدرت لك أنك تجيئ اليّ فيه ". رواه البغوى .(٤)

ثالثا :

قوله :" قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنّة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ".(٥)

قوله :" أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنّة" يقوم الرجل مع الرجل ،أووحده فيتفكروا ما بصاحبكم من جنّة . يقول : انه ليس بمجنون " حكى هذا الأثر الامام السيوطي .(٦)

رابعا :

قوله :" وحملناه على ذات الوح ودسر ".(٧)

قوله :" ودسر " .

المسامير . أخرجه ابن جرير .(٨)

---

(١) ءال عمران ٤١ .
(٢) ابن ابي حاتم ١/ ٢٤٦ أ .
(٣) طه ٤٠ .
(٤) البغوى ١٦/ ٢١٨ .
(٥) سبا ٤٦ .
(٦) الدر المنثور ٢٢/ ٢/ ٧٠ .
(٧) القمر ١٣ .
(٨) الطبرى ٢٧/ ٩٣ .

المبحث الرابع
تفسير القرآن بالاجتهاد

أولا :

قوله : " فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون " . (١)

يا هؤلاء احفظوا اثنتين ، شكر النعمة واخلاص الايمان . حكاه السيوطي (٢) وعزاه الى الخرائطي .

ثانيا :

قوله :" رب اجعل لي ءاية قال ءايتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الاّ رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار" . (٣)

قوله :" واذكر ربك كثيرا " .

لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا - عليه السلام - قال الله تعالى :" ءايتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الاّ رمزا واذكر ربك كثيرا " . ولو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص للذين يقاتلون في سبيل الله . قال تعالى : " يا أيها الذين ءامنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا " . (٤)

رواه ابن جرير (٥) ، وابن أبي حاتم (٦) مختصرا ، ورواه أبونعيم (٧) بتمامه واللفظ له .

* * *

---

(١) البقرة ١٥٢ .

(٢) الدر المنثور ٢ / ٣٧٤ .

(٣) المائدة ٤١ .

(٤) الأنفال ٤٥ .

(٥) الطبري ٣ / ٢٦١ .

(٦) ابن أبي حاتم ٢ / ٢٤أ .

(٧) حلية الأولياء ٣ / ٢١٥ .

المبحث الخامس
تفسير القرآن بالقصص

أولا :

قوله :" واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا ءال فرعون وأنتم تنظرون " . (١)

قوله :" فأنجيناكم وأغرقنا ءال فرعون وأنتم تنظرون " .

أنه لما دخل بنوا اسرائيل البحر فلم يبق منهم أحد ، أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل ، حتى وقف على شفير البحر ، وهو قائم على حاله ، فهاب الحصان أن ينفذ فعرض له جبريل على فرس أنثى وديق (٢) فقربها منه فشمها الفحل ، فلما شمها تبعها فتقدم معها الحصان عليه فرعون ، فلما رأى جند فرعون ، فروعون قد دخل دخلوا معه ، وجبريل أمامه ، وهم يتبعون فرعون ، وميكائيل على فرس من خلف القوم يسوقهم يقول :" الحقوا بصاحبكم حتى اذا فصل جبريل من البحر ليس أمامه أحد ، ووقف ميكائيل على ناحيته الأخرى ، وليس خلفه أحد ، طبق عليهم البحر ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله عز وجل وقدرته ما رأى ، وعرف ذلته وخذلته نفسه :" ءامنت أنه لا اله الآ الذى ءامنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين " . (٣)

رواه ابن جرير . (٤)

---

(١) البقرة ٥٠ .

(٢) الوديق : هي التى تشتهي الفحل . " اللسان " مادة " ودق ص : ٤٨٠٠ .

(٣) يونس ٩٠ .

(٤) الطبرى ١/ ٢٦٧ .

ثانيـــا :

قولـــه :" واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالـــوا أتتخذنا هزوا قال أعـوذ بالله أن أكون من الجاهلـــين ".(١)

لما أتى أولياء القتيل والذين ادعوا عليهم قتل صاحبهم موسى ، وقصـوا قصتهم عليه أوحى الله اليه أن يذبحوا بقرة ، فقال لهم موسى :" ان الله يأمركم أن تذبحوا بقـرة ، قالوا : أتتخذنا هزوا ! قال :" أعوذ بالله أن أكـــون من الجاهلين ، قالوا :" وما البقـــرة ؟ وما القتيل ؟ قـال :" أقول لكـم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، وتقولون :" أتتخذنا هزوا " .

رواه ابن جريـــــر .(٢)

ثالثـــا :

قولـــه :" لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريـــــم ..." الى قوله :" . . . ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليـم ".(٣)

ـ لما رفع الله عيسى ابن مريم ، اجتمع من علماء بني اسرائيل مائة رجـل ، فقال بعضهم :" أنتم كثير نتخوف الفرقـة ، أخرجوا عشرة ، فأخرجوا عشـــرة ، ثم قالوا : أنتم كثير نتخوف الفرقـة ، أخرجوا عشرة ، فأخرجوا عشرة ، ثـــم قالـــوا : أنتم كثير ، فأخرجوا عشرة ، فأخرجوا عشرة ، ثم قالوا : أنـــتم كثير ، فأخرجوا عشرة ، حتى بقي عشرة ، فقالوا : أنتم كثير حتى الآن ، فأخرجوا ستة ، وبقي أربعـــة ، فقال بعضهم : ما تقولون في عيسى ؟ فقال رجل منهـم :

---

(١) البقـــــرة ٦٧ .

(٢) الطـــــبرى ١ / ٣٤٠ .

(٣) المائـــــدة ٧٢ ، ٧٣ .

أتعلمون أنه لا يعلم الغيب الاّ الله ؟ قالوا : لا ، فقال الرجل : هو الله، كان في الأرض ما بداله ثم صعد الى السماء حين بداله ، وقال الآخر : قد عرفنا عيسى ، وعرفنا أمه هو ولده ، وقال الآخر :" لا أقول كما يقولون ، قد كان عيسى يخبرنا أنه عبدالله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ، فنقول كما قال لنفسه ،لقد خشيت أن تكونوا قلتم قولا عظيما ،قال : فخرجوا على الناس، فقالوا لرجل منهم : ماذا قلت ؟ قال : قلت : هو الله كان في الأرض ما بداله ثم صعد الى السماء حين بداله . قال : فاتبعه عنق من الناس ، وهؤلاء النسطورية واليعقوبية ، ثم خرج الرابع فقالوا له : ماذا قلت . قال : قلت : هو عبدالله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ، فاتبعه عنق من الناس ، فقال محمد بن كعب : " فكل قد ذكره الله في القرآن :" لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة. . . . الآية " . ثم قرأ :" ويكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما " . ثم قرأ : " ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا . . ." الى قوله :" . . . منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون " . قال محمد بن كعب :" فهؤلاء أمة مقتصدة ، الذين قالوا : " عيسى عبد الله وكلمته وروحه ألقاها الى مريم .

ذكره السيوطي[1] وعزاه الى ابن المنذر .

* * *

* *

*

---

(١) الدر المنثور : ٦/١٢٢ .

الفصل الثاني
طرق الرواية عنه

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : في أصح الطرق .

المبحث الثاني : في أضعف الطرق .

تعرفت في الفصل الثاني من الباب السابق على أشهر رواة ابن كعب وظهر لك أن منهم الثقة الثبت ، كما أن منهم الضعيف المتدني .

ونرى لزاما علينا أن نورد في هذا الفصل أمثلة على أصح طرق الرواية عنه مرتبة ، وأخرى لأضعفها .

وليس القرظي - رحمه الله - بدعا في الضعفاء من التلامذة ، فقد ابتلى كثير من علماء الأمة الأثبات ، الذين كثرت عنهم الرواية برواة ضعفاء ، شوهوا كثيرا من العلم المشرق ، الذى وردنا منهم، فخذ مثلا حبر الأمة وترجمان القرآن : عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فان من طرق الرواية عنه ، ما يعرف بسلسلة العوفيين ، وهم: عطية بن سعد العوفي ، وبعض بنيه وأحفاده .

* * *

* *

*

المبحث الأول
أصح الطرق

السند الأول :

البخاري[1] عن آدم[2] عن شعبة عن الحكم[3] عن محمد بن كعب القرظي .

السند الثاني :

محمد بن جرير الطبري عن هناد بن السري[4] عن وكيع عن عاصم بن محمد[5] عن محمد بن كعب القرظي .

السند الثالث:

عبد الرزاق بن همام[6] الصنعاني عن داود بن قيس[7] عن القرظي .

السند الرابع:

أبوعمر بن حيويه[8] وأبوبكر الوراق[9] عن يحي[10] عن الحسين[11] عن ابن المبارك عن داود بن قيس عن محمد بن كعب القرظي .

السند الخامس:

ابن جرير الطبري عن محمد بن معمر[12] عن أبي هشام[13] المخزومي عن عبد الواحد[14] بن زياد عن عثمان بن حكيم[15] عن محمد بن كعب القرظي .

---

(١) البخاري ، كتاب التفسير ((سورة المنافقون)) : ٦/١٢٧ .
(٢) انظر الملحق رقم : ٦ .
(٣) الحكم . تقدم ص : ٣٢ .
(٤) هناد بن السري . انظر الملحق، رقم : ٨٤
(٥) عاصم بن محمد تقدم ص : ٣٤ .
(٦) تفسير عبد الرازق ٢/٥٢٩ .
(٧) داود بن قيس تقدم ص : ٣٣ .
(٨) هو محمد بن العباس أبوعمر الخزار بن حيويه . انظر الملحق، رقم : ١٠٠ .
(٩) أبوبكر الوراق هو محمد بن اسماعيل بن محمد . انظر الملحق، رقم : ٩٢ .
(١٠) يحي هو يحي بن محمد بن صاعد . انظر الملحق، رقم : ٨٧ .
(١١) الحسين هو الحسن المروزي . انظر الملحق، رقم : ٢٠ .
(١٢) محمد بن معمر انظر الملحق، رقم : ٧١ .
(١٣) أبوهشام المخزومي هو المغيرة بن سلمة . انظر الملحق، رقم : ١٠٠٤ .
(١٤) عبد الواحد بن زياد . انظر الملحق، رقم : ٤٢ .
(١٥) عثمان بن حكيم . تقدم ص : ٣٦ .

المبحث الثاني
أضعف الطرق

أولا :

رواية ابن جرير [١] ، عن ابن حميد [٢] ، عن سلمة [٣] ، عن محمد ابن اسحاق [٤] ، عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي [٥] عن محمد بن كعب .

ثانيا :

رواية ابن جرير [٦] ، عن ابن حميد ، عن مهران [٧] ، عن موسى بن عبيدة [٨] عن محمد بن كعب القرظي .

ثالثا :

رواية ابن جرير [٩] ، عن ابن حميد ، عن مهران ، عن أبي معشر المدني [١٠] ، عن محمد بن كعب القرظي .

---

(١) الطبري ٢٣ / ٨٤ .

(٢) ابن حميد هو محمد بن حميد الرازي . الملحق رقم : ١٠٨ .

(٣) سلمة بن الفضل . انظر الملحق رقم : ٢٨ .

(٤) محمد بن اسحاق . تقدم ص : ٣٨ .

(٥) بريدة بن سفيان الأسلمي . تقدم ص : ٣٢ .

(٦) الطبري ٢٧ / ٥٧ .

(٧) هو مهران بن أبي عمر العطار ا . الملحق رقم : ٧٦ .

(٨) موسى بن عبيده الربذي . تقدم ص: ٤٠ .

(٩) الطبري ٢٨ / ٤ .

(١٠) أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن . تقدم ص : ٤٠ .

رابعا :

رواية ابن أبي حاتم [١] ، عن أبي سعيد الأشج [٢] ، عن أبي يحي الرازى اسحاق بن سليمان [٣] ، عن موسى بن عبيده ، عن محمد بن كعب .

خامسا :

رواية ابن أبى حاتم [٤] ، عن أبي سعيد الأشج ، عن أبي ابراهيم الأسدى [٥] ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب .

سادسا :

رواية ابن جرير [٦] ، عن أبي كريب [٧] ، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي [٨] ، عن اسماعيل بن رافع [٩] ، عمن حدثه عن محمد بن كعب .

* * *

---

(١) ابن أبي حاتم ١/٢٦ أ .

(٢) أبوسعيد الأشج هو عبد الله بن سعيد بن حصين الكندى . انظر الملحق، رقم : ٩٤ .

(٣) أبويحي الرازى اسحاق بن سليمان . انظر الملحق، رقم : ٩ .

(٤) ابن أبي حاتم : ٤/١٩٩ ب .

(٥) أبوابراهيم الأسدى هو محمد بن القاسم . انظر الملحق، رقم : ٦٨ .

(٦) الطبرى ٢٣/٢٢ .

(٧) أبوكريب هو محمد بن العلاء . انظر الملحق، رقم : ١٠٣ .

(٨) عبد الرحمن بن محمد المحاربي . انظر الملحق، رقم : ٤٠ .

(٩) اسماعيل بن رافع المدني . انظر الملحق، رقم : ١١ .

الباب الثالث

الباب الثالث

التفسير

=((تفسير سورة الفاتحة))=

قوله تعالى : " مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ " . - ٤ -

١) مالك يوم لا ينفع فيه الآالدين . أخرجه البغوى[١] عن المفسر وعطاء ، وكما نص في مقدمته فان قول مفسرنا ضعيف الاسناد ، لأنه ينتهي إلى أبي معشر .

والصواب في تفسير الآية ، ما أخرجه ابن جرير[٢] عن ابن عباس وقتادة وغيرهم من السلف ، أنه يوم حساب الخلائق هو يوم القيامة .

قلت : على هذا التفسير جاء الدليل صريحا في كتاب الله في عدة مواضع منها :

" وَمَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ "[٣] .

فقد أخبر جلّ وعلا عن ذلك اليوم مجملا في الآيتين الأوليين ، ثم بينه في الآية الأخيرة أنه ذلك اليوم الذى ينفرد فيه بالملك دون سواه ، كما قال تعالى في سورة الفرقان " وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَآئِكَةُ تَنزِيلًا . الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَانِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا "[٤] .

* * *

---

(١) البغوى ١ / ٤٠ .

(٢) الطبرى ١ / ٦٨ .

(٣) الانفطار ١٩ .

(٤) الفرقان ٢٦ .

=((تفسير سورة البقرة))=

" الٓمٓ ". - ١ -

٢) الألف آلاء الله ، واللام لطفه والميم ملكه . رواه البغوى[١] في جملة أقوال أهل التفسير المختلفة في المراد بما افتتح الله به بعض السور من الحروف وقول المفسر ضعيف الاسناد لأنه من طريق أبي معشر ، وبنحو ما جاء عنه من أن كل حرف من هذه الحروف موضوع لمعنى ، قال الربيع بن أنس :" هذه الأحرف من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن ، كلها ليس منها حرف الآ وهو مفتاح اسم من أسماء الله ، وليس منها حرف الآ وهو في آلائه وبلائه ، وليس منها حرف الآ وهو مدة قوم وآجالهم . أ هـ أخرجه ابن جرير[٢] فى اختلاف المفسرين في معنى الحروف المقطعة .

والراجح عندى ما أخرجه البخارى[٣] واللفظ له ، وأخرجه مسلم[٤] من عدّة طرق عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :" كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر : (الٓمٓ تَنزِيلُ) السجدة و (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلإِنسَـٰنِ) . أ هـ .

فان قلت : كيف ضربت صفحا عن جميع ما قاله أهل التفسير غير هذا القول ؟ .

قلت : لم التفت اليها استغناء بما صح به الخبر ، وهو نص في تسمية كل سورة بما افتتحت به من الحروف المقطعة .

---

(١) البغوى ١ / ٤٤ .

(٢) الطبرى ١ / ٨٨ .

(٣) البخارى كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ٢ / ٥ ، حديث ٨٩١ .

(٤) مسلم كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في يوم الجمعة ٢ / ٥٩٩ حديث ٨٨٠ .

قوله تعالى : "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا" . - ١٧ -

٣) نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - واستفتاحهم به على مشركي العرب ، فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله فقال : "صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ" (١) . رواه من مفسرنا وعطاء البغوى ، (٢) فقول مفسرنا ضعيف الاسناد - كما تقدم - ولم يسلم قول عطاء من تدليس ابن جريج ، كما ذكره البغوى (٣) في اسناده عنه في مقدمته ، والذى جاء عن الأكثرين ، كما أخرجه البغوى نفسه ، ومنهم ابن عباس وقتادة والضحاك ، وأخرجه ابن جرير (٤) عن هؤلاء وغيرهم من مفسرى السلف ، أن الآية نزلت في المنافقين ، وظاهر السياق من قوله : "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ" ... الى قوله : "إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٥) ، دليل على رجحان قول الجمهور ، وذلك أن الآيات جميعها موصولة الحديث عن المنافقين وموقفهم من الاسلام والمسلمين .

"وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" . - ٢٥ -

قوله : "وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا"

٤) يشبه ثمر الدنيا غير أنه أطيب . أخرجه البغوى (٦) ، وأخرجه ابن جرير (٧) عن عكرمة وقتادة ، والذى عليه أكثر المفسرين ، كما رواه البغوى وابن جرير

---

(١) البقرة آية : ١٨ .
(٢) البغوى ١/٥٣ .
(٣) البغوى (المقدمة) ٢٨ .
(٤) الطبرى ١/١٤٢ .
(٥) البقرة ٨ : ٢٠ .
(٦) البغوى ١/٥٦ .
(٧) الطبرى ١/١٧٤ .

أن المعني بالتشابه في هذه الآية هو ثمار الجنة ، وهذا هو الراجح عندى ، لأن الآية الكريمة كلها في ذكر الجنة ونعيمها .

" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ " . - ٣٤ -

قوله : " إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ " .

(٥) ابتدأ الله عز وجل خلق ابليس على الكفر والضلالة وعمل بعمل الملائكة فصيره الى ما أبدى (عليه) (١) خلقه من الكفر ، قال الله تعالى : " وكان من الكافرين " . رواه ابن أبى حاتم (٢) ، واسناده ضعيف لأنه من طريق موسى بن عبيده الربذى ، ولم أجد من قال مثل قول مفسرنا هذا ، غير أن ما تضمنه الأثر من أن ابليس قد صيّره الله باهتناعه من السجود لآدم ، اذ أمره ربه الى ما سبق به القدر عليه من الكفر صحيح ، ولا يضره ضعف السند ، وقال البغوى (٣) عند تفسير آية البقرة هذه :" وقال أكثر المفسرين : وكان فى سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة . أ هـ .

قلت : وفي التنزيل الكريم ما يدل على أن عدو الله غلبت عليه الشقوة بعصيانه ووقع في الغواية وفق ما سبق في علم الله من ذلك . قال تعالى في حكايته عن ابليس - لعنه الله - :" قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ " . (٤)

" فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ " . - ٣٧ -

قوله : " فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ " .

---

(١) الكلمة بين القوسين في المخطوطة :اليه ،والصواب ما أثبتناه .
انظر: ابن كثير ١/ ٨١ .
(٢) ابن أبى حاتم ١/ ٢٦ أ .
(٣) البغوى ١/ ٦٣ .
(٤) الاعراف ١٦ .

٦) قوله : " رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ "[1].

رواه ابن أبي حاتم[2] بهذا اللفظ عن مجاهد وسعيد بن جبير ، ثم قال : "وروي عن الحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن معدان وعطاء الخراساني ، والربيع بن أنس نحو ذلك .

قلت : وأخرجه ابن جرير[3] عن مجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم ، مع اتفاق في المعنى واختلاف في اللفظ ، وما قاله أولئك الأئمة في الآية صحيح ، لأنه تفسير القرآن بالقرآن ، ويدل له قوله تعالى : " فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ . قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ "[4] . ووجه الدلالة من هذه الآيات ، ان الثانية جاءت بعد مس الأبوين عليهما السلام الكرب ، فلجآ الى ربهما بما تصفه الآية من الدعوات ، فدل ما كان مفصلا في الأعراف على ما كان مجملا من معنى الكلمات في آية البقرة .

"وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ " . -٥٠-

قوله : " فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ " .

٧) أنه لما دخل بنو اسرائيل البحر فلم يبق منهم أحد ، أقبل فرعون ، وهو على حصان له من الخيل ، حتى وقف على شفير البحر ، وهو قائم على حاله ، فهاب الحصان أن ينفذ فعرض له جبريل على فرس أنثى ، وديق فقربها منه

---

(١) الأعراف ٢٣ .

(٢) ابن أبي حاتم ١/٢٨ ب .

(٣) الطبري ١/٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٤) الأعراف ٢٢ ، ٢٣ .

فشمها الفحل ، فلما شمها تبعها فتقدم معها الحصان عليه فرعون ، فلما رأى جند فرعون ، فرعون قد دخل دخلوا معه وجبريل أمامه ، وهم يتبعون فرعون، وميكائيل على فرس من خلف القوم يسوقهم : يقول الحقوا بصاحبكم حتى اذا فصل جبريل من البحر ، ليس أمامه أحد ،ووقف ميكائيل على ناحيته الأخرى ، وليس خلفه أحد ، طبق عليهم البحر ونادى فرعون حين رآى من سلطان الله عز وجل وقدرته ما رآى وعرف ذلته وخذلته نفسه " آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ " . رواه ابن جرير (١) عن عبد الله بن شداد بن الهاد من طريق مفسرنا واسناده ضعيف ، لضعف ابن اسحاق ، وبنحو ما جاء من التفصيل فى كيفية دخول فرعون البحر واتباعه موسى وقومه .

قال عمرو بن ميمون وابن عباس والسدى وابن زيد ، فيما أخرجه عنهم ابن جرير (٢) ، وابن أبى حاتم (٣) عن بعضهم ، وتلك قصص لا تستند على كتاب ولا سنة ، فلا تعد وأن تكون من الاسرائيليات التى نحن فى غنى عنها بما جاء فى كتاب الله الكريم من تنجية موسى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ، واهلاك عدو الله فرعون وجنده . ومن ذلك قوله تعالى :" فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . (٤)

"وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" . - ٦٧ -

---

(١) الطبرى ١ / ٢٧٦ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٧٦ ، ٢٧٨ .
(٣) ابن أبى حاتم ١ / ٣٥ أ .
(٤) الشعراء ٦٣ : ٦٦ .

قولـه : " إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً " .

٨) لما أتى أولياء القتيل والذين ادعوا عليهم قتل صاحبهم موسـى ، وقصوا قصتهم عليه أوحى الله اليه أن يذبحوا بقرة ، فقال لهم موسى : " ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا : أتتخذنا هزوا ! ، قال : " أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " ، قالوا : " وما البقـرة ؟ وما القتيل ؟ ، قال : " أقـول لكم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، وتقولون : " اتتخذنا هزوا " . رواه ابـن جرير (١) ، عن مفسرنا في جملة القصص التى تتحدث عن سبب قتل بنى اسرائيـل صاحبهم ، وتلك الحكايات وردت عن أبى العالية ، وابن زيد ، وعبيدة السلماني ، عند ابن كثير (٢) ، وعند ابن أبى حاتم (٣) ، بعضها ، وملخصها أن رجلا من بـنى اسرائيل قتل قريبا لـه ، فألقاه عند حـى آخر ، وطالبهم بدمه ، فلما بلغ موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما كاد يكون بين الحيين من المصادمة ، أمرهم بما أوحى الله اليه أن يذبحوا بقـرة .

والحق أن قول مفسرنا هو أعدل الأقوال ، من حيث الاختصار ، وقلـة الغرابة ، ولكن اسناده ضعيف ، لأنه من طريق أبى معشر ، ولا شك أن القوم تنازعوا فى أمر ذلك القتيـل .

والسؤال : "هل ذلك التنازع من ولى للقتيل يطالب بدمه ؟ ، أو أن حيـين من بنى اسرائيل وجدوا قتيلا بينهم فتنازعوا أمره ؟ كل يريد أن يدفـع الشبهة عن نفسه ، ذلك ما أجمله الحق ، وسكت عنه ، كما سكت عن السبـب الباعث على القتل ، وليس فى السياق سوى عرض القصة ، والاكتفاء بموطـن العبرة .

---

(١) الطـبرى ١ / ٣٤٠ .
(٢) ابن كثـير ١ / ١١٢ .
(٣) ابن أبى حاتم ١ / ٤٦ ب .

وما أحسن ما قاله الزمخشري [1] حيال عرض الحق - جلّ ثناؤه - قصص بني اسرائيل ، "كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص ، تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ، ولما جدد فيهم من الآيات العظام". انتهى محل الغرض .

" قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا . قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ " . - ٧١ -

قوله : " وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ " .

٩) لغلاء ثمنها . رواه بهذا اللفظ عبد الرزاق [2] ، وروى ابن أبي حاتم [3] نحوه ، كما أخرجه ابن جرير [4] ، عن مفسرنا من ثلاثة طرق ، ثم قال في الثالث منها : عن مجاهد وحجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس ، في حديث فيه طول ، ذكر أن حديث بعضهم دخل في حديث بعض ، قوله : " فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ " ، لكثرة الثمن ، أخذوها بملء مسكها ذهبا من مال المقتول ، فكان سواء لم يكن فيه فضل فذبحوها . أ هـ .

قلت : كل ما جاء عن مفسرنا ضعيف ، لأن مداره على أبي معشر ، ومرده الى ما أخرجه ابن جرير [5] ، عن ابن عباس ومجاهد ، ووهب والسدي وأبي العالية ، وابن زيد وعبيدة السلماني ، من أن السبب في امتناع بني اسرائيل من ذبح البقرة ، هو غلاء الثمن ، فقد اتفقت عبارات هؤلاء الأئمة في المعنى على ذلك .

---

(١) الكشاف ١ / ٧٦ .
(٢) تفسير عبد الرزاق ١ / ٣٩ .
(٣) ابن أبي حاتم ١ / ٤٩ ب .
(٤) الطبري ١ / ٣٥٤ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٣٥٥ .

والصواب عندى : أن القوم لم يمتنعوا من ذبح تلك البقرة ،الآ لشدة تعنتهم ، وكان يكفيهم لو امتثلوا ما أمرهم به نبيّهم ذبح أدنى بقرة من البقر.

قال ابن كثير (١) : " قال الضحاك -عن ابن عباس- :" كادوا أن لا يفعلوا ولم يكن ذلك الذى أرادوا ، لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها ، يعني أنهم مع هذا البيان ، وهذه الأسئلة والأجوبة والايضاح ، ما ذبحوها الآ بعد الجهد ، وفى هذا ذم لهم ، وذلك أنه لم يكن غرضهم الآ التعنت ،فلهذا ما كادوا يذبحونها . أ هـ .

قلت : " فكل ما رواه ابن جرير وغيره من مختلف أقوال المفسرين لا يسنده ظاهر سياق الآيات ، سوى هذا القول " . والعلم عند الله .

" وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ " ٠ - ٧٢ -

قوله :" وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا "

١٠) إن سبطا من بنى اسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس ، بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس ، فكانوا اذا أمسوا ، لم يتركوا أحدا منهم خارجها الآ أدخلوه ، واذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر وتشرف ،فاذا لم ير شيئا ، فتح المدينة فكانوا مع الناس حتى يمسوا ، وكان رجل من بنى اسرائيل له مال كثير ، ولم يكن له وارث غير ابن أخيه ، فطال عليه حياته فقتله ليرثه ، ثم حمله فوضعه على باب المدينة ، ثم كمن فى مكان هووأصحابه ، قال فتشرف رئيس المدينة على باب المدينة ، فنظر ، ولم ير شيئا ، ففتح الباب ، فلما رأى القتيل ردّ الباب ،فناداه ابن أخى المقتول وأصحابه :" هيهات قتلتموه ثم تردون الباب ، وكان موسى لما رأى القتل كثيرا فى أصحابه من بنى اسرائيل ، كان اذ رأى القتيل بين ظهرى القوم أخذهم ، فكاد يكون بين أخى المقتول وبين أهل المدينة قتال ، حتى لبس الفريقان السلاح ، ثم كفّ بعضهم عن بعض،

---

(١) ابن كثير ١ / ١١٥ .

فأتوا موسى فذكروا له شأنهم ،فقالوا يا رسول الله : " ان هؤلاء قتلوا قتيلا ثم ردوا الباب ، وقال أهل المدينة : " يارسول الله ،قد عرفت اعتزالنا الشرور، وبنينا مدينة ، كما رأيت نعتزل شرور الناس ، وما قتلنا ، وما علمنا قاتلا ، فأوحى الله تعالى ذكره اليه ، أن يذبحوا بقرة ، فقال لهم موسى :" ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " . أخرجه ابن جرير[1] ، عن مفسرنا ، ومحمد بن قيس ، من طريق أبى معشر ، وهذا الاسناد ضعيف ، وقد تضمن الأثر عدّة أمور غريبة فى سبب قتل صاحب بنى اسرائيل ، وتنازعهم فيه ، وهو شبيه بما أخرجه ابن جرير[2] ،وغيره ،عند قوله :" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ... الآية .

وقد قدمنا من الكلام على تلك الأقوال ما يغنى عن الاعادة هنا " .

" مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" . - ١٠٦ -

١١) قوله : " مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ " .

نثبت خطها ونبدّل حكمها . رواه ابن أبى حاتم[3] عن مجاهد عن أصحاب عبد الله بن مسعود ، ثم قال : " وروي عن أبى العالية ، ومحمد ابن كعب القرظى نحو ذلك .

قلت : واخرج هذا القول من طريق مجاهد عن أصحاب ابن مسعود أيضا الطبرى ، وهذه العبارة فى معناها قصور ، فان النسخ كما هو مقرر فى الأصول ، ينقسم من حيث المنسوخ الى ثلاثة أقسام[4] هى :

---

(١) الطبرى ١/٣٥٨ .
(٢) الأثر ٨ .
(٣) ابن أبى حاتم ١/٧٣ ب .
(٤) انظر: البرهان فى علوم القرآن ٢/٣٥ ؛ ٣٩ .

أولا : منسوخ الحكم والتلاوة .

ثانيا : منسوخ الحكم فقط .

ثالثا : منسوخ التلاوة فقط .

وما أحسن قول ابن عباس عند ابن جرير ، قال : " مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ "، ما نبدل من آية ، فانه شامل الكل الأقسام التى ذكرناها .(١)

" إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ " . - ١١٩ -

١٢) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ليت شعرى ما فعل أبواى ، ليت شعرى ما فعل أبواى ، ليت شعرى ما فعل أبواى " - ثلاثا - ، فنزلت : " إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِ بَشِيراً وَنَذِيراً ، وَلاَ تُسَئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ، فما ذكرها حتى توفاه الله . رواه ابن أبى حاتم (٢) والطبرى (٣) ، من طريقين ، وهذا لفظ أحدهما ، كما رواه أيضا عن أبى عاصم النبيل ، والخبر فى جميع طرقه مرسل ، وما جاء عن مفسرنا مداره على موسى بن عبيده الزيدى .

فان قال قائل : كيف تصنع برواية البغوى (٤) فى هذا الحديث ، عن عطاء عن ابن عباس عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ؟ .

قلت : وهذه الطريق كما ذكر البغوى فى مقدمته ، لم تصح لتدليس ابن جريج (٥) .

وبهذا تبيّن عدم صحة سبب نزول الآية كما جاء عن المفسر .

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ

---

(١) الطبرى ١ / ٤٧٥ .

(٢) ابن أبى حاتم ١ / ٨٠ ب .

(٣) الطبرى ١ / ٥١٦ .

(٤) البغوى ١ / ١١٠ .

(٥) البغوى (المقدمة) ٢٨ .

ءامَنَ مِنهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً . ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" . - ١٢٦ -

قوله : " وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" .

١٣) دعا ابراهيم للمؤمنين ، وترك الكفار ولم يدع لهم بشئ ، فقال : " وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ، ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" . أخرجه الأزرقى فيما حكاه السيوطي (١) ، وأخرجه ابن جرير (٢) عن أبيّ بن كعب ، وابن اسحاق .

ومعنى الآية على هذا التفسير ، أن قوله تعالى : " وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" ، من الرب تبارك وتعالى ، وهذا التفسير صحيح ، وسياق الآيات ، من قوله : " وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ... الى قوله : " وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" ، (٣) دليل عليه من أربعة أوجه :

الأول : سؤال الخليل - صلى الله عليه وسلم - ربه أن يشرك معه من ذريته لما علم اختياره للناس قدوة فى الخير .

الثاني : جواب الله ، ابراهيم عليه السلام ، بأنه لا عهد للظالمين من ذريته .

الثالث : دعاء ابراهيم ربه ، أن يرزق المؤمنين بالله واليوم الآخر من أهل البلد الحرام من الثمرات ، وأن يجعل ذلك البلد آمنا .

الرابع : وعد الحق تبارك وتعالى ، أن يمتع الكفار بالرزق فى الدنيا متاعا قليلا كما يمتع المؤمنين ، ولكن مصير أولئك الكفرة فى الآخرة الى عذاب جهنم .

---

(١) الدر المنثور ١/٣٠٣ .

(٢) الطبرى ١/٥٤٤ .

(٣) البقرة ١٢٤ : ١٢٦ .

" أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ . إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي . قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " . - ١٣٣ -

قوله : " نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ ... الآية " .

١٤) العم والد والخال والد ، رواه ابن أبى حاتم (١) ، وفيه مسألتان :

المسألة الأولى :

تسمية العم والدا ، كما هو الشأن فى الجد ، وهذا صحيح فى اللغة العرب ، ودل عليه الكتاب الكريم ، وهذه التسمية ، اما للتغليب للفظ الأب حتى يشمل العم ، كما يشمل الجد ، أو لأن العم شبيه الأب ونظيره وصنوه .

قال تعالى حكاية عن أولاد يعقوب جوابا لسؤال أبيهم : ما الذى يعبدونه من بعده ؟ . " قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ "، فابراهيم جد يعقوب واسماعيل عمه واسحاق أبوه ، فقد سمّى اسماعيل فى هذه الآية أبا ، للتغليب أو المشابهة ، كما أسلفنا ،

وقد حكى القرطبى (٢) فى تفسيره عن النحاس ، جواز تسمية العم أبا ، عند العرب ، ولا أعرف نصا من كتاب ولا سنة ، يطلق فيه لفظ الأب ، ويراد به العم ، دون قرينة ، والآية السابقة صريحة فى ذلك ، وقد جاء فى تشبيه العم بالأب ، وأنه صنوه ، ما رواه مسلم (٣) وغيره من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه " ، وهذا لفظ مسلم .

---

(١) ابن أبى حاتم ١/ ٩٠ أ .

(٢) القرطبى ٢/ ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٣) صحيح مسلم (كتاب الزكاة فى تقديم الزكاة ومنعها ٢ / ٦٧٦ ، حديث ٩٨٣ .

وقد وافق المفسر فى هذه المسألة أبوالعالية ، كما حكاه ابن أبى حاتم.[1]

المسألة الثانيـــة :

تسمية الخال والدا ، ليس فى الكتاب ولا فى السنة ، ولا فى اللغـــة ما يدل لذلك ، واسناد هذا الأثر فيه موسى بن عبيده ، وهو الربـــــذى ، ضعيف - كما قدمنا - فلا تقوم به حجـــة .

"وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا . قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَـــا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِـــينَ" . - ١٣٥ -

١٥) قولـــــه : "حَنِيفـــــــاً" .

الحنيف :المستقيم ،رواه ابن أبى حاتم[2] عن المفسر ،وعيسى بن جارية ، واختاره ابن جرير[3] ، وروى نحوه عن السدى ، وهو تفسير صحيح ، ويدل لـــه ظاهر الآية الكريمة ، فان الله تعالى أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالـــرد على من ادعى الهداية فى اليهودية ، أو النصرانية ،بقوله :" قُلْ بَلْ مِلَّـــــةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" .

والمعنى أن دين الاسلام والحنيفية الخالصة ، والاستقامة فى منهـــــج ابراهيم - عليه الصلاة والسلام - كما قال فى سورة البيّنـة :" وَمَآ أُمِـــرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ . وَذَلِـــكَ دِينُ الْقَيِّمَـــةِ" .[4]

---

(١) ابن أبي حاتم ١/ ١٩٠ .
(٢) ابن أبى حاتـــم ١/ ٩٠ ب .
(٣) الطـــبرى ١/ ٥٦٦ .
(٤) البيّنـــة ٥ .

" فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ " . - ١٥٢ -

١٦) يا هؤلاء احفظوا اثنتين ، شكر النعمة ، واخلاص الايمان . حكاه السيوطي [١] ، وعزاه الى الخرائطي ، ولم أقف له على سند ، كما لم أجد من قال به سواه ، ولكنه استنتاج صحيح لثلاثة أدلة :

أولا : ما تضمنته الآية من أمر الله عباده بذكره وشكره ، ولا أرى الذكر هنا ، الا كما قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف ، أنه طاعة الله . أخرجه عنهم ابن جرير [٢] .

ثانيا : ما جاء في الكتاب الكريم ، من الأمر باخلاص العبادة لله . قال تعالى: " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ... الآية " [٣] .

ثالثا : ما وعد به جلّ وعلا ، من زيادة نعمة من شكره : " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " [٤] .

" أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ . فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ . فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " . - ١٨٤ -

قوله : " وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ " .

١٧) بمنعهم منه حمل أو رضاع أو غير ذلك : رواه ابن أبي حاتم [٥] بهذا اللفظ عن الحسن وقتادة . وقال مثل قول مجاهد ومحمد بن كعب ، فالاثم نسخ الله ذلك بالآية الأخرى في قوله : " فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ " ... الى قوله : " فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ " [٦] .

---

(١) الدر المنثور ٢ / ٣٧٤ .
(٢) الطبري ٢ / ٣٧ .
(٣) البيّنة ٥ .
(٤) ابراهيم ٧ .
(٥) ابن أبي حاتم ١ / ١١٨ أ .
(٦) البقرة ١٨٥

قلت : ومقتضى هذا القول ، إن الآية رُخصة للحامل والمرضع ونحوهما في التخيير بين صيام رمضان ، أو الاطعام عن كل يوم مسكينا ، ثم نسخ هذا الحكم ، والذى عليه الأكثرون ، كما حكاه [1] ابن جرير وغيره ، ان الآية كانت رخصة فى التخيير بين الصيام والاطعام لجميع المسلمين ، وذلك فى أول فرض الصيام ، ثم نسخت بقوله :" فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... الآية ".[2]

قال ابن كثير[3] ـ رحمه الله ـ : " فحاصل الأمر أن النسخ ثابت فى حق الصحيح المقيم ، بايجاب الصيام عليه لقوله :" فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ "،

وأما الشيخ الفاني الهرم الذى لا يستطيع الصيام ، فله أن يفطر ولا قضاء عليه ، لأنه ليس له حال يصير اليها ليتمكن فيها من القضاء ، ولكن هل يجب عليه ـ اذا أفطر ـ أن يطعم عن كل يوم مسكينا ، اذا كان ذا جدة؟ ففيه قولان للعلماء ، أحدهما : لا يجب عليه إطعام ، لأنه ضعيف عنه لسنه ، فلم يجب عليه فدية ، كالصبي ، لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، وهو أحد قولي الشافعي . والثاني : وهو الصحيح ، وعليه أكثر العلماء ، أنه يجب عليه فدية عن كل يوم ، كما فسره ابن عباس وغيره من السلف ، على قراءة :" وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ " ، أى : يتجشمونه ، كما قال ابن مسعود وغيره ، وهو اختيار البخارى . انتهى محل الغرض .

قلت : ورواية البخارى[4] أقوال السلف في الآية تفيد أمرين :

الأول : نسخ التخيير في الصيام والاطعام الذى كان أول الأمر ، من فرضية الصوم ، كما هو قول ابن عمر، وسلمة بن الأكوع .

---

(١) الطبرى ٢ / ١٣٣ .
(٢) البقرة ١٨٥ .
(٣) ابن كثير ٢ / ٢٢١ .
(٤) البخارى" كتاب التفسير" (سورة البقرة) ـ باب قوله أياما معدودة ـ ٦ / ٢١ ، حديث ٤٥٠٦ ، ٤٥٠٧ .

الأمر الثاني : بقاء الرخصة فى الاطعام بدل الصوم ، فى حق الشيخ الكبير والمريض ، اذا عجز عن الصيام ، وهو قول عطاء وأنس بن مالك ، وهذا هو الصواب - ان شاء الله - ، لأن الشيخ الكبير الفاني والمريض الذى لا يرجى شفاؤه ، لا يمكنهما القضاء ، بخلاف الحامل والمرضع ، ومن يرجى شفاؤه من المرض ، فان القضاء ممكن فى حقهم .

" شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ . فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " . - ١٨٥ -

قوله : " شَهْرُ رَمَضَانَ " .

١٨) لا تقولوا رمضان ، فان رمضان اسم من أسماء الله ، ولكن قولوا شهر رمضان . رواه ابن أبى حاتم [1] ، عن المفسر وسعيد المقبرى عن أبى هريرة ، ورواه عن مجاهد بنحوه ، وهو مردود من وجهين :

الوجه الأول : فى سنده أبو معشر وهو ضعيف .

الوجه الثاني : معارضة هذا النص بالسنة الصحيحة الثابتة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - التى جاء فيها تسمية شهر الصوم المعروف برمضان ، ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث أبى أيوب الأنصارى - رضي الله عنه - (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) قال :" من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر " [2] .

فان قال قائل : كيف تصنع برواية هذا الخبر عند البيهقي في السنن الكبرى مرفوعا الى النبي (صلى الله عليه وسلم) . ؟

---

(١) ابن أبى حاتم ١/١١٩ أ .

(٢) مسلم كتاب الصوم باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعا لرمضان ٢/٨٢٢ حديث ١١٦٤ .

قلنـا : الجواب عن ذلك من ثلاثـة أوجـه :

أولها : لم يثبت في أثر أن اسم رمضان أطلق على الله جل وعلا .

ثانيها : أن مدار الخبر كما في سند البيهقي ، على أبى معشر عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

ثالثها : في كلام البيهقي [1] - رحمه الله - ما يدل على توهين الخبر ، حيث قال :" وهذا رواه الحارث عن عبد الله الخازن ، عن أبى معشر ، وأبو معشر هو نجيح السندى ، ضعفه يحى بن معين ، وكان يحيي القطان لا يحدث عنه ، وكان عبد الرحمن بن مهدى ، يحدث عنه ، والله أعلم . (وقد قيل) عن أبى معشر عن محمد بن كعب من قوله وهو أشبه . أ هـ . ثم ساق الى المفسر .

" أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ، هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ . عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ . فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ . وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ . وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ . ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ . وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ . تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا . كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ " . - ١٨٧ -

قولـه : " وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ " .

١٩) لا يقربها وهو معتكف . رواه ابن أبى حاتم [2] ، عن المفسر ، وابن مسعود والضحاك ، والحسن ، وعطاء ، وقتادة ، ومجاهد ، والسدى ، والربيع بن أنس ، ومقاتل ، والقرب يشمل أمورا عدّة :

---

(١) السنن الكبرى " كتاب الصيام " (باب ما روى في كراهية قول القائل : جاء رمضان ، وذهب رمضان) ٤ / ٢٠١ .

(٢) ابن أبى حاتم ١ / ١٢٢ ب .

أولهـــا :

الجماع ، فهو محرم على المعتكف ، ويبطل به اعتكافه ، باجماع أهل العلم ، ونص على ذلك ابن عباس ، حيث قال : " فهذا في الرجل يعتكف في المسجد في رمضان أو في غيره ، فحرم الله عليه أن ينكح النساء ليلا ونهارا ، حتى يقضي اعتكافه " . كما نص على الاجماع في هذه المسألة ابن قدامه .(١)

الأمر الثاني :

المباشرة فيما دون شهوة ، فهذه محرمة ، لأنها قد تفضي الى ما يفسد به الاعتكاف ، وهو الانزال ، وان لم ينزل فاعتكافه صحيح ، نص على ذلك ابن قدامه (٢) ، ويؤيد ذلك ظاهر الآية السابقة .

اذ المباشرة عامة في كل ما يتلذذ به الرجل من زوجته من جماع وغيره ، كاللمس والتقبيل ، ولم أجد مخصصا لما دون الجماع مما يقصد به الشهوة ،

ومن السنة ما رواه أبو داود (٣) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " السنة على المعتكف أن لا يعود مريضا ولا يشهد جنازة ولا يمس امرأة ولا يباشرها " .

انتهى محل الشاهد .

الأمر الثالث :

قرب الرجل زوجته لغير شهوة ، بأن تغسل رأسه أو تغليه أو ترجله ، فقد دلت السنة الصحيحة على جوازه ، فمن ذلك ما رواه البخاري من حديث عائشة (٤) - رضي الله عنها - قالت : " كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يباشرني وأنا حائض ، وكان يخرج رأسه من المسجد ، وهو معتكف فأغسله وأنا حائض " .

---

(١) المغني ٣ / ١٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ٣ / ١٤١ .
(٣) سنن أبي داود "كتاب الصوم باب المعتكف يعود المريض ٢/٨٣٦ حديث ٢٤٧٣ .
(٤) البخاري "كتاب الاعتكاف" (باب غسل المعتكف) ٣ / ٤٢ حديث ٢٠٣٠ .

" يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ . قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ ، وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا . وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " . - ١٨٩ -

قوله : " وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا " .

٢٠) كان الرجل اذا اعتكف لم يدخل منزله من باب البيت ، فأنزل الله هذه الآية . رواه ابن أبى حاتم (١) وفى سنده موسى بن عبيده الزيدى ، وهو ضعيف ، وقد اختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآية اختلافا كثيرا ، ولم أجد من عرض لسبب نزولها من يوافق مفسرنا فى قوله :" ونذكر على سبيل المثال الروايات التالية :

أولا : كان أقوام من أهل الجاهلية ، اذا أراد أحدهم سفرا وخرج من بيته يريد سفره الذى خرج له ، ثم بدا له بعد خروجه أن يقيم ويدع سفره لم يدخل البيت من بابه ، ولكن يتسوره من قبل ظهره ، فقال تعالى : " وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ... الآية" . قاله الحسن البصرى .

ثانيا : كان الرجل من أهل الجاهلية اذا أتى البيت من بيوت بعض أصحابه أو ابن عمه ، رفع البيت الشعر من خلفه ، أى بيوت الشعر ، ثم يدخل فنهوا عن ذلك وأمروا أن يأتوا البيوت من أبوابها ثم يسلموا " . حكاه السيوطي (٣) عن ابراهيم النخعي .

ثالثا : وهو الصحيح والراجح ، ما رواه من المحدثين البخارى (٤) ومسلم ، ومن المفسرين الطبرى (٥) والواحدى (٦) ، من حديث البراء . قال :" كانوا اذا أحرموا

---

(١) ابن أبى حاتم ١ / ١٢٤ .
(٢) المصدر نفسه ١ / ١٢٥ .
(٣) الدر المنثور ١ / ٤٩٢ .
(٤) البخارى ٦ / ٣٢ ، ٣ / ٩ .
(٥) الطبرى ٢ / ١٨٦ .
(٦) أسباب النزول ص١٤٩ .

(وفى رواية اذا حجـو " في الجاهلية أتوا البيت من ظهره ، فأنزل اللـه : " وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَـا " .

" وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ . وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِـيـنَ " . - ١٩٥ -

٢١) كان القوم في سبيل الله فيـتزود الرجـل ،فكان أفضل زاد مـن الآخر ، أنفق البائس من زاده ، حتى لا يبقى من زاده شئ أحب أن يواسـى صاحبـه ، فأنزل الله :" وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ".

كذا رواه ابن جرير [١] وأخرجه ابن أبي حاتم [٢] - ومع ارساله في الظاهر وعدم وضوح عبارته عندى - غير أن الامامين أخرجاه في جملة القائلين :ان الآيـة الكريمة ، نزلت في الأمر بالانفاق في سبيل الله . وقد قال بهذا القول حذيفـة ، وابن عباس ، ومجاهد ، في جماعة من الصحابة والتابعين .

وأفضل تفسير للآية ما رواه الترمذى [٣] ، وابن أبي حاتم [٤] ، والطبرى [٥] ، واللفظ للترمذى ، عن أسلم أبي عمـران التجبي قال :" كنا بمدينة الروم ، فأخرجـوا الينا صفا عظيما من الروم ، فخرج اليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر ، وعلـى أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد ، فحمل رجل مـن المسلمين على صف الروم ، حتى دخل فيهم ، فصاح الناس وقالوا :" سبحان الله يلقي بيديه الى التهلكة ، فقام أبو أيوب فقال :" يا أيها الناس ، انكم تتأولـون هذه الآية ،هذا التأويل ، وانما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، لما أعز

---

(١) الطـبرى ٢٠١/٢ .
(٢) ابن أبي حاتـم ١٢٧/١ ب .
(٣) الترمذى " كتاب التفسير" (سورة البقرة) ٢١٢/٥ .
(٤) ابن أبي حاتـم ١٢٧/١ أ .
(٥) الطـبرى ٢٠٤/٢ .

الله الاسلام ، وكثر ناصروه ، فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ان أموالنا قد ضاعت وأن الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه ، فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها . فأنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - يرد علينا ما قلنا : " وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " ، فكانت التهلكة الاقامة على الأموال واصلاحها ، وتركنا الغزو ، فما زال أبوأيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم . انتهى .

قلت : فهذا التفسير للآية من صحابي شاهد التنزيل ، لا ينافي عموم ما تتضمنه الآية من النهي عن القاء الأيدى الى التهلكة .

"وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ . فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ . وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ . فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ . فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ . تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ . ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" . - ١٩٦ -

قوله : " فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ " .

٢٢) عن كعب بن عجره ، قال : أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أذاني القمل - أن أحلق رأسي ، ثم أصوم ثلاثة ، أو أطعم ستة مساكين، وقد علم أنه ليس عندى ما أنسك به . روى هذا الخبر عن كعب بن عجره من طريق مفسرنا ابن جرير (١) ، وفي سنده ابن نافع (٢) وأسامة بن زيد (٣) ، وفي كل منهما مقال ، ومثله في افاده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر كعب أولا - بعد حلقه رأسه متأذيا بالقمل - بذبح شاة ، ثم خيّره بين الصيام

---

(١) الطبرى ٣ / ٢٣٣ .
(٢) انظر الملحق : ترجمة ١١٠ .
(٣) تقدم : ص ٣٠ .

والاطعام ، لما علم منه أنه لا يستطيع النسك ، ما رواه ابن جرير [1] عن الشعبي وعن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، وعبد الله بن معقل ، وقد جاءت رواية عبد الله ابن معقل ، عند البخاري [2] ومسلم [3] ، ولكن أكثر الروايات عند الشيخين وغيرهما في قصة كعب بن عجره هذه ، التخيير بين النسك والاطعام والصيام . وهذا هو الراجح في فدية الأذى والمرض ، كما هو ظاهر الآية .

" الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ . فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ . فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ . وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ . وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى . وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ " . - ١٩٧ -

" فسلا رفث " .

٢٣) الرفث : اتيان النساء ، والتكلم بذلك للرجال والنساء ، اذا ذكروا ذلك بافواههم . رواه بهذا اللفظ عن ابن عمر : ابن جرير [4] ، وساق السند الى أن قال : وعن محمد بن كعب القرظي مثله ، ثم روى نحو القول في تفسير الرفث عن ابن عباس وعطاء ، وابن طاوس ، في جماعة من أهل التفسير ، والذى أخرجه عن الأكثرين ومنهم : سعيد بن جبير ، والسدى ، والربيع ، ومجاهد ، أن المراد بالرفث في الآية الجماع .

والراجح عندى ، ما اختاره ابن كثير [5] ، ان الرفث يشمل الجماع ودواعيه ، من قبلة ومباشرة والتكلم به في حضرة النساء .

---

(١) الطبرى ١ / ٢٣٠ .

(٢) البخارى " كتاب التفسير " (سورة البقرة) . ٦ / ٢٣ ، حديث ٤٥١٧ .

(٣) مسلم " كتاب الحج " (باب جواز حلق الرأس للمحرم اذا كان به أذى ...) ٢ / ٨٦٢ حديث ١٢٠١ .

(٤) الطبرى ٢ / ٢٦٣ .

(٥) ابن كثير ٢ / ٢٤٤ .

قال الفيروزابادى [1] : " الرفث محركة الجماع والفحش ، كالرفوث وكلام النساء في الجماع ، أو ما ووجهن به من الفحش " . أ هـ .

قلت : فعلى هذا يكون ما جاء عن مفسرنا وابن عمر ، بعض ما نهي الله عنه من الرفث من فرض الحج .

قوله : " وَلَا فُسُوقَ "

٢٤) الفسوق : المعاصي كلها ، رواه الطبرى [2] ، وابن أبي حاتم [3] دون سند ، وحكاه ابن كثير [4] . وهذا القول عن مفسرنا ، وان كان في سنده مقال ، كما هو عند الطبرى ، الا أنه صحيح المعنى للأدلة التالية :

أولا : صريح القرآن في تسمية الكفر والشرك ، وما دون ذلك من كبائر الذنوب فسوقا . قال تعالى : " وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " [5]

وقال تعالى : " أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ " [6] . وقال في السخرية واللمز والتنابز بالألقاب : " بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ . وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " [7] .

ثانيا : قال صلى الله عليه وسلم : " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " . [8]

---

(١) القاموس المحيط (الرفث) ١/١٧٣ .

(٢) الطبرى ٢/٢٦٨ .

(٣) ابن أبي حاتم ١/١٣٤ أ .

(٤) ابن كثير ٢/٢٤٤ .

(٥) المائدة آية ٤٧ .

(٦) الأنعام آية ١٤٥ .

(٧) الحجرات آية ١١ .

(٨) البخارى "كتاب الحج" (باب فضل الحج المبرور) ٢/١١٣ حديث ١٥٢١ .

ثالثا : موافقة كبار السلف من الصحابة والتابعين ، مثل ابن عباس ، وابن عمر ، وعطاء ، ومجاهد ، والحسن البصرى ، وغيرهم . ما قاله مفسرنا .

رابعا : أن مفسروا الفسوق في الآية ببعض المعاصى ، كالسباب والتنابز بالألقاب ، وما نهى عنه المحرم ، كقتل الصيد ، وسائر المحظورات ، لا يختلفون مع مفسرنا ، ومن أسلفنا ذكرهم في أن الفسوق هو جميع المعاصي .

والذى أراه أنهم لم يفسروا الفسوق بما ذكروا ، قصرا عليه ، وانما أراد وابذلك التنبيه على أن تلك المعاصي من الفسوق .

قوله : " وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ " -

٢٥) كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال : هؤلاء حجنا أتم من حجكم . وقال هؤلاء : حجنا أتم من حجكم ". رواه الطبرى (١) ، والبغوى (٢) ، عن المفسر بهذا اللفظ ومضمونه ، أن الآية نزلت في سبب معين ، وهو اختلاف قريش في أمر الحج ، من هو الأتم حجا منهم ؟ ، الى جانب روايات أخرى في اختلاف أمر الناس غير قريش في الحج ، كما هو مبسوط عند الطبرى (٣) ، وابن أبي حاتم (٤) ، والبغوى (٥) ، وابن كثير .

والراجح عندى : أن الآية تتضمن نهى المحرم عن المماراة والمخاصمات في أمر الحج وغيره بوجه عام . واليك الأدلة :

أولا : أن فى سند هذا النص كما هو عند الطبرى ، أبوصخر ، وعند البغوى أبو معشر ، وفيهما مقال .

---

(١) الطبرى ٢/٢٧٤ ، ٢٧٥ .
(٢) البغوى ٢/١٧٣ .
(٣) الطبرى ٢/٢٧١ .
(٤) ابن أبي حاتم ١/١٣٤ أ .
(٥) ابن كثير ٢/٢٤٥ .

ثانيا : أن جمهور مفسرى السلف من الصحابة والتابعين ، مثل ابن عباس، وابن مسعود ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وغيرهم ، نصوا على أن الجدال هو المراء والمخاصمة ، وقد وافقهم في ذلك المفسر ، حكاه ابن أبى حاتم، وابن كثير .

ثالثا : على فرض صحة هذا النص ، فان العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، كما هو معروف عند الأصوليين [1] ، وعلى هذا ، فالمحرم منهي بنص هذه الآية عن المخاصمات والملاحاة والمماراة ، التى من شأنها اللجاج والصخب واثارة الغضب .

" فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا . فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ " . - ٢٠٠ -

قوله : " كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ " .

٢٦) كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم ، فيقول الرجل منهم : " كان أبي يطعم ويحمل الحمالات ، ويحمل الديات ، ليس لهم ذكر غير أفعال آبائهم ، فأنزل الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - : " فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا " .

٢٧) كانوا اذا فرغوا من حجهم تفاخروا بالآباء ، فقال الله : " اذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ " . رواهما ابن أبي حاتم [2] ، والقولان متقاربان ، وبنحو كل منهما قال جماعة من السلف ، فيهم مفسرنا ، بسط أقوالهم ، بالاضافة الى ابن أبي حاتم والطبرى [3] ، وحكى بعضها الواحدى [4] .

---

(١) انظر: أصول الفقه . على روضة الناظر . لمحمد ابن الشنقيطي ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) ابن أبي حاتم ١٣٧/١ أ ، ب .

(٣) الطبرى ٢٩٦/٢ .

(٤) أسباب النزول ٥٧ .

فالقول الأول ، مروى عن ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وعطاء بن أبي رباح وغيرهـــم .

والثاني ، مروى عن عبد الله بن الزبير ، كما رواه ابن جرير عن أنس، ومجاهد، وغيرهمـــا ، ولا يمتنع عندى أن الآية نزلت في الأمرين معا ، غير أني أرجح أنهـا عامة في أمر الله ، عبادة المؤمنين بعد فراغهم من مناسكهم بطاعتـــه والخضوع لأمره ، وملازمة ذكره ، والاكثار منه ، أشد من ذكر الآباء ، وهـــذا ما رجحه الطبرى ، نقلته عنه بتصرف واختصار .(١)

" وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَـــا عَـذَابَ النَّـــارِ " . - ٢٠١ -

قولـــه : " رَبَّنَـــا آتِنَـــا فِي الدُّنْيَـــا حَسَنَـــةً " .

٢٨) المراءة الصالحة من الحسنات . رواه ابن أبي حاتم ،(٢) وفي سنـــده ابن لهيعـة .(٣)

اختلفت عبارات مفسرى السلف في تفسير الحسنة في الدنيا اختلافـــا لا يعدو أن يكون لفظيا ، وتلك الأقوال مرويةعند الطبرى(٤) ، وابن أبي حاتـــم ، وغيرهم . ومدارها على أن الحسنة كلنعمةفي المال أوالجسم أو غير ذلك من النعـــم ، وما قاله مفسرنا لا يختلف عن قول السلف ، وهو مؤيد بكثير من نصوص السنـــة الصحيحة ، التى تؤكد على أن الزوجة الصالحة هي خير متاع الدنيا ، من ذلك على سبيل المثال قوله صلى الله عليه وسلم :" الدنيا متاع وخير متاعهـــا

---

(١) الطـــبرى ٢ / ٢٩٨ .
(٢) ابن أبي حاتم ١ / ١٣٨ أ .
(٣) الملحـــق رقم ١٠٩ .
(٤) الطـــبرى ٢ / ٣٠٠ .

المرأة الصالحة " .[1]

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :" تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " .[2]

" وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ . فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ " . - ٢٠٣-

قوله :" فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ " .

٢٩) هما شئ واحد ، وهي أيام التشريق . رواه البغوى[3] ، ولازم هذا القول أنه لا فرق بين الأيام المعدودات والمعلومات ، ولعلنا نوضح صواب القول في الوقفتين التاليتين :

الوقفة الأولى :

يتبيّن من خلال ما رواه ابن جرير[4] عند قوله :" وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ " ... الى قوله :" لِمَنِ اتَّقَى " أنا لمعني بتلك الأيام ، أيام التشريق ، وهي : الحادى عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر ، من ذى الحجة .

ومن القائلين بهذا القول : ابن عباس ، وابن مسعود ، وعطاء ، وعائشة .

الوقفة الثانية :

ما نسبه البغوى الى أكثر المفسرين ، أن المعلومات ، هي عشر ذى الحجة .

وقد رجح ابن العربي[5] خلاف ذلك فقال : " قال علماؤنا : أيام الرمي معدودات ، وأيام النحر معلومات ، فاليوم الأول معلوم غير معدود ، واليومان بعد يوم النحر معلومان معدودان ، واليوم الرابع معدود غير معلوم ، والذى

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الرضاع باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ٢ / ١٠٩٠ حديث ٦٤
(٢) ،، مسلم ، كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين ٢/٨٦ ١٠ حديث ٥٣ .
،، البخارى كتاب النكاح باب الاكفاء في الدين ٧ / ٨ حديث ٥٠٩٠ .
(٣) البغوى ٢ / ١٧٨ .
(٤) الطبرى ٢ / ٣٠٢ .
(٥) أحكام القرآن ١ / ١٤٠ .

أصارهم الى ذلك أنهم قالوا :" المراد بقوله تعالى :" وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ " ، بعد قوله تعالى :" ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ " أنها أيام منى ، وأن المراد بالذكر التكبير عند الرمي فيها .

واعلموا أن أيام منى ثلاثة ، روى الترمذى والنسائي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :" من أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك أيام منى ثلاثة ، فمن تعجل في يومين ، فلا اثم عليه ، ومن تأخر فلا اثم عليه ". فلما قال الله تعالى :" فاذا أفضتم من عرفات " ، وذلك بعد غروب الشمس ، من يوم عرفة ، فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، وذلك الغد من يوم النحر ، كما فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - حسبما تقدم ، ثم أفيضوا - يعنى الى منى على التقدير المتقدم في المسألة الثانية من الآية قبل هذه الآية - فصار ذلك اليوم أوله للمشعر الحرام ، وآخره لمنى ، فلما لم يختص بمنى ، لم يعد فيها ، وصارت أيام منى ثلاثة ، سوى يوم النحر ، لأنه أقل الجمع في الأظهر عند الاطلاق ، حسبما بيناه في كتب الأصول " . انتهى محل الغرض .

قوله : " وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ " .

(٣٠) من تأخر في النفر الثالث : رواه ابن أبى حاتم (١) ، ولم يصح سندا ولا متنا أما من ناحية السند ، فان فيه كثير بن عبد الله (٢) الراوى عن المفسر ، ضعيف ومنكر الحديث .

وأما من ناحية المتن فمقتضاه أن للحجيج ثلاث نفرات ، ولم يقل أحد بذلك بل المنصوص عليه بين السلف ، ومنهم ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وغيرهم من الصحابة والتابعين ، أنه ليس للحجاج إلا نفران :
فالنفر الأول في الثاني عشر من ذى الحجة بعد الزوال ،
والنفر الثاني في اليوم الثالث عشر منه ، بعد الزوال أيضا ، وذلك ما يوضحه ظاهر الآية السابقة :" فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ . وَمَنْ تَأَخَّرَ

---

(١) ابن أبي حاتم ١ / ١٣٩ .
(٢) تقدم ص ٣٨

فلا إثم عليه " .

" ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد " . - ٢٠٥ -

٣١) قوله : "ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا " .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : " ان لله عباداً ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، لبسوا للعبادة مسوك[1] الضان في اللين يختلون الدنيا بالدين ، فيقول الله تعالى : " أعليّ يجترئون وبي يغترون ، وعزتي لأبعثن عليهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران ، قلنا يا أباحمزة : هل لهؤلاء في كتاب الله وصف ؟ قال : نعم ، قول الله عز وجلّ : " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ... الى قوله : " والله لا يحب الفساد " . رواه ابن أبي حاتم بهذا اللفظ[2] ، عن المفسر يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - لكن لم يثبت لضعف سنده من قبل أبي معشر وفيه علّة أخرى ، وهي الارسال . ورواه الطبرى[3] من طريق محمد بن أبي معشر عن أبيه عن المفسر ، وعن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نوف ، وهو ابن فضالة ، ونوف هذا قال الطبرى عند ذكره في السند : " وكان يقرأ الكتب .

وبهذا يتبين لك أن جميع أسانيده غير صحيحه ، اذ مدارها على أبي معشر في الأول والثاني ، وفي الثالث على رجل يأخذ عن أهل الكتاب ، وقد كذبه ابن عباس في ذلك .

---

(١) مسوك : جمع مسك .
(٢) ابن أبي حاتم ١٤٠ / ب .
(٣) الطبرى ٢ / ٣١٣ .

واذا لم يثبت النص ، فالراجح في الآية عندى : أنها في المنافقين الذين يأتون الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مظهرين حسن النوايا وقلوبهم تنطوى على الكفر ، للأدلة التاليـــة :

أولا : أنه قول جمهور السلف ، ومنهم : ابن عباس ، وقتادة ، وعطاء ، ومجاهد .

ثانيا : ترجيح الطبرى [1] لهذا القول ، ويفهم ذلك من تصديره الأقـــوال عند تفسيره هذه الآيـــة .

ثالثا : أن ما ذكره الطبرى عن السدى والبغوى [2] ، من الكلبى ومقاتل وعطـــاء ، من سبب نزول هذه الآية ، وأنها في الاخنس بن شريق ، حين كـــان يأتي الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقسم أنه مؤمن ، وحينما تولى من عنده عبث في زروع بعض المسلمين في المدينة ، لم يثبت شئ من ذلك .فجميعها مرسلـــة .

" هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِـــيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُـــورُ " . - ٢١٠ .

قوله : " هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ " .

٣٢) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " توقفون موقفا واحدا يـــوم القيامة مقداره سبعون عاما لا ينظر اليكم ، ولا يقضى بينكم ، قد حصر عليكـــم فتبكون حتى ينقطع الدمع ، ثم تدمعون دما ، وتبكون حتى يبلغ ذلك منكـــم الأذقان أو يلجمكم فتصيحون ، ثم تقولون من يشفع لنا الى ربنا فيقضى بيننا ... ".

الحديث ، وهو بطوله عند الطـــبرى [3] ، والحديث منكر متنا وضعيف سندا ، فنكـــارة

---

(١) الطـــبرى ٢ / ٣١٢ .

(٢) البغـــوى ١ / ١٧٩ .

(٣) الطـــبرى ٢ / ٣٣٠ .

متنه في مخالفة أحاديث الشفاعة العظمى لفصل القضاء في الصحيحين[1] ، أما سنده ففيه :عبد الرحمن المحاربي ، واسماعيل بن رافع ، ويزيد بن أبي زياد ، فالأول موصوف بالتدليس ، وقد عنعن ، كما في سند النص ، والثاني ضعفه ابن معين ،وأحمد ، والثالث ضعيف واختلط أخيرا بالاضافة الى الراوى عن المفسر ، فهو مبهم ، وبهذا يتبيّن لك رد النص وعدم قبوله .

" نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ . - ٢٢٣ -

قوله : " نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ " .

٣٣) يقول : ائتها مضجعة وقائمة ومنحرفة ومقبلة ومدبرة ، كيف شئت إذا كان في قبلها .

٣٤) قال :إن ابن عباس كان يقول :" اسق نباتك من حيث نباته . رواهما الطبرى[2] ، وهذان الأثران صحيحان ويستفاد منهما الاحكام التالية :

أولا : يباح للرجل أن يطلب ما أحل الله له من زوجته ، وهو مكان الحرث الذى لم يشرع الله له مكانا غيره، وكيف كانت وهو ما يوافق ظاهر هذه الآية .

ثانيا : فيهما رد على زعم اليهود أن الرجل اذا أتى امرأته من دبرها في قبلها ، أو مجبية - كما في بعض الروايات - جاء الولد أحول .

وكما روى البخارى[3] عن جابر أن سبب نزول هذه الآية ، هو زعم اليهود الذى أشرنا اليه آنفا .

---

(١) البخارى" كتاب التفسير " (سورة الاسراء) " باب ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا . ٦ / ١٠ ، حديث ٤٧١٢ .
مسلم " كتاب الايمان " (باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) ١ / ١٨٤ ، حديث ٣٢٧ .

(٢) الطبرى ٢ / ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٣) البخارى "كتاب التفسير" (سورة البقرة) "باب نساؤكم حرث لكم ٦/٢٤ حديث ٤٥٢٨

ثالثا : يستفاد من هذين الأثرين تحريم وطء المرأة في دبرها .

" للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " . - ٢٢٦ ، ٢٢٧ -

٣٥) لو أن رجلا آلى من امرأته أربع سنين لم نبنها منه ، حتى نجمع بينهما ، فان فاء ، فاء ، وان عزم الطلاق ، عزم . أخرجه ابن جرير[1] ، وفي سنده أحمد بن حازم ، وبقية رجاله ثقات ، وقد أورده الامام الطبري في جملة القائلين من أهل العلم أن المولى بعد أربعة أشهر يلزم بالطلاق ، أو الفيئة ، ومن أولئك الأئمة : عمرو ابنه ، وعمر بن عبد العزيز ، وابن عباس ، ومجاهد ، ونظم السياق نص صريح في هذا القول ، فان الله لم يمهل المولين من نسائهم سوى أربعة أشهر ، ثم بعدها لا خيار لهم في غير الطلاق أو الفيئة .

" وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ . إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا . وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " . - ٢٢٨ -

٣٦) قوله : " ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن " .

الحبل . حكاه ابن أبي جاتم[2] قائلا : " وروي عن محمد بن كعب القرظي ، والسدي ، والنخعي ، في أحد قوليه ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا الحبل " .

قلت : وهو أحد ثلاثة أقوال أخرجها ابن جرير[3] عن الأئمة .

وأصوبها عندي ، أنما نهيت المطلقة عن كتمانه ، هو الحيض والحمل معا ، وبه قال مجاهد وابن عمر وابن زيد والضحاك والربيع . للأدلة التالية :

---

(١) الطبري ٢ / ٤٣٧ .
(٢) ابن أبي حاتم ١ / ١٦٢ أ .
(٣) الطبري ٢ / ٤٤٦ .

أولا : ان ما في قوله : " وَلَا يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ " ، من ألفاظ العموم ، وهي موصولة ، فاللفظ شامل لكل من الحمل والحيض معا . اذ كل منهما في الرحم .

ثانيا : في كتم المرأة المطلقة طلاقا رجعيا الحمل ، أو الحيض ، أو قلبها حقيقة حالها ، يترتب عليه اضرار بالزوج ، وهذا الاضرار - اذا أخبرت أنها انقضت عدتها ، وذلك برؤية الدم بعد الطهر الثالث ، عند من يفسر الاقراء بالاطهار ، أو انقضاء الحيضة الثالثة ، عند من يفسر الاقراء بالحيض ، ابطال لحقه في الرجعه ، واذا أخبرت كذبا بأنها حاملا ، كانت مضارة للزوج بتكليفه ما لا يجب عليه بالنفقة ، ومن هنا وجب على المطلقة الرجعية ، أن تخبر بحالتها على الحقيقة ، من انقضاء العدة ، أو عدمها ، وذلك أمر موكول اليها ، ولا سبيل الى معرفته من غيرها ، فوجب عليها مخافة الله وتقواه ، والا عرضت نفسها لوعيد الله وعقابه .

ثالثا : إنه قول جمهور السلف ، فيما وقفت عليه ، منهم ابن عمر ، وابن عباس ، ومجاهد .

" وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ، فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ . وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " . - ٢٣٧ -

قوله : " إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ " .

٣٧) يعني الرجال . رواه ابن أبي حاتم [1] ، وقال : " هو شاذ لم يتابع عليه . وحكاه ابن كثير . [2]

---

(١) ابن أبي حاتم ١/١٧٤ أ .

(٢) ابن كثير ٢/٢٩٦ .

والحق أنه كما قال ابن أبي حاتم ، لتفرد المفسر بهذا القول ومخالفته الأئمة ، وهو شاذ لغة ، فالنون في قوله يعفون نون النسوة ، وهي ضمير الفاعل ، وليست نون الرفع ، اذ لو كانت كذلك لحذفت ، ولم تثبت مع أن ، لأنها أداة نصب ، ولكان التعبير هكذا :" إِلاَّ أَنْ يَعْفُوا " ، ولم يقل أحد من أهل اللغة بثبوت نون الرفع مع أن الناصبة .

قوله : " أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ " .

هو الزوج ، أعطى ما عنده عفوا . حكاه ابن أبي حاتم[1] عن مفسرنا في جماعة منهم : ابن عباس ، وجبير بن مطعم ، وسعيد بن المسيب ، وأخرجه ابن جرير[2] واللفظ له ، في ثاني قولي المفسرين ، وبه قال مجاهد ، وسعيد ابن جبير ، ومحمد بن سيرين ، وفسر واحد من السلف ، ثم قال ابن جرير[3] - مصوبا هذا القول -: " وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال: المعنى بقوله :" الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ " : الزوج ، وذلك لاجماع الجميع على أن ولي الجارية بكرا أو ثيبا ، صبية صغيرة كانت ، أو مدركة كبيرة ، لو أبرأ زوجها من مهرها قبل طلاقه اياها ، وأوهبه له ، أو عفا له عنه ، أن ابراءه ذلك ، وعفوه له عنه باطل ، وأن صداقها عليه ثابت ثبوته قبل ابرائه اياه منه ، فكان سبيل ما أبرأه من ذلك بعد طلاقه اياها سبيل ما أبرأه منه قبل طلاقه اياها .

انتهى مجل الغرض منه .

قلت : ولما ذكر الله أن المطلقة قبل الدخول ، تستحق نصف ما فرض لها من مهر ، الا أن تعفو فيه لمطلقها ، كان ذلك قرينة على أن المعني بقوله : " أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ " . هو الزوج .

---

(١) ابن أبي حاتم ١/١٧٤ ب .
(٢) الطبري ٢/٥٤٨ .
(٣) المصدر نفسه ٢/٥٤٩ .

" حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ". - ٢٣٨ -

قولـــه : " وَقُومُـــوا لِلَّـــهِ قَانِتِـــينَ " .

٣٩) قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة والناس يتكلمون فـــي الصلاة في حوائجهم ، كما تكلم أهل الكتاب في الصلاة في حوائجهم ، حـــتى نزلت هذه الآيـــة : " وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ " ، فتركوا الكلام . حكاه السيوطـــي (١) وعزاه الى : سعيد بن منصور ، وعبـــد بـــن حميد ، ولم أجده عندهما .

وأمر الناس بالسكوت ونهيهم عن الكلام في الصلاة بعد نزول الآية السابقة ، مروي في الصحيحين (٢) من حديث زيد بن أرقـم - رضي الله عنه - ولفظه كمـا هو عند مسلم : " كنا نتكلـم في الصلاة ، يكلم الرجل صاحبه ، وهو الى جنبه فـي الصلاة ، حتى نزلت : " وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ " . فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام ".

قلت : وحكاية السيوطي لقول مفسرنا غير مسنده ، وأخشى أن ما تضمنه الأثر من كلام المسلمين في الصلاة مشابهة لأهل الكتاب ، وهم من بعـــض الرواة الضعفاء ، مثل أبي معشر ، والربذي ، وظاهر الأثر الارسال . والعلـم عند اللـــه .

" فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ . قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْـــهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ . فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيـــلاً مِنْهُمْ . فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُـــودِهِ

---

(١) الدر المنثـــور ١ / ٧٣٠ .

(٢) البخاري " كتاب التفسير " (باب " وقوموا لله قانتين ") ٦ / ٢٦ حديث ٤٥٣٤ .

ومسلم " كتاب المساجد " (باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان مـن اباحـه) جـ ١ ص ٣٨٣ / ٥٣٥ .

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ. وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ " . - ٢٤٩ -

قولـه : " فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ " .

٤٠) فسار طالوت بالجنود الى جالوت . رواه ابن أبي حاتم (١) ، وهذا الأثر وان كان في سنده ضعف ، من جهة أبي معشر الراوى عن المفسر ، الا أنه صحيح من حيث المعنى ، وذلك أن فصل تستعمل في معان عديدة منها : الخروج (٢) ، وبنحو قول مفسرنا قال السدى ، ووهب بن منبه ، أخرجه ابن جرير (٣).

وظاهر الآية يؤيد هذا المعنى ، وهي اخبار من الله بأن طالوت بعد ما ظهرت آية ملكه ، التى أخبر بها نبي بني اسرائيل آن ذاك بادر بفصل جنوده عن بقية الملأ والخروج بهم لغزو عدوهم ، ولا شك أن ذلك بداية المسير .

" اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ " . - ٢٥٥ -

٤١) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة ، ما بينه وبين الجنة الا أن يموت ، فاذا مات دخل الجنة " رواه أبونعيم (٤) من طريق مفسرنا عن المغيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والراوى عن القرظي

---

(١) ابن أبي حاتم ١٨٦/١ ب .
(٢) مختار الصحاح (فصل) ٥٠٥ .
(٣) الطبرى ٦١٨/٢ .
(٤) حلية الأولياء ٢٢١/٣ .

عمر بن ابراهيم بن محمد بن الأسود[١] ضعيف لكن الحديث أخرجه النسائي[٢] بنحوه من رواية الحسين بن بشر الطرسوسي[٣] عن محمد بن حمير[٤] عن محمد ابن زياد[٥] عن أبي أمامه . فالأول لا بأس به ، والثاني صدوق ، والثالث ثقة ، وذكره الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة[٦] أن الحديث صحيح بشواهده .

للفقراء الّذين أحصروا في سبيل اللّه لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التّعفف . تعرفهم بسيماهم لا يسئلون النّاس الحافا وما تنفقوا من خير فانّ اللّه به عليم ". - ٢٧٣ -

قوله : " للفقراء الّذين أحصروا في سبيل اللّه " :

٤٢) هم أصحاب الصفة ، وكانوا لا منازل لهم بالمدينة ، ولا عشائر ، فحث الله عليهم الناس بالصدقة . أخرجه ابن سعد[٧] وفي سنده عمر بن عبد الله المدني ضعيف[٨] ، وهو أحد أربعة أقوال محكيه عن السلف ، ذكرها ابن الجوزي[٩] ، وابن أبي حاتم[١٠] .

القول الثاني : الفقراء من المهاجرين . وهذا مروى عن مجاهد والربيع ابن أنس .

القول الثالث : أنهم قوم أصابتهم جراحات مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فصاروا زمنى . قاله سعيد بن جبير .

---

(١) تقدم ص ٣٦
(٢) عمل اليوم والليلة ١٨٢ .
(٣) انظر الملحق رقم ١٩
(٤) انظر الملحق رقم ٦١
(٥) انظر الملحق رقم ٦٢
(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٥٧٣ .
(٧) الطبقات الكبرى ١/٢٥٥ .
(٨) عمر بن عبد الله المدني . تقدم ص : ٣٧ .
(٩) زاد المسير ١/٣٢٧ .
(١٠) ابن أبي حاتم ١/٢١٣ ب .

والقول الرابع : أنهم حصروا أنفسهم للغزو في سبيل الله . قاله قتادة .

ومهما يكن من القول في سبب نزول هذه الآية ، فلا مخصص لعمومها ، وأن كانت تلك الطوائف تدخل في هذا العموم دخولا أوليا ، فلا يمنع من تناولها كل من تنطبق عليه الصفات الواردة فيها ، وهي : الفقر ، والاحصار في سبيل الله ، والتعفف ، وعدم الالحاف في المسألة .

وكثيرا ما يرد النص في قضية خاصة ، وحكمه شامل لنظائرها .

" لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ . فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " . - ٢٨٤ -

قوله : " وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ " .

٤٣) ما بعث الله من نبي ولا أرسل من رسول أنزل عليهم الكتاب ، الا أنزل عليه هذه الآية : " وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ . فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ . وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " .

فكانت الأمم تأبى على أنبيائها ويقولون أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا ؟ فيكفرون ويضلون ، فلما نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - اشتد على المسلمين ما اشتد على الأمم قبلهم ، فقالوا : " يا رسول الله أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا ؟ قال : نعم فاسمعوا وأطيعوا واطلبوا الى ربكم فذلك قوله : " آمن الرسول ... الآية " ، فوضع الله عنهم حديث النفس ، الا ما عملت الجوارح ، ذكره السيوطي [1] وعزاه الى عبد بن حميد والفريابي وابن المنذر .

---

(١) الدر المنثور ٣ / ١٢٩ .

٤٤) منسوخة . حكاه ابن أبي حاتم[1] بقوله ، وروى عن علي بن أبي طالب، وابن عمر ، وابن عباس ، في احدى الروايات ، وكعب الاحبار ، والشعبي ، والنخعي ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن كعب ، وقتادة . أنها منسوخة .

٤٥) نسخت هذه الآية : " لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا " ، "وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ... الآية " . أخرجه ابن جرير[2] عن القرظبى ، ومجاهد في جماعة من أهل العلم ، وما أفادته هذه الآثار الثلاثة من نسخ قوله : " وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ " بقوله : " لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا "[3]، الآية صحيح وان كان الثالث منها من طريق موسى بن عبيده الربذى ، ويدل له ما رواه مسلم[4] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " لما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ . فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" ، قال : " فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم بركوا على الركب ، فقالوا : " أى رسول الله ! كلفنا من الأعمال ما نطيق ، الصلاة ، والصيام ، والجهاد ، والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ، نطيقها ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير . فلما فعلوا نسخها الله تعالى ، فأنزل الله عز وجل : " لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا

---

(١) ابن أبي حاتم ١/٢٦٦ ب .
(٢) الطبرى ٣/١٤٦ .
(٣) البقرة ٢٨٦ .
(٤) مسلم " كتاب الايمان " (باب أن الله سبحانه وتعالى لم يكلف الآ ما يطاق) ١/١١٥ حديث ١٩٩ .

إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا (قال نعم) رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا (قال نعم) رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ (قال نعم) وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (قال نعم) أ هـ .

فقد دلّ الحديث - كما ترى - على ثلاثة أمور :

أولا : النص صراحة على ما قاله مفسرنا ، وموافقوه من الناسخ والمنسوخ .

ثانيا : تحرج أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من وعيد الله ، اياهم بالمحاسبة على ما تضمره أنفسهم من الحديث .

ثالثا : استجابتهم لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - اياهم بالسمع والطاعة ، والحذر من التشبه بأهل الكتابين في قولهم :"سمعنا وعصينا ".

فان قال قائل : مالك تركت الكلام على ما تضمنه أثر السيوطي من نزول قوله تعالى :" لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ " الآية على الأنبياء السابقين، وأن أممهم كانت تأبى

قلت : تركت ذلك لسببين :

أولهما : عدم وجود ما يدل على هذا القول من كتاب أو سنة .

ثانيهما : لم أقف له على سند حتى أحكم عليه بصحة أو ضعف .

وفيما استشهدنا له من صحيح القول ما يكفي ويشفي ان شاء الله تعالى .

" لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ . رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا . رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ". - ٢٨٦ -

" قوله : " لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا " .

٤٦) لم يكلفوا من العمل ما لم يطيقوه . رواه ابن أبي حاتم من طريق[1] موسى بن عبيده الربذى ، عن خالد بن يزيد عن مفسرنا ، وهذا الاسناد ضعيف ، ولكن أخرج ابن جرير[2] ما يشهد له عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " هم المؤمنون ، وسع الله عليهم أمر دينهم ، فقال الله - جلّ ثناؤه - " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ "[3] ، وقال : " يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ "[4] ، وقال : "فاتقوا اللَّهَ مَا استَطَعْتُمْ"[5] . أ هـ .

قلت : " وما أسلفناه من الدليل على صحة القول بنسخ هذه الآية ، لقوله : " وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ... الآية" من أقوى الشواهد على صحة قول مفسرنا .

قوله : " لَهَا مَا كَسَبَتْ " .

٤٧) لها ما كسبت من خير . رواه ابن أبي حاتم[6] ، وفي سنده موسى بن عبيده الربذى ، وهذا الأثر مؤيد بالكتاب والسنة ، وفى الكتاب قوله تعالى : " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ "[7] . وقوله : " أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ "[8]

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : " ان الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيّن ذلك ، فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، وان فعلها كتبت له

---

(١) ابن أبي حاتم ١ / ٢٢٨ ب .

(٢) الطبرى ٣ / ١٥٤ .

(٣) الحج ٧٨ .

(٤) البقرة ١٨٥ .

(٥) التغابن ١٦ .

(٦) ابن أبي حاتم ١ / ٢٢٨ أ .

(٧) الزلزلة ٧ .

(٨) آل عمران ١٩٥ .

عشر الى سبعمائة ضعف ..."[1] الى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

قولـــه : " وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ " .

٤٨) ما اكتسبت من شر ، ذكره السيوطي[2] ، وعزاه الى عبد بن حميـــد ، والفريابي ، وابن المنذر ، واختاره ابن جرير[3] ، ورواه عن قتادة ، والســـدى ، ومن الشواهد على صحته ما رواه مسلم[4] من حديث ابن عباس ، عن رسول اللـــه - صلى الله عليه وسلم - فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى . قال : " ان اللـــه كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيّن ذلك ، فمن همّ بحسنة فلم يعملها ، كتبهـا الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ بها فعملها ، كتبها الله عز وجل عشر حسنـات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة وان همّ بسيئة فلم يعملها كتبها اللـــه عنده حسنة كاملة ، وان همّ بها فعملها ، كتبها الله سيئة واحدة" . أ هـ .

قولـــه :" رَبَّنَـــا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَـــا " .

فوضع عنهم الخطأ والنسيان . حكاه السيوطي[5] ، وعزا اخراجه الـــى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، والفريابي ، وهذا الأثر وان كان غير مسنـــد الاّ أنه صحيح ، ويدل له من الكتاب الكريم قوله تعالى : " وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَـــاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا "[6] .

كما يدل من السنة حديث أبي هريرة السابق عند مسلم[7] ، وفيـــه :

---

(١) مسلم "كتاب الايمان " (باب اذا همّ العبد بحسنة كتبت ، واذا همّ بسيئة لم تكتب ١١٨/١ ، حديث ٢٠٧ .

(٢) الدر المنثور ١٢٩/٣ .

(٣) الطـــبرى ١٥٤/٣ .

(٤) مسلم "كتاب الايمان" (باب اذا همّ العبد بحسنة كتبت ، واذا همّ بسيئـــة لم تكتب ١١٨/١ ، حديث ٢٠٧ .

(٥) الدر المنثـــور ١٢٩/٣ .

(٦) الأحـــزاب ٥ .

(٧) الأ ثـــر ٤٥ .

" رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا " . قال : نعم .

ووجه الدلالة على صحة ما قال مفسرنا في أن آية الأحزاب نص في رفع الخطأ ، كما أن حديث أبي هريرة ، نص في رفع النسيان ، وهذا من كمال فضل الله وعدله .

قوله : " رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا .... الآية " .

٥٠) قال فلم يكلفوا ما لم يطيقوا ، ولم يحمل عليهم الاصر الذى حمل على الأمم قبلهم ، وعفا عنهم ، وغفر لهم ، ونصرهم .

ذكره السيوطي [(١)] ، وهذا الفهم صحيح ، ويشهد له ما رواه مسلم [(٢)] من حديث أبي هريرة ، في بيان نسخ هذه الآية لسابقتها ، وفيه أن الله - جلّ ذكره - قال : " نعم " ، وله من حديث ابن عباس ، قال : فعلت بدل قوله نعم .

* * *

* *

*

---

(١) الدر المنثور ٢ / ١٢٩ .

(٢) مسلم . ١ / ١١٦ " كتاب الايمان " (باب أنه سبحانه وتعالى لم يكلف الآما يطاق) .

=((تفسير سورة آل عمران))=

" تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ " . - ٢٧ -

قوله : " تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ " .

٥١) ينقص من هذا - يعني النهار - يجعله في الليل ، وما ينقص من الليل يجعله في النهار . رواه ابن أبي حاتم (١) ، عن ابن عباس ، ثم قال : "وروى عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، في أحد قوليه ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعكرمة ، والحسن ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، نحو ذلك ، وهو موافق لظاهر الآية ، وادخال الليل في النهار، حتى يطول ويقصر النهار ، وادخال النهار في الليل ، حتى يطول ويقصر الليل ، كما هو معروف في فصلي الشتاء والصيف ، من بديع صنع الله - عز وجل - وعظيم الأدلة على قدرته والتفاوت بين الليل والنهار طولا وقصرا ، هذا هو الأغلب ، والا فان المعروف تساويهما عند خط الاستواء ، كما ذكر ذلك الآلوسي (٢) .

" قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ " . - ٤١ -

قوله : " إِلاَّ رَمْزاً " .

٥٢) الاشارة . رواه بن أبي حاتم (٣) ، عن سعيد بن جبير ، ثم قال وروى عن أبي عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، والضحاك ، ومحمد بن كعب ، وقتادة ، والسدى ، والربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، نحو ذلك ، وتفسير الرمز بالاشارة ، معروف في كلام العرب .

---

(١) ابن أبي حاتم ١/٢٤٦ أ .
(٢) روح المعاني ٣/١١٥ .
(٣) ابن أبي حاتم ٢/٢٤ أ .

قال ابن قتيبة :" أى وحيا وايماء باللسان أو باليد أو بالحاجب، ويقال : رمز فلان لفلانه ، اذا أشار بواحدة من هذه)[1] . أ هـ .

وقد جعل الله آية زكريا - عليه السلام - أى العلامة الدالة على حصول الحمل بالولد ، ألاّ يكلم قومه الاّ بالرمز ، وذلك لافهامهم مراده ، وقد حبس الله لسانه عن الكلام ، ما عدا التسبيح ، والذكر ثلاثةأيام ،كما جاء في سورتي آل عمران[2] ومريم[3] .

قوله :" وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا " .

٥٣) لو رخص لأحد في ترك الذكر ، لرخص لزكريا - عليه السلام -، قال الله تعالى :" ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا" ، ولو رخص لأحد في ترك الذكر ، لرخص للذين يقاتلون في سبيل الله ، قال تعالى : " يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا "[4] . رواه ابن جرير[5]، وابن أبى حاتم[6] مختصرا ، ورواه أبونعيم[7] بتمامه واللفظ له ، ومداره عند الجميع على أبي معشر ، ولكن ما استدل به مفسرنا من وجوب ذكر المؤمن ربه على كل حال ، مستشهدا بأمر الله ، زكريا -عليه السلام - ، والمجاهدين في سبيل الله ، باكثار الذكر صحيح ، ولم يضره ضعف السند .

قال ابن كثير[8] :" هذه الآية :" قَالَ ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا"،

---

(١) تفسير غريب القرآن ١٠٥ .
(٢) سورة آل عمران آية ٤١ .
(٣) سورة مريم آية ١٠ .
(٤) سورة الأنفال آية ٤٥ .
(٥) الطبرى ٣ / ٢٦١ .
(٦) ابن أبي حاتم ٢ / ٢٤ أ .
(٧) حلية الأولياء ٣ / ٢١٥ .
(٨) ابن كثير ٣ / ٣٧٠ .

أى اشارة لا تستطيع النطق ، مع أنك سوى صحيح ، كما في قوله : " ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) ، ثم أمره بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح ، في هذه الحال ، فقال تعالى : "٠ أَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" . أ هـ .

" مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " - ٦٧ -

قولـه : " حَنِيفًـا " .

الحنيف : المستقيم . أخرجه ابن أبي حاتم (١) .

٥٤) تقدم دراسته في الأثر رقم ١٦ .

" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ " . - ١٤٢ -

قولـه : " وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ " .

٥٥) أن رجالا من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا يقولون ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر ونستشهد ، أو ليت لنا يوما كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ، ونبلي فيه خيرا ، ونلتمس الشهادة والجنة والحياة والرزق ، فأشهدهم الله أحدا ، فلم يلبثوا الا من شاء الله منهم ، فقال الله تعالى : " لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ " . رواه ابن أبي حاتم (٢) عن ابن عباس ، وقال : " وروى عن الحسن ، ومقاتل ، ومجاهد ، والسدى ، ومحمد ابن كعب ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، نحو ذلك .

قلت : أقوال هؤلاء الأئمة عند القرظي مبسوطة عند الطبرى (٣) ، وهي متقاربة ، ومنها

---

(١) ابن أبي حاتم ٢ / ٤٣ ب .
(٢) المصدر نفسه ٢ / ٧٢ أ .
(٣) الطبرى ٤ / ١٠٩ .

على سبيل المثال ، قول الربيع بن أنس : " ان أناسا من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر ، والذى أعطاهم الله من الفضل ، فكانوا يتمنون أن يروا قتالا فيقاتلوا ، فسيق اليهم القتال ، حتى كان بناحية المدينة يوم أحد ، فأنزل الله - عز وجل - : " وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ "... (١) الآية . أ هـ .

وظاهر الآيات من قوله في سورة آل عمران : " إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ " ... الى قوله من نفس السورة : " وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ... الآية " ، يؤيد ما قالوه ، اذ هي متضمنه الى جانب تسلية الله رسوله والمؤمنين على ما أصابهم يوم أحد ، الاخبار بأن ما كانوا يتمنونه من الموت في سبيل الله ، ومجالدة الكفار رغبة في الشهادة ، وقد حصل معاينته ، وهذا الاخبار فيه عتاب على مخالفتهم أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك من أسباب الهزيمة .

" وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .
- ١٥٢ -

قوله : " وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ " .

٥٦) لما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الى المدينة من أحد ، قد أصابهم ما أصابهم ، قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا ؟ ولقد وعدنا الله النصر . فنزلت قوله : " وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ " . ذكره الواحدى (٢) ، ورواه البغوى (٣) واللفظ له ، واسناده ضعيف ، اذ هو من رواية

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٤٠ : ١٤٥ .
(٢) أسباب النزول ١٢١ .
(٣) البغوى ٤ / ١٦١ .

أبي معشر ، عن المفسر ، وقد تقدم الكلام عليه ، لكن يشهد لصحة معناه قوله تعالى : " أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (١) ، والآية ضمن الآيات الواردة في غزوة أحد ، وقد تضمنت عدّة أشياء :

أولا : استغراب القوم ما أصابهم من الهزيمة في تلك الغزوة ، وقد وعدهم الله النصر ، كما لاحت بوادره أول المعركة .

ثانيا : تذكير الله أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ما أنعم الله عليهم به يوم بدر من النصر .

ثالثا : الاخبار من الله ، بأن ما أصاب المسلمين يوم أحد من الهزيمة ، هو بسبب أنفسهم ، اذ خالفوا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - والمعروف أن المخالفة جاءت من الرماة ، اذ تركوا مكانهم الذى وقفهم فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقال لهم : لا تتركوا الجبل ان رأيتمونا انتصرنا أو هزمنا ، ولكنهم لمّا رأوا هزيمة المشركين ، فرحوا بالنصر ، وترك أكثرهم الجبل ، وانشغلوا مع بقية اخوانهم ، بجمع الغنيمة ، فأدرك ذلك المشركون ، فانقضوا على المسلمين من تلك الثغرة التى تركها الرماة .

رواه البخارى (٢) من حديث البراء .

قوله : " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ " . - ١٧٨ -

٥٧) الموت خير للكافر وللمؤمن ، ثم تلا هذه الآية ، ثم قال : " ان الكافر ما عاش كان أشد لعذابه يوم القيامة . ذكره السيوطي (٣) ، وعزا اخراجه الى

---

(١) آل عمران ١٦٥ .

(٢) البخارى " كتاب المغازى " (باب غزوة أحد) ٥/٧٩/٤٠٤٣ .

(٣) الدر المنثور ٤/٣٩٢ .

ابن المنذر ، وسعيد بن منصور ، والمعنى مؤيد بظاهر الآية ، وما روي عن بعض السلف في معناها ، فان الآية متضمنة تحذير الله للكفار من الاغترار بامهاله اياهم بطول العمر في الدنيا ، وسعة الرزق ، فليس ذلك من قبيل الانعام والتكريم ، بل من قبيل الاستدراج ، كما قال تعالى : " فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ "(١) .

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير(٢) ، عن ابن مسعود : " ما من نفس بره ولا فاجرة الا الموت خير لها لئن كانت فاجرة ، لقد قال الله تعالى : " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ " .

وقال أبو الدرداء : " ما من مؤمن الا الموت خير له وما من كافر الا الموت خيرله ، فمن لم يصدقني فان الله يقول : " وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ " . " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ " . حكاه السيوطي(٣) عن ابن المنذر وغيره .

" لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " . - ١٨٨ -

قوله : " لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا " .

٥٨) كان في بني اسرائيل رجال عباد فقهاء ، فأدخلتهم الملوك فرخصوا لهم وأعطوهم ، فخرجوا وهم فرحون بما أخذ الملوك من قولهم وما أعطوا ، فأنزل الله - عز وجل - : " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا " . رواه ابن

---

(١) ابن أبي حاتم ٢ / ٩١ ب .
(٢) الطبري ٤ / ١٨٧ .
(٣) الدر المنثور ٤ / ٣٩٢ .

أبي حاتم[١] ، وفي سبب نزول الآية ، غير ما ذكره أقوال بطرق مختلفة نذكر بعضها . وهي :

أولا : ما رواه البخاري[٢] ، والواحدي[٣] ،عن أبي سعيد الخدري ،أن الآية نزلت في " أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا اذا خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الغزو تخلفوا عنه ،فاذا قدم اعتذروا اليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت :" وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا ".

ثانيا : ما رواه الواحدي[٤] ،والبخاري[٥] ، عن ابن عباس ، وقد أرسل اليه مروان يسأل عن معنى الآية ، فأجاب أنها في اليهود ،وهذا لفظ الحديث :" قال لبوابه اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي ،وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون ، فقال ابن عباس :" وما لكم ولهذه انما دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروا بغيره ، فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه ، فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ... الحديث " .

وقد جمع ابن حجر بين الروايتين . فقال :" ويمكن الجمع بأن تكون

---

(١) ابن أبي حاتم ١٩٧/٢ أ .

(٢) البخاري " كتاب التفسير " (باب لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا" ٣٤/٦ ،حديث ٤٥٦٧ .

(٣) الواحدي ١٣١ .

(٤) البخاري " كتاب التفسير " (باب لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا" ٣٤/٦ ، حديث ٤٥٦٨ .

(٥) فتح الباري " باب "ولا تحسبن الذين فرحوا بما أتوا " (كتاب التفسير) ٨/ ٢٣٣ .

الآية نزلت في الفريقين معا " .

والراجح عندى روايتا ابن عباس وأبي سعيد الخدرى للأسباب التالية :

أولا : أنه لا تعارض بينهما - كما أسلفنا من كلام ابن حجر (رحمه الله) .

ثانيا : أنهما قولان لصحابيين جليلين ، اعرف بمقاصد التنزيل ، وافهم لكتاب الله من المفسر وغيره من التابعين .

ثالثا : أن قول مفسرنا هذا ، من القصص الاسرائيليات ، وقد تكون فهما منه لمعنى الآية ، استنتجه من أحوال اليهود ، وتصرفاتهم الخبيثة ، وسواء قلنا هذا أو ذاك ، فليس بمنزلة قول الصحابي الموصول الذى هو نص في الموضوع .

"رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ" . - ١٩٣ -

قوله : " رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ " .

٥٩) قال : ليس كل الناس سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن المنادى القرآن . رواه ابن أبي حاتم[١] ، والطبرى[٢] ، واللفظ له ، وبه قال قتادة ، وهو أحد قولين للمفسرين ، وثانيهما ، وهو قول الجمهور ، كما ذكر القرطبي[٣] ، وابن الجوزى[٤] ، وذكر بعضها السيوطي[٥] ، أن المنادى محمد (صلى الله عليه وسلم) .

ويترجح هذا القول عندى . لأدلة منها :

---

(١) ابن أبي حاتم ٢/٩٨ ب .
(٢) الطبرى ٤/٢١٢ .
(٣) القرطبي ٤/٣١٧ .
(٤) زاد المسير ١/٥٢٨ .
(٥) الدر المنثور ٢/٤١١ .

أولا : أنه قول حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس في جمهـــــور المفسرين ، منهم ابن مسعود وابن جريج .

ثانيا : ان خطاب الله لعباده ودعوتهم للايمان به تتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته وبعد مماته على السواء ، (فقصر المناداة الى الايمان علي شخص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حياته ليس بسديد) وشواهد ما قلناه كثيرة . قال تعالى : " فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ....." . الآية " ،[1] والمعنى : أرجعوا ما اختلفتم فيه من الأمور الى كتاب اللـــه وسنة رسوله ، وهذا قائم الي قيام الساعة .

ثالثا : ان سند قول المفسر ضعيف ، اذ هو من رواية موسى بن عبيدة عنـــه ، وقد سبق الكلام عليـــه .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ". ـ ٢٠٠ .

قولـه :" اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا " .

٦٠) اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذى وعدتم ورابطوا عدوى وعدوكـــم حتى يترك دينه لدينكم . رواه ابن أبي حاتم[2] ، والطبرى[3] ، واللفظ لـــه .

وهذا الأثر يتضمن ثلاثة أوامر من الله لعباده هي :" الصـــبر ، والمصابرة والمرابطة . وفي معنى كل منها أقوال للأئمة من الصحابة والتابعين ، ونحـــن نذكر هذه الأوامر كلا على حده مع اختيار أشهر الأقوال في كل منها :

أولا : الصـــــبر :

والمراد به على الأشهر قـــولان :

---

(١) سورة النساء ٥٩ .
(٢) ابن أبي حاتم ٢ / ١٠٠ ب .
(٣) الطـــــبرى ٤ / ٢٢١ .

أولهما : ما ذكر المفسر وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، وابن جريج ، والضحاك والحسن .

والثاني: الصبر على الجهاد ، قال به عمر بن الخطاب ، وزيد بن أسلم ، وحكاه ابن أبي حاتم [1] عن المفسر ، بصيغة التضعيف ، والراجح عندى هو القول الأول لأمرين :

١- أنه قول جمهور الأئمة ، ومنهم من أسلفنا ذكرهم .

٢- أن الصبر ثلاثة أقسام : صبر على طاعة ، وصبر على ترك معصية ، وصبر على المصائب والشدائد .

فالقسم الأول عام ، والأخذ به أولى ، لأن العبرة بعموم اللفظ ، اذا لم يكن ثمة مخصص ، وهذا هو الشأن في الأمر بالصبر هنا ، ولا شك أن الجهاد يدخل في مسمى الطاعة والدين ، اذ هو من أعظم شعائره ومقوماته .

ثانيا : المصابرة :

وبقول المفسر السابق ، قال عطاء ، وقال جمهور المفسرين ، المراد مصابرة الأعداء ، ومن القائلين بهذا القول ابن عباس ، وقتادة ، والحسن ، وهذا القول هو الأصوب في نظري ، لأن المصابرة مصدر صابر ، على وزن فاعل ، ومصدره المفاعلة ، وهي لا تكون الا بين اثنين أو فريقين ، فالمؤمنون مأمورون بمصابرة أعدائهم والتصدى لهم ، والوقوف في مواجهتهم مهما يكن في ذلك من الشدائد والصعاب ، فلا ينبغي أن يعطوا عدوهم فرصة كي يكون أقوى منهم .

ثالثا : المرابطة :

وقد وافق المفسر بهذا القول جمهور الأئمة ، كما بسط ذلك الطبرى [2] ، وابن أبي حاتم [3] ، والسيوطي [4] وغيرهم . وفي معني المرابطة قول آخر ، وهو أن

---

(١) ابن أبي حاتم ٢ / ١٠٠ ب .
(٢) الطبرى ٤ / ٢٢١ .
(٣) ابن أبي حاتم ٢ / ١٠١ أ .
(٤) الدر المنثور ٤ / ٤١٨ .

المرابطة انتظار الصلاة الى الصلاة ، قاله أبوسلمة بن عبد الرحمن ، وعلـــى، وجابر بن عبد الله . رواه الطبرى ، وكلا القولين من حيث اللغة صحيح ، ولـه شواهد ، الآ أن الأول أرجح لعدة أدلة منهـــا :

أولا : ما بوب عليه البخارى[1] بقوله :" باب فضل رباط يوم في سبيل اللـــه" ، وقول الله تعالى :" يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُـــوا ... . الآيـة " . وروى حديث سهل بن سعد ولفظه ، قال رسول الله ـ صلـى الله عليه وسلم ـ :" رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليهـــا ... الحديث " .

ثانيا : ما تقتضيه اللغة في الأصل من معني المرابطه ، فان ذلك مأخوذ مـن ربـط الخيـل .

قال ابن قتيبة :" وأصل المرابطة والرباط : أن يربط هؤلاء خيولهم ويربط هؤلاء خيولهم في الثغر ، كل يعد لصاحبه ، وسمي المقام بالثغور ربـــاطا .

قلت : وما جاء عنه صلى الله عليه وسلم ، من تسمية انتظار الصـــلاة الى الصلاة رباطا ، كما هو عند مسلم[3] من حديث أبي هريرة ، فهو تشبيه لذلك بالمرابطة في سبيل الله ، ووجه الشبه الثبات والمداومة في كل منهما .

" قولـــه " وَاتَّقُـــوا اللَّهَ لَعَلَّكُـــمْ تُفْلِحُـــونَ " .

(٦١) واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا ، اذ لقيتموني . رواه

---

(١) البخارى" كتاب الجهاد " (باب فضل رباط يوم في سبيل الله) ٤ / ٢٩ حديث ٢٨٩٢ .

(٢) تفسير غريب القـــرآن ١١٧ .

(٣) مسلم " كتاب الطهارة " (باب فضل اسباغ الوضوء على المكاره) ١ / ٢١٩ حديث ٢٥١ .

ابن أبي حاتم [١] ، والطبري [٢] ، واللفظ له .

وفي هذا الأثر مسألتان وهما :

- أمر الله عباده بتقواه ووعدهم على ذلك بالفلاح ، وتوضيحا لمعنى هاتين المسألتين ، ننقل لك أقوال بعض المتقدمين في تحديد معنى كل منهما بدقة . فنقول : -

المسألة الأولى : " التقوى أن يعمل بطاعة الله ، رجاء رحمة الله ، على نور من الله ، والتقوى أن يترك معصية الله ، مخافة عذاب الله على نور من الله" . رواه ابن أبي حاتم [٣] ، عن طلق بن حبيب [٤] .

المسألة الثانية : " الفلاح ، قال الراغب : " الفلاح الظفر وادراك بغية ، وذلك ضربان : دنيوي ، وأخروي ، فالدنيوي : الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا ، وهو البقاء والغنى والعز . وإياه قصد الشاعر بقوله :

" أفلح بما شئت فقد يدرك بالضـ ـعف وقد يخدع الأريب" .

وفلاح أخروي ، وذلك أربعة أشياء : " بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل ، ولذلك قيل : " لا عيش إلا عيش الآخرة " . أ . هـ . [٥]

* * * *

---

(١) ابن أبي حاتم ٢ / ١٠١ ب .

(٢) الطبري ٧ / ٥١٠ المحقق .

(٣) ابن أبي حاتم ١ / ٣١ ب .

(٤) انظر : الملحق رقم ٣١ .

(٥) المفردات في غرائب القرآن ، مادة " فلح " ٣٨٥ .

" وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا " . - ٢١ -

قوله : " وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا " .

٦٢) هو قولهم : " قد ملكن النكاح " . رواه الطبرى [١] ، وفي سنده ابن حميد ، واسمه محمد بن حميد الرازى ، شيخ الطبرى ، فهو - وان كان حافظا - الا أنه ضعيف [٢] ، لكن القول صحيح وبه قال مجاهد ، والربيع بن أنس ، وابن عباس في تفسير الميثاق الغليظ ، بأنه عقدة النكاح ، مع اختلاف عباراتهم في تفسيرها لفظا .

قلت : اختلف أئمة السلف في الميثاق الغليظ هنا ، ما هو على ثلاثة أقوال ذكرها الطبرى [٣] ، وابن الجوزى [٤] ، والسيوطي [٥] .

أحدها : ما أسلفناه عن المفسر ، ومجاهد ، والربيع .

والثاني : أن الميثاق الغليظ ما أخذ الله على الرجال للنساء في قوله : "فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ " . قاله ابن عباس وابن سيرين ، وهو قول الجمهور من المفسرين .

والثالث : الأمانة التى جاءت في قوله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله في النساء ، فانكم أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله " . رواه مسلم [٦] ، وبه قال مجاهد في جماعة .

---

(١) الطبرى ٤ / ٣١٦ .

(٢) انظر : الملحق ص ١٨

(٣) الطبرى ٤ / ٣١٦ .

(٤) زاد المسير ٢ / ٤٣ .

(٥) الدر المنثور ٤ / ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٦) مسلم " كتاب الحج " (باب حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٢ / ٨٨٩ حديث ١٢١٨ .

والحق أن هذه الأقوال لا تنافي بينها ، لأن عقد الزوجية وما يترتب عليه من الحقوق والواجبات ، لكل من الزوجين على الآخر ، أمر عظيم ، وانما اختصت المرأة بمزيد من اهتمام الشارع الحكيم لضعفها .

" وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا " . - ٢٢ -

قوله : " وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ " .

٦٣) كان الرجل إذا توفي عن امرأته ، كان ابنه أحق بها أن ينكحها ان شاء ، ان لم تكن أمه ، أو ينكحها من شاء ، فلما مات أبوقيس الاسلت ، قام ابنه " محصن " فورث نكاح امرأته ، ولم ينفق عليها ، ولم يورثها من المال شيئا ، فأتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكرت ذلك له ، فقال : " ارجعي لعل الله ينزل فيك شيئا. فنزلت : " وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ ... الآية " ، ونزلت : " لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا " . أخرجه ابن سعد (١) مختصرا ، وحكاه عنه السيوطي (٢) بتمامه ، والخبر ضعيف من قبل محمد بن عمر (٣) ، وموسى بن عبيده الزبذى . وفي هذا الخبر مسألتان :

أولاهما : ما كان في الجاهلية من نكاح زوجات الآباء وارثهن كرها ، وتحريم ذلك في صدر الاسلام ، وبه قال ابن عباس ، وقتادة ، في جمهور من الأئمة ، ذكر ذلك عنهم الطبرى (٤) ، وابن أبي حاتم (٥) ، والسيوطي (٦) وغيرهم .

---

(١) الطبقات الكبرى ٤ / ٣٨٥ .
(٢) الدر المنثور ٤ / ٤٦٩ .
(٣) انظر : الملحق رقم ٦٦ .
(٤) الطبرى ٤ / ٣١٨ .
(٥) ابن أبي حاتم ٢ / ١١٩ ب .
(٦) الدر المنثور ٤ / ٤٦٩ .

وظاهر الآية الكريمة يؤيد هذا القول ، كما يدل له ما رواه البخاري[1] ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ " . قال : كانوا اذا مات الرجل ، كان أولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها ، وان شاؤا زوجوها ، وان شاؤا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية في ذلك .

وثانية المسألتين : تعيين السبب كما ذكر المفسر ، وبه قال عكرمة ، وعدي بن ثابت ، عن رجل من الأنصار ، كما روى ذلك الطبري[2] ، وابن أبي حاتم[3] ، وذكره السيوطي[4] ، وذكر ابن كثير[5] بعضها ، ولم يصح شئ من هذه الآثار . واليك بيان ذلك :

أولا : قول عكرمة في سنده عنعنة ابن جريج ، وهو في هذه الحال مدلس ، فلا تقبل روايته .

ثانيهما : قول عدي بن ثابت ، في سنده قيس بن الربيع ، تغير لما كبر فاختلط ، واشعث بن سوار ، ضعيف ، بالاضافة الى مبهم ، وهو الذي يروى عنه عدي .

وبما ذكرنا من الأدلة على عدم صحة القول ، بتعيين سبب نزول الآية ، يتعين رجحان قول الجمهور ، ويجب المصير اليه .

---

(١) البخاري " كتاب التفسير " (سورة النساء) (باب (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) ٦/٣٧ ، حديث ٤٥٧٩ .
(٢) الطبري ٤/٣١٨ .
(٣) ابن أبي حاتم ٢/١١٩ ب .
(٤) الدر المنثور ٤/٤٦٩ .
(٥) ابن كثير ٤/٤٧٦ .

" وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ . فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" . - ٢٤ -

قوله : " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " .

٦٤) السبية لها زوج بأرضها ، يسبيها المسلمون فتباع من الغنائم ، فتشترى ، ولها زوج فهي حلال . رواه ابن أبي حاتم (١) ، والآية نص في أن ذوات الأزواج محرمات على غير أزواجهنّ ، الاّ من وقعت في السبي بدار الحرب من نساء الكفار ، فهي حلال لمن سباها ، يطؤها بملك اليمين بعد استبرائها ، ويوضحه ما رواه مسلم (٢) ، والطبري (٣) ، والواحدي (٤) ، من حديث أبي سعيد الخدري ، أن الآية نزلت في سبايا أوطاس ، لما أصاب المسلمون فيها نساء ذوات أزواج ، فتحرجوا من غشيانهن ، فسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت : " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ... الآية " .

قلت : في قول المفسر ، فتباع من الغنائم فتشترى ايهام بأن السبية لا تحل الاّ بعد بيعها لشخص آخر ، ولا أرى هذا القيد الاّ من وهم ابي صخر الراوي عنه ، وما تقدم من سبب النزول يفيد غير ذلك .

قوله : " فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ " .

٦٥) كانت متعة النساء في أول الاسلام ، كان الرجل يقوم بالبلدة ليس معه

---

(١) ابن أبي حاتم ٢/١٢٥ أ .

(٢) مسلم " كتاب الرضاع " (باب جواز وطئ المسبية بعد الاستبراء وان كان لها زوج انفسخ نكاحها بالسبي) ٢/١٠٧٩ ، حديث ١٤٥٦ .

(٣) الطبري ٥/٢ .

(٤) أسباب النزول ١٤٢ .

من يصلح له ضيعته ولا يصلح بحفظ متاعه ، فيتزوج المرأة الى قدر ما يرى أنه يفرغ من حاجته ، فتنظر له متاعه ، وتصلح له ضيعته ، وكان يقول : " فما استمتعتم به منهنّ الى أجل مسمى " . نسخها " محصنين غير مسافحين "، وكان الاحصان بيد الرجل ، يمسك متى شاء ، ويطلق متى شاء .

رواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب ، عن ابن عباس بهذا اللفظ (١) ، وذكره ابن حجر نقلا عن الترمذى (٢) بلفظ : " إنما كانت المتعة في أول الاسلام ، كان الرجل يقدم البلد ليس له فيها معرفة ، فيتزوج المرأة بقدر ما يقيم ، فتحفظ له متاعه " . (٣) أ . هـ .

قلت : وفي هذا الأثر عدّة مسائل :

المسألة الأولى :

الاستدلال بهذه الآية على اباحة المتعة ، أو أن الآية نزلت فيها كما نقل المفسر عن ابن عباس ، وهو قول جمهور المفسرين .

والقول الثاني : أنما لمراد بالاستمتاع هو النكاح ، فاذا بنى الرجل بالمرأة ، ثم طلقها بعد مسيس ، ولو مرة واحدة ، وجب عليه صداقها كله ، حكي هذين القولين الطبرى (٤) وغير واحد .

وهذا القول هو الراجح والمؤيد بالأدلة الكثيرة منها :

أولا : قوله : " وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا " . (٥)

---

(١) ابن أبي حاتم ٢/١٢٥ .

(٢) الترمذى " كتاب النكاح " (باب ما جاء في تحريم نكاح المتعة) ٣/٤٢١ ، حديث ١١٢٢ .

(٣) فتح البارى ٩/١٧٢ .

(٤) الطبرى ٥/١١ ، ابن كثير ٥/٤٨٦ .

(٥) النساء ٢١ .

ثانيا : ان قول ابن عباس في هذه الآية أنها في نكاح المتعة فهم منه وأنكر عليه هذا الفهم علي ، ثم رجع عنه بعد ذلك ، فتعين الأخذ بعموم الآية ، وهو أن المرأة تستحق كامل صداقها بالمسيس وهو الجماع .

المسألة الثانية :

في قول المفسر " كان الرجل يقوم بالبلدة ليس معه من يصلح ضيعته ، ولا يصلح بحفظ متاعه ... الخ " . فان الحافظ لمّا حكاه - كما قدمت لك - قال اسناده ضعيف ، وهو شاذ لما تقدم من علّة اباحتها . أ . هـ .(١)

قلت : ضعف سنده من جهة ، موسى بن عبيده الربذى ، وقد سبق التنبيه عليه ، ومن هنا وقع الشذوذ والمخالفة ، اذ جعل علّة الاباحة فى كون الرجل يقدم البلد وليس له بها معرفة ، أو من يصلح متاعه ، والذى ذكره الحافظ ورجحه ، أن علّة الاباحة هي العزوبة الشديدة ، بسبب طول السفر أو الغزو .(٢)

" إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا " . - ٣١ -

٦٦) بلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :" ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ، كفارات لما بينهنّ ما اجتنبت الكبائر ، قال محمد بن كعب :" هذا في القرآن :" إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا " . وقال محمد :" أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ " . قال :" فطرفا النهار "، الفجر والظهر والعصر " وزلفا من الليل " المغرب والعشاء . " إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ "، فهي

---

(١) فتح البارى ٩ / ١٧٢ .

(٢) المصدر نفسه .

الصلوات الخمس . أخرجه ابن المبارك [1] ، ويتضمن تفسير آيتين : احداهما من سورة النساء ، والأخرى من سورة هود ، وقد آثرنا الاقتصار على تفسير الآية الأولى ، وارجاء ما يخص الآية الثانية الى موضعه ، فنقول في هذا الخبر النص على أن تكفير صغائر الذنوب مشروط بأمرين : اجتناب الكبائر ، وفعل خصال الخير من فرائض أو نوافل .

فالأول : ظاهر في الآية .

والثاني : وان كان هذا الخبر مجهول الواسطة بين المفسر والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا أنه يشهد له ما جاء صحيحا متصلا ، من حديث أبي هريرة ، عند مسلم [2] من طرق ، ومنها : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ، كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر " . أ هـ .

" الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِن أَمْوَالِهِمْ . فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ، وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ . فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا " . ـ ٣٤ ـ

قوله : " فَعِظُوهُنَّ " .

٦٧) العظة باللسان . رواه ابن أبي حاتم [3] ، عن ابن عباس ، ثم قال : وروى عن الشعبي ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، نحو ذلك ،

٦٨) اذا رأى الرجل تقصيرها في حقه في مدخلها ومخرجها قال : " يقول لها بلسانه : قد رأيت منك كذا وكذا ، فانتهي . فان اعتبت فلا سبيل له عليها ،

---

(١) الزهد والرقائق (باب ذكر رحمة الله تبارك وتعالى) ٣١٧ .

(٢) مسلم " كتاب الطهارة (باب الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات ما اجتنبت الكبائر ١/ ٢٠٩ ، حديث ٢٣٣ .

(٣) ابن أبي حاتم ٢/ ١٣٤ ب .

عز وجل لك وعليك " . أهـ

قلـــت : وهذا الأثر كما تراه نص في أن المبعوثين بين الزوجين حكمان لهما الجمع أو التفريق ، وبه قال ابن عباس ، ومحمد بن سيرين ، وابراهـــيم النخعي ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، في جمهور الأئمة [1] ، وممن نقل أقوالهـــم الطبري وغير واحد من المفسرين ، وهو الراجح - ان شاء الله - ، اذ نص الله عليه كما هو ظاهر الآية ، وهو معنى الحكم ، اذ أنه هو الذى يفصل بين الزوجين .

" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ . إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا".
- ٥٨ -

قولـــه : " إِلَى أَهْلِهَـــا " .

٧١) ذلك في الأمراء . رواه ابن أبي حاتم ، وبه قال علي بن أبى طالب، وزيد بن أسلم ، وشهر بن حوشب ، ومكحول ، وهو أحد أقوال ثلاثـــة للمفسرين في معنى هذه الآية ، حكاها عنهم الطـــبرى [2] ، وابن أبي حاتـــم [3] ، وابن كثـــير [4] ، وغير واحد .

والقول الثاني في الآية أنها في السلطان ، أمروا أن يعظوا النـــاس، قاله ابن عبـــاس ، ومجاهـــد .

قلـــت : وهذان القولان متقاربان ولا منافاة بينهمـــا .

وقال آخرون : " ان المخاطب بهذه الآية هو النبي - صلى الله عليـــه وسلم - ، وحجتهم أن الآية نزلت في عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، اذ أخذ

---

(١) الطـــبرى ٥ / ٧٠ ، القرطـــبي ٥ / ١٧٥ ، ابن كثير ٥ / ٥٠٤ .
(٢) الطـــبرى ٥ / ١٤٤ .
(٣) ابن أبي حاتم ٢ / ١٥٠ ب .
(٤) ابن كثـــير ٥ / ٥٢٧ .

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مفتاح الكعبة منه عام الفتح ، قالوا فنزلت : " ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها " فردده اليه . روى ذلك الطبرى (١) ، وابن أبي حاتم (٢) ، والواحدى (٣) وغيرهم .

قلت : " كون هذه الآية نزلت في سبب خاص لا يمنع عمومها ، اذ هي متضمنة خطاب الله عباده بآداء الأمانات الى أهلها ، والأمراء والحكام يدخلون في ذلك دخولا أوليا ، لأن مسئوليتهم أعظم ، ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " أدّ الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك " . رواه أبو داود (٤) والترمذى (٥) وغير ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم ، في الأمر بحفظ الأمانة وآدائها ، وهو أكثر من أن يحصى .

"وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُم أَوْلِيَآءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَإِن تَوَلَّوا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيرًا " . - ٨٩ -

قوله : " وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآءً " .

٧٢) يقول : ود الذين كفروا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء . رواه ابن أبي حاتم ، (٦) وفيه قصور ، اذ لم يبيّن من المعني بهؤلاء الكفار فى قوله : " وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ... الآية ؟ " ، وأبلغ منه وأوفى في توضيح المعنى ما قاله الطبرى (٧) فى الآية : " تمنى هؤلاء المنافقون الذين أنتم أيها المؤمنون فيهم

---

(١) الطبرى ٥/١٤٤ .
(٢) ابن أبي حاتم ٢/١٥٠ .
(٣) أسباب النزول ١٥٠ .
(٤) أبوداود "كتاب البيوع والايجارات" (باب الرجل يأخذ حقه من تحت يده ٣/٨٠٥ .
(٥) الترمذى " كتاب البيوع " ٣/٥٥٥ ، حديث ١٢٦٤ .
(٦) ابن أبي حاتم ٢/١٦٥ ب .
(٧) الطبرى ٥/١٩٦ .

فئتـــان ، أن تكفروا فتجحدوا وحدانية ربكم وتصديق نبيكم محمد - صلى اللـــه عليه وسلم - كما كفروا) أ هـ . انتهى محل الغرض منه .

قلـــت : وظاهر النظم الكريم يؤيد ما قاله ، فان الله تعالى لما ذكـــر ما كان من المؤمنين من اختلاف في شأن المنافقين الى فريقين يوم أحد ، كمـــا روى البخارى (١) ، والواحدى (٢) ، وغيرهما من حديث زيد بن ثابت ، حذر من خطورتهم على أهل الايمان ، وأنهم يريدون أن يكونوا لمؤمنين مثلهم فى الكفر والنفـــاق ، وكما أشار الى ذلك القرطبي (٣) . فقـــال :" تمنوا أن تكونوا لهم في الكفر والنفاق شرع سواء " . أ هـ .

قلت : " هذا جيد اذ هو ربط فى المعنى بين الآيتين ، فان الله ذكر:

أولا : ما حصل من اختلاف في شأن المنافقين . فقال :" فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَـــنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيـــلاً " . (٤)

ثانيا : حذر من سوء نواياهم لأهل الايمان . فقال :" وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَـــا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيـــلِ اللَّهِ . فَإِن تَوَلَّوا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا " . وما قاله هذان الامامان ، لا ينافي عموم الآيـــة في ارشاد المسلمين الى أخذ الحذر والحيطة من أهل الكفـــــر والنفاق ، والذين يكيدون لهم بشتى المحاولات في زعزعتهم عن دينهم .

---

(١) البخارى " كتاب التفسير " (سورة النساء) " باب فما لكم في المنافقين فئتين ٦/٣٩ ، حديث ٤٥٨٩ .

(٢) أسباب النزول ١٦٠ .

(٣) القرطـــبى ٥/٣٠٨ .

(٤) النساء ٨٨ .

فان قال قائل : كيف تصنع بقوله :" حتى يهاجروا في سبيل الله ..... الآية " . فان ظاهرها في غير المنافقين ، لأن الهجرة : الانتقال من ديار الكفر الى المدينة حين نزول الآية ؟

قلت : تبين من الأدلة التى أوردناها ، وفيها حديث البخارى السابق، أن الهجرة المذكورة معنوية ، وذلك بهجرهم النفاق والتربص بالمسلمين الدوائر، ونظير تلك الهجرة قوله صلى الله عليه وسلم :" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " . (١)

" سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا " . - ٩١ -

قوله :" وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا " .

٧٣) كل سلطان في القرآن حجة . رواه ابن أبي حاتم (٢) ، عن ابن عباس. وقال :" وروى عن أبى مالك ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والنضر بن عدى مثله .

قلت : ورواه الطبرى (٣) ، عن عكرمة ، والسدى ، وفى قصر معنى السلطان فى القرآن على الحجة نظر ، فان هذه الكلمة كما تستعمل في الحجة تستعمل أيضا في القدرة والتمكن والشواهد على الاستعمالين كثيرة ، فمن الأول قوله :" سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا " . (٤)

---

(١) البخارى من حديث عبد الله بن عمر " كتاب الايمان " (باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١/٩ ، حديث ١٠ .

(٢) ابن أبي حاتم ٢/١٦٧ ب .

(٣) الطبرى ٥/٢٠٣ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٥١ .

قال ابن قتيبة (أي حجـه)[1] ، ومن شواهد المعنى الثاني قول الحق جلّ ذكره : " إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ "[2] ، وقوله : " وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ..."[3] وهذا واضح في معنى القدرة والتمكن ، ولا أرى أن مثل ابن عباس - وهو حبر الأمة وترجمان القرآن - يجهل هذه الحقيقة ، فليتأمل .

" لَّا خَيرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُم إِلاَّ مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَو مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَينَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ إِبْتِغَاءَ مَرضَاتِ اللَّهِ فَسَوفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا " . - ١١٤ -

قوله : " أَوْ إِصْلَاحٍ بَينَ النَّاسِ " .

٧٤) قال عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت : " كنت جالسا عند محمد بن كعب القرظي ، فأتاه رجل . فقال له القوم : أين كنت ؟ . فقال : أصلحت بين قوم . فقال محمد بن كعب : أصبت ، لك مثل أجر المجاهدين ، ثم قرأ : " لَّا خَيرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُم إِلاَّ مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَو مَعْرُوفٍ أَو إِصْلَاحٍ بَينَ النَّاسِ ".

رواه ابن أبي حاتم[4] ، وفيه كما ترى مساواة الاصلاح بين الناس ، في الأجر بالمجاهد في سبيل الله ، وهذه المساواة فهم من المفسر ، ولعله أرشده الى هذا الفهم قوله في آخرها : " ... وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ إِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا " . اذ وعد الآمر بالاصلاح بين الناس في جملة المذكورين في الآية بالأجر العظيم ، ويغني عن هذا الفهم - الذي لم أجد موافقا له فيه فيمن وقفت على قوله - ما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، من حديث أبي الدرداء ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ألا أخبركم

---

(١) تفسير غريب القرآن ١١٣ .
(٢) سورة الحجر آية ٤٢ .
(٣) سورة الاسراء آية ٣٣ .
(٤) ابن أبي حاتم ١٨١/٢ أ .

بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ . قالوا : بلى . قال : " صلاح ذات البين ، فان فساد ذات البين هي الحالقة " . رواه أحمد (١) ، وأبو داود (٢) ، والترمذى (٣) وقال :" هذا حديث صحيح ، ثم قال :" قال أبوعيسى :" ويروى من النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :" هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين .

قلت : وهذا الحديث نص صريح في تفضيل الاصلاح بين الناس على أفضل النوافل وأعظمها ، كما ترى قد مثل صلى الله عليه وسلم ، لذلك بالصيام والصلاة والصدقة .

" وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا " . - ١٢٥ -

قوله : " حَنِيفًا " .

٧٥) الحنيف : المستقيم . أخرجه ابن أبي حاتم (٤) .

(سبق دراسته في الأثر السادس عشر) .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا " . - ١٤٤ -

قوله : " سلطانا مبينا " :

٧٦) كل سلطان في القرآن حجة . أخرجه ابن أبي حاتم (٥) .

(سبق دراسته في الأثر رقم " ٧٣ ") .

---

(١) المسند ١/١٦٥ .

(٢) أبو داود " كتاب الأدب في اصلاح ذات البين " ٥/٢١٨ .

(٣) الترمذى " كتاب صفة القيامة " ٤/٦٦٣ ، حديث ٢٥٠٩ .

(٤) ابن أبي حاتم ٢/١٨٥ أ .

(٥) المصدر نفسه ٢/١٩٤ أ .

" يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيهِم كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَينَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا " . - ١٥٣ -

٧٧) جاء أناس من اليهود الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : " ان موسى جاء بالألواح من عند الله فأتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك ، فأنزل الله :" يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيهِم كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ " الى قوله : " ... وَقَولِهِم عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهتَانًا عَظِيمًا " . رواه الطبرى (١) .

وفى هذا الأثر مسألتان : تعيين سبب نزول الآية ، وانه في اليهود ، وتحديد الآيات النازلة في ذلك السبب الى قوله :" ... وَقَولِهِم عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهتَانًا عَظِيمًا " .

فالمسألة الأولى :

وهي سبب نزول الآية ، قال به : قتادة ، والسدى ، وابن جريج ، فيما رواه الطبرى (٢) ، ورواه ابن أبي حاتم (٣) ، عن قتادة ، والسدى ، وانما اختلف هؤلاء الأئمة فيما سأله اليهود رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فالسدى ، ومحمد بن كعب ، قالوا : ان اليهود سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أن ينزل عليهم كتابا مكتوبا من السماء ، يكون علامة على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم ، وقال قتادة : ان اليهود سألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يأتيهم بكتاب خاص مثل التوراة . أما ابن جريج فقال : " ان اليهود والنصارى ، سألوا النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يأتيهم بكتب الى اناس بأعيانهم ، ورجح

---

(١) الطبرى ٦/٧ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) ابن أبي حاتم ٢/١٩٦ .

القول الأول الطبرى [١]، وظاهر الآية يؤيده ،فان الله جلّ ذكره ، أخبر عن سؤالهم ، وتعيين المسؤول عنه محتاج الى دليل .

والمسألة الثانية :

وهي تحديد الآيات بقوله :" بهتانا عظيما " ،فلم أجد فيما وقفت عليه من يوافقه في هذا القول ، ولا أراه الاّ من أوهام أبي معشر .

قوله :" وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا " .-١٥٦-

٧٨) هو قول من يقول منهم :" ان أمه جاءت به من غير عمل صالح . رواه عبدالرحمن في تفسير مجاهد [٢]، وهذا وان كان تفسير اَلْبُهْتَانِ اليهود في قولهم على العذراء وابنها - عليهما السلام - بالكناية ، الاّ أنه يوافق ما فسر به تلك المقالة الشنيعة صراحة ، ابن عباس وغير واحد ، فيما رواه الطبرى [٣]،وابن أبي حاتم [٤] ،فالكذب والقذف بفعل الفاحشة من البهتان . قال تعالى منكرا على من خاض في شأن عائشة أم المؤمنين ، وصفوان بن المعطل - رضي الله عنهما :"ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " [٥].

وقال الراغب :" كذب يبهت سماعه لفظاعته " [٦]. أ هـ .

قلت : وقصة الافك رواها البخارى [٧]،وغيره من المحدثين وأهل السيّر.

---

(١) الطبرى ٦/ ٨ .
(٢) تفسير مجاهد ١/ ١٨٠ .
(٣) الطبرى ٢/ ١٢ .
(٤) ابن أبي حاتم ١٩٨ أ .
(٥) سورة النور الآية رقم ١٦ .
(٦) المفردات مادة " بهت " ٦٣ .
(٧) البخارى" كتاب التفسير "(سورة النور) ٦/ ٨٤ ،حديث ٤٧٥٠ .

" إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا " . - ١٦٣ -

٧٩) أنزل الله : " يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عليهم كتابا من السماء "، الى قوله : " ... وقولهم على مريم بهتانا عظيما " ، فلما تلاها عليهم - يعنى على اليهود - وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة ، جحدوا كل ما أنزل الله ، وقالوا: " ما أنزل الله على بشر من شئ ، ولا على موسى ولا على عيسى ، وما أنزل الله على نبي من شئ ، قال : " فحل حبوته . وقال : " ولا على أحد ، فأنزل الله - جلّ ثناؤه - : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ " . رواه ابن جرير (١) ، وفي سنده غير أبي معشر ، عبد العزيز (٢) وهو : ابن أبان الأموى ، كما أن ظاهر حكايته الارسال ، وفي الخبر - كما ترى - خلط في سبب النزول بين آيتين مختلفتين ، احداهما من سورة النساء ، والأخرى من سورة الأنعام .

قال ابن كثير (٣) - بعد حكايته هذا الأثر بسند ابن جرير - معترضا على القرطبي : " وفي هذا الذى قاله محمد بن كعب القرظى نظر ، فان هذه الآية التى في سورة الأنعام مكية ، وهذه الآية التى في سورة النساء مدنية ، وهي رد عليهم لما سألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - : أن ينزل عليهم كتابا من السماء . قال الله تعالى : " فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ " ، ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم ، وما كانوا عليه ، وما هم عليه الآن من الكذب والافتراء ، ثم ذكر تعالى : أنه أوحى الى عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - كما أوحى الى غيره من الأنبياء المتقدمين . فقال : " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ " الى قوله : " ... وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا " .

---

(١) الطبرى ٦ / ٢٨ .
(٢) عبد العزيز بن أبان . انظر : الملحق رقم ٤١ .
(٣) ابن كثير ٦ / ٥٩٩ .

انتهى محل الغرض .

قلت : وبما أسلفته من الكلام على قول المفسر من حيث متنه وسنده ، وبما قاله الحافظ ابن كثير - رحمه الله - يترجح عندى ما قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " قال سكين وعدى بن زيد : يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شئ بعد موسى ، فأنزل الله في ذلك من قوله : " إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ " الى آخر الآيات. أ . هـ . أخرجه عنه ابن جرير ، كما أخرج نحوه عن الربيع بن خيثم .

" وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا " . - ١٦٤ -

قوله : " وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا " .

٨٠) سئل موسى : ما شبهت كلام ربك مما خلق ؟ فقال موسى : الرعد الساكن . أخرجه ابن جرير [1] ، بهذا اللفظ عن مفسرنا ، وفي سنده سفيان بن وكيع ، والخبر يتضمن تشبيه موسى - عليه السلام - كلام ربه بصوت الرعد الساكن ، وذلك لا يعدو كونه من القصص الاسرائيلي .

فاذا قال قائل : كيف تصنع بما أخرجه ابن جرير فى هذا المعنى من قول كعب الاحبار وغيره من الأئمة ؟ .

قلت : شأن ما ذكرت من الأقوال ، هو شأن ما جاء عن القرطبي ، فكلها متفقه في المعنى على تشبيه كلام الله نبيه موسى - صلى الله عليه وسلم - بأصوات بعض المخلوقات . ولاأرى سبيلا الى السلامة وسداد القول مثل قوله تعالى : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " . [2] فقد دلت الآية الكريمة على نفى الشبيه عن الله في ذاته وصفاته. والذى نؤمن به حقيقة أن الله كلم عبده ورسوله موسى - عليه الصلاة والسلام - بحرف وصوت مع رد كيفية ذلك الصوت الى الله تعالى .

---

(١) الطبرى ٦ / ٢٩ .

(٢) الشورى ١١ .

=((تفسير سورة المائدة))=

(٨١) نزلت سورة المائدة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع ، فيما بين مكة والمدينة ، وهو على ناقته ، فانصدعت كتفها ، فنزل عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكره السيوطي[1] بهذا اللفظ ، وعزاه الى أبي عبيد ، وروى في نزول المائدة نحو هذا الامام أحمد[2] باسنادين :

أحدهما : عن أسماء بنت يزيد قالت : " انى لآخذة بزمام العضباء - ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذ نزلت عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة . أ هـ .

وثانيهما : عن عبد الله بن عمرو قال : " أنزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سورة المائدة ، وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها . أ هـ .

لكن لم يصح شئ منهما . اذ الأول : في سنده ليث بن أبي سليم ، ترك لاختلاطه ، وعدم تميز حديثه ، وشهر بن حوشب ، كثير الارسال ، والأوهام ، وفي الثاني : ابن لهيعة ، وحيي بن عبد الله بن شريح ، فالأول اختلط لاحتراق كتبه ، والثاني وان كان صدوقا الآ أنه يهم .

وبهذا تعيّن المصير الى ما رواه أحمد ، والحاكم[3] عن عائشة ، وقال الحاكم : " صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ولفظه : " قالت : يا جبير تقرأ المائدة . فقلت : نعم ، أما إنها آخر سورة نزلت ، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه " . أ هـ .

---

(١) الدر المنثور ٦ / ٣ .

(٢) الفتح الرباني وحاشيته "بلوغ الأماني" (باب ما جاء في فضل سورة المائدة) ١٨ / ١٢٤ .

(٣) المستدرك ٢ / ٣١١ .

قلـــت : فمجموع الآثار الواردة مما ذكرناها وغيرها ، كما حاكاهـــا السيوطي مع قول المفسر ، تفيد أن سورة المائدة ، هي آخر ما نزل مـــن القرآن ، لكن الغرابة فيما حكاه المفسر من انصداع كتف ناقة النبي ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ حين نزول السورة الكريمة عليه وهو راكب ، فلم أجد له موافقا فـي هذا الخـبر .

وفي اختلاف أهل العلم في آخر ما نزل من القرآن ، نسوق ما نقلـه الزركشي عن[1] الباقلانـي :

" قال القاضي[2] أبوبكر في" الانتصـار " :" وهذه الأقوال ليس في شئ منها ما رفع الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب مـن الاجتهاد ، وتغليب الظن ، وليس العلم بذلك من فرائض الدين ، حتى يلـزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط ، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخـر ما سمع من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في اليوم الذى مات فيه ، أو قبل مرضه ، وغيره سمع منه بعد ذلك ، وان لم يسمعه هو لمفارقته له ، ونزول الوحـى عليه بقرآن بعده ، ويحتمل أيضا أن تنزل الآية التى هي آخر آية تلاهـا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع آيات نزلت معها ، فيؤمر برسم ما نزل معهـا وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخرا وتلاوته ، فيظن سامع ذلك أنه آخر مـا نزل في الترتيـب .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ " . ـ ١ ـ

قولـه :" أَوْفُـوا بِالْعُقُـودِ " .

٨٢) العقود خمس : عقدة الأيمان ، وعقدة النكاح ، وعقدة العهد ، وعقدة البيع ، وعقدة الحلف . رواه الطبرى[3] عن عبد الله بن عبيـده الربذى ، ثم

(١) البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٢١٠ .
(٢) الاتقـان ٤ / ٢٧ .
(٣) الطـبرى ٦ / ٤٨ .

ساق السنـد الى أن قـال :" عن موسى بن عبيده ، عن محمد بن كعـب القرظي ، وعن أخيه عبد الله بن عبيده "[1] ، نحوه . أ هـ . والذى وجدتـه عند ابن كثير عن المفسر بلفظ " هي خمسة " ، منها : حِلف الجاهلية ، وشركة المفاوضـة . أ . هـ .

قلـت : سواء كان هذا أو ذاك ، فكلاهما قصر للعام على بعض أفـرادة دون مخصص يجب التسليم له ، والحق أن يقال أن الآية الكريمة متضمنة أمر اللـه عباده ، الذين أقروا له بالعبودية ولنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالـة أن يوفوا بكل عقد ألزمهم الله به ، أو أذن لهم فيه ، فألزموا به أنفسهم ، وما قاله المفسر ، وما شابهه من الأقوال ، فيما ذكره ابن جرير[2] ، وابن كثـير[3] ، وغيرهما لا يعدو أن يكون بعضا مما أمر الله به في الآية من الوفاء بالعقود ، التى أجمع الأئمة بأنها العهود فيما رواه الطبرى . وما أحسن قول ابن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ :" يعنى : ما أحلّ ، وما حرّم ، وما فرض ، وما حدّ فـي القرآن كله ، فلا تغدروا ، ولا تنكثوا ، ثم شدد ذلك فقال :" والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل "... الى قوله : " ... سوء الـدّار "[4] . أ هـ .

وقد رجح ما قلناه من العموم في الآية : الزمخشرى[5] ، فقال :" وهي عقود الله التى عقدها على عباده والزامهم اياهم من مواجب التكليف ، وقيل : هـي

---

(١) انظر الملحق رقم : ٣٥ .
(٢) الطـبرى : ٦ / ٤٩ .
(٣) ابن كثـير : ٦ / ٤ .
(٤) الطـبرى : ٦ / ٤٨ .
(٥) الكشـاف : ١ / ٣٢٠ .

ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ، ويتحالفون عليه ويتحاسون من المبايعات ونحوها ، والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه ، وأنه كلام قدم مجملا ، ثم عقب بالتفصيل ، وهو قوله : " أحلت لكم ..." وما بعده . أ هـ .

" حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" . - ٣ -

قوله : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا " .

٨٣) قال عيسى بن جارية :" كنا جلوسا في الديوان ، فقال لنا نصراني : " يا أهل الاسلام ، لقد نزلت عليكم آية لو نزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم وتلك الساعة عيدا ما بقي منا اثنان :" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" ، فلم يجبه أحد منا ، فلقيت محمد بن كعب القرظي ، فسألته عن ذلك . فقال : " ألا رددتم عليه ؟. فقال : " قال عمر بن الخطاب :" أنزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو واقف على الجبل يوم عرفة ، فلا يزال ذلك اليوم عيدا للمسلمين ما بقي منهم أحد " . رواه ابن جرير (١) ، وخبر نزول الآية الكريمة يوم عرفة جاء من عدة طرق صحيحة ، من ذلك قصة عمر مع اليهودي عند الشيخين (٢) ، وغيرهما من حديث طارق بن شهاب

---

(١) الطبري ٦/ ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ٦/ ٨١ .

(٣) مسلم "كتاب التفسير" ٤/ ٢٣١٢ ، والبخاري "كتاب الايمان" (باب زيادة الايمان ونقصانه) ١/ ١٤ ، حديث ٤٥ .

واللفظ للبخارى قال :" ان رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال: أى آية ؟ . قال :" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا " . قال عمر : " قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قائم بعرفة ، يوم جمعة " أ هـ .

وأما قول المفسر : فلا يزال ذلك اليوم عيدا للمسلمين ما بقى منهم أحد ، فلا أراه يعنى غير أن يوم عرفه عيد للمسلمين بما ينالهم فيه من الله من البركات والفضائل العظيمة ، فمن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، ومن صامه احتسابا كان له كفارة سنتين ، وهو أحد عشر ذى الحجة ، التى ما من أيام العمل الصالح أفضل فيها منه فى غيرها ، لأنه لا يخفى انه ليس للمسلمين عيد يحتفى به غير عيد الفطر وعيد الأضحى .

" يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ " . - ٤ -

قوله : يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ " .

٨٤) لما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقتل الكلاب ، قالوا : يا رسول الله فماذا يحل لنا من هذه الأمة ، فنزلت :" يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ...الآية".

رواه ابن جرير (١) ، ولكن يظهر في السند - حسب سياقه - الارسال مع ابهام الراوى عن القرظى وذلك في قول عبد الله بن الزبير (٢) : حدثونا عن محمد بن كعب القرظى ، ثم ذكر الخبر ، لكن وجدت له شاهدا من حديث أبي رافع

---

(١) الطبرى ٦ / ٨٩ .

(٢) انظر: الملحق رقم ٣٣

عند الحاكم[(١)] ، ولفظه : " أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتل الكلاب فقال الناس : يا رسول الله ما أحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها ، فأنزل الله : " يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ " . أ هـ .

قال الحاكم[(٢)] - بعد سياقه - : " هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي وبنحو هذين الخبرين ما رواه ابن جرير[(٣)] ، عن عكرمة : " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث أبا رافع في قتل الكلاب ، فقتل حتى بلغ العوالي ، فدخل عاصم بن عدى ، وسعد بن خيثمة ، وعويم بن ساعده . فقالوا : ماذا أحل لنا يا رسول الله ؟ ، فنزلت : " يسألونك ماذا أحل لهم ؟ قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين " . أ هـ .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " . - ٦ .

٨٥) مرت على عثمان فخارة من ماء فدعا به ، فتوضأ فأسبغ وضوءه ثم قال: " لو لم اسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الا مرة أو مرتين ، أو ثلاثا، ما حدثتكم به ، أنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " ما توضأ عبد فأسبغ الوضوء ثم قام الى الصلاة الا غفر له ما بينه وبين الأخرى . قال

---

(١) المستدرك ٢ / ٣١١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الطبرى ٦ / ٨٩ .

محمد بن كعب : كنت اذا سمعت حديثا عن رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التمسته في القرآن ، فالتمست هذا فوجدت :" إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ"، فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه ، ثم قرأت الآية التي في سورة المائدة :" إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ "، حتى بلغ :" ... وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ" ، فعرفت أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم . رواه ابن المبارك (١) ، وفي اسناده أبومعشر، وقد تضمن الخبر سياقا غريبا جدا ، اذ خلط بين قولين ، أحدهما : مسند عن عثمان ،عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والآخر ،: استنتاج وفهم من القرظي ، فما كان من هذا الخبر متصلا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فصحيح بشواهده ، فمن الأدلة على فضل الوضوء ، ما أخرجه الشيخان (٢) ، عن حمران مولى عثمان : " أنه رأى عثمان بن عفان دعا بإناء ، فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلها ، ثم أدخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ، ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرافق ثلاث مرار ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رجليه ثلاث مرار الى الكعبين ،ثم قال :" قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ،غفر له ما تقدم من ذنبه " . أ هـ .

قلت : وفي هذا الحديث الصحيح من الدلالة على فضل الوضوء ، ما يغني من الخوض في بقية الخبر ، وقد أسلفت لك ضعف سنده .

" إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا

---

(١) الزهد " باب ذكر رحمة الله تبارك وتعالى " ٣١٦ .

(٢) البخاري " كتاب الوضوء " (باب الوضوء ثلاثا ثلاثا) ١ / ٣٦ ، حديث ١٥٩ ، مسلم " كتاب الطهارة " (باب صفة الوضوء وكماله) ١ / ٢٠٥، حديث ٢٢٧ .

أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّن خِلَافٍ ، أَوْ يُنفَوا مِنَ الأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " . - ٣٣ -

قوله : " إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ " .

٨٦) ان أخاف المسلمين فاقتطع المال ولم يسفك : قطع ، واذا سفك دما قتل وصلب ، وان جمعها فاقتطع مالا وسفك دما ، قطع ثم قتل ثم صلب، كان الصلب مثله ، وكان القطع " السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" ، وكان القتل : النفس بالنفس وان امتنع ، فان من الحق على الامام وعلى المسلمين أن يطلبوه حتى يأخذوه فيقيموا عليه حكم كتاب الله . أخرجه ابن جرير[1] عن المفسر ، وسعيد بن جبير ، والآية الكريمة - كما هو صريح وواضح - تتضمن أربع عقوبات جزاء للمحاربين ، وهل للامام أن يعاقب كل محارب بما يستحقه أو هو مخيّر بفعل ما يشاء .

فالأول : قال به جمهور الأئمة ، منهم : ابن عباس ، والنخعي ، وسعيد ابن جبير ، وقتادة ، وبه قال أحمد والشافعي وأبوحنيفة ، فقال هؤلاء مع اختلاف في عباراتهم :" من أخذ المال قطع ، ومن أخذ المال وقتل ، قتل وصلب ، وان قتل ولم يأخذ المال ، وان أخاف السبيل فقط وروّع الناس ، نفي من الأرض .

والثاني : قاله ابن عباس ، والحسن ، وابراهيم النخعي ، في رواية ، ومجاهد ، وابن جريج ، وسعيد بن المسيب ، حكى القولين وأدلة كل منهما الطبرى[2] ، والقرطبي[3] ، وابن قدامه[4] ، وغيرهم .

---

(١) الطبرى ٦/٢١٣ .
(٢) المصدر نفسه ٦/٢١٣ ، ٢١٧ .
(٣) القرطبي ٦/١٤٩ .
(٤) المغني " كتاب قطّاع الطريق " (باب حد المحاربين) ٢٩٧ .

قلـــت : وتخيـــير الامام أرجـــح لأمـــور :

أولا : ان التخيـــير هو ظاهر الآية ، ولا يعدل عن الظاهر الى غيره ممـــا يحتاج الى تقدير الاّ بحجة يجب التسليم لها ، ولم يرد نص يجب المصير اليه ، لما قاله الجمهور ، وما أخرجه ابن جرير عن أنس[1] ، من ســـؤال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل : ماذا يصنع بالمحاربين ، ...الى آخر الحديث فضعيف لأن فيه ابن لهيعة ، وقد اختلط لاحتراق كتبه .

الأمر الثاني : ان حماية مصالح الناس ، واستتباب الأمن في البلاد والعبـــاد كثيرا ما يستدعي أقصى العقوبات الرادعة ، وهذا موكول الى نظر امـــام المسلمين ، وما يراه كفيلا بذلك ، وما أحسن ما قاله الامام مالك : " اذا قطع الطريق فرآه الامام جلداً إذا رأى قتله ، وان كان جلدا لا رأى له قطعه ، ولم يغير فعله " . أ هـ .

قلـــت : وما أكثر الجرائم التي تستهدف الدين والاعراض والعقـــول ، يخطط لترويجها ذوو رأى وتفكير ودهـــاء خبيث من أبناء المسلمين فـــي عقر دارهم ، يدفعهم عملاء لهم من خارج العالم الاسلامي ، مـــــن شيوعيـــين ، وما سونيين وغيرهم ، ومن أعظم تلك الجرائم : المخـــدرات بشتى أنواعها ، فلا يردع أولئك المروجين سوى أقصى العقوبات وبلا هوادة .

ثالثـــا : ويرجح ما ذهبنا اليه ، أنه قول جماعة من الأئمة غير ما ذكرنـــاه في القول الثاني ، منهم : مالك ، واختاره القرطـــبي ، والشيخ محمـــد الأمين الشنقيطي ، وأما قول المفسر : " وان جمعهما فاقتطع مالا وسفك دما قطع ، ثم قتل ، ثم صلب ، كان الصلب مثله ، وكان القطع" السَّـــارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا" ، وكان القتل : النَّفْسَ بِالنَّفْسِ" ، ففيـــــه

---

(١) الطـــبري ٦/٢١٦ .

جمع بين القطع والقتل والصلب ، كما فيه النهى عن الصلب ، ولم يقل بذلك أحد ممن وقفت على قوله ، والأثر من رواية أبي صخر ، وهو وان كان صدوقا الاّ أنه يهم . فليتأمل .

قوله :" أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ " .

٨٧) من أرض الاسلام الى أرض الكفر ، رواه الطبرى[١] ، عن المفسر ، وسعيد بن جبير ، واعلم أن العلماء سلفا وخلفا ، قد اختلفوا في معنى النفي المراد في الآية . هل هو اخراج المحارب من بلد الاسلام الى بلد الكفر؟ أو هو التشريد بحيث يترك المحاربون لا يأوون الى أرض ؟ ، أو هو حبسهم في بلدهم ؟ ، أو هو حبسهم فى غيره؟ وبكل من هذه الأقوال فيما حكاه الطبرى[٢] ، والقرطبي[٣] ، قال جماعة من الأئمة .

بالأول : قال ابن عباس ، والسدى ، والليث بن سعد في جماعة .

وبالثاني : قال عمر بن عبد العزيز ، وسعيد بن جبير في رواية .

والثالث : قال به من الأئمة أبوحنيفة .

والرابع : وهو النفي الى بلد أخرى ، مع الحبس ، قول مالك ، رجحه الطبرى[٣] ، والقرطبي[٤] .

والأخير هو أصوب الأقوال عندى ، لأن المقصود بالنفي عقوبة للمجرم وردع له ، ولا يتأتى هذا المقصود بتشريده ولا حبسه في بلده ، وذلك أنه بتشريده شدّة كلفه على السلطات ، وأذيّة للناس ، وبحبسه في بلده يسهل الاتصال به ، ويجد من يسليه ، وقد يقوى عزيمته ، لا سيما عندما يكثر فساد الفطرة في المجتمعات ، ويقل الوازع الدينى ، وقد أصبح العالم اليوم لسهولة

---

(١) الطبرى ٦/٢١٧ .

(٢) المصدر نفسه ٦/٢١٦ ، ٢١٨ .

(٣) المصدر نفسه ٦/٢١٨ .

(٤) القرطبي ٦/١٥٢ .

اتصالاته ، كأنه بلد واحد ، وبهذا يتبين لك صواب القول ، بنفي المجرم الى غير بلده مع حبسه ، وأرى زيادة على ذلك قطع الاتصالات عنه ، فان ظهرت توبته ، وحسن سلوكه ، والاّ أبّد في سجنه حتى يستريح البلاد والعباد من شره .

أما قول المفسر ومن وافقه ، فهو أشدّ هذه الأقوال ، لأنه لا يزيد المجرم نفيّه الى بلاد الكفر الاّ سوءا ، ويقوي شوكته ، ويغريه بالفساد في دينه ، وعرضه ، وسلوكه . كيف لا يستنكر هذا القول ، وقد ظهر بما لا يقبل المراء ان كثيرا من أبناء المسلمين الذين لم تكن لديهم الحصانة الكافية في دينهم من المبتعثين الى بلاد الكفر يعودون في غاية من فساد الدين والخلق فمتي حارب الله ورسوله - اذا أخرج الى بلاد الكفر - كان أشد خطرا وأعظم بلاء علي الاسلام والمسلمين ، وقد يستغل من جانب الكفر ضد الاسلام .

" إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" .
- ٣٤ -

قوله : " إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيهِمْ " .

٨٨) ان جاء تائبا لم يقتطع مالا ولم يسفك دما ترك ، ذلك الذى قاله الله : " الاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم " ، يعنى بذلك : أنه لم يسفك ولم يقتطع مالا . أخرجه ابن جرير (١) ، عن المفسر ، وسعيد بن جبير ،

واعلم أن العلماء قد اختلفوا في المعنىّ بالتوبة في هذه الآية ، وما الذى تضعه التوبة عن المحارب ، اذا تاب قبل القدرة عليه . حكي ذلك الاختلاف الطبرى (٢) ، وابن العربي (٣) ، وقول المفسر ، ومن وافقه ، يسنده

---

(١) الطبرى ٦/٢٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ٦/٢٢٠ ، ٢٢٥ .
(٣) أحكام القرآن ٢/٦٠٣ .

قول مالك ، وأحمد ، والشافعي ، وأهل الرأى ، وهذا على أن المعنيّ بالتوبة ، المحاربون من المسلمين ، وانهم بتوبتهم قبل القدرة عليهم ، تسقط عنهم حقوق الله ، ويؤخذ ون بما أتلفوا من أموال وأنفس ، أو جراح فيما دون النفس، ذكره القرطبي (١) ، وابن الجوزى (٢) . وهذا هو أصوب الأقوال من وجوه . :

أولا : أن المشرك والمرتد تقبل توبته قبل القدرة عليه وبعدها ، ولا يؤخذ بشئ مما أحدث قبل التوبة ، لأن الاسلام يجب ما قبله ، وهو بذاته توبة .

ثانيا : ان حقوق الآدميين مضمونة ، فلا تسقط بالتوبة ، فتعيّن أن الآية في المحاربين من المسلمين ونظيرها قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ " (٣) .

وقد رجح ما قلناه القرطبي (٤) ، وابن العربي (٥) .

" وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ " . - ٤٨ -

قوله : " مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ " .

٨٩) كل كتاب قبله رواه ابن أبي حاتم (٦) عن ابن عباس ، وقال : " وروى عن

---

(١) القرطبي ٦/١٥٨ .
(٢) زاد المسير ٢/٣٤٧ .
(٣) البقرة آية ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
(٤) القرطبي ٦/١٥٨ .
(٥) أحكام القرآن ٢/٦٠٣ .
(٦) ابن أبي حاتم ٣/٨ ب .

سعيد بن جبير ، ومجاهد في احدى الروايات ، وعكرمة ، وعطية ، وعطاء الخراساني ، ومحمد بن كعب ، وقتادة ، والسدى ، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، نحو ذلك .

قلت : وعند القرطبي[1] عن سعيد بن جبير : " مهيمنا عليه" القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب . أ هـ . وكلا المعنيين صحيح ، فان الآية الكريمة ، متضمنة أمتنان الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - حيث أنزل عليه آخر الكتب وخاتمها ، وهو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الموصوف بأنه :

أولا : مصدق ما سبق من الكتب .

ثانيا : أمين عليها وذلك بذكر ما تضمنه من الحق ، دون زيادة ولا نقصان ، وشاهد بأنها في أصلها منزلة من عند الله ، وهذا ما جعل أولى البصائر من أهل الكتاب يسارعون الى الايمان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به ، ومن أعظم الشواهد على ذلك ما رواه الترمذى[2] ، وحسنه من طريق ابن أخي عبد الله بن سلام ، عن عبد الله بن سلام ، أن قوله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ..." الآية نزلت فيه (رضي الله عنه) .

" يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " . - ٥٤ -

قوله : " يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا " .

---

(١) القرطبي ٦ / ٢١٠ .

(٢) الترمذى " كتاب التفسير " (سورة الأحقاف) ٥ / ٣٨١ ، حديث ٣٢٥٦ .

٩٠) انما عني الله بـ : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا " : الولاة من قريش . رواه الطبرى (١) ، وابن أبي حاتم (٢) واللفظ له ، وفيه أن عمر بن عبد العزيز ، أرسل الى ابن كعب ، وكان عمر يومئذ أميرا على المدينة : يا أبا حمزة آية أسهرتني البارحة . فقال محمد بن كعب : " وما هي أيها الأمير . قال : قول الله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ... الى آخر القول .

قلت وهذا تخصيص لعموم الآية دون مخصص ، يجب التسليم به ، فمعناها خطاب الله لأهل الايمان الى قيام الساعة ، فالعدول عن ذلك خطأ ، بل تعسف ، وفي سنده عبد الله بن عياش القتباني (٣) ، فهو وان كان صدوقا الا أنه يغلط وشيخه أبوصخر ، وقد نبهنا عليه فيما سبق .

قوله : " مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ "

٩١) من يرتد عن الحق . رواه ابن أبي حاتم (٤) مستقلا بهذا اللفظ ، عن المفسر ، ورواه الطبرى (٥) ، عنه ، ضمن القصة في الأثر السابق ، فالمعنى على ما أورده ابن أبي حاتم صحيح ، لأن مفاده العموم ، وهو ظاهر الآية الكريمة ، ومعناها خطاب الله لعباده المؤمنين ، متوعدا اياهم بأنه اذا حدثت ردة عن دينه ، فانه جلّ وعلا ، قادر على أن يستبدل قوما آخرين ، هم خير منهم في الثبات على الايمان ، ونظير هذا قوله : " هَآ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم " (٦) .

---

(١) الطبرى ٦/٢٨٢ .
(٢) ابن أبي حاتم ٣/١٢ أ .
(٣) انظر : الملحق : رقم ٣٦ .
(٤) ابن أبي حاتم ٣/١٢ ب .
(٥) الطبرى ٦/٢٨٢ .
(٦) سورة " محمد " الآية ٣٨ .

وأما على ما أورده ابن جرير[١] ، فشأنه شأن سابقه من تخصيص الآية بالولاة من قريش ، فيكون معناها من العام الذى يراد به الخصوص ، ولا يخفى ما في ذلك من التعسف ، اذ لا حجة يجب التسليم لها تؤيد هذا التخصيص وقد نبهت على سنده في الأثر الذى قبله . فليتأمل .

قوله : " فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ " .

٩٢) هم أهل اليمن . أخرجه ابن جرير[٢] ، كما رواه عن شهر بن حوشب ، وقد اختلف أهل التأويل في المعني بهؤلاء القوم المذكورين[٣] في الآية . هل هم : أبوبكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ، ممن أسلموا على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ؟ ، أو هم أنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو هم أهل اليمن كما ذكر المفسر ، أو هم الأشعريون خاصة .

وليس في الثلاثة الأقوال الأولى خبر مرفوع الى النبي - صلى الله عليه وسلم - ويظهر ذلك جليا بتتبع أسانيدها فى حكاية ابن جرير لها . أما آخر الأقوال فقد رجحه الطبرى[٤] ، واحتج له فقال : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما روى به الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم أهل اليمن قوم أبى موسى الأشعرى ، ولولا الخبر الذى روى في ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالخبر الذى روى عنه ، ما كان القول عندى في ذلك الا قول من قال : " هم أبوبكر وأصحابه ، وذلك أنه لم يقاتل قوما كانوا أظهروا الاسلام على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم ارتدوا على أعقابهم كفارا ، غير أبي بكر ومن كان معه ، ممن قاتل أهل الردة معه بعد رسول الله - صلى الله

---

(١) الطبرى ٦ / ٢٨٢ .
(٢) المصدر نفسه ٦ / ٢٨٥ .
(٣) المصدر نفسه ٦ / ٢٨٢ .
(٤) المصدر نفسه ٦ / ٢٨٥ .

عليه وسلم ـ ولكنا تركنا القول في ذلك للخبر الذى روى فيه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان صلى الله عليه وسلم معدن البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآى القـــرآن .

فان قال قائل :" فان القوم الذين ذكر الله أنه سيأتي بهم عند ارتداد من ارتد عن دينه ، ممن كان قد أسلم على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هم أهل اليمن ، فهل كان أهل اليمن أيام قتال أبي بكر أهـــل الردة ، أعوان أبي بكر على قتالهم ، حتى تستجيز أن توجه تأويل الآية الى ما وجهت اليه ، أم لم يكونوا أعوانا له عليهم ؟ فكيف استجزت أن توجه تأويـــل الآية الى ذلك وقد علمت أنه لا خلاف لوعد الله ؟ .

قيل له : ان الله تعالى ذكره لم يعد المؤمنين أن يبدلهم بالمرتديـــن يومئذ خيرا من المرتدين ، لقتال المرتدين ، وانما أخبر أنه سيأتيهم بخـــير منهم بدلا منهم بعد فعل ذلك بهم قريبا غير بعيد ، فجاء بهم على عهد عمر فكان موقعهم من الاسلام أحسن موقع ، وكانوا أعوان أهل الاسلام وأنفع لهـــم ممن كان ارتد بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من طغـام أهـــل الاعراب ، وجفاه البوادى ، الذين كانوا على أهل الاسلام كلالا نفعا " أ هـ .

قلـت : ومع هذا الاحتجاج منه ـ رحمه الله ـ فلا أرى مسوغا للعـدول عما تفيده الآية من العموم ، وما ذكره من سبب النزول له أولوية الدخول .

" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ " . ـ ٦٧ ـ

قولـه :" وَاللَّـهُ يَعْصِمُـكَ مِنَ النَّـاسِ " .

٩٣) كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتحارسه الصحابة ، فأنزل اللـه : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ..." الى آخرهـــا .

رواه ابن جرير[١] بهذا اللفظ ، عن هناد بن السرى ، عن وكيع ، عن عاصم ابن محمد[٢] ، عن القرظى ، وله رواية أخرى عنده مختصرة عن عمرو بن عبد الحميد[٣] ، عن سفيان ، عن عاصم .

٩٤) " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة ظليلة ، فيقيل تحتها ، فأتاه اعرابي ، فاخترط سيفه ، ثم قال : " من يمنعك منى ؟ قال الله ، فرعدت يد الأعرابي ، وسقط السيف منه قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه " . فأنزل الله :" وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" . أخرجه البغوى[٤] ، وابن جرير واللفظ له ، وكلاهما من طريق أبي معشر ، وقد انقسمت هذه الأخبار في مضمونها الى قسمين :

الأول : حراسة النبي - صلى الله عليه وسلم - من قبل أصحابه ، حتى نزول آية المائدة هذه ، كما دل عليه الروايتان عند الطبرى ، من طريق عاصم ابن محمد ، فما كان منها من رواية هناد ، فصحيح السند الى القرظى ، وكذا ما كان من رواية عمرو بن عبد الحميد ، فرجاله ثقات ، غير أني لم أقف على ترجمة عمرو بن عبد الحميد ، شيخ الطبرى ، وكلا الأثرين مرسل ، وبنحو ما جاء فيهما أخرجه ابن جرير[٥] ، عن عائشة ، ومجاهد ، وسعيد ابن جبير ، وغيرهم من السلف .

الثاني : دلت رواية أبي معشر على أن سبب النزول لهذه الآية ، قصة جرت للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا الخبر مع ضعفه وارساله ، فانه

---

(١) الطبرى ٦ / ٣٠٨ .
(٢) تقدم ص ٣٤ .
(٣) عمرو بن عبد الحميد . الملحق رقم ٥٣
(٤) البغوى ٦ / ٥٢ .
(٥) الطبرى ٦ / ٣٠٧ .

مخالف ما أخرجه البخارى [١]، من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - ولفظه :" أنه غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل نجد فلما قفل معه ، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجرة وعلق بها سيفه ، ونمنا نومه ، فاذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعونا ، واذا عنده اعرابي ، فقال ان هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت، وهو في يده صلتا ، فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله " ثلاثا) ولم يعاقبه وجلس" . أ هـ .

فان قال قائل :" هل جاء في سبب نزول الآية خبر عن غير القرظي ؟. قلنا : قد روى الواحدى [٢]، عن ابن عباس . قال :" كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرس ، وكان يرسل معه أبوطالب كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه ، حتى نزلت عليه هذه الآية :" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ" ... الى قوله :" وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" . قال : فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه . فقال : يا عم ان الله تعالى قد عصمني من الجن والانس،

وكما روى الطبرى [٣]، عن ابن جريج قال :" كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يهاب قريشا ، فلما نزلت :" وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" ، استلقى ثم قال : من شاء فليخذلني (مرتين أو ثلاثا) " . لكن كلا الأثرين لا يصلح سببا لنزول هذه الآية ، فالأول : في سنده النضر بن عبد الرحمن [٤]، متروك الحديث ، والثاني : مرسل كما ترى . وعلى هذا فالآية - كما هو الظاهر من عمومها - وعد بعصمة الله رسوله وحمايته من كل كيد .

---

(١) البخارى " كتاب الجهاد " (باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة) . ٣٢/٤ ، حديث ٢٩١٠ .

(٢) أسباب النزول ١٩٦ .

(٣) الطبرى ٣٠٨/٦ .

(٤) النضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز ، متروك من السادسة ، التقريب : ٢٠٢/٢ .

" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . - ٧٢ - لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " . - ٧٣ -

٩٥) لما رفع الله عيسى بن مريم ، اجتمع من علماء بنى اسرائيل مئة رجل، فقال بعضهم :" أنتم كثير نتخوف الفرقة ، أخرجوا عشرة ، فأخرجوا عشرة ، ثم قالوا : أنتم كثير نتخوف الفرقة ، أخرجوا عشرة فأخرجوا عشرة ، ثم قالوا : أنتم كثير فأخرجوا عشرة ، فأخرجوا عشرة ، ثم قالوا : أنتم كثير ، فأخرجوا عشرة ، حتى بقى عشرة ، فقالوا : أنتم كثير ، حتى الآن ، فأخرجوا ستة ، وبقي أربعة ، فقال بعضهم : ما تقولون في عيسى ؟ فقال رجل منهم : أتعلمون انه لا يعلم الغيب الاّ الله ؟ قالوا : لا ، فقال الرجل : هو الله ، كان في الأرض ما بداله ، ثم صعد الى السماء حين بداله ، وقال الآخر : قد عرفنا عيسى ، وعرفنا أمه ، هو ولده ، وقال الآخر : " لا أقول كما يقولون ، قد كان عيسى ، يخبرنا أنه عبد الله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ، فنقول كما قال لنفسه ، لقد خشيت أن تكونوا قلتم قولا عظيما ، قال : فخرجوا على الناس ، فقالوا لرجل منهم ماذا قلت ؟ قال : قلت : هو الله كان في الأرض ما بداله ، ثم صعد الى السماء حين بداله . قال : فاتبعه عشق من الناس ، وهؤلاء النسطورية واليعقوبية ، ثم خرج الرابع فقالوا له : ماذا قلت ؟ قال : قلت : هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ، فاتبعه عشق من الناس ، فقال محمد بن كعب ، فكل قد ذكره الله في القرآن :" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ... " الآية . ثم قرأ :" وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا " . ثم قرأ :" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا " ... الى قوله :" منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون " . قال محمد بن كعب :" فهؤلاء أمة مقتصدة ، والذين قالوا : عيسى

عبد الله وكلمته وروحه ألقاها الى مريم" ذكره السيوطي (١) ، وعزاه الى ابن المنذر وهو غير مسند ، فالحكم عليه من حيث سنده متعذر لفقد تفسير ابن المنذر، فيبقى الحكم على الأثر من حيث متنه ، وقد تضمن من الأخبار ما يستدعي التوضيح وبسط القول ، واليك بيان ذلك :

أولا : حكاية اجتماع علماء بني اسرائيل ، وأظن أنه يعني النصارى ، ثم اخراج المجتمعين عشرة عشرة ، حتى انتهى الأمر الى أربعة ، يغلب على ظني أن هذا الخبر من الاسرائيليات ، ومثل ذلك يحتاج الى نص ثابت ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى يحكم بصحته ، والا كان وأمثاله مما يمكن الاستغناء عنه ، اذ لا فائدة من ذكره ، والاكتفاء بما جاء في التنزيل من افتراق النصارى في نبي الله عيسى - عليه السلام- وتبديل شريعته متعين ، ومن ذلك التبديل قولهم :" ان الله ثالث ثلاثة " ، أو "أن الله هو المسيح ابن مريم " ، أو " المسيح ابن الله".

ثانيا : قوله حكاية عن الأربعة الذين وقع عليهم الاختيار ، للقول في شأن عيسى - عليه السلام - بعد رفعه حين خرجوا الى الناس فقالوا لرجل منهم : ماذا قلت ؟ قال : قلت : هو الله ،كان في الأرض ما بداله ثم صعد الى السماء حين بداله ،قال : فاتبعه عنق من الناس وهؤلاء النسطورية واليعقوبية " أ هـ .

والذى أراه لتوضيح هذه المسألة ، اذ أن الخبر خلط بين معتقد طائفتين من النصارى ،احداهما لم تكن معروفة الا بعد المفسر ، نقل تعريف تينك الطائفتين ومعتقد كل منهما عن الامام الشهرستاني (٢) :

١) النسطورية : أصحاب نسطور الذى ظهر في زمان المأمون ، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه واضافته اليها اضافة المعتزلة الى هذه الشريعة . قال :" ان الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ،والعلم ،

---

(١) الدر المنثور ٦ / ١٢٢ .
(٢) الملل والنحل ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ، ولا هي هو ، واتحدت الكلمة بجسد عيسى - عليه السلام - لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ، ولا على طريق الظهور كما قالت اليعقوبية ، ولكن كاشراق الشمس في كوه على بلورة ، وكظهور النقش في الشمع ، اذا طبع بالخاتم .

انتهى مختصراً على محل الغرض .

٢) اليعقوبية : أصحاب يعقوب . قالوا بالأقانيم الثلاثة ، كما ذكرنا ، الاّ أنهم قالوا : " انقلبت الكلمة لحما ودما ، فصار الاله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو هو ، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم : " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ " .

فمنهم من قال : " ان المسيح هو الله تعالى ، ومنهم من قال : ظهر اللاهوت بالناسوت ، فصار ناسوت المسيح ، فظهر الجوهر لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة ، بل صار هو هو ، وهذا كما يقال ظهر الملك بصورة انسان " ، أو "ظهر الشيطان بصورة حيوان " .

وكما أخبر التنزيل عن جبريل - عليه السلام - : " فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا " ، وزعم أكثر اليعقوبية : أن المسيح جوهر واحد أقنوم واحد ، الاّ أنه جوهران ، وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين ، فجوهر الاله القديم ، وجوهر الانسان المحدث تركبا تركيبا ، كما تركبت النفس والبدن ، فصار جوهرا واحدا اقنوما واحدا ، وهو انسان كله واله كله .

انتهى مختصرا على محل الفرض .

قلت : ولا تزال النصارى الى اليوم ، بل والى قيام الساعة في افتراق وتطاحن ، ذلك ما حكاه الله عنهم في محكم تنزيله بقوله : " وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ

العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"[1] .

ويشهد لافتراقهم من السنة ما رواه أبو داود[2] ، والترمذى ، واللفظ له ، من حديث أبي هريرة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :" تفرقت اليهود على احدى وسبعين - أو ثنتين وسبعين - فرقة ، والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة " .

ثالثا : ما جاء في قول المفسر من أن الآية :" وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا " ، موهم بأن ذلك في النصارى ، وقد سبق لك القول فى الأثر رقم ٧٨ ان الآية في اليهود .

رابعا : استشهد مفسرنا لمن قال في عيسى هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ، ومن اتبعه على ذلك بقوله تعالى :" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِن رَّبِّهِم لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِم وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ... الآية " . فقال هؤلاء أمة مقتصدة الذين قالوا عيسى عبد الله وكلمته وروحه ألقاها الى مريم .

قلت : وهذا القول صحيح وسديد جدا ، لأن أولئك القوم ثبتوا على الحق ، وهدوا الى الصواب ، ونجوا من الغلو ، فكانوا بحق أمة مقتصدة .

---

(١) المائدة ١٤ .

(٢) أبو داود (كتاب السنة) " باب شرح السنة " ٤/٥ .
الترمذى " كتاب الايمان " (باب ما جاء فى افتراق هذه الأمة ٢٥/٥ .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " . - ٩٠ -

قوله : " إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ " .

٩٦) نزلت أربع آيات في تحريم الخمر : أولهن : التى في البقرة ، ثم نزلت الثانية : " ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذ ون منه سكرا ورزقا حسنا" . ثم أنزلت التى في النساء بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلى بعض الصلوات ،اذ غنى سكران خلفه ، فأنزل الله : " لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ... الآية " . فشربها طائفة من الناس وتركها طائفة ، ثم نزلت الرابعة التى في المائدة ، فقال عمر بن الخطاب : انتهينا يا ربنا . ذكره السيوطي[1] ،وعزاه الى ابن المنذر ، وفيه عدّة أمور تستدعي التأمل :

أولا : نزول أربع آيات في تحريم الخمر ،وهذا على أن آية النحل . وهى قوله : " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ..."[2] الآية"، تفيد تحريم الخمر ، وهو ضمن أقوال للأئمة عند المفسرين ، منهم : الطبرى[3] ، والقرطبي[4] ، ومن تلك الأقوال : أن الآية جاءت في معرض الامتنان من الله على عباده ، ومن ذلك اتخاذ هم السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب .

قال ابن كثير : " ولما ذكر اللبن ، وأنه تعالى جعله شرابا للناس سائغا ، ثنى بذكر ما يتخذه الناس من الأشربة من ثمرات النخيل

---

(١) الدر المنثور ٧ / ١٦٥ .
(٢) سورة النحل ٦٧ .
(٣) الطبرى ١٤ / ١٣٤ : ١٣٦ .
(٤) القرطبي ١٠ / ١٢٨ - ١٣٢ .
(٥) ابن كثير ١٤ / ٥٩٦ .

والأعناب ، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر ، قبل تحريمه ، ولهذا أمتن به عليهم فقال : " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا " ، دلّ على اباحته شرعا قبل تحريمه ، ودلّ على التسوية بين السكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعي ، وأحمد ، وجمهور العلماء .

قلت : وهذا القول سائغ جدا ، فيما أرى ، فلو كانت الآية مفيدة التحريم ما استمر الناس على شرب الخمر حتى نزول آية المائدة .

ثانيا : ذكره أن أول آية نزلت في تحريم الخمر التي في البقرة يعني : " يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ... (١) الآية " ، ثم آية : " مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا " . فهو وهم منه ، لأن آية البقرة مدنية ، وآية النحل مكية ، باتفاق العلماء ، كما نقله القرطبي (٢) . فتأمل ذلك .

ثالثا : ما ذكره من سبب نزول قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ... الآية " ، يخالف ما نقله الأئمة ، ومنهم : الواحدي (٣) ، وابن جرير (٤) ، " أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا أناساً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فطعموا وشربوا وحضرت صلاة المغرب ، فتقدم بعضهم فصلى بهم المغرب فقرأ : " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ " ، فلم يقمها ، فأنزل الله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ " أ هـ .

رابعا : فيكون تدرج التشريع الحكيم في الخمر على النحو التالي :

---

(١) البقرة ٢١٩ .

(٢) القرطبي ١٠ / ١٣٤ : ١٣٦ .

(٣) الواحدي ١٤٦ .

(٤) الطبري ٥ / ٩٥ .

١) الامتنـــان ، وهذا مفاده الاباحة ،كما دلت عليـه آية النحـل .

٢) التعـريض ،وان ضررها أكثر من نفعـها ، كما أفادته آية البقـرة .

٣) نهي من كان سكران عن قربان الصلاة ، حتى يكون على وعي وادراك مما يقوله في صلاته ويفعله فيهـــا .

٤) التحريم البته ، كما أفادته آية المائدة .

ويدل لهذا التدرج ،ما رواه أبو داود (١) ، والواحدى (٢) ، وغيرهما واللفـظ للـواحدى ، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال :" اللهم بيّن لنا فـي الخمر بيانا شافيـا . فنزلت الآية التى في البقرة :" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْـــرِ وَالمَيسِـرِ" ـ. فدعى عمر ، فقرئت عليه ،فقال : اللهم بيّن لنا في الخمر بيانـا شافيا ، فنزلت الآية التى في النساء :" يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصـلاة وأنتم سكارى " ، فكان منادى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا أقـــام للصلاة ،ينادى : لا يقربن الصلاة سكران ،فدعى عمر فقرأت عليه ،فقال : "اللهم بيّن لنا في الخمر بيانا شافيا ، فنزلت هذه الآية :"إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيسِرِ" ،فدعى عمر فقرأت عليه ، فلما بلغ :" فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ" ،قال عمر : " انتهينا انتهينا أ . هـ .

قولـــــه : " وَالمَيْسِـــــرِ " .

٩٧) كانوا يشترون الجزور فيجعلونها أجزاء ، ثم يأخذون القداح فيلقونها وينادى : يا ياسر الجذور . يا ياسر الجزور . فمن خرج قدحه أخذ جـــزءا بغير شئ ،ومن لم يخرج قدحه غرم ،ولم يأخذ شيئا .

ذكره السيوطي (٣) ،وعزاه الى ابن المنذر ،وهذا الأثر وان كان صحيحـــا

---

(١) أبوداود (كتاب الأشربة) " باب اتحريم الخمر " ٤ / ٧٩ .

(٢) الواحـــدى ١٤٦ .

(٣) الدر المنثـــور ٧ / ١٧٠ .

في معناه ، الاّ انه يحتاج الى توضيح ، وذلك في أمريـــن :

الأمـــر الأول :

في تعريف الميســـر . قال في الصحاح [1] : " الميسر قمار العـــرب بالأزلام " ، " والياسر : اللاعب بالقداح " . أ هـ .

الأمـــر الثاني :

في كيفيتـــه . قال القرطبي [2] : " كانوا يشترون الجزور ، ويضربـــون بسهامهم ، فمن خرج سهمه ، أخذ نصيبه من اللحم ، ولا يكون عليه من الثمن شئ ، ومن بقي سهمه آخرا ، كان عليه ثمنا لجزور كله ، ولا يكون له من اللحـم شئ . أ هـ .

قلـــت : وهذا أوضح من كلام المفسر ، ولا يخفى أن الميسر محرم ، كمـــا دلت عليه هذه الآيـــة .

"إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ".

- ١١٠ -

قولـــه : "بِرُوحِ الْقُـــدُسِ " .

---

(١) الصحـــاح ٢/٨٥٧ : ٨٥٨ .

(٢) القرطـــبي ٣/٥٧ .

٩٨) جبريل . رواه ابن أبي حاتم[١] ، عن عبدالله ، وأظنه ابن مسعود، ثم قال :" وكذا روى عن محمد بن كعب القرظى ، وقتاده ، وعطيه العوفي، والسدى ، والربيع بن أنس ، واسماعيل بن أبي خالد ، مثل ذلك .

قلت : رواه الطبرى[٢] ، عند تفسير قوله تعالى :" وَآتينا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ البيِّناتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ ... الآية " . عن المذكورين - دون محمد ابن كعب - وزاد الضحاك - . ورجحه[٣] فقال : " وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال : الروح في هذا الموضع جبريل ، لأن الله - جل ثناؤه - أخبر أنه أيّد عيسى به ، كما أخبر في قوله :" إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّورَاةَ وَالإِنْجِيلَ " . فلو كان الروح الذى أيّده الله به ، هو الانجيل ، لكان قوله :" اذ أيدتك بروح القدس، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، تكرير قول لا معنى له . أ هـ .

انتهى محل الغرض منه .

وأرى أن ما اختاره على ما سواه من الأقوال[٤] ، واستدل له بظاهر النظم الكريم لا مزيد عليه .

* * *

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ٤٦ ب .
(٢) الطبرى ١ / ٤٠٤ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٤٠٥ .
(٤) المصدر نفسه ١ / ٤٠٣ : ٤٠٥

" قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ " . - ١٩ -

٩٩) قوله : " وَمَنْ بَلَغَ " .

من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قرأ : (وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ) .

أخرجه البغوى (١) ، والطبرى (٢) ، وابن أبي حاتم (٣) . واللفظ له من طريق موسى بن عبيدة الزبدى .

١٠٠) من بلغه القرءان فقد أبلغه محمد - صلى الله عليه وسلم - . رواه الطبرى (٤) ، وعبد الرحمن (٥) ، في تفسير مجاهد ، كلاهما من طريق أبي معشر ، وهذان الأثران ، وان كانا ضعيفي الاسناد ، لأنهما اما من طريق موسى ابن عبيدة ، أو أبي معشر ، كما ترى ، الا أن معناهما صحيح ، لأن المعنى من بلغه القرآن وعقله فقد بلغته رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا ما يرشد اليه ظاهر الآية .

وبنحوه قال ابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيد ، والسدى ، أخرجه عنهم الطبرى .

---

(١) البغوى ٧ / ٨٩ .

(٢) الطبرى ٧ / ١٦٢ .

(٣) ابن أبي حاتم ٣ / ٦١ / أ .

(٤) الطبرى ٧ / ١٦٣ .

(٥) تفسير مجاهد ١ / ٢١٣ .

" وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ". - ٢٦ -

قولـه : " وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ " .

١٠١) ينهون عن قتله . رواه ابن أبي حاتم[1] ضمن أقوال المفسرين المختلفة ، في الناهي والمنهي عنه . هل الناهي أبوطالب عن ايذاء النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ أو المشركون ينهون الناس عن اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ أو قريش ينهون عن الذكر وعن القرآن والنبي - صلى الله عليه وسلم -؟ ، أو أن الناهي هم عمومة النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ ، وانهم أشد الناس معه في العلانية ، وأشد الناس عليه في السر .

روى هذه الأقوال الطبرى[2] - دون قول المفسر - وبكل منها قال جماعة ، فبنحو قول مفسرنا قال ابن عباس فيما رواه حبيب بن أبى ثابت[3] ، عن سعيد ابن جبير ، عنه . صرح بذلك الواحدى[4] ، وهو قول عطاء بن دينار ، والقاسم ابن مخيمره[5] .

والقول بأن الناهي هم عمومة النبي - صلى الله عليه وسلم - انهم كانوا أشد الناس معه في العلانية ، وأشد الناس عليه في السر ، قول ضعيف ، لأنه من رواية ابن لهيعة ، وقد سبق التنبيه على سبب ضعفه ، وقول المفسر وما شابهه وان كان له وجه فمرجوح لأمرين :

أولا : ظاهر النظم الكريم ، فان الله تعالى فيما قصه عن المشركين عموما في هذه الآية والتى قبلها ، انهم كانوا بمحض الكبرياء والعناد يجادلون

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ٦٣ / ب .
(٢) الطبرى ٧ / ١٧٢ : ١٧٣ .
(٣) انظر : الملحق رقم ١٦٩
(٤) الواحدى ٢٠٩ / ٢ : ٢١٠ .
(٥) انظر : الملحق رقم ٤٥ ، ٥٧ .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلين ان ما جاء به أساطير الأولين ، أى قصص وحكايات الأمم الماضية ، وهم مع ذلك جادون في النهي عن اتباعه ، وعن الايمان به ، فلا معنى اذا لقصر الناهي على أبي طالب كما أنه لا معنى لقصر المنهي عنه في أذية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو قتله .

ثانيا : ان الناهي هم المشركون ، والمنهي عنه اتباع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو هوالقرآن ، أو هو الذكر ، أقوال غير متنافية مع ظاهر النظم الكريم ، كما قدمنا ، وبها قال جمهور المفسرين ، فيما حكاه ابن جرير[(١)] ، وابن أبي حاتم[(٢)] وغير واحد .

قوله : " وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ " .

١٠٢) لا يتبعونه . رواه ابن أبي حاتم[(٣)] ، وقال ابن قتيبة[(٤)] : " ينأون " ، أى يبعدون . وقال الرازى[(٥)] : (ان أى ـ " نآه " و " نأى" عنه ينأ بالفتح ، " نأيا" بوزن فلس أى بعد) . أ . هـ .

قلت : وقد اتفق المفسرون على هذا لفظا ، أو معنى كما حكاه الطبرى[(٦)] ، وابن أبي حاتم ، وغير واحد ، وانما كان الاختلاف في المنئى عنه . هل هو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ ، أو القرآن ؟ ،

وعندى أن الأول أظهر وان كان القولان لا يتنافيان ، لكن المعروف من

---

(١) الطبرى ٧ / ١٧٢ : ١٧٣ .
(٢) ابن أبي حاتم ٣ / ٦٣ / ب .
(٣) المصدر نفسه ٣ / ٦٤ / أ .
(٤) تفسر غريب القرآن ١٥٢ .
(٥) مختار الصحاح ٦٤٢ (مادة نأى) .
(٦) الطبرى ٧ / ١٧٢ : ١٧٣ .

نهج المشركين أنهم كانوا يبتعدون عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى لا يسمعوا منه ، فيسحرهم على حد زعمهم ، ويلزم من ذلك بعدهم من القرآن .

وبنحو ما جاء عن القرظي قال ابن عباس ، وقتادة ، والسدى ، ومجاهد ، رواه ابن جرير[(١)] في جماعة من أهل التفسير .

" قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ " . ـ ٣٣ ـ

قوله : " فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ "

١٠٣) لا يبطلون ما في يديك . رواه ابن أبي حاتم[(٢)] ، والطبرى[(٣)] ، وهذا القول عن مفسرنا مخرّج على احدى القراءتين[(٤)] عندهما ، وهي قراءة التخفيف ، كما صرح بذلك ابن أبي حاتم ، عند روايته هذا الأثر ، والقراءة الثانية ، هي التشديد : " لا يكذّبونك " ، وكلتا القراءتين لمعناها وجه في العربية .

قال ابن قتيبة[(٥)] : (فانهم : " لا يُكْذِبُونَكَ " أى لا ينسبونك الى الكذب ، ومن قرأ : " لا يكذبونك " أراد : لا يلفونك كاذبا) أ . هـ .

قلت : فعلى هذا فقول مفسرنا صحيح المعنى ، لكن يترجح عندى المعنى على قراءة التشديد ، لأن المعروف من حال قريش أنهم كانوا يسمون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأمين ، لما عرفوا من صدقه ، ولمّا بعث اليهم أنكروا ما جاء به ، فهم لا يكذبونه في نفس الأمر ، ولكن يجحدون ما جاء به

---

(١) الطبرى ٧ / ١٧٢ : ١٧٣ .

(٢) ابن أبي حاتم ٣ / ٦٦ / أ .

(٣) الطبرى ٧ / ١٨٢ .

(٤) قرأ بالتخفيف : نافع والكسائى ، وشدد : الباقون .
انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٤٣٠ .

(٥) تفسير غريب القرآن ١٥٣ .

مكابرة وعنادا ، وقد أورد ابن جرير[1] ، والواحدى[2] ، آثارا محكية عن أبي جهل ، والأخنس بن شريق ، تشهد لما قلنا .

" إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ . - ٧٩ -

" قوله : " حَنِيفاً " .

١٠٤) الحنيف : المستقيم . رواه ابن أبي حاتم .[3]

سبق دراسته بالأثر رقم (١٦) .

" وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " . - ٨١ -

قوله : " مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً " .

١٠٥) كل سلطان في القرآن حجة . رواه ابن أبي حاتم[4] ، عن ابن عباس ، ثم قال : وروى عن أبي مالك ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، والضحاك ، والسدى ، ونضر بن عدى مثله .[5]

سبق دراسته في الأثر رقم(٧٣) .

" وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ - ٨٤ - وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ " . - ٨٥ -

قوله : " وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ " .

---

(١) الطبرى ٧ / ١٨٠ .

(٢) الواحدى ١ / ٢ .

(٣) ابن أبي حاتم ٣ / ٨٦ / أ .

(٤) المصدر نفسه ٣ / ٨٦ / ب .

(٥) انظر : الملحق رقم ٨١

١٠٦) الخال والد ، والعم والد ، نسب الله عيسي الى أخواله . فقال : " ومن ذريته " ، حتى بلغ قوله :" وزكريا ويحي وعيسي والياس كل من الصالحين " .

رواه ابن أبي حاتم [١] ، من طريق موسى بن عبيدة ، وقد مضى أوله في تفسير سورة البقرة [٢] . وفيه ـ كما ترى ـ التصريح بنسبة عيسى ـ عليه السلام ـ الى أخواله ، وهم آل أمه ، بنو اسرائيل ، يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، ـ عليهم جميعا الصلاة والسلام ـ وهذا القول أعنى نسبة المسيح الى أخواله صحيح ، لا اشكال فيه ، وسواء قلنا مرجع الضمير في قوله :" ومن ذريته" الى نوح ، لأنه أقرب المذكورين ، أو الى ابراهيم ، فان نسب الجميع ينتهى الى نوح ـ عليه السلام ـ فمريم ابنة عمران ، والدة المسيح ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينتهى نسبها الى سليمن بن داود ، ونسبة ينتهى الى ابراهيم هذا من الناحية التاريخية كما نقله ابن كثير [٣] .

ويشهد لقول مفسرنا في النسبة الى الأخوال ما رواه البخارى عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال :" دعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأنصار ، فقال: " هل فيكم أحد من غيركم ؟ . فقالوا :" لا الا ابن أخت لنا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" ابن أخت القوم منهم " . أ . هـ . [٤]

" وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ٨٨ /ب.

(٢) الأثر رقم (١٤) .

(٣) البداية والنهاية : قصة الخليل ١ / ١٣٢ .
قصة مريم ٢ / ٥٢ .
قصة داود ٢ / ٩ .

(٤) رواه البخارى ، كتاب المناقب ، باب ابن أخت القوم منهم ، ومولى القوم منهم ٤ / ١٤٥ ، حديث ٣٥٢٨ .

أَنْزَلَ الكِتَـــابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَـا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُـــونَ " . - ٩١ -

قولـــه : " وَمَا قَـدَرُوا اللَّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ " .

١٠٧) جاء ناس من يهود ، الى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو محتـب، فقالوا : " يا أبا القاسم : ألا تأتينا بكتاب من السماء ، كما جاء به موسى ألواحـا يحملها من عند الله ، فأنزل الله : (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِـــمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً (١) ... الآيـة"، فجئـا رجل من يهود فقال : ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيســي ولا على أحد شيئا ، فأنـزل اللـه : " (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) " .

قال محمد بن كعب: " ما علموا كيف الله اذ قالوا : (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَـــى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ) ، (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا) ، فحل رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - حبوتـه ، وجعل يقول : ولا على أحـــد ؟ .

رواه ابن أبي حاتم (٢) - مختصر - ، والطبرى (٣) ، واللفظ له ، وكلاهما مـــن طريق أبي معشر ، وهو ضمن أقوال عديدة أخرجها عن المفسرين في الآيـــة ، وفيـــه مسألتـــان :

احداهمـــا :

راجعة الى المعنى ، والأخرى الى السبب في نزول الآية فما يتعلـــق بالمعني قوله : (ما علموا كيف اللـــه)؟.

---

(١) النســـاء ١٥٣ .

(٢) ابن أبي حاتم ٣ / ٩٠ / ب .

(٣) الطـــبرى ٧ / ٢٦٧ .

قلـــت : وهذا المعنى صحيح[1]، ويوافقه ما اختاره ابن جرير، قـــال : (وما أجلّوا الله حق اجلاله ، ولا عظموه حق تعظيمه) : " اذ قالوا ما أنـــزل الله على بشر من شئ " . يقول حين قالوا : " لم ينزل الله على آدمي كتابـــا ولا وحيـــا" . أ . هـ .

المسألة الثانيـــة :

فيمن نزلت الآية ، فان قول مفسرنا ، وان كان مرسلا ضعيف الاسنـــاد ، الاّ أنه يدل له أمـــران :

الأول : تضمن الآية خطابا لا يمكن توجيهه بحال من الأحوال الى غير اليهود . قال تعالى : (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَا لَم تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَآ آبَآؤُكُم قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُم فِي خَوضِهِم يَلْعَبُونَ " .

فهل كان مشركوا قريش يخفون كثيرا من التوراة ويبدون بقيته قراطيس ؟ !

الثاني : ان هذا القول ، هو قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، في أكثر المفسرين ، ولا ينافيه قول من قال ان الآية نزلت في مالك بن الصيـــف ، أو فنحاص ، فكلا الرجلين من اليهود .

" وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُم وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاؤُا لَقَد تَّقَطَّعَ بَينَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُـــونَ " . - ٩٤ -

قوله : " وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... الآيـــة " .

١٠٨) قرأت عائشة - زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قول الله : (وَلَقَـــدْ

---

(١) الطـــبرى ٧ / ٢٦٦ .

جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) ، فقالت : " واسوأتاه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوأة بعض "، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لكل منهم يومئذ شأن يغنيه ، لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال ، شغل بعضهم عن بعض ".

رواه الطبرى (١) ، من طريق مفسرنا ، عن عائشة - رضي الله عنها - بهذا اللفظ ، والحديث رواه مسلم (٢) عنها ، من طريق القاسم بن محمد ، كما رواه النسائى (٣) ، من طريقه ، ومن طريق عروة ، وليس في شئ من هذه الطرق أن عائشة قرأت على النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية .

وما أرى هذه الزيادة الا من أوهام ابن زيد ، وهو عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، فانه ضعيف ، والمعول عليه في هذا الحديث ما ذكرناه من رواية الثقات ، فهي المحفوظة ، ورواية المفسر شاذة ، لما ذكرناه من ضعف ابن زيد .

" وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " . - ٩٧ -

قوله : " وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا " .

١٠٩) والله ما في النجم موت أحد ، ولا حياته ، انما جعل الله - عز وجل - النجوم زينة ورجوما للشياطين .

١١٠) وقال : " والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء من نجم ، ولكن يتبعون الكهنة ويتخذون النجوم علة . أخرجهما أبوالشيخ (٤) . وهذان الأثران

---

(١) الطبرى ٧ / ٢٧٨) .

(٢) مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب فناء الدنيا وبيان يوم الحشر ٤ / ٢١٩٤ ، حديث ٢٨٥٩ .

(٣) النسائي ، كتاب الجنائز ، باب البعث ٤ / ١١٤) .

(٤) العظمة (ذكر النجوم) ٦٣ .

وان كان اسناد هما ضعيفا ، لأن الأول من رواية ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، والثاني من طريق عمر بن عبد الله المدني ، مولى غفره ، الا أنهما صحيحان في المعنى ، ويتضمنان ثلاثة أمور لكل منها شاهد :

الأمر الأول : الحكمة التي خلق الله من أجلها النجوم ، فقد دل الكتاب الكريم ، أنها تنحصر في ثلاثة أشياء : **أولها** : علامات يهتدى بها المسافرون برا وبحرا ، كما في هذه الآية ونظيرها قوله : " وَعَلَامَاتٍ ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ "(١) .

وثانيها : زينة للسماء .

وثالثها : رجوما للشياطين .

وفي هذين ، يقول جلّ ذكره : " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ، وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ "(٢) . فاعتقاد غير ذلك في الكواكب خطأ ، وتكلف ، وضلال عن سواء السبيل .

الأمر الثاني : الانكار على من يعتقد أن للكواكب تأثيرا في حياة البشر ، كما كان يعتقد أهل الجاهلية عند الرمي بالشهب ، فيقولون ولد الليلة عظيم ، ومات رجل عظيم ، وقد صحّ الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن هذا الاعتقاد فاسد ، ولا أصل له ، ويدل عليه ما جاء من حديث ابن عباس(٣) - رضي الله عنهما - قال : " أخبرني رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأنصار ، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رميّ بنجم فاستنار . فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ماذا كنتم تقولون في الجاهلية اذا رومي بمثل هذا ؟ . قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول ولد الليلة عظيم ومات رجل عظيم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى

---

(١) النحل ١٦ .
(٢) الملك ٥ .
(٣) مسلم ، كتاب السلام ، باب ٣٥ تحريم الكهانة واتيان الكهان ٤ / ١٧٥٠ .

أسمه اذا قضي أمرا سبح حملة العرش ... الحديث" .

وثالث ما تضمنه الأثران من الأمور : ذم الكهانة ، وهي كما ذكرها الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي . ثلاثة أضرب :

(**أحدها** : يكون للانسان وليّ من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء ، وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم.

والثاني : أنه يخبر بما يطرأ ، أو يكون في أقطار الأرض ، وما خفيّ عنهما قرب أو بعد ، وهذا لا يبعد وجوده .

والثالث : المنجمون ، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما ، لكن الكذب فيه أغلب ، ومن هذا الفن العرافة ، وصاحبها عرّاف ، وهو الذى يستدل على الأمور ، بأسباب ، ومقدمات ، يدعي معرفته بها .

وهذه الأضرب كلها تسمى الكهانة ، وقد أكذبهم كلهم الشرع ، ونهي عن تصديقهم واتيانهم[1] أ . هـ .

قلت : ويدل لما قاله الشيخ ، ماصح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تكذيب الكهان ، ووعيد من يأتيهم ، فمن الأول حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : يا رسول الله ان الكهان كانوا يحدثوننا بالشئ فنجده حقا . قال :" وتلك الكلمة من الحق ، يخطفها الجن فيقذفها فى أذن وليه ، ويزيد فيها مائة كذبة "[2] . أ . هـ . ومن الثاني حديث صفية ، عن بعض أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :" من أتى عرّافا فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"[3].

---

(١) مسلم ، كتاب السلام ، باب ٣٥ تحريم الكهانة حاشية (١) ٤ / ١٧٤٩ .

(٢) البخارى ، كتاب الطب ، باب ٤٦ الكهانة ٧ / ١١٧ ، حديث ٥٧٦٢ .
ومسلم ، كتاب السلام ، باب ٣٥ تحريم الكهانة ٣ / ١٧٥٠ .

(٣) مسلم ، كتاب السلام ، باب ٣٥ تحريم الكهانة واتيان الكهان ٤ / ١٧٥١ .

" وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ . فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " . - ٩٩ -

قوله : " انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ " .

(١١١) رطبه وعنبه . أخرجه ابن أبي حاتم (١) ، وفيه تفسير الثمر بالرطب والعنب ، وهذا مبني على أن مرجع الضمير في قوله : " انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ " الى النخل والعنب . وفيما أرى أن ذلك قصور من غير تخصيص سائغ ، فبالرجوع الى مضمون الآية الكريمة نجد أنها قد تضمنت أمرين :

الأول : دلائل قدرة الله ، وبديع صنعه بما أنزل لعباده من السماء من الماء ، وما أخرج لهم به من طيب المزروعات والفواكه ، ومنها النخل ، والعنب ، والزيتون ، والرمان ، وهي من أفضل المأكولات ، ولهذا تميّزت بالذكر .

الأمر الثاني : أنه أمر عبادة بالنظر الى ثمر تلك الأشياء ، التي امتن بها عليهم ، فقال : " انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه " . وهذا الأمر للاعتبار ، فلا دعوى لتخصيص بعض المذكورات دون بعض ، حتى يرجع الضمير اليها ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ، وَالنَّخْلَ ، وَالزَّرْعَ ، مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " . (٢)

وفي سند المفسر موسى بن عبيدة الزبذي ، ويبدو أن هذا القصور بسببه . فليتأمل .

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ٩٨ / أ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤١ .

" وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا . قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ " . - ١٠٩ -

١١٢) قالت قريش : يا محمد انك تخبرنا أن موسى - عليه السلام - كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه الماء اثنتى عشرة عينا ، وتخبرنا أن عيسى - عليه السلام - كان يحيّ الموتى ، فأتنا من الآيات حتى نصدقك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أى شئ تحبون ؟ فقالوا : " تجعل لنا الصفا ذهبا ، وابعث لنا بعض موتانا حتى نسأله عنك ؟ أحق ما تقول ؟ أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فان فعلت بعض ذلك أتصدقونني ؟ قالوا : نعم . والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون ، وسأل المسلمون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا ، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوا الله أن يجعل الصفا ذهبا ، فجاءه جبريل - عليه السلام - فقال له ما شئت ان شئت أصبح ذهبا ، ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم ، وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل يتوب تائبهم . فأنزل الله : " وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ... " .

رواه الطبرى (١) ، والواحدى (٢) ، والبغوى (٣) ، واللفظ له .

وهذا الأثر وان كان مرسلا ضعيف الاسناد ، الا أنه فى مجمله تشهد له الآية الكريمة ، فانه يفهم منها أن مشركى قريش طلبوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يأتيهم بما يدل على صدقه ، حتى يكون باعثا لهم على الايمان به وبرسالته ، وحلفوا على ذلك ونظيرها ما قصّه الله عنهم بقوله : " وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ

---

(١) الطبرى ٧ / ٣١١ .
(٢) أسباب النزول ٢١٨ .
(٣) البغوى ٧ / ١٢٢ .

الأَنْهارَ خِلالَها تفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفًا ، أَوْ تأْتِيَ بِاللَّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّماءِ . وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتابًا نَقْرَؤُهُ . قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً".(١)

وبنحو ما قاله مفسرنا من سؤال قريش رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الآية . قال مجاهد ، وابن جريج فيما رواه عنهم الطبرى .

أما ما تضمنه الخبر من تفصيلات ، فانى أستغنى عن الخوض فيها بما قدمته من الاشارة الى ضعف سنده وارساله ، لأن مداره على أبي معشر .

" وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ". -١١٥-

قوله : لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ " .

١١٣) لا تبديل لشئ قاله في الدنيا والآخرة . أخرجه ابن أبي حاتم(٢) ، وهو صحيح فى المعنى ، ويوافق ما رواه الطبرى(٣) ، عن قتادة ، قال : " صِدْقًا وَعَدْلاً فِيما حَكَمَ .

قلت : فان كلمات الحق جلّ ذكره ، وسواء كانت خبرا عما كان ، وما سيكون ، أو كانت أمرا ، فان قوله هو الصدق ، وأمره هو الحق ، والعدل ، فلا مغير لما أخبر به ، ولا معقب لحكمه .

" وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا . قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ ما شاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" . - ١٢٨ -

---

(١) الاسراء ٩٠ : ٩٣ .
(٢) ابن أبي حاتم ٣ / ١٠٤ / أ .
(٣) الطبرى ٨ / ٩ .

قولـــه : " رَبَّنَـــا اسْتَمْتَـــعَ بَعْضُنَـــا بِبَعْضٍ " .

١١٤) هو طاعة بعضهم بعض ، وموافقـة بعضهم بعض . رواه البغـــــوى (١) بهذا اللفظ ، ورواه ابن أبي حاتم (٢) بنحوه ، من طريق موسي بن عبيدة ، وهـذا تفسير صحيح المعنى . وشرحه : ان الله عز وجل حينما يبكّت أعداءه من الجن يوم القيامة ، يجيبه كفار الانس قائلين انهم وأولياءهم من الجن ، قد استمتـــع بعضهم ببعض - يعنى فى الدنيا - فاستمتاع الانس من الجن بما تزين لهـــم الشياطين من الكفر والضلال ، مثل السحر والكهانة ، يوضحه ما رواه الترمـذى (٣) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " كان الجن يصعدون الى السماء يسمعون الوحى ، فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقـا وأما ما زاد فيكون باطلا ... الحديث " .

وأما استمتاع الجن من الانس ، فيحصل بالتجائهم اليهم ، وذلهم لهـــم حتى انه بلغ من أمر أهل الجاهلية أنهم اذا نزلوا واديا قالوا نعوذ بسيد هـذا الوادى من شر قومه ، وذلك ما حكاه الله بقوله : " وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْـــسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا " (٤) .

وبما ذكرنا من الشواهد يتبين لك صحة ما قاله المفســـر .

قولـــه : " وَبَلَغْنَـــا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْـــتَ لَنَـــا " .

١١٥) الموت . رواه ابن أبي حاتم (٥) ، من طريق موسى بن عبيدة ، ورواه الطبرى (٦) عن ابن وهب

---

(١) البغـــوى ٨ / ١٣١ .
(٢) ابن أبي حاتم ٣ / ١٠٩ / ب .
(٣) الترمذى ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة الجن ، ٥ / ٤٢٧ .
(٤) الجـــن ٦ .
(٥) ابن أبي حاتم ٣ / ١٠٩ / ب .
(٦) الطـــبرى ٨ / ٣٤ .

قال الراغب[1] : (الأجل : المدة المضروبة للشئ ، قال تعالى :"ولتبلغوا أجلا مسمى ، أيما الأجلين قضيت" .. ويقال دينه مؤجل ، وقد أجلته جعلت له أجلا ، ويقال للمدة المضروبة لحياة الانسان أجل ، فيقال : دنا أجله ، عبارة عن دنوّ الموت ، وأصله استيفاء الأجل ، أى مدة الحياة ، وقوله تعالى : (بَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا) أى حد الموت) . انتهي محل الغرض منه .

قلت : وعلى هذا التفسير من الراغب ، وهو اختيار ابن جرير[2] ، يتضح أن لقول القرظى ، والسدى ، وجهه من حيث اللغة ، لكن الذى يرشد اليه السياق في نظرى ، أن الأجل المذكور فى الآية هو يوم القيامة ، وذلك أن كفار الجن والانس ، قالوا : تلك المقالة بعد تبكيت الله اياهم ، معترفين بذنبهم ، ولهذا أجابهم جل وعلا بقوله : (النَّارُ مَثْوَاكُمْ) .

" وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ، والنَّخْلَ والزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ". - ١٤١ -

قوله :" كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ" .

١١٦) من رطبه وعنبه . رواه الطبرى[3] .

سبق ذراسته بالأثر (١١١) .

قوله :" وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ" .

١١٧) ما قلّ منه أو كثر ، أخرجه ابن جرير[4] ضمن من قال انه يجب

---

(١) المفردات (مادة أجل) ١١ .

(٢) الطبرى ٨ / ٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ٨ / ٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ٨ / ٥٨ .

في الثمار حق غير الصدقة المفروضة ، وأولئك جم غفير من الصحابة والتابعين ، فيهم : سعيد بن جبير ، وابراهيم النخعي ، ومجاهد ، وابن عمر ، ولعله يسند قول هؤلاء الأئمة ، قوله تعالى : " وَفِيٓ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ "[1] ، فان عموم الآية يفيد أن في الأموال حقوقا سوى الزكاة ، ونظيرها قوله في المعارج : " وَالَّذِينَ فِيٓ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ "[2] .

والذي يظهر لي من هذه الآيات ، أن الله جل وعلا جعل في أموال الأغنياء حقوقا معلومة ، وتلك تشمل المقدّر ، وهو الزكاة ، وغيره مما فرضه لذوي الحاجات .

قوله : " وَلَا تُسْرِفُوا " .

١١٨) والسرف : أن لا يعطي في حق . رواه ابن أبي حاتم[3] ، ولم أقف لما فسر به الاسراف على قائل سواه ، والمعروف أن الاسراف في النفقة ، هو تجاوز الحد فيها ، كما ذكر ذلك الراغب[4] ، ولعل مفسرنا فهم من الآية أن من بخل على نفسه بأداء الواجب مسرف ، وذلك بحرمانه الثواب ، وتعرضه للعقاب . كما قال تعالى : " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ "[5] .

والأثر من رواية موسى بن عبيدة . والله أعلم .

" هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ

---

(١) الذاريات ١٩ .
(٢) المعارج ٢٤ .
(٣) ابن أبي حاتم ٣ / ١١٥ / ب .
(٤) المفردات (مادة " سرف " ٢٣٠ .
(٥) الليل ٥ : ١٠ .

ربك يوم يأتي بعض ءايات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون " . - ١٥٨ -

قوله : " يوم يأتي بعض ءايات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن ءامنت من قبل " .

١١٩) اذا جاءت الآيات لم ينفع نفسا أيمانها ، يقول : طلوع الشمس من مغربها . رواه الطبرى (١) ، من طريق أبي صخر ، ضمن أخبار كثيرة عند (٢) قوله : " أو يأتي بعض ءايات ربك " . وقوله : " يوم يأتي بعض ءايات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت قبل أو كسبت في إيمانها خيرا" . وبعض تلك الأخبار يرفعه الى النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبى ذر ، وابن عباس وأبي هريرة ، وغيرهم ، وهي بنحو ما قال مفسرنا ، وقد صح الخبر بذلك فيما رواه البخارى (٣) من حديث أبي هريرة قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها " . ثم قرأ الآية " .أهـ.

" من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها . ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون " . - ١٦٠ -

قوله : " من جاء بالحسنة " :

١٢٠) لا اله الا الله . رواه ابن أبي حاتم (٤) ، عن عبد الله بن مسعود ، ثم قال : " وروى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وعلى بن حسين ، وسعيد بن جبير ،

---

(١) الطبرى ٨/١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ٨/٩٦ : ١٠٤ .

(٣) البخارى ، كتاب التفسير : " تفسير سورة الأنعام" ٦/٤٨ حديث ٤٨٣٦ .

(٤) ابن أبي حاتم ٣/١٢٩/أ .

والحسن ، وعطاء ، ومجاهد ، وأبي صالح ذكوان [١] ، ومحمد بن كعب القرظي ، والنخعي ، والضحاك ، والزهرى ، وعكرمة ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، نحو ذلك .

١٢١) قوله : " مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ " :

الشرك . رواه ابن أبي حاتم [٢] ، عن ابن عباس ، ثم قال : " وروى عن عبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وأبي وايل [٣] ، وعطاء ، والحسن ، وسعيد ابن جبير ، وعكرمة ، والنخعي ، وأبي صالح ، والزهرى ، وزيد بن أسلم ، ومحمد بن كعب القرظي ، والسدى ، وقتادة ، والضحاك ، مثله .

قلت : وروى الطبرى [٤] ، الشطر الأول منه ، لكن يشكل عليه ما رواه الشيخان [٥] ، وغيرهما ، من حديث ابن عباس ، واللفظ لمسلم ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى . قال : " ان الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن همّ بحسنة ، فلم يعملها ، كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ فعملها ، كتبها الله عزوجل عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف ، الى أضعاف كثيرة ، وانّ همّ بسيئة فلم يعلمها كتبها الله واحدة " . أ . هـ .

فهذا وما فى معناه مما أخرجه الأئمة بيان على أن المراد بالحسنة في الآية ، خصال الخير دون كلمة التوحيد ، وأن السيئة هى المعاصي دون الشرك ، ويرجحه عندى أمران :

---

(١) انظر : الملحق رقم ٩٥ ،

(٢) ابن أبي حاتم ٣ / ١٢٩ / ب .

(٣) انظر : الملحق رقم ١٠٦ .

(٤) الطبرى ٨ / ١٠٨ .

(٥) مسلم ، كتاب الايمان ، باب ٥٩ - ١ / ١١٧ .
والبخارى ، كتاب الرقاق ، باب ٣١ من همّ بحسنة أو بسيئة ٨ / ٨٧ .

أولا : قوله في الآيـة : "فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" فلا يتأتى هذا في كلمة التوحيد لأن هذه الكلمة العظيمة لا مثيل لها ، بل كل عمل دونها حابط .

ثانيا : قوله في الحديث : " فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة " . فهل يقال في معناه أن من همّ بلا اله الاّ الله ، كتبت له حسنة كاملة ! .

لا أرى أن ذلك يستقيم ، بل قد دلت النصوص الصحيحة الصريحة أنه لا حظ في الاسلام لمن لم يتلفظ بكلمة التوحيد ، فمجرد الهمّ بها لا يكفي ومنها ما رواه الشيخان (١) ، واللفظ لمسلم ، من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الاّ الله . وأن محمد رسول الله . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . فان فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم الاّ بحقها . وحسابهم على الله". أ.هـ .

" قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " . - ١٦١ -

قوله : " حَنِيفًا " :

١٢٢) الحنيف : المستقيم . وراه ابن أبي حاتم . (٢)

سبق دراسته .

---

(١) مسلم ، كتاب الايمان ، باب ٨ - ١/ ٥٣ .
والبخاري ، كتاب الايمان ، باب فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم " ١/ ١١ ، حديث ٢٥ .

(٢) ابن أبي حاتم ٣/ ١٣٠/أ .

" قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ".
- ١٦٤ -

قولـه : " وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا " .

١٢٣) عليها ما اكتسبت من الشر . أخرجه ابن أبي حاتم(١) عن مفسرنا من طريق موسى بن عبيدة الربذى ، وهذا الأثر ، وان كان ضعيف الاسناد ، الا أنه صحيح فى معناه ، كما هو ظاهر الآية الكريمة ، فقد تضمنت الأمر باخلاص العبادة لله ، دون سواه ، وتفويض الأمر اليه ، فله الخلق ، والأمر ، كما تضمنت الأخبار بمجازاة الله عباده على مخالفة أمره ، وانكار وحدانيته ، وانه يوم القيامة لا تحمل نفس اثم أخرى ، ونظيرها في قوله : " وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى " .(٢)

* * *
* *
*

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ١٣٠ /ب .
(٢) فاطر ١٨ .

قوله : " المص " [1] :

١٢٤) ألف من الله ، والميم من الرحمن ، والصاد من الصمد .

رواه ابن أبي حاتم [2] .

سبق دراسته في الأثر رقم (٢) .

١٢٥) قوله : " قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ " . - ١٦ -

قال الله القدرية لا بليس اعلم بالله منهم . رواه الطبرى [3] ، وقد استشهد المفسر بهذه الآية على ضلال القدرية وانحرافهم عن الحق ، في الايمان بالقدر ، وذلك يستلزم ايضاح أمرين :

أولا : من هم القدرية ؟

ثانيا : كيف كان ابليس أعلم منهم ؟ .

فأما الأول : فالقدرية هم [4] : الذين ينكرون علم الله بأفعال العباد وقدرته عليها ، وأنه لا يخلقها ، كما ينكرون قدرة الله على كل شئ ، ويزعمون أن لا قدر ، وان الامر أنف .

وأما الأمر الثاني : وهو كيف كان ابليس عليه لعنة الله ، أعلم من القدرية بالله ؟ فذلك أنه اعترف بأن الله قدر عليه الغواية في الأزل ، ولهذا قال: " فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي " - أى كتبت وقدرت علىّ ما حصل منى من الكفر والعصيان - يعني امتناعه عنادا من السجود لآدم امتثالا لأمر الله . فالغواية من الله لابليس قدرا ، وصدورها من عدو الله فعلا واختيارا ، وبهذا يتضح لك صحة استشهاد المفسر ، ولا يضره أن الأثر من رواية أبي مودود [5] .

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ١٣١ / ب .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الطبرى ٨ / ١٣٤ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٢٤٣ .

(٥) تقدم ص ٤٠

" فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ " . - ٢٠ -

قولـه : " أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ " :

١٢٦) لا تموتون أبدا . رواه ابن أبي حاتم (١) ، عن السدى ، وقال : " وروى عن محمد بن كعب القرظي ، ووهب بن منبه ، نحو ذلك .

قلت : وفي هذا الأثر مسألتان :

أحداهما :

راجعة الى المعنى ، والأخرى الى اللفظ ، وكلتا المسألتين صحيحة ، ولبيان ذلك نقول :

" ان من معاني الخلود ، الدوام ، ويوضحه ظاهر حال الأبوين اذ استجابا عليهما السلام لوسوسة عدو الله لهما ، اذ أوقعهما بتزيينه فيما نهاهما الله عنه من أكل تلك الشجرة ، طمعا في البقاء حيين متنعمين في نعيم الجنة ، ويؤيد هذا المعنى ما حكاه الله من وسوسة عدوه للأبوين بقوله : " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى " (٢) . وهذا الوعد الكاذب أوقع آدم وزوجه في مخالفة أمر الله .

وأما المسألة الثانية :

وهي قوله : " لا تموتون " اذ استعمل الفعل مجموعا للاثنين ، فهذا صحيح ، وان كان الغالب في مثل هذا التثنية ، الا أن لاستعمال المفسر شواهد كثيرة تدل على صحته منها قوله : " فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ " (٣) . وقد اتفق العلماء على أن الأخوة الذين يحجبون الأم من الثلث الى السدس اثنان فصاعدا .

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ٣٦ / ب .
(٢) طه آية ١٢٠ .
(٣) النساء آية ١١ .

" وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ " . - ٢١ -

قولـه : " وَقَاسَمَهُمَا " :

١٢٧) وحلف لهما بالله انى لكما لمن الناصحين . رواه ابن أبي حاتم (١) ، عن السدى ، ثم قال : " وروى عن محمد بن كعب القرظي ، نحو ذلك ، وقال قتادة : " حلف لهما بالله حتى خدعهما . رواه ابن أبي حاتم (٢) ، وابن جرير (٣) .

وكلا القولين صحيح ، وغير متنافيين ، والمعنى كما هو ظاهر النظم الكريم ، أن آدم وزوجه - عليهما السلام - حين زيّن لهما عدو الله وعدوهما ، وحلف لهما اغترا به ناسيين نهى الله اياهما عن أكل ثمر تلك الشجرة .

وهل حلف الأبوان كما حلف ابليس لهما ؟ ، حتى يكون الحلف منه بصيغة التكلم ، فيقول انه لهما ناصح ، ويكون الحلف من الأبوين على وجه الخطاب ، فيقولان له أتقسم بالله أنك لنا لمن الناصحين ، كما يفهم من لفظ قاسم ، وهو على وزن فاعل ومصدره المقاسمة ، على وزن المفاعلة ، ومعناها المشاركة في الحلف ، فالجواب على هذا التساؤل :

أنه لا يبعد من جهة اللغة ، مشاركة الأبوين ابليس في الحلف ، كما حكاه الزمخشرى (٤) .

أما من جهة الأثر ، فانى لم أعثر على شئ في ذلك . والله أعلم ، مع أن المفاعلة في القرآن قد تأتى على غير بابها .

" فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ١٣٧ / أ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الطبرى ٨ / ١٤١ .

(٤) الكشاف ٢ / ٥٧ .

إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ " . - ٢٢ -

قولـــه :" فَدَلاَّهُمَا بِغُـــرُورٍ " .

١٢٨) منّاهما بغـــرور . أخرجه ابن أبي حاتم (١) ، وهذا تفسير صحيـــح ، ولا يضره أنه من رواية موسى بن عبيدة ، لأن عصيان الأبوين ربهما بأكل ثمـــر الشجرة التى نهاهما عنها ، وقع بتزيين الشيطان لهما ، وذلك بوعده الكـاذب ، وتمنيته اياهما الملك والخلود ، فاغترا وانخدعا لذلك ، ويؤيد ذلك المعـــنى ما حكاه الله ، عن ابليس في توعده العباد بالغواية ، فقال :" إِنْ يَدْعُونَ مِـــنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَرِيدًا . لَعَنَهُ اللَّهُ . وَقَالَ لأَتَّخِـذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ، وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَـامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ . وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِـرَ خُسْرَانًا مُبِينًا . يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَـانُ إِلاَّ غُرُورًا " (٢) .

قال الطـبرى (٣) في تفسير قوله تعالى :" يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُـــمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا " . يعد الشيطان المريد أولياءه الذين هم نصيبه المفـروض ، أن يكون لهم نصيرا ، ممن أرادهم بسوء وظهيرا لهم عليه بمنعهم منه ويدافـع عنهم ، ويمنيهم الظفر على من حاول مكروههم والفلـج عليهم " . أ . هـ .

قلـــت : وما الوعد الكاذب والأماني الباطلة الاّ عين الخديعة ، كمـــا حصل من عدو الله للأبوين (عليهما السلام) .

قولـــه :" وَطَفِقَـــا يَخْصِفَـــانِ عَلَيْهِمَـــا " .

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ /١٣٧/أ .

(٢) النســـاء ١١٧ - ١٢٠ .

(٣) الطـــبرى ٥ /٢٨٦ .

١٢٩) يأخذان ما يواريان به عوراتهما . أخرجه ابن أبي حاتم[1] ، من طريق موسى بن عبيدة ، وهو تفسير صحيح ، يوافق ما قاله ابن جرير[2] في الآية : (اقبلا وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوءاتهما) أ . هـ .

قلت : وهذا - وما قاله مفسرنا - يرشد اليه ظاهر النظم الكريم ، فقد أخبر الله جلّ ذكره فيما قصه عن الأبوين - عليهما السلام - فانهما بعد وقوعهما في المعصية ، ظهرت لهما سوآتهما ، فلم يجدا ما يستران به عوراتهما ، سوى ورق الجنة ليخفيا به ما بدا من سوءاتهما ، ونظير هذا ما حكاه الله عنهما بقوله : (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى . فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)[3] .

وقد روى ابن جرير[4] ، وابن أبي حاتم[5] ، عن ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وغير واحد من الأئمة ، ما يشهد لصحة قول المفسر .

" قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " .

- ٢٣ -

قوله : " قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا " :

١٣٠) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ قالا قوله رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . رواه ابن أبي حاتم[6] ، عن مجاهد ، وسعيد

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ١٣٧ / ب .
(٢) الطبري ٨ / ١٤٢ .
(٣) طه ١٢٠ / ١٢١ .
(٤) الطبري ٨ / ١٤٢ ، ١٤٣ .
(٥) ابن أبي حاتم ٣ / ١٣٧ / ب .
(٦) المصدر نفسه ٣ / ١٣٨ / أ .

ابن جبير ، ثم قال : " وروى عن الحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وخالد بن معدان ، وعطاء الخراساني ، والربيع بن أنس ، نحو ذلك .

قلت : وكلام المفسر . سبقت دراسته في الأثر السادس .

" وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" . - ٢٨ -

قوله : إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ " :

١٣١) كان المشركون الرجال يطوفون بالبيت بالنهار عراة ، والنساء بالليل عراة ، ويقولون انا وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بهما ، فلما جاء الاسلام ، وأخلاقة الكريمة ، نهووا عن ذلك ، فقالوا : انا وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، قل : ان الله لا يأمر بالفحشاء ، والطواف بالبيت عراة ، يقولون على الله ما لا يعلمون . رواه ابن أبي حاتم (١) ، من طريق موسى بن عبيدة ، وهذا الأثر وان كان راويه عن المفسر ضعيفاً ، الاّ أنه يشهد لصحته الأثر والمعنى .

فمن الأثر : ما رواه ابن جرير (٢) ، عن ابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والسدى ، وسعيد بن جبير ، وكل هؤلاء مع اختلاف عباراتهم لفظا ، الاّ أنهم اتفقوا في المعني على أن الآية نزلت فيما كان من المشركين وطوافهم بالبيت عراة . وروى ذلك البغوى (٣) عن بعضهم .

أما من جهة المعنى : فان الفاحشة ، اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية فى القبح . قال ذلك البغوى (٤) .

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ١٤٠ / أ .
(٢) الطبرى ٨ / ١٥٤ .
(٣) البغوى ٨ / ١٥٥ .
(٤) المصدر نفسه .

وقال الزمخشري[1] عند تفسير هذه الآية :" لأن فعل القبيح مستحيل عليه ، لعدم الداعي ، ووجود الصارف ، فكيف يأمر بفعله ؟ " . أ.هـ .

وقال الفيروزأبادي[2] :" الفاحشة : الزنا ، وما يشتد قبحه من الذنوب، وكل ما نهى الله عز وجل عنه " . أ . هـ .

" قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ " . - ٢٩ -

قوله :" كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ " :

(١٣٢) من ابتدأ الله خلقه على الهدى والسعادة صيره الى ماابتدأ عليه خلقه ، كما فعل بالسحرة ،ابتدأ خلقهم على الهدى والسعادة حتى توفاهم مسلمين ، وكما فعل بابليس ابتدأ خلقه على الكفر والضلالة وعمل بعمل الملائكة ، فصيره الله الى ما ابتدأ خلقه عليه من الكفر ، قال تعالى :" وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ".

رواه الطبري[3] ، وابن أبي حاتم[4] ، واللفظ له ،من طريق موسى بن عبيدة الربذي ، وهل معنى الآية :" كما بدأكم الله في الخلق ولم تكونوا شيئا تعودون الى الحياة بعد الفناء ؟ ، أو المعنى أنكم تعودون الى ما سبق من علم الله فيكم أزلا ، كقول المفسر ، فهل من المعنيين فسر الآية جماعة من مفسري السلف ، وممن قال بكليهما : ابن عباس ، ومجاهد ، وممن قال بالأول : الحسن ،وقتادة ، وابن زيد ، كما قال بالثاني : أبوالعالية ، والسدي ، وآخرون . حكى ذلك عنهم ابن جرير[3] ، وابن أبي حاتم[4] .

---

(١) الكشاف ٢ / ٦٠ .

(٢) القاموس المحيط ، فصل الفاء ، باب الشين ٢ / ٢٩٣ .

(٣) الطبري ٨ / ١٥٧ .

(٤) ابن أبي حاتم ٣ / ١٤٠ /ب .

والراجح عندى ، أول القولين ، لأن الآية الكريمة ، جاءت متضمنة الدعوة الى الاقرار بعبودية الله ، كما جاءت بتقرير المعاد والدعوة الى الايمان به ، وذلك خطاب من الله جلّ وعلا على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - لقوم مشركين ، كفار جاحدين للألوهية ، والجزاء والحساب، فدعى الأمر الى ضرب الأمثلة بالمحسوس، ومن ذلك خلقهم ، ونظير ذلك - أعنى ما تضمنته الآية من حقائق كثيرة في الكتاب الكريم ، ومنه قوله تعالى : "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"(١) والمعنى : كيف تجحدون ألوهية الله ، وهو الذى أحياكم وذلك بايجادكم من العدم ، ثم يميتكم باخراجكم من الدنيا الى الآخرة ثم يحييكم للعرض والحساب يزيد الأمر توضيحا ما صح به الخبر من حديث ابن عباس(٢) - رضي الله عنهما - قال : " خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : " انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) ... الحديث " .

" يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " . - ٣١ -

قوله : " وَلَا تُسْرِفُوا " :

١٣٣) والسرف ان لا يعطى فى حق . رواه ابن أبي حاتم(٣) .

سبق دراسته بالأثر (١١٨) .

---

(١) البقرة ٢٨ .

(٢) رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى ، مسلم كتاب الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٤/٢١٩٣ .
البخارى ، كتاب التفسير (سورة الأنبياء) ٦/٨٠) حديث ٤٧٤٠ .

(٣) ابن أبي حاتم ٤/١٤١/ب .

" قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " . - ٣٣ -

قوله : " وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا " :

١٣٤) كل سلطان في القرآن حجة . رواه ابن أبي حاتم (١) ، عن ابن عباس، ثم قال : " وروى عن أبي مالك ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير، والسدى ، والضحاك ، والنضر بن عدى ، مثله .

سبق دراسته .

" فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ " . - ٣٧ -

قوله : " أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ " :

١٣٥) رزقه وأجله وعمله . رواه الطبرى (٢) ، وابن أبي حاتم (٣) ، من طريق أبي صخر ، فى جملة أقوال مفسرى السلف ، الذين اتفقوا على أن معنى الآية سيحصل لهؤلاء المفترين حظهم مما كتب لهم في اللوح المحفوظ ، وفق ما جرى به القدر ، وانما اختلف الأئمة في صفة ذلك الحظ ، ويشهد لصحة قول مفسرنا ، ظاهر الآية الكريمة ، فان الله تعالى ، أخبر أولا بأنه لا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب ، فجحد وحدانيته ، وتنكر لرسالة نبيه ، ثم أخبر ثانيا ، بأن أولئك سيحصل لهم حظهم مما كتب في اللوح المحفوظ ، وحدد

---

(١) ابن أبي حاتم ٣ / ١٤٤ / أ .
(٢) المصدر السابق ٣ / ١٤٥ / أ .
(٣) الطبرى ٨ / ١٧١ .

لذلك غاية ، هي مجئ رسله ، وهم ملك الموت ، وأعوانه ، فدلت هذه الغاية أن النصيب المذكور في الآية هو الرزق والأجل والعمل .

ويشهد له من السنة ، ما رواه الشيخان[1] واللفظ للبخارى ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : " حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق ، قال : " ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ... الحديث " . وفيه ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ، ويقال له : أكتب عمله ورزقه وأجله " . انتهى محل الفرض .

قوله : " حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ " :

١٣٦) يقبضون أرواحهم - يعنى ملك الموت وأعوانه - . أخرجه البغوى[2] ، ويشهد لصحة معناه ، صريح القرآن الكريم في مواضع متعددة منها : قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ، قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا "[3] . وقوله : " فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ "[4] . وقوله : " الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ "[5] .

" لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ "

- ٤١ -

قوله : " لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ " :

---

(١) البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ٤ / ٨٨ ، حديث ٣٢٠٨ . ومسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في خلق أمه ٤ / ٢٠٣٦ ، حديث ٢٦٤٣ .

(٢) البغوى ٨ / ١٥٩ .

(٣) النساء ٩٧ .

(٤) محمد ٢٧ .

(٥) النحل ٣٢ .

١٣٧) "لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ" ، الفراش ، "وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ" اللحف . رواه الطبرى (١) ، وبه قال الضحاك ، والسدى ، وهو تفسير صحيح لأن معنى المهاد : ما يمتهد للقعود عليه من فراش وبساط ، والغواش جمع غاشية ، وهو : ما يتغشى به ، فمعنى الآية : ان الله جلّ وعلا ، توعد أعدائه من الكفار ، بأن يجعل جهنم محيطة بهم من فوقهم ، ومن تحتهم ، كما قال في اية أخرى : " لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ " (٢) .

" أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ، وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " . - ٦٩ -

قوله : " لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " :

١٣٨) غدا اذا القيتموني . رواه ابن أبي حاتم (٣) .

سبق دراسته بالأثر (٦١)

" أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ " . - ٩٩ -

١٣٩) الكبائر ثلاث : أن تأمن مكر الله ، وان تقنط من رحمة الله ، وأن تيأس من روح الله ، قال : " ويتلوا القرظي هذه الآيات : " أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ، فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ " (٤) .

---

(١) الطبرى ٨ / ١٨٢ .
(٢) الزمر ١٦ .
(٣) ابن أبي حاتم ٣ / ١٦١ / أ .
(٤) الحجر آية ٥٦ .

وقال يعقوب عليه السلام لبنيه : "وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" . (١) أخرجه أبونعيم (٢) ، من طريق عبد الرحمن ابن أبى الموالي (٣) ، وقد تضمن الأثر أمرين صحيحين :

أحدهما : أن تلك الخصال هي كبائر الذنوب .

ثانيهما : استشهاده على ذلك بالقرآن ، وهو بيّن ظاهر ، فان الله قد رتب على كل من تلك الخصال عاقبة سيئة .

فالأولى : عاقبتها الخسران .

والثانية : عاقبتها الضلال .

والثالثة : عاقبتها الكفر .

فان قال قائل : " كيف توفق بين قول القرطبي ، وبين ما أخرجه البخارى (٤) ، من حديث أبى بكره - رضي الله عنه - قال ": قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وجلس - وكان متكئا - فقال : ألا وقول الزور ... الحديث".

فالجواب أنه لا معارضة بين هذا الحديث ، وقول القرطبي ، فالظاهر أن المراد بالكبائر فيهما التمثيل لا الحصر ، ونظير حديث أبي بكره ، ما رواه مسلم (٥) ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال :" قال رجل يا رسول الله أى الذنب أكبر عند الله ؟ قال :" ان تدعو لله ندا وهو خلقك ، قال : ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ، قال : ثم أى ؟ قال : أن تزانى حليلة جارك ... الحديث" .

---

(١) يوسف : ٨٧ .

(٢) حلية الأولياء : ٣/٢١٦ .

(٣) تقدم ص : ٣٥ .

(٤) البخارى ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل فى شهادة الزور ١/٩١ ، حديث ٨٧ .

(٥) مسلم ، كتاب الايمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب ١/٩٠ .

فكلا الحديثين صحيح ، وقد تضمن نوعا من كبائر الذنوب ليس في الآخر.

" وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ".

- ١١٣ -

١٤٠) كانت السحرة الذين توفاهم الله مسلمين ، ثمانين ألفا . أخرجه ابن أبي حاتم[١] ، من طريق موسى بن عبيدة الربذي ضمن اختلاف بعض مفسري السلف في عدد السحرة الذين حشدهم فرعون تحديا لموسى -عليه السلام- .

وروى اختلاف المفسرين في عدد أولئك السحرة ابن جرير[٢] دون قول المفسر.

والذي لا مرية فيه - كما هو صريح الكتاب الكريم - أن عدو الله فرعون ، لما رأى من معجزات نبي الله موسى ما بهره ، عزم على ان يتحدى تلك المعجزات ،فاستشار ملأه ، وهم وجهاء دولته ، فأشاروا عليه أن يحشد لابطال ما جاء به كليم الله أقصى ما يستطيع من الامكانات في السحر ، وذلك ما حكاه الله : " قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ"[٣] ، وفي موضع آخر : " يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ"[٤] . فكان لزاما عليه بعد هذه المشورة أن يجمع كل ما أمكنه جمعه من سحرة مصر . كيف لا ؟ وهو يتصدى في زعمه لخصم ينازعه سلطانه ، فاذا لا شك أن عدد السحرة كثير، أما تحديد العدد ، فمن التكلف ، بل هو من الاسرائيليات التي لا تدعو الحاجة اليها ، والواجب الاكتفاء بما عرضه القرآن الكريم من موطن العبرة.

" فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ". - ١٣٣ -

---

(١) ابن أبي حاتم ٣/ ١٧١/أ .

(٢) الطبري ٩/ ١٩ .

(٣) الأعراف ١١٢ .

(٤) الشعراء ٣٧ .

قولـــــه : " وَالـــدَّمَ " :

١٤١) ان المرأة من ءال فرعون كانت تأتى المرأة من بنى اسرائيل ، حـــين جهدهم العطش ، فتقول : اسقينى من مائك ، فتغرف لها من جرتها ، أو تعبئ لها من قربتها ، فيعود في الاناء دما ، حتى ان كانت لتقول لها : اجعليه فى فيك ، ثم مجيه فى فيّ ، فتأخذ فى فيها ماء ، فاذا مجته في فيها ، صار دما ، فمكثوا فى ذلك سبعة أيام . أخرجه ابن جرير (١) ، وليس مفسرنا بدعـــا من القائلين فى تحديد هذه الآية ، فقد روى الطـــبرى (٢) ، وابن أبي حاتـــم (٣) ، وغير واحد ، اختلاف أهل التأويل فى كيفية الدم ، خاصة والطوفان والقمـــل والضفادع والجراد ، ولا أرى حيال هذه الآيات العظيمة سوى أمريـــن :

أولا : أن تلك الآيات من شأنها الدلالة على عظمة الله ، الذى جاء موســـى عليه السلام ، داعيا القوم الى الايمان بوحدانيته ، كما أنها علامة علـــى صدق من جاء داعيا الى ذلك . وأمر هذا شأنه ، حقيق بأن يكـــون من العظمة ما يحمل العبرة والتخويف .

وثاني الأمرين : فيما أراه . أنه لا داعي الى تفصيل ما أجمل فى القـــرآن فلو كانت ثمة فائدة من تفصيلة ، لكان القرآن والسنة أولى بذلك ، فالواجب اذا الاكتفاء بموطن العبرة ، وقول القرظي هذا ضعيف من قبل محمـــد ابن اسحاق ، وابن حميد .

" وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ".

---

(١) الطـــبرى ٩/٣٧ .

(٢) ابن أبي حاتم ٣/١٧٧/أ .

(٣) البغـــوى ٩/١٩٢ .

قولـــه : " وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ " :

١٤٢) قيل لموسى عليه السلام ما شبهت كلام ربك مما خلق ، فقال موســى : الرعـــد الساكـــن .

ذكره السيوطي (١) ، وعزاه الى ابن المنذر ، وابن جرير .

تقـــدم بالأثـــر رقـــم (٨٠) .

" وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَـــوْمِ الظَّالِمِـــينَ " . - ١٥٠ -

قولـــه : " وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًـــا " .

١٤٣) الأسف : الغضب الشديد . ذكره السيوطي (٢) ، وعزاه الى عبد بـــن حميد ، وقد وافق مفسرنا ابن جرير (٣) ، وأخرجه عن جماعة منهم : أبوالدرداء ، والذى يظهر لى من صريح القرآن الكريم ، أن الأسف له عدة استعمالات منها :

أولا : شدة الغضب وحده ، قال تعالى : " فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُـــمْ " (٤) .

ثانيا : شدة الغضب مع الحزن والندم على ما بدر ، ومن ذلك قوله : " وَلَمَّـــا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا " (٥) .

ثالثا : الحزن وحده ، قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام : " وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ " (٦) .

---

(١) الدر المنثـــور ٩ / ٥٣٦ .
(٢) المصدر السابق ٩ / ٥٦٤ .
(٣) الطـــبرى ٩ / ٦٣ .
(٤) الزخـــرف ٥٥ .
(٥) الأعـــراف ١٥٠ .
(٦) يوســـف ٨٤ .

" وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ " . - ١٥٥ -

قوله : " فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ " :

١٤٤) لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل ، ولم يأمروهم بالمعروف ، ولم ينهوهم عن المنكر . رواه البغوى (١) ، ورواه ابن جرير (٢) بنحوه ، كما رواه عن قتادة ، وابن جريج ، وابن عباس ، وقول القرطبي عند ابن جرير من رواية هشام بن سعد المدني (٣) في اختلاف المفسرين .

لأى شئ أخذت الرجفة من اختارهم موسى لميقات ربه ، هل لأن هؤلاء لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل ؟ ، أو لأنهم اتهموه بقتل هارون وقد توفاه الله؟ ، أو لأنهم قالوا أرنا الله جهرة ؟ .

ويترجح عندى القول الثالث ، لقوله تعالى : " وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " . (٤) فأولى الآيتين نص فى أن الرجفة أصابت القوم بسبب تلك المقالة الشنيعة ، كما أن ثانيهما نص فى أن الله امتن عليهم بالعفو عنهم فبعثهم بعد موتهم .

" وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ " . - ١٥٦ -

---

(١) البغوى ٩ / ٢٠٣ .

(٢) الطبرى ٩ / ٧٤ .

(٣) تقدم ص : ٤١ .

(٤) البقرة آية ٥٥ ، ٥٦ .

قولـــه : " فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً " :

١٤٥) المرأة الصالحة من الحسنات . رواه ابن أبي حاتم ، [1] وهذا الأثـــر وان كان صحيحا فيما تضمنه من معنى - وقد سبق فى سورة البقرة - [2] الآأن نبـــي الله موسى ، يسأل ربه بهذا الدعاء حسنا لعاقبة ، وهي تعنى العزة والتمكين والثبات على الايمان ، والنصرة على الأعداء ، وعظم المثوبة في الآخرة .

" وَقَطَّعْنَاهُمْ فِى الأَرْضِ أُمَماً ، مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِـــكَ وَبَلَوْنَـــاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُـــونَ " . - ١٦٨ -

قولـــه : " وَبَلَوْنَاهُـــمْ " :

١٤٦) ابتلوا بالرخاء فلم يصـــبروا . رواه ابن أبي حاتم ، [3] وليس ابتـــلاء الله عباده عامة ، ومن الآيـــة حكاية عنهم ، خاصة بالرخاء ليصبروا فحســـب ، فقد جرت سنة الله فى الابتلاء بالنعمة لاختبار الشكر ، وبالمصيبة والشـــدة لاختبار الصبر ، كما فى هذه الآية ، ونظائرها فى القرآن كثير ، منها قولـــه : " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ " . [4] وقولـــه : " قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّـــا رَآهُ مُسْتَقِراً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَـــا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيـــمٌ " . [5]

ومن السنة ، حديث صهيب بن سنان ، أن رسول الله - صلى اللـــه عليه وسلم - قال : " عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد الآللمؤمن

---

(١) ابن أبي حاتـــم ٣ / ١٨٩ / ب .
(٢) الأثـــر رقـــم (٢٨) .
(٣) ابن أبي حاتـــم ٣ / ٢٠٢ / ب .
(٤) الأنبيـــاء ٣٥ .
(٥) النمـــل ٤٠ .

فان أصابته سراء شكر ، فكان خير له ، وان أصابته ضراء صبر ،فكان خيرا له."(١)

وبعد ما أوردناه من الأدلة على ما ذكرناه من الحكمة فى ابتلاء الله عباده بالنعم والمصائب ، بقي القول فى معنى الآية الكريمة ، وهو أن الله جلّ وعلا اختبر أولئك القوم ، وهم من بنى اسرائيل بالحسنات ، وهي ما أنعم الله به عليهم من سعة الرزق وغيره من شتى النعم ، كما اختبرهم تارة أخرى بالسيئات ، وذلك بضيق العيش ، أو نقص الثمرات أو غيرهما ، من الرزايا والمصائب ، لكي يعودوا الى الله ، وينيبوا اليه .

وبهذا يتبين لك قصور قول المفسر والراوى عنه أبومعشر . فليتأمل .

" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ".

- ١٧٢ -

قوله :" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " :

١٤٧) أقرّت الأرواح قبل أن تخلق أجسادها . رواه ابن جرير(٢) ، ولازم هذا الأثر أن الأرواح خلقت قبل أجسادها ، لأنه ذكر أنها أقرت قبلها ، وهذا منكر ومردود من أربعة أوجه :

الوجه الأول :

صريح الآية الكريمة ، فانها تضمنت أن الله تعالى أخذ العهد على بنى ءادم ، وذلك فى قوله :" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ"، وهؤلاء الذرية هم الذين أخذ عليهم العهد ، وليس على أرواحهم .

---

(١) مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب (١٣) ، المؤمن أمره كله خير ، ٤/ ٢٢٩٤ .

(٢) الطبرى ٩/ ١١٧ .

الوجه الثاني :

اتفاق الأئمة فيما رواه ابن جرير[(١)] ، وابن أبي حاتم[(٢)] ، والبغوي[(٣)] ، وغيرهم ، ان الله أخذ العهد على بني آدم وأشهدهم على أنفسهم بعد استخراجهم من ظهره ، ولم يقل أحد منهم أن العهد أخذ على أرواحهم .

الوجه الثالث :

ما صح به الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قصة أخذ الميثاق على بني آدم قال : " لما خلق الله آدم ، مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من نور ... الحديث " . رواه الترمذي[(٤)] ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح ، ففي هذا الحديث التصريح بأن الميثاق أخذ على أناس " .

الوجه الرابع :

ضعف السند من قبل موسى ابن عبيدة الربذي .

" إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ " . - ٢٠١ -

١٤٨) ان الله لم يسم عبده المؤمن كافرا ثم قرأ : " إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا " . فقال لم يسمه كافر ، ولكن سماه متقيا . حكاه السيوطي[(٥)] ، وعزاه الى أبي الشيخ ، ولم أقف له على سند ، ولا قائل سوى

---

(١) الطبري ٩/١١٠ : ١١٧ .
(٢) ابن أبي حاتم ٣/٢٠٥ / ب .
(٣) البغوي ٢١١ .
(٤) الترمذي ، كتاب التفسير ، باب : " ومن سورة الأعراف " ٥/٢٦٧ .
(٥) الدر المنثور ٩/٦٣٣ .

القرظي - رحمه الله - وما استنبطه من الآية ، من عدم خروج العبد المؤمن بالمعصية من دائرة الايمان ، مستدلا عليه بآية الأعراف هذه صحيح ، فان الآية الكريمة صريحة فيما استدل بها عليه ، وذلك أن الله جلّ وعلا ، وصف المتقين بسرعة العودة اليه ، حين ما يصيبهم طائف من الشيطان بزلل أو غضب ، أو نزغ أو نحو ذلك ، ونظيرها قوله تعالى :" وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى ، فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " .(١) فقد نص جلّ وعلا في هاتين الآيتين على أن كلتا الطائفتين المتقاتلتين مؤمنة ، مع أن احداهما بغت على الأخرى ، ومع ذلك لم يخرجها بغيها على أختها ، من دائرة الايمان وأخوة الاسلام.

" وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ " . - ٢٠٢ -

قوله : " وَإِخْوَانُهُمْ " :

١٤٩) هم من الجن . أخرجه ابن أبي حاتم (٢) ، ورواه ابن جرير (٣) ، عن عبدالله بن كثير ، وقتادة ، ضمن قولين للمفسرين ، أخرجاها في الآية .

ويترجح عندي قول المفسر ، ومن وافقه ، لأدلة منها :

قوله تعالى :" أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا "(٤) ،

ومنها : ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :" ان الشيطان

---

(١) الحجرات ٩ ، ١٠ .
(٢) ابن أبي حاتم ٣ / ٢١٩ / ب .
(٣) الطبري ٩ / ١٥٩ .
(٤) مريم آية ٨٣ .

يجرى من ابن آدم مجرى الدم" . رواه الشيخان .[1]

وبهذا يظهر لك أن هذا القول صحيح المعنى ، ولا يضره أنه من رواية أبي مسعود .

" وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " . - ٢٠٤ -

قوله : " وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا " :

١٥٠) كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذا قرأ في الصلاة ، أجابه من وراءه ، اذا قال :"بسم الله الرحمن الرحيم" ، قالوا : مثل ما يقول حتى تنقضى فاتحة القرآن والسورة ، فلبث ما شاء الله أن يلبث ، ثم نزلت : "وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" . فقرأ: وأنصتوا . أخرجه ابن أبي حاتم[2] ، من طريق أبى صخر ، ضمن اختلاف المفسرين في الأمر بالاستماع والانصات للقرآن . هل هو حين قراءة الامام في الصلاة ؟ ، أو هو فى الصلاة والخطبة ؟ ، أو هو فى الخطبة ؟ . وأخرج أيضا هذه الأقوال الثلاثة : الطبرى[3] ، وغيره .

وقول المفسر ، وان كان مرسلا ، الا أنه يترجح عندى لأمرين :

أولهما : أنه قول الجمهور ، بما فيهم ابن عباس ، وأبوهريرة ، ومجاهد ، وهم أهل القول الأول ، وكذا أصحاب القول الثاني لا يختلفون عنهم .

---

(١) البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب ١١ ، ٤/٩٨ .
ومسلم ، كتاب السلام ، باب ٩ ، بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليا بامرأة ، ٤/١٧١٢ .

(٢) ابن أبى حاتم ٣/٢٢٠/ ب .

(٣) الطبرى ٩/١٦٢ .

وثاني الأمرين : ما صح به الخبر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حديث عمران بن حصين ، قال : " صلى بنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة الظهر (أو العصر) فقال : " أيكم قرأ خلفي : " سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ؟"، فقال رجل : أنا . ولم أرد بها الا الخير، قال : " قد علمت أن بعضكم خالجنيها "(١) قاله استنكارا على من كان يقرأ خلفه حال الصلاة " .

وينبغي أن يعلم أن ذلك في غير فاتحة الكتاب ، فقد جاء عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأمر بقراءتها ، ومن ذلك : " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب "(٢) من حديث عبادة بن الصامت ، ومع ما رجحته من القول في الآية . فاني أرى عمومها ، فهي متضمنة الأمر بالانصات للقرآن والاستماع اليه في كل حال ، فلا يليق بالمسلم اذا جلس في موطن يتلى فيه القرآن ،غير الاستماع والانصات ، والا ترك ذلك المجلس وذهب لشأنه .

* * * * * *

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب نهي المأموم عن جهرة بالقراءة خلف امامه ١/ ٢٩٨ ، حديث ٣٩٨ .

(٢) أبوداود ، كتاب أبواب الصلاة ، باب لا صلاة الا بفاتحة الكتاب، ٢/ ٢٥ .
ابن ماجه ،كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ١١ ،القراءة خلف الامام ، ١/ ٢٧٣ .

((تفسير سورة الأنفال))

" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " . - ١ -

قوله : " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ " :

(١٥١) أسلموا السيف اليه ، ثم نسخت بقوله : " وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ " . (١) رواه ابن أبي حاتم ، (٢) من طريق أبي صخر ، وفيه مسألتان ، وهما قوله : " أسلموا اليه السيف " ، وفي قوله ثم نسختها : " وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ " ، وحتى نبين ذلك مفصلا نقول :

المسألة الأولى :

قوله : " أسلموا اليه السيف " ، لا أجد ما أحمل عليه هذه العبارة سوى ما كان من أمر سعد بن أبي وقاص ، وقتله سعيد بن العاص يوم بدر ، وأنه جاء بسيفه الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطلب أن يهبه له ، فأبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك ، وقال : ضعه في القبض ، ثم تولى سعد - رضي الله عنه - وهو يجد في نفسه من الحسرة على أخذ سيفه وقتل أخيه عمير في تلك الغزوة ، وهو يخشى أن يأخذ السيف غيره " . والحديث بتمامه رواه الطبري (٣) ، وأبو داود (٤) ، والترمذي (٥) .

والراجح عندي من الأقوال : أن الآية في الغنائم يوم بدر ، وما كان من أمر اختلاف أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن هي ؟ . وهو

---

(١) الأنفال آية ٤١ .

(٢) ابن أبي حاتم ٣ / ٢٢٥ / أ .

(٣) الطبري ٩ / ١٧٣ .

(٤) أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب النفل ، ٣ / ١٧٧ ، حديث ٢٧٤٠ .

(٥) الترمذي ، كتاب التفسير ، (سورة الأنفال) ٥ / ٢٦٨ ، حديث ٣٠٧٩ .

قول الجمهور فيما رواه الطبرى وغيره ، ويدل له حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال : " فينا معشر أصحاب بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقسّمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين المسلمين عن سواء ، يقول : " على السواء ، فكان ذلك فى تقوى الله وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وصلاح ذات البين " . أ . هـ . رواه الطبرى (١) ، ورواه أحمد بنحوه (٢) .

قلت : فقصر الأمر فى الآية بطاعة الله ورسوله على قضية سيف سعد كما قدمنا تخصيص بلا مخصص ، فطاعة الله وطاعة رسوله تقتضى فعل المأمور وترك المحذور ، ومن ذلك الرضا بقسم الغنيمة وترك المشاحنة .

المسألة الثانية :

وهي : ان الآية منسوخة بقوله : " وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ " . حكا النسخ القرطبى (٣) ، وابن الجوزى (٤) ، وحكاه البغوى (٥) ، عن مجاهد ، وعكرمة ، والسدى ، وعندى أن آية التخميس هي أقرب للبيان منها للنسخ ، فالامام مخيّر في قسم الغنيمة حسب ما يراه من المصلحة ، بل ويجوز له قصرها على بعض الجيش دون الآخرين ، كما جاء في غزوة حنين ، من حديث عبد الله ابن زيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما فتح حنينا قسم الغنائم ، فأعطى المؤلفة قلوبهم ، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس

---

(١) الطبرى ٩/١٧٢ .
(٢) المسند ٥/٣٦٢ .
(٣) القرطبي ٧/٣٦١ .
(٤) زاد المسير ٣/٣١٩ .
(٥) البغوى ٩/٢٢٨ .

... الحديث" . وهو بتمامه عند مسلم[1] ، وعند البخارى[2] ، من حديث أنس مختصرا " .

ففى هذا الحديث دليل على تخصيص الامام بعض الجيش بالغنيمة لما يراه من المصلحة . والله أعلم .

" أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ".

- ٤ -

قوله : " رِزْقٌ كَرِيمٌ " :

١٥٢) اذا سمعت الله يقول ورزق كريم ، فهي الجنة . أخرجه ابن أبى حاتم[3] ، وتفسير الرزق الكريم بالجنة رواه الطبرى[4] ، عن قتادة وغيره ، وهو تفسير صحيح ، ويشهد له ظاهر النظم الكريم ، فان الله جلّ ذكره ، لما ذكر فى الآيات - قبل هذه الآية - صفات أوليائه ، وأكد أنهم هم أهل الايمان حقا أعقب ذلك بما أعده لهم من النعيم المقيم والدرجات العلا ، والثواب العظيم ، ومنه ستر الذنوب والعفو عنها ، وختم ذلك بالرزق الكريم ، وهو الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما قال تعالى : " تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "[5] .

وهذا لا يمنع أهل الايمان رزقا كريما فى الدنيا من رغد العيش والجاه والتمكين فى الأرض ، كما قال تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا

---

(١) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب اعطاء المؤلفة قلوبهم ٢ / ٧٣٨ حديث ١٠٦١ .
(٢) البخارى ، كتاب المغازى ، باب غزوة الطائف ٥ / ١٣٠ .
(٣) ابن أبي حاتم ٣ / ٢٢٦ / ب .
(٤) الطبرى ٩ / ١٨١ .
(٥) السجدة ١٦ ، ١٧ .

الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ ، كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " . (١)

ومن نظائر آية الأنفال السابقة ، ما جاء في سورة النور ، قال تعالى : " الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " . (٢)

وبهذا يتبين أن ما جاء عن القرظي - رحمه الله - صحيح المعنى، ولا يضره أن في سنده سعيد بن عبد الرحمن الجمحي . (٣)

" إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ " . - ٩ -

قوله : " مُرْدِفِينَ " :

١٥٣) متتابعين . رواه ابن أبي حاتم (٤) ، عن ابن عباس ، ثم قال : " وروى عن قتادة ، وأبي مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والسدي ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ذلك " .

قلت : ورواه ابن جرير (٥) ، عن المذكورين ، الا أن بعضهم قال : "بعضهم على أثر بعض ، ولعله ما عناه ابن أبي حاتم ، بعد اخراج الأثر بقوله نحو ذلك .

---

(١) النور ٥٥ .

(٢) النور ٢٦ .

(٣) انظر : الملحق رقم ٢٦ .

(٤) ابن أبي حاتم ٣ / ٢٢٩ / أ .

(٥) الطبري ٩ / ١٩١ .

كما أخرج ابن جرير[1]، والبغوى[2] أن لأهل العلم في " مردفين" قراءتين ، أحداهما : بفتح الدال ، والأخرى : بكسرها ، ومهما يكن من اختلاف فى لفظ الأثر أو القراءة ، فان المعنى لا يتغير ، فقد أمد الله المسلمين يوم بدر بالملائكة ليكونوا عونا لهم وردءً .

قال مكي بن أبي طالب[3] : قوله : (مُرْدِفِينَ) قراءة نافع ، بفتح الدال ، وقرأ الباقون : بالكسر ، وحجة من فتح ، أنه بناه على ما لم يسم فاعله ، لأن الناس الذين قاتلوا يوم بدر أردفوا بألف من الملائكة ، أى : انزلوا اليهم لمعونتهم على الكفار ، فـ :" مُرْدَفِينَ" بفتح الدال ، نعت لـ :" أَلْفٍ"، وقيل : " هو حال من الضمير المنصوب فى" مُمِدُّكُمْ" ، أى ممدكم فى حال اردافكم بـ" ألفٍ" من الملائكة .

وحجة من كسر الدال ، أنه بناه على ما سمي فاعله ، فجعله صفة لـ:"ألف"، أى : بألف من الملائكة مردفين لكم يأتون لنصركم بعدكم" . أ . هـ .

" فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" . - ١٧ -

قوله :" وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى " :

١٥٤) لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبضة من تراب فرمى بها فى وجوه القوم ، وقال : شاهت الوجوه فدخلت فى أعينهم كلهم ، وأقبل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنزل الله :" وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى "... الآية " ... الى قوله: ... إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" .

---

(١) الطبرى ٩ / ١٩١ .

(٢) البغوى ٩ / ٢٣٣ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٤٨٩ .

أخرجه ابن جرير [1] ،عن المفسر ، ومحمد بن قيس .

وحثو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التراب في وجوه المشركين يوم بدر ، هو قول جمهور الأئمة ، منهم : ابن عباس ، وقتادة ، وعكرمة ، وهشام بن عروة ، فيما رواه ابن جرير [2] . ورواه ابن أبي حاتم [3] ، عن بعضهم وقد اتفقت عبارات هؤلاء في المعنى ، وان اختلفت في اللفظ ، ويشهد لهذا القول ظاهر الآية الكريمة ، فقد جاءت ضمن سياق الآيات الواردة في قصة بدر ، وهذا دليل على صحة قول المفسر ، ولا يضره أنه مرسل ، وضعيف الاسناد من قبل أبي معشر .

" يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ " . - ٢٧ -

١٥٥) أن أبا لبابه أشار الى بني قريظه باصبعه أنه الذبح ، فقال : خنت الله ورسوله ، فنزلت : (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) ، ونزلت : (وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) . [4] فكان ممن تاب الله عليه [5] ، ذكره السيوطي [6] بهذا اللفظ ، وعزا اخراجه الى أبي الشيخ ، ولم أجده في كتاب العظمة ، وقد جمع هذا الأثر بين آيتين ، احداهما من سورة الأنفال ، والأخرى من سورة التوبة في قضية واحدة ، ولبيان ما ظهر لنا فلابد من توضيح معنى كل آية على حده فنقول:

---

(١) الطبري ٩/٢٠٥ .

(٢) الطبري ٩/٢٠٤ .

(٣) ابن أبي حاتم ٣/٢٣٣/أ .

(٤) التوبة ١٠٦ .

(٥) قصة أبي لبابة مع بني قريظة ، حين بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطلب منهم ليستشيروه : أينزلوا على حكم رسول الله أم لا ؟ . ذكرها ابن هشام وغيره . سيرة ابن هشام ٢/٢٣٧ .

(٦) الدر المنثور ١١/٢٨٤ .

أولا : بما قاله مفسرنا في آية الأنفال ، قال : عبد الله بن أبي قتادة[1] ، والزهري ، رواه عنهما ابن جرير[2] ، ضمن آثار أخرى في نزول الآية ، ثم قال بعد حكايته تلك الآثار - : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : ان الله نهى المؤمنين عن خيانته ، وخيانة رسوله ، وخيانة أمانته . وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابه ، وجائز أن تكون نزلت في غيره ، ولا خبر عندنا بأى ذلك ، كان يجب التسليم له بصحته" . أ . هـ.

قلت : ونحن لا نرى غير ما اختاره من العموم .

فان قال قائل : " كيف تصنع بما أورده ابن هشام[3] نقلا عن سفيان بن عيينه عن اسماعيل بن أبي خالد[4] ، عن عبد الله بن أبى قتادة ، فى أن الآية نزلت فى خيانة أبى لبابة ؟ . قلنا : يتوقف القول بصحة تلك الحادثة على سماع عبد الله بن أبى قتادة من أبى لبابة ، فان كان ذاك ، والا فهو مرسل تابعي لا يسوغ به العدول عن الظاهر من عموم الآية .

ثانيا : لم أجد بين أهل التفسير من قال ان آية التوبة التى ذكر القرظى أنها متضمنة أبا لبابه ، بل أخرج ابن جرير[5] عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وابن اسحاق ، أن تلك الآية نزلت فى قوم تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى غزوة تبوك ، فندموا على ما فعلوا ولم يوثقوا أنفسهم بالمسجد فأرجأهم الله الى أمره ، وهو إما التوبة عليهم أو تعذيبهم ، ثم عفا عنهم بعد ذلك ، وهم الثلاثة الذين خلفوا . وبنحو ما حكى الطبرى عن هؤلاء الأئمة حكاه ابن كثير[6] واختاره .

---

(١) انظر: الملحق رقم ٣٧ .
(٢) الطبرى ٩ / ٢٢١ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٣٧ .
(٤) انظر : الملحق : رقم ١٠ .
(٥) الطبرى ١١ / ٢١ .
(٦) ابن كثير ١١ / ٤٠١ .

" وَمَا كَانَ صَلَاتُهُم عِندَ البَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ " . - ٣٥ -

قولـه : " مُكَـاءً " :

١٥٦) المكاء الصفير ، رواه ابن أبى حاتم(١) عن ابن عمر ، ثم قال : " وروى عن ابن عباس ، ونبيط بن شريط(٢) الأشجعي ، ومجاهد في أحد قوليه ، وأبـى رجاء المعطاردى(٣) ، وحجر بن عنبس(٤) ، وقتادة ، ومحمد بن كعب ، وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ، نحو ذلـك .

قولـه : " وَتَصْدِيَـةً " :

١٥٧) التصفيق . حكاه ابن أبى حاتم(٥) ، بقوله : " وروى عن ابن عمر ، ومجاهد ، في احدى الروايات ، وابن أبـزى ، ومحمد بن كعب ، وحجر بن عنبس ، وعطية العوفي ، أنهم قالوا : التصفيق : التصديه .

قلـت : وتفسير هاتين الكلمتين بما فسرهما به هؤلاء الأئمة هو قـول الجمهور فيما حكاه ابن جرير(٦) ، وغير واحد من المفسرين ، وبه جاءت الشواهد:

فمن الأول قول عنتره بن شـداد(٧) :

" وحليل غانية تركت مجـدلا ∴ تحكـو فريصتـه كشـدق الأعلـم " .

وقال الراغـب(٨) :

---

(١) ابن أبى حاتم ٤ / ٢ / ب .
(٢) انظـر : الملحـق رقم ٨٠ .
(٣) انظـر : الملحـق رقم ٩٣ .
(٤) انظـر : الملحـق رقم ١٧ .
(٥) ابن أبي حاتم ٤ / ٣ / أ .
(٦) الطـبرى ٩ / ٢٤٠ ، ٢٤٣ .
(٧) شرح المعلقات السبع ١١٧ .
(٨) المفردات مادة مكـا" ٤٧١ .

مكا الطير يمكو مكاء صفر ، قال : " وما كان صلاتهم عند البيت الآ مكاء وتصديه " . . . الى أن قال : " والمكاء طائر ، ومكت استه صوت" أ . هـ .

ومن الثاني : ما حكاه ابن قتيبة ، واستشهد له فقال : (١)

(والتصدية) : التصفيق . يقال : صدى اذا صفق بيده .

قال الراجز :

" ضنت بخد وثنت بخد وانى من غرو الهوى أصدى " .

وبما ذكرناه من قول الأئمة ، والشواهد ، يتضح صحة قول المفسر.

"يا أيّها الذّين ءامنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللّه كثيرا لعّلكم تفلحون " . - ٤٥ -

قوله : " لعلكم تفلحون " .

١٥٨) غدا اذا لقيتموني . رواه ابن أبي حاتم . (٢)

سبقت دراسته .

" ولا تكونوا كالذّين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء النّاس ويصدّون عن سبيل اللّه . واللّه بما يعملون محيط " . - ٤٧ -

١٥٩) لما خرجت قريش من مكة الى بدر ، خرجوا بالقيان والدفوف ، فأنزل الله : " ولا تكونوا كالذّين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء النّاس ، ويصدّون عن

---

(١) تفسير غريب القرآن ١٧٩ .

(٢) ابن أبي حاتم ٤ / ١٠ / أ .

سبيل اللّه . واللّـه بما يعملون محيـط ". أخرجه ابن جرير [1] ، وراويـه عن المفسر أبومعشر ضعيف ، ولكن يشهد له ما جاءت به الرواية عن كثير من أئمة السلف ، ومن ذلك ما رواه الطـبرى [2] ، عن ابن عباس ، وحكاه ابن اسحـاق [3] من رسالة أبي سفيان الى قريش : لما أفلت بالعير ، فطلب منهم الرجوع ، فكان من رد عدو الله ـ أبي جهل ـ على ذلك : تحريض القوم على المضي ، ولفظـه : " لما رأى أبوسفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل الى قريش : انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبوجهل بن هشـام : "والله لا نرجع حتى نرد بدرا ـ وكان موسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوق كل عام ـ فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر ، وتعـزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، ويمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننـا أبدا بعدها ، إمضوا" . أ . هـ .

قلت : وفي مقول عدو الله هذا ، يظهر جليا ما خرج به القـوم مـن ديارهم من محاده الله وتكذيب رسوله ، مع المراءاة والخيلاء ، وذلك ما تضمنتـه الآية الكريمة من النهي ، عن مشابهة القوم فيه ، كما تضمنت توجيههم الـى اخلاص عملهم لله ، وطلبهم منه المثوبة والأجـر .

"واذ زيّن لهم الشّيطـن أعملهم وقال لا غالب لكم اليوم من النّاس وانّـي جار لكـم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انّي برئ منكم انّي أرى مالا ترون انّي أخاف اللّـه . واللّه شديد العقاب". ـ ٤٨ ـ

١٦٠) لما أجمعت قريش على السير ، قالوا : انما نتخوف من بني بكر ، فقـال

---

(١) الطـبرى ١٠/١٨ .

(٢) الطـبرى ١٠/١٦ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٦١٨ .

لهم ابليس - في صورة سراقة بن مالك بن جعشم -: " أنا جار لكم من بني بكر ولا غالب لكم اليوم من الناس . أخرجه الطبرى [1] من رواية أبي معشر، وبماقال مفسرنا من تبدى الشيطان للقوم على هذه الكنيفية ، واغرائهم بحرب النبي - صلى الله عليه وسلم - ووعده اياهم بالجيرة من بني بكر ، وأنه لا غالب لهم جاءت الرواية عند ابن جرير [2] ، وغير واحد ، عن ابن عباس ، والحسن ، والسدى ، وغيرهم من الأئمة ، ومن ذلك ما رواه ابن اسحاق [3] ، عن عروة بن الزبير قال : " لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينهما وبين بني بكر ، فكاد ذلك يثنيهم ، فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال لهم :" أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه ، فخرجوا سراعا ." أ . هـ .

وهذا الأثر وما في معناه شاهد لقول المفسر .

* * *

* *

*

---

(١) الطبرى ١٠ / ٢٠ .

(٢) الطبرى ١٠ / ١٨ ، ١٩ .

(٣) سيرة ابن هشام (ابليس يغرى قد يشار بالخروج) ٢ / ٦١٢ .

=((تفسير سورة التوبة))=

" بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ - ١ - فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ".

- ٢ -

١٦١) بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبابكر أميرا على الموسم سنة تسع ، وبعث عليّا - رضي الله عنه - بثلاثين - أو أربعين - آية من براءة ، فقرأها على الناس بأجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفه أجل المشركين عشرين من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشرا من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم في منازلهم ، وقال : " لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان .

رواه ابن جرير (١) ، وفي سنده أبو معشر مع ارساله ، ولهذا فلابد لنا من وقفتين ، نبين خلالهما ما كان مخالفا من قول مفسرنا لما قام عليه الدليل .

الوقفة الأولى :

عند قوله فقرأ عليهم براءة يوم عرفة ، فليس الأمر كما قال ، فان الله جلّ وعلا أمر أن يؤذن في الناس يوم الحج الأكبر ، أنه برئ من المشركين ورسوله ، وقد صح الخبر من حديث أبي هريرة (٢) ، أن ذلك الآذان الذى أمر الله به كان يوم النحر ، وهو بيان للحج الأكبر ، وما صحت به الرواية هو المعول عليه دون سواه .

الوقفة الثانية :

عند قوله يؤجل المشركين أربعة أشهر ... الخ " . يفهم منه قصر

---

(١) الطبرى ١٠ / ٦١ .

(٢) البخارى ، كتاب التفسير " سورة براءة " ، باب قوله فسيحوا في الأرض ٦ / ٥٤ ، حديث ٤٦٥٥ .

ما أذن الله به من السياحة في الأرض للمشركين على أربعة أشهر ، وبه قال مجاهد ، وقتادة . أخرجه ابن جرير ، وليس كذلك . فقد دل ظاهر الكتاب والسنة ، على أن من كان من المشركين له عند رسول الله عهد مطلق أو ليس له عهد ، فمدته أربعة أشهر ، وان من كان له عهد محدد فيتم عهده الى مدته ما التزم بعهده . فيدل للأول الآيتان السابقتان في أول الأثر ، وعلى الثاني قوله تعالى : " وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ، فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ " . (١)

وقد جاء حاويا للأمرين جميعا حديث عليّ - رضي الله عنه - وقد بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أبي بكر ليؤذن في الناس . وفيه : ... أيها الناس انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد ، فهو الى مدته وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم الى مأمنهم أو بلادهم " . ا . هـ . رواه الترمذي (٢) ، وابن اسحاق (٣) واللفظ له .

" أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ . وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " . - ١٩ -

---

(١) التوبة ٣ ، ٤ .

(٢) الترمذي ، كتاب التفسير ، باب ١٠ ، ومن سورة التوبة ، ٥/٢٧٦ ، حديث ٣٠٩٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ، اختصاص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليّا بتأدية براءة عنه " . ٤/٥٤٥ .

١٦٢) افتخر طلحة بن شيبة من بني عبدالدار ، وعباس بن عبدالمطلب ، وعليّ بن أبي طالب ، فقال طلحة :" أنا صاحب البيت ، معي مفتاحه ، لو أشاء بت فيه ، وقال عباس :" أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو أشاء بت في المسجد ، وقال علي :" لا أدري ما تقولان ، لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ، فأنزل الله :" أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ ... الآية " .

رواه ابن جرير (١) ، والبغوى (٢) ، والواحدى (٣) ، الاّ أنه لم يسنده ، وليس الطريق فى اسناد هذا الأثر الى مفسرنا بالقوى ، اذ أنه عند الأول : من رواية أبي صخر ، وعند الثاني : من رواية أبي معشر ، مع ارساله وبنحوه قال السدى ، والحسن ، فيما رواه الطبرى ، والبغوى عن الشعبي ، والحسن . ومع هذا فلم يكن متفردا بالقول فيما من أجله كان نزول الآية الكريمة ، فقد اختلف المفسرون فى ذلك اختلافا كثيرا . هل هي فيما كان من تفاخر العباس بالسقاية ، وفك العاني ، وعمارة البيت ؟ . أو هي فى قوم من المشركين افتخروا بذلك ، وأنه أفضل من الايمان بالله والجهاد فى سبيله ؟ . أو هي فيما كان من أمر علىّ ، والعباس ، وطلحة بن شيبة ، كما حكى المفسر ، الى غير ذلك من الأقوال فيما رواه الأئمة السابق ذكرهم وغيرهم ، وهي وان اختلفت في اللفظ الاّ أنها متفقة فى المعنى ، وهو أن الآية الكريمة نزلت توبيخا لمن تفاخر بالسقاية والحجابة أو العمارة ، مساويا ذلك بالايمان بالله ، والجهاد في سبيله ، والبحث في أسانيد تلك الأقوال تطويل دون فائدة .

فأرى الاقتصار على ما صح به الخبر من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال :" كنت عند منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رجل:

---

(١) الطبرى ١٠ / ٩٦ .
(٢) البغوى ١٠ / ٧٥ .
(٣) الواحدى ٢٤١ .

" ما أبالي أن لا اعمل عملا بعدُ الاسلام ، الاّ أن أسقي الحاج ، وقال آخر: " ما أباليأن لا أعمل عملا بعد الاسلام ، الاّأن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر :" الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم ، فزجرهم عمر ، وقال :"لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يوم الجمعة ، ولكن اذا صليتما لجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه ، فأنزل الله عز وجل : " أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... الآية " . رواه مسلم .(١)

" انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " . - ٤١ -

قوله :" انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا " :

١٦٣) نسخ هذه الآية :" وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً "... الى قوله : " لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " . يقول لتنفر طائفة ، ولتمكث طائفة مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالمساكين مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هم الذين يتفقهون في الدين . رواه ابن أبي حاتم(٢) ، عن ابن عباس، ثم قال :" وروى عن عطاء المخراساني ، ومحمد بن كعب القرظي ، مثل ذلك ، قلت : ورواه عن المذكورين البغوى(٣) دون المفسر .

وعندى أن دعوى النسخ باطلة ، ولم تصح للأدلة التالية :

أولا : المعنى ، فان هذه الآية متضمنة أمر الله عباده بالنفير الى جهاد

---

(١) مسلم ، كتاب الامارة ، باب ٢٩ ، فضل الشهادة في سبيل الله ، ٣/ ١٤٩٩ ، حديث ١١١ .

(٢) ابن أبي حاتم ٤/ ٥١/أ .

(٣) البغوى ١٠/ ٢٩٧ .

أعدائه من الكفار بالمال والنفس خفافا وثقالا على أى حال كانوا ، من عسر ويسر، ومنشط ومكره ، وفراغ وشغل ، الى غير ذلك من الأحوال التى يتضمنها الثقل والخفة ، كما أن آية :" فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة "، تتضمن حض المؤمنين على التفقه فى الدين ، وتعلم الأحكام من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يمتنع عمومها فيما أرى حتى بعد زمن النبوة ، ويكفى لهذا الغرض نفر طائفة من المؤمنين ، فكيف يصار الى النسخ مع أن الحكمين لا يتنافيان .

ثانيا : أن جمهور السلف من الصحابة والتابعين ، مثل ابن عباس ، ومجاهد، وسعيد بن المسيب ، لم يفهموا من الآية غير الاحكام ، ولذلك ألزم بعضهم نفسه بالجهاد ، وهبّ اليه مع ضعفه وكبر سنه ، كما حكاه غير واحد من المفسرين، منهم : ابن أبي حاتم (١) ، وابن كثير (٢).

ثالثا : ضعف السند فى القول بالنسخ ، فقول ابن عباس من رواية ابن جريج ، وقد سبق التنبيه عليه ، وعثمان بن عطاء الخراساني ، فهو ضعيف (٣). وأما أبوه عطاء بن أبي مسلم ، فانه وان كان صدوقا ، الاّ أنه يهم ، ويرسل ، ويدلس ، ولما ذكرناه من الضعف في السند ، حدث في الأثر ركاكة العبارة ، وبعد المعنى كما ترى .

فان قيل : روى ابن أبي حاتم (٤) ، والبغوى (٥) ، النسخ ،عن السدى ، وان الناسخ للآية قوله :" لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لا يجدون مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ " (٦).

---

(١) ابن أبي حاتم ٤ / ٥٠ / أ .

(٢) ابن كثير ١٠ / ٣٧٣ .

(٣) عثمان بن عطاء الخراساني ضعيف من السابعة مات سنة خمس وخمسين وقيل احدى - أى بعد المائة - انظر التقريب : ٢ / ١٢ .

(٤) ابن أبي حاتم : ٤ / ٥٠ / ب.

(٥) البغوى : ١٠ / ٢٩٧ .

(٦) التوبة : ٩١ .

قلت : وهذه أيضا دعوى غير صحيحة ، لأن السدى يهم ، وتلميذه أسباط بن نصر[1] ، كثير الخطأ ويغرب .

فالصواب عندى . أن آية النفر الى الجهاد عامة ، على ما أسلفنا ، وأن آية :" وليس على الضعفاء " ، مخصصة لعموم آية النفر ، باستثناء المذكورين فيها ، ونحوهم ممن لم يقدر على الجهاد . والله أعلم .

" وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ " . - ٦٥ -

قوله :" وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ " :

١٦٤) قال رجل من المنافقين :" ما أرى قرّاءنا هؤلاء الاّ أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ، فرفع ذلك الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد ارتحل وركب ناقته . فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب . فقال :" أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ" ... الى قوله :" ... مُجْرِمِينَ" ، وان رجليه لتسفعان بالحجارة ، وما يلتفت اليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متعلق بنسعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

رواه الطبرى[2] ، من طريق أبي معشر ، ضمن أقوال المفسرين المختلفة فى سبب نزول الآية . هل هي فى استهزاء المنافقين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ . أو هي فيما كان من دأبهم في تخذيل المسلمين ؟. أو هي فى تكذيبهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يعد به من النصر؟، أو ما يخبر به من بعض الأمور؟ .

وبكل قول من هذه الثلاثة قال جماعة من السلف فيما حكاه أيضا غير واحد من الأئمة[3] ، منهم : ابن أبي حاتم - عدا قول المفسر - ، وقول مفسرنا ، وان كان

---

(١) انظر الملحق رقم : ٨ .
(٢) الطبرى : ١٠ / ١٧٣ .
(٣) ابن أبي حاتم : ٤ / ٦٢/أ

مرسلا ضعيف الاسناد ، الاّ أنه يشهد له حديث ابن عمر ، عند الطبرى (١) ، وغير واحد قال : (قال رجل فى غزوة تبوك في مجلس ، ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجل فى المجلس : " كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ونزل القرآن قال عبدالله بن عمر : فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تنكبه الحجارة وهو يقول : يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ" . أ . هـ .

قلت : وهذا أصح ما روى فى سبب نزول الآية (٢) ، وما عداه من الأقوال فهي مرسلة ، وفى حديث زيد بن أسلم زيادة ، وهي تعيين الرجل الذى أنكر على أصحاب تلك المقولة الشنيعة ، ثم ذهب ليخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بما قاله القوم . انه (عوف بن مالك) .

" لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ" . - ٦٦ -

قوله : "إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ" :

١٦٥) طائفة : رجل . رواه ابن جرير (٣) ، من طريق موسى بن عبيدة ، وهو وان كان ضعيف الاسناد ، الاّ أنه له شواهد رواها ابن جرير ، وغير واحد ، ومن تلك الشواهد ما رواه ابن أبي حاتم (٤) ، عن كعب بن مالك - رضي الله عنه قال :

---

(١) الطبرى ١٠ / ١٧٢ .

(٢) الطبرى ١٤ / ٣٣٤ (حاشية) تحقيق محمود شاكر .

(٣) المصدر السابق ١٠ / ١٧٣ .

(٤) ابن أبي حاتم ٤ / ٦٤ / أ .

" قال مخشن بن حمير : لو وددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل منكم مائة جلدة ، على أن تنجوا من أن ينزل فينا قرآن ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمار بن ياسر : أدرك القوم فانهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فان هم أنكروا وكتموا ، فقل : بل قلتم كذا وكذا ، فأدركهم ، فقال لهم الذى أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فجاؤا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يعتذرون ، وقال مخشن بن حمير : يا رسول الله قعد بى اسمى واسم أبى ، فأنزل الله تعالى فيهم : " لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً " ، فكان الذى عفا الله عنه مخشن بن حمير ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمقتله . فقتل يوم اليمامة لا يعلم من قتله ، ولا يرى له أثر ولا عين " . أ . هـ .

قلت : وفي هذا الخبر التصريح بأن المراد بالطائفة التي وعد الله بالعفو عنها ، هو رجل بعينه ، وذلك كاف فى الدلالة على صحة قول مفسرنا .

" كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ " . - ٦٩ -

قوله : " فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ " :

١٦٦) الخلاق : الدين . رواه ابن أبي حاتم[1] ، كما رواه عن أبي هريرة ، وابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وجميع أسانيده ضعيفة ، وأعدلها : ما روى عن الحسن . واليك بيان ذلك :

أولا : قول أبي هريرة رواية عنه وعن المفسر واحد ، وهو أبو معشر ، مضى الكلام عليه .

---

(١) ابن أبي حاتم ٦٥ / ب .

ثانيا : رواية ابن عباس ، من طريق بشر بن عمارة الخثعمي[1] ، وهو ضعيف .

ثالثا : في سند الرواية عن مجاهد-ليث ، وهو ابن أبي سليم ، متروك الحديث ، وقد سبق التنبيه عليه .

رابعا : في الرواية عن الحسن معمر ، وهو ابن راشد ، قال ابن حجر : " ثقة ، ثبت الا أن في روايته عن ثابت ، والأعمش ، وهشام بن عروة شيئا وكذا فيما حدث به بالبصرة .

وبعد ما بيناه من الحكم على أسانيد تلك الأقوال ، بقي أن نقول إن الآية الكريمة تحذير لمن خاض بالباطل من المنافقين ، فاستهزأوا بالله وآياته ورسوله ، مستمتعين بما نالوه من الحظ في دين الله - ظاهرا - فعصموا دماءهم وأموالهم ، بأن أولئك مآلهم الخسران ، شأنهم في ذلك شأن من سبقهم من مكذبي الأمم الماضية .

وبهذا يتبين أن تفسير الخلاق بالدين ، قصور في المعنى .

والصواب عندي : ما قاله ابن قتيبة : "[2] (الخلاق) : الحظ في الخير ، وفيه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " ليؤيدن الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم " . أي : لا حظ لهم في الخير " . أ . هـ .

" وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " . - ٧٢ -

قوله : " فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ " :

---

(١) انظر : الملحق رقم ١٣ .

(٢) تفسير غريب القرآن ٥٩ .

١٦٧) ان الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل ، في الساعة الأولى منهن : ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحوا ما يشاء ويثبت ، ثم ينزل في الساعة الثانية الى جنة عدن ، وهي داره ، التي لم ترها عين ، ولم تخطر على قلب بشر ، وهي مسكنه ، ولا يسكن معه من بني ءادم غير ثلاثة : النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك ، وذكر الساعة الثالثة .

١٦٨) "عدن داره" . يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، وهي مسكنه لا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصديقين، والشهداء ، يقول الله تبارك وتعالى : "طوبى لمن دخلك" .

أخرجهما ابن جرير[1] ، من طريق مفسرنا ، عن فضالة ، عن أبي الدرداء ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهما ضعيفان ساقطان من الاستدلال ، لأن كليهما مداره على زيادة بن محمد[2] ، ومنه جاءت النكارة والغرابة في الخبرين ونحن نعرض لك من هذين الخبرين ما دل عليه ظاهر الكتاب ، أو صحيح السنة ، ضاربين صفحا عن ما عدا ذلك . فنقول :

أولا : نزول الرب تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله الى السماء الدنيا فقط في الثلث الأخير من الليل ، كما صح به الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي هريرة ، عند أحمد[3] ، ومسلم[4] ، واللفظ له : " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير . فيقول : " من يدعوني فأستجيب

---

(١) الطبري ١٠ / ١٨٠ .

(٢) زيادة بن محمد الأنصاري . تقدم ص٣٣

(٣) المسند ٢ / ٢٥٨ .

(٤) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب ٢٤ ، الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ١ / ٥٢١ ، حديث ١٦٨ .

له ، ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفرنى فأغفر له ." أ . هـ .

ثانيا : ما يمحوه الله ويثبته وفق مشيئته دون تحديد ذلك بساعات معينة من ليل أو نهار ، والشواهد على ذلك من الكتاب كثيرة ، منها قوله تعالى : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ " .(١) ومنها : " يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ " .(٢)

ثالثا : أخرج ابن جرير هذين الحديثين ، مستدلا بهما لمن قال : " ان جنة عدن هي دار الله ، التى استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه ، وروى فى ذلك نحوهما عن ابن عباس ، وهذا تفسير صحيح ، والشواهد له كثيرة ، منها : قوله تعالى على لسان الخليل - عليه السلام - : " وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ "(٣) ، وقال تعالى : " قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ "(٤) ، وقال فى استغفار الملائكة للمؤمنين : " رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(٥) .

" وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ".

- ٧٥ -

١٦٩) كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث : بالكذب ، والاخلاف ، والخيانة ، فالتمستها فى كتاب الله زمانا لا أجدها ، ثم وجدتها في آيتين من كتاب الله قوله : " وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ " ... حتى بلغ : " ... وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ " . وقوله : " إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ "(٦) . هذه الآية . أخرجه ابن جرير(٧) ،

---

(١) الرعد ٣٩ .
(٢) الرحمن ٢٩ .
(٣) الشعراء ٨٥ .
(٤) الفرقان ١٥ .
(٥) غافر ٨ .
(٦) الأحزاب ٧٢ .
(٧) الطبرى ١٠ / ١٩٢ .

عن مفسرنا بهذا اللفظ ، كما أخرج نحوه عن ابن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، والحسن ، وعبد الله بن عمرو ، مستدلا بهذه الأخبار على ما اختاره من أن الآية بيان من الله لما اتصف به المنافقون من الكذب ، وخلف الوعد ، وهذا الاستنتاج من الآية صحيح ، غير أنه يلاحظ على قول مفسرنا عدم معرفته كذب المنافقين ، وخيانتهم الا من هذه الآية ، وآية الأحزاب ، وقد كان سمع ذلك من قبل - ولا أظن - مثل القرظي - رحمه الله ، يقصر باعه حتى لا يفهم صفات المنافقين الثلاث ، التي ذكرها ، حتى يطلبها في آية التوبة هذه ، وآية الأحزاب ، وقد مر آيات من سورة التوبة فسر شئ منها ، تدل على تلك الصفات الذميمة للمنافقين ، وقد أنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - سورة كاملة : " إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ... " . وهي ملأ بخيانة المنافقين وكذبهم وغدرهم . فليتأمل ذلك .

هذا من جهة المتن ، أما اسناده فصحيح ، لأنه من رواية ابن جرير ، عن محمد بن معمر ، عن أبي هشام المخزومي ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن عثمان بن حكيم [1] عن المفسر .

" فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ " . - ٨١ -

١٧٠) خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حر شديد الى تبوك فقال رجل من بني سلمة : " لا تنفروا في الحر ، فأنزل الله : " قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ ... الآية " . أخرجه ابن جرير [2] ، من رواية أبي معشر ، وهو عنده ، عن

---

(١) تقدم ص ٣٦

(٢) الطبري ١٠ / ٢٠١ .

ابن عباس ، وقتادة ، وابن اسحاق ، وفيه مسألتـــان :

المسألة الأولـــى :

أن الآية نزلت ذما لمن تخلف عن غزوة تبوك ، مع رسول الله - صلـــى الله عليه وسلم - وقالوا :" تثبيطا وارجافا لا تنفروا في الحر ، وسواء كان قولهم هذا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين ، أو لأنفسهم ، فـــان الغرض تخذيل المسلمين عن الجهاد فى هذه الغزوة العظيمة ، التى أثـــنى الله على أهلها ، وسماها : ساعة العسرة ، فقول المفسر في هذه المسألـــة صحيح ، والقصة معروفة عند المفسرين والمحدثين[1] وأهل الســـيّر[2] .

المسألة الثانيـــة :

وهي تحديد القائل برجل من بنى سلمة ، أو برجل واحد غير معـــين، ، كما جاء عن ابن عباس عند ابن أبى حاتم[3] فضعيف من جهتـــين :

الأولى : فى الآية من ألفاظ العموم قوله :" وقالوا ، وكرهوا " ، هـــذه الألفاظ تدل على الكثرة ، والعدول عن ذلك الى رجل واحد على أنه عـــام يراد به الخصوص يحتاج الى دليل ، يجب التسليم له ، ولا دليل عليه يصلـــح للاحتجـــاج .

الجهة الثانية : أن كلا القولين سنده ضعيف ، فقول المفسر فيه غـــير الراوى ، عنه عبد العزيز بن أبان الأموى ، وقد نبهت عليه فيما سبق . وأمـــا ما جاء عن ابن عباس فمسلسل بالعوفيين ، وهم : عطية بن سعد العوفـــى ، وبعض بنيه ، وجميعهم ضعفـــاء .

" وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّـــوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ " . - ٩٢ -

---

(١) البخاري ،غزوة تبوك ،باب حديث كعب بن مالك ٦/٤ ، حديث ٤٤١٨ .
(٢) ابن [illegible]

١٧١) جاء ناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستحملونه فقال : " لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ " . فأنزل الله : " وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ... " . قال : " هم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف، سالم بن عمير، ومن بنى واقف : حرمي بن عمرو، ومن بني مازن بن النجار: عبد الرحمن بن كعب، يكنى أباليلى ، ومن بنى المعلّى : سلمان بن صخر ، ومن بنى حارثة : عبد الرحمن بن يزيد أبوعبله ، وهو الذى تصدق بعرضه فقبله الله منه ، ومن بنى سلمه : عمرو بن غنمه ، وعبد الله بن عمرو المزني .

أخرجه ابن جرير (١) ، من طريق المفسر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلا ، وفى سنده أبومعشر ، وعبد العزيز بن أبان الأموى .

وقد عرض لأمرين يستدعى كل منهما التوضيح :

الأمر الأول :

عدد البكائين وأسماؤهم ، فقد اختلف المفسرون فى ذلك اختلافا كثيرا، هل هم من قبائل شتى،كما قال المفسر، وابن اسحاق ؟ . أو هم بنو مقرن من مزينه ، كما قال مجاهد ، أو المعنى بالآية عرباض بن سارية ؟ .

أخرج هذه الأقوال ابن جرير (٢) وغيره .

وخلاصة القول : أنه ليس لتلك الأقوال مستند تقوم به الحجة ، فجميعها مرسلة ، لا يسوغ بها العدول عن ظاهر القرآن فى عدم تعيينهم ، فوجب المصير الى أنهم قوم من المؤمنين جاءوا يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - راغبين فى الجهاد سائلين اياه أن يحملهم ، فلما اعتذر اليهم لعدم وجود ما يحملهم عليه ، انصرفوا من عنده باكين حزنين ، ولإخلاصهم ومحبتهم لله ورسوله ذكروا فى جملة أهل الأعذار .

---

(١) الطبرى ١٠/٢١٣ .

(٢) المصدر السابق ١٠/٢١٢ .

الأمـــر الثانـــي :

فى المتصدق بعرضه ، فقد ذكر ابن حجر[1] : أنه علبة بن زيد ، وليـــس عبد الرحمن بن يزيد أبوعبله ، كما ذكر مفسرنا ، ويفهم من كلام الحافظ فى ترجمة علبة ، وأبى ضمضم ، أن قضية تصدق ذلك الرجل بعرضه صحيحـة .

" وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ " . - ١٠٠ -

قولـه : " وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ " . :

١٧٢) مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ : " والسابقون الأولون من المهاجريـــن والأنصار " ... حتى بلغ : " ... ورضوا عنه " قال : " وأخذ عمر بيده ، فقـــال : من أقرأك هذا ؟ قال أبىّ بن كعب ، فقال : لا تفارقنى حتى أذهب بـــك اليه ، فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعـــم ، قال : أنت سمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : نعم ، قال : لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا ، فقال أبىّ : تصديـــق هذه الآية فى أول سورة الجمعة : " وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ... " الـــى " ... وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ " ، وفى سورة الحشر : " وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ "[3] ، وفى الأنفـــال : " وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ "[4] ... الـــى آخر الآية .

---

(١) الاصابة (علبة بن زيد بن عمرو بن زيد الأنصارى) ٤ / ٢٦١ ، ٧ / ١٠٩ (أبوضمضم) .
(٢) الجمعـــة ٣ .
(٣) الحشـــر ١٠ .
(٤) الأنفـــال ٧٥ .

رواه ابن جرير[1] ، من طريق القرظي ، عن عمر ، وله عنده بنحوه رواية أخرى ، من طريق أحمد بن اسحاق .[2]

١٧٣) قال أبوصخر حميد بن زياد : " أتيت محمد بن كعب القرظي . فقلت له : " ما قولك في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فقال : " جميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجنة ، محسنهم ومسيئهم ، فقلت : من أين تقول هذا ؟ فقال : " اقرأ قوله تعالى : " وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ " ... الى أن قال : " ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ " ، وقال : " وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ " ، وشرط في التابعين شريطة ، وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة . قال أبوصخر : فكأني لم أقرأ هذه الآية قط . أخرجه البغوي[3] غير مسند .

وللكلام على هذه الأخبار مجتمعة ، لابد من بيان أربعة أمور :

الأول : كل ما جاء عن القرظي عند ابن جرير ، فهو من رواية أبي معشر ، مع أن مفسرنا لم يسمع من عمر .

ثانيا : أخرج ابن جرير أقوال القرظي ضمن من يرى أن السابقين الأولين هم الذين صلوا الى القبلتين مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وكما حكاه فهم الأكثرون ، وفيهم أبوموسى الأشعري ، ومحمد بن سيرين ، وقتادة .

ثالثا : في روايات الطبري استغراب عمر - رضي الله عنه - آية التوبة هذه ، حتى تأكد من أبيّ - رضي الله عنهما - وما قدمناه من الارسال وضعف السند يكفي في رد ذلك .

---

(١) الطبري ١١/٨ .
(٢) انظر: الملحق رقم ٩٦ .
(٣) البغوي ١١/٣٢٢ .

رابعا : فى رواية البغوى اعتراف من القرظي - رحمه الله - بفضل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - والشهادة لهم بالجنة - المحسنين منهم والمسيئين - استنتاجا من هذه الآية ، وهذا بين ظاهر من لفظ الآية الكريمة ، فقد تضمنت رضا الله عنهم ومن تبعهم باحسان كما تضمنت وعده اياهم بالجنة ، ولكن يجب التنبيه على أن من مات منافقا ، مثل :عبد الله ابن أبيّ ، لا يشمله هذا الفضل ، وان شمله مسمى الصحبة ، ويشهد لهذا ما رواه البخارى (١) ، عن جابر- رضي الله عنه - قال :" كنا فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ... الحديث" . وفيه : فقال عبد الله بن أبيّ : " أو قد فعلوا ؟ والله لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: " دعنى يا رسول الله إضرب عنق هذا المنافق ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :" دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، ووجه الدلالة من هذا الحديث فى عدم انكار النبي - صلى الله عليه وسلم - على عمر قتل ابن أبيّ ، وانما ترك ذلك خشية حديث الناس بقتل النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه .

"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ . وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" . - ١١١ -

١٧٤) قال عبد الله بن رواحة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" اشترط لربك ما شئت . قال : أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط

---

(١) البخارى ، كتاب التفسير (سورة المنافقين) ، باب يقولون لين رجعنا الى المدينة ... " ٢٨/٦ حديث ٤٩٠٧ .

لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم ، قالوا : فاذا فعلنا ذلك . فماذا لنا ؟ قال : الجنة . قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ، فنزلت :" إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ... الآية " .

أخرجه ابن جرير (١) ، والبغوى (٢) ، والواحدى (٣) ، واللفظ للأخيرين .

ومفاده أن بيعة الأنصار - رضي الله عنهم - ليلة العقبة الثانية (٤) ، سبب نزول الآية ، ولم يصح ذلك لأمرين :

الأول : أن عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - استشهد فى سرية مؤتة ، سنة ثمان من الهجرة (٥) ، وذلك قبل مولد المفسر بكثير ، وعلى هذا فالخبر مرسل عن ابن رواحة .

الأمر الثاني : ضعف السند من جهة أبي معشر ، وعبد العزيز بن أبان ، وقد مضيا مرارا . فلم يبق الا القول بالعموم فى الآية ، وهو المختار عندى لثلاثة أدلة :

الأول : ظاهر الآية الكريمة ، فانها متضمنة وعد الله - جلّ وعلا - من بذل نفسه وماله فى سبيله، بأن يعوضه الجنة ، وهذا عام فى كل مؤمن الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن نظائرها فى السنة : ما رواه الشيخان واللفظ للبخارى (٦) ، من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - عن

---

(١) الطبرى ١١ / ٣٥ .

(٢) البغوى ١١ / ٣٢٩ .

(٣) الواحدى ٢٦٣ .

(٤) سيرة ابن هشام : أمر العقبة الثانية (اسلام عبد الله بن عمرو ١ / ٤٤٠ .

(٥) البداية والنهاية . غزوة مؤتة ٤ / ٢٤١ .

(٦) البخارى ، كتاب الجهاد ، باب ٢٧ ، الجهاد من الايمان ١ / ١٣ .
مسلم ، كتاب الامارة ، باب ٢٨ ، فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله ٣ / ١٤٩٥ .

النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :" انتدب الله لمن خرج فى سبيله - لا يخرجه الآ ايمان بى وتصديق برسلى - أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة " . انتهى محل الفرض منه .

الدليل الثاني : أن عموم الآية هو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، فى جمهور المفسرين ، حكاه ابن جرير (١) ، وابن أبى حاتم (٢) ، وغير واحد .

الدليل الثالث : أنه لو صح قول المفسر ما كان مانعا من العموم ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وليس فى بيعة العقبة (٣) قول لعبد الله ابن رواحة .

" مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ - ١١٣ - وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ " . - ١١٤ -

١٧٥) لما مرض أبوطالب ، أتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال المسلمون: " هذا محمد يستغفر لعمه ، وقد استغفر ابراهيم لأبيه ، قال : فاستغفروا لقرباتهم من المشركين ، قال : فأنزل الله :" مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ..." . قال ثم أنزل الله :" وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ " . قال :" كان يرجوه فى حياته فلما تبين له

---

(١) الطبرى ١١ / ٣٥ .

(٢) ابن أبى حاتم ٤ / ٩٠ / أ .

(٣) سيرة ابن هشام . أمر العقبة الثانية . (اسلام عبد الله بن عمرو) . ١ / ٤٤٠ .

أنه عدو لله تبرأ منه.. رواه ابن أبى حاتم[1] مرسلا ، وفى سنده موسى بن عبيدة الربذى ، وقد اختلف المفسرون فى سبب نزول هاتين الآيتين . هل هما فى شأن أبى طالب ، وما كان من أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - اذ دعاه الى الاسلام حين حضرته الوفاة ؟ . أو هما فيما كان من استئذان النبي - صلى الله عليه وسلم - فى الاستغفار لأمه فمنع من ذلك ؟ . أو هما فى أن قوما من أهل الايمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين ؟ ،

وبكل من هذه الأقوال قال جماعة من المفسرين ، رواها عنهم ابن جرير[2] ، وغير واحد من الأئمة .

وعندى أن القول الأول هو الراجح ، لما رواه الشيخان[3] ، واللفظ للبخارى ، من حديث سعيد بن المسيب ، عن أبيه . قال : " لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوجد عنده أبا جهل ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال : أى عم قل لا اله الا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال أبوجهل ، وعبد الله بن أبى أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرضها عليه ، ويعيدانه بتلك المقالة ، حتى قال أبوطالب آخر ما كلمهم : على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا اله الا الله . قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لأستغفرن لك مالم أنه عنك ، فأنزل الله : " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ " ، وأنزل الله فى أبى طالب ، فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ "[4] .

---

(١) ابن أبى حاتم ٤ / ٩٢ / ب .

(٢) الطبرى ١١ / ٤١ .

(٣) البخارى ، كتاب التفسير ، سورة القصص ، ٦ / ٩٣ .
مسلم ، كتاب الايمان ، باب ٩ ، نسخ جواز الاستغفار للمشركين ١ / ٥٤ .

(٤) سورة القصص ٥٦

وما قال مفسرنا يندرج ضمن القول الثالث وبنحوه . قال ابن عبـــاس، وقتـادة ، وعليّ ، فيما أخرجه ابن جريـر .(١)

" فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ " . - ١٢٩ -

١٧٦) خرجت سرية الى أرض الروم ، فسقط رجل منهم ، فانكسرت فخـذه ، فلم يستطيعوا أن يحملوه ، فربطوا فرسه عنده ووضعوا عنده شيئا من ماء وزاد ، فلما ولوا أتاه آت ، فقال له : مالك هـهنا ؟ ، قال : انكسرت فخذي فتركني أصحابي فقال : ضع يدك حيث تجد الألم ، فقل : " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" . قال : فوضع يده فقرأ هذه الآيـة ، فصح مكانه ، وركب فرسه وأدرك أصحابه .

أخرجه أبوالشيخ ، فيما حكاه السيوطي(٢) ، وفي الخبر دليل على الاستشفاء بهذه الآية ، لكن لم أقف له على سند كما لم أجد ما يسنده من السنة ، والقـول بمثله يتوقف على صحته ، وفيه غرابة ، وذلك في ترك تلك السرية صاحبهـم عاجزين عن حمله ، وأظن هذا في غاية الغرابة ، فلا يليق بسرية من المسلمين يصل بهم الأمر الى أن يتركوا رجلا منهم كسيرا بأرض العـدو .

* * *

* *

*

---

(١) الطـبري ١١ / ٤١ .

(٢) الدر المنثور ١١ / ٣٣٤ .

قولـــه : " الـــر " -١-:

١٧٧) الـف ولام وراء . مـن الرحمـن .

حكاه السيوطي[1] ، وعزا اخراجه الى أبى الشيـخ .

سبـق دراسـة هذا الأثـر .

" قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ " -٥٨-

قولـه : " هُـوَ خَـيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُـونَ " :

١٧٨) من الدنيا . أخرجه ابن أبى حاتم[2] ، وهذا تفسير صحيح ، يؤيـده أمـران :

الأول : ظاهر الآية الكريمة ، فانها نص صريح فى أمر الله نبيه - صلى اللـه عليه وسلم - باخبار قومه وغيرهم من المشركين ، أنما بعثه الله به مـن الهدى ودين الحق هو خير لهم مما يجمعون فى دنياهم من الأمـوال والأهل والولد ، فعليهم أن يفرحوا به ويستجيبوا لدعوة الاسلام ، فـان فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة .

الأمر الثاني : موافقة الأئمة لمفسرنا فى قوله ، ومن هؤلاء الأئمة : ابن عباس، والضحاك ، والحسن ، حكاه عنهم غير واحد من المفسرين ، منهـم : ابن جرير[3] ، وابن أبى حاتـم .

---

(١) الـدر المنثـور ١١ / ٣٤٠ .

(٢) ابن أبي حاتـم ٤ / ١٢٣ / أ .

(٣) الطـبرى ١٢ / ١٢٥ .

" لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " . - ٦٤ -

قوله : لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ " :

١٧٩) لا تبديل لشئ قاله فى الدنيا والآخرة . أخرجه ابن أبي حاتم.(١)

سبق دراسته بالأثر (١١٣) .

"قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" . - ٦٨ -

قوله : " إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا " :

١٨٠) كل سلطان فى القرءان حجة . أخرجه ابن أبى حاتم(٢) ، عن ابن عباس ، وقال : "وروى عن عكرمة ، ومحمد بن كعب ، وسعيد بن جبير ، والسدى ، والضحاك ، والنضر بن عدى(٣) ، نحو ذلك .

" وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ " . - ٨٨ -

قولة : " رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ " :

١٨١) قرأ سورة يونس على عمر بن عبد العزيز " وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا "... الى قوله :"... اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ ... الآية " . الى آخرها . فقال له عمر بن عبد العزيز: يا

---

(١) ابن أبي حاتم ٤/١٢٦/أ .

(٢) المصدر السابق ٤/١٢٦ .

(٣) انظر: الملحق رقم ٨١ ،

أبا حمزة ، أى شئ الطمس . قال : عادت أموالهم كلها حجارة ، فقال عمر ابن عبد العزيز لغلام له : ائتنى بكيس فجاءه بكيس ، فاذا فيه حمص وبيض ، قد قطع حول حجارة " . رواه ابن أبي حاتم .(١)

١٨٢) اجعل سكرهم حجارة . رواه ابن جرير(٢) ، وهو في تفسير مجاهد .(٣)

١٨٣) اجعل صورهم حجارة . وكان الرجل مع أهله فى فراشه فصار حجرين والمرأة قائمة تخبز صارت حجرا . رواه البغوى .(٤)

وفى هذه الآثار مجتمعة مسألتان :

احداهما : فى ما وقع عليه الطمس من آل فرعون وأموالهم .

والأخرى : فى كيفية ذلك الطمس .

وكلتا المسألتين مدفوعة بأمور كثيرة . منها :

أولا : ان ما جاء عن مفسرنا من الأقوال ضعيف ، فما رواه ابن أبي حاتم ، والبغوى ، من طريق أبي معشر ، كما أن ما رواه ابن جرير ، وما كان في تفسير مجاهد ، مداره على ابن جريج ، وقد عنعن .

ثانيا : لم نجد فى الكتاب ولا فى السنة ، ما يعضد هذه الأخبار ، وغالب الظن أنها من القصص .

فان سأل سائل : كيف تصنع بما أخرجه ابن جرير(٥) ، وابن أبي حاتم(٦) ، عن

---

(١) ابن أبي حاتم ٤ / ١٣١ / أ .
(٢) الطبرى ١١ / ١٥٧ .
(٣) تفسير مجاهد ١ / ٢٩٧ .
(٤) البغوى ١١ / ٣٦٦ .
(٥) الطبرى ١١ / ١٥٨ .
(٦) ابن أبي حاتم ٤ / ١٣١ / ب ، ١٣٢ / أ .

الربيع ، والضحاك ، وقتادة ، وغيرهم ، وكلهم قالوا بنحو ما قاله القرطبي ؟ .

فالجواب : ان ما قاله أولئك الأئمة شأنه شأن ما جاء عن مفسرنا ، لعدم ما يسنده من الدليل .

ثالثا : لا يظهر من آية يونس هذه ، والتي بعدها غير أمرين :

أولهما : سؤال موسى - صلى الله عليه وسلم - ربه الطمس على أموال فرعون ، والشد على قلوبهم .

وثاني الأمرين : اعلام الله نبيه ، أنه قد أجاب دعوته وأخيه ، ولا يلزم من هذه الاجابة وقوع الطمس على الأموال ، حتى يبحث عن كيفيته ، لأن دعوة موسى وأخيه عليهما السلام ، تضمنت الطمس وغيره ، وقد وعدهما ربهما باجابة دعوتهما ، وهذا الوعد واقع لا محالة ، بأخذ الله فرعون وجنده ببعض ما دعا به النبيان - عليهما السلام - ولا شك أن ما حلّ بفرعون من أخذ الله وأليم عقابه ، اجابة لدعوة موسى - عليه السلام - وهو أعظم نعمة على رسول الله والمؤمنين ، من الطمس على الأموال . كيف لا ! وقد أورث الله رسوله والمؤمنين ، بعد نجاتهم من كيد أولئك الكفرة - ديارهم وأموالهم . قال تعالى : " فَأَخْرَجْنَاهُم مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ " . (١)

" قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " .

- ٨٩ -

قوله : " قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا " :

١٨٤) دعا موسى وأمّن هارون . أخرجه ابن جرير (٢) ، من طريقين : في

---

(١) الشعراء ٥٧ : ٥٩ .

(٢) الطبري ١١ / ١٦١ .

أحدهـا موسى بن عبيده ، وفى الآخر ، منهم :، وابن أبي حاتم (١) ،عـن أبي العالية ، ثم قال :" وروى عن محمد بن كعب القرظي ، والربيع بن أنس، نحو ذلك .

قلـت : وقول عكرمة ، وأبي صالح ، وابن زيد ، كما أخرجه الطـبرى (٢) ، مثل قول القرظي ، والآية نص على أن هارون كان مشاركا لأخيه فى الدعـاء .

فان قلت : كيف قال هؤلاء الأئمة أن مشاركة هارون ـ أخاه ـ فى الدعـاء كانت تأمينه ، حينما كان موسى يدعـو ؟ .

قلـت : لعلهم استنبطوا هذا المعنى من مجموع الآيتين ، فالآية الأولى نص على أن الذى كان يدعو هو موسى ، وليس لهارون معه فيها ذكر ، والثانية فيها التصريح باجابة الله دعاء الاثنين ، وذلك بقوله :" قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا" ، وهذا الخطاب من الله جلّ ذكره لموسى وهارون معا ، وهذا لا ينفى أن لهارون فى بعض المواقف دعوة مثل أخيه موسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولم أجـد لقول هؤلاء الأئمة رحمهم الله ـ مستندا فى كتاب ولا سنة . وفى هذا دليـل على تسمية المؤمن على الدعاء بالداعى . والله أعلم .

قوله :" فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُـونَ " :

١٨٥) ان فرعـون مكث بعد هذه الدعوة أربعين يوما . حكاه ابن كثـير (٣) ، عن المفسر ، وعلى بن الحسين ،عطفا على قول ابن جريج ، وحكاية ابن جريج بأن فرعون مكث بعد دعوة موسى أربعين سنة . رواها عنه الطـبرى (٤) .

---

(١) ابن أبي حاتم ٤ / ١٣٢ / أ .
(٢) الطـبرى ١١ / ١٦٠ .
(٣) ابن كثـير ١١ / ٤٤٥ .
(٤) الطـبرى ١١ / ١٦١ .

قلـــت : وهذه الأقوال ليست من تفسير الآية فى شئ ، بل هي فى تحديد مكث فرعون بعد دعوة نبي الله موسى ، وهذا وما شابهه لا سبيل الى معرفتـــه الاّ بنص من كتاب الله أو من صحيح السنة ، فان وجد ذلك ، والاّ وجب المصير الى ما سلكه القرآن من السكوت عنه أو الاجمال الذى تأتى منه العبرة ، ولا تحتاج بعده الى تفصيـــل .

"وَجَـــاوَزْنَا بِبَنِيَ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَـهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَـــتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَـــرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ الَّذِيَ ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَـــا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ". - ٩٠ -

قولـــه : " وَجَاوَزْنَا بِبَنِيَ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَـهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيـــًا وَعَـدْوًا ... الآية " . :

١٨٦) اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون ، وخرجوا مع موسى من مصر ، حين خرجوا وهم ستمائة ألف ، فلما أدركهم فرعون فرأوه قالوا : يا موسى أين المخرج ؟ . فقد أدركنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء . فأوحى الله الـــى موسى : " أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ " . ويبس لهم البحر وكشف الله عن وجه الأرض وخرج فرعون على فرس حصان أدهم . علـــى لونه من الدهم ثمان مئة ألف سوى ألوانها من الدواب . وكانت تحت جبريـــل - عليه السلام - فرس وديـق ليس فيها أنثى غيرها ، وميكائيل يسوقهم لا يشـــذ رجل منهم الاّ ضمه الى الناس ، فلما خرج آخر بنى اسرائيل دنا منه جبريـــل ولصق به فوجد الحصان ريح الأنثى فلم يملك فرعون من أمره شيئا وقال : أقدموا فليس القوم أحق بالبحر منكم ، ثم اتبعهم حتى اذا هم أولهم أن يخرجوا ارتطم ونادى فيها : "ءَامَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ الَّذِيَ ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِـــينَ" ونودى : "الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" . أخرجه ابن جرير بتمامـــه (١)

---

(١) الطـــبرى ١١/١٦٢ .

وفى سنده موسى بن عبيدة ، وأخرجه ابن أبي حاتم[1] مختصرا ، من طريق ابن اسحاق عند قوله :" حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ" ، ولنا مع هذا الأثر ثلاث وقفات نبين خلالها ما كان جديداً يستدعى بسط الكلام :

الوقفة الأولى :

فى عدد بنى يعقوب حينما اجتمعوا الى يوسف بمصر ، فقد حكى ابن كثير[2] عن المفسر وغيره أقوالا مختلفة فى ذلك ، ولكن لا سبيل الى الجزم بأى من تلك الأقوال ، مادام أنه لا مستند يعول عليه من كتاب أو سنة صحيحة ، لا سيما أنه أمر غيبى فيتعين المصير اذن الى ما عرض فى القرآن الكريم من موضع العبرة فى القصة .

الوقفة الثانية :

فيما كان من تخوف بنى اسرائيل حين تراءوا مع فرعون وجنوده عند طرف البحر ، فالذى لا مراء فيه من هذا الموقف ما حكاه الله عنهم :" فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ"[3] . ولم يعلم منهم سوى ذلك فلعل قوله :" قد كنا نلقى من فرعون البلاء " . وهم من راوى المفسر لأن ذلك كان منهم بمصر .

الوقفة الثالثة :

عند ما ذكره من وحى الله لموسى بضرب البحر وانفراقه ، وبيبوسته وانكشاف الأرض .

وهذا ما جاء منصوصا عليه فى الكتاب الكريم . قال تعالى :

---

(١) ابن أبي حاتم ٤ / ١٣٣ / أ .

(٢) البداية والنهاية ١ / ٢٠٤ .

(٣) الشعراء ٦١ ، ٦٢ .

"وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ" (١). وقال: "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" (٢).

فان قلت: الآية نص في يبوسة الأرض. فكيف قال المفسر يبس البحر؟

فالجواب أن العرب تستعمل ذلك في الأرض والماء على حد سواء. فتقول: يبست الأرض. اذا جف ماؤها، وتقول: جف الماء اذا يبس مكانه في الأرض. وهذا هو معنى ما حكاه ابن منظور (٣).

أما باقي الأثر فقد سبقت دراسته في تفسير سورة البقرة. بالأثر رقم ٧.

" الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " -٩١-:

١٨٧) ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى، وعرف ذله وخذلته نفسه، نادى: "آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ". أخرجه ابن أبي حاتم (٤)، من عبد الله بن شداد، من طريق مفسرنا. وفيه أمران:

الأول: اقرار عدو الله فرعون بوحدانية الله حين أحس بالهلاك.

والأمر الثاني: توبيخه، وأن ايمانه ذلك لا ينفعه لوقوع العقوبة التي لا ينفع بعدها ندم.

وهذان الأمران هما مضمون هذه الآية والتي قبلها، وهو تفسير صحيح لمطابقته ظاهر الآيتين.

"فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ". - ٩٢ -

---

(١) طه ٧٧.
(٢) الشعراء ٦٣.
(٣) انظر: لسان العرب (يبس) ص٤٩٤٨.
(٤) ابن أبي حاتم ٤/١٣٣/أ.

قولـــــه : " فَالْيَـوْمَ نُنَجِّيـكَ بِبَدَنِـكَ " :

١٨٨) جسده ألقاه البحر على الساحل . أخرجه ابن جرير[١] ، وأبو الشيخ[٢] واللفظ له ، لتكون لمن خلفك آية ، أى عبرة وبيّنة أنك لم تكن كما تقول لنفسك . أخرجه ابن أبي حاتم[٣] ، كما أخرج نحوه عن ابن عباس ، وقتادة ، والسدى .

١٩٠) البدن : الدرع الحديد . حكاه السيوطي[٤] ، نقلا عن ابن الأنبارى .

وفى مجموع هذه الآثار الأمور التاليـــة :

أولا : كيفية تنجية الله عدوه فرعون بعد اهلاكه ، فقد نص المفسر على أن تلك التنجية كانت بالقاء فرعون على الساحل ، وهذا هو المتبادر الى الذهن لأن ماكان فى بطن البحر يلفظه عادة على الساحل ، وبه قال ابن عبـــاس ، وقتادة ، وغيرهما ، كما حكاه الطبرى[٥] ، وابن أبى حاتم[٦] وغير واحد .

ثانيا : أن الغرض من تنجية فرعون ببدنه حتى يعتبر من بعده من الناس ، كما هو دليل على شدة بطش الله بمن تنكر لوحدانيته وعتا على رسله ، فقـــد كان عدو الله يرى أنه ليس فوق سلطانه سلطان ، حتى قال : " أنا ربكـــم الأعلى " ، تكبرا وعلوا ، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وهكذا سنة اللـــه فى كل زمان ومكان ، امهال الظلمة حتى يأخذهم بشدة ، كما صح بذلك الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبى موسى - رضـــي الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ان اللـــه ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ : " وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ

---

(١) الطبـــــرى : ١١/١٦٥ .
(٢) الدر المنثور : ١١/٣٨٨ .
(٣) ابن أبي حاتم ٤/١٣٤/ب .
(٤) الدر المنثور ١١/٣٨٨ .
(٥) الطـــبرى ١١/١٦٥ .
(٦) ابن أبى حاتم ٤/١٣٤/أ .

الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ "[1] . أ.هـ .

ثالثا : : فى أثر ابن الأنبارى تفسير البدن بالدرع الحديد ، وذلك خلاف المتبادر من ظاهر الآية فى قوله : " نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ " ، فلا يفهم منه غير أنه الجسد بلا روح ، وهو ما فسر به الآية مجاهد وغيره ، كما حكاه الطبرى[2] ، وابن أبى حاتم[3] ، لكن حكا الفيروز أبادى[4] ، والرازى[5] أن البدن الدرع القصيرة .

قلت : وعليه يكون وجه هذا التفسير ليس بمستغرب . فان الله - جلّ وعلا - نجا عدوه فرعون بجسده ، وعليه ما عليه من الدروع حتى يتميز بها عن غيره . والله أعلم .

وبما ذكرناه يتبين لك صحة هذه الآثار فى المعنى .

* * *

* *

*

---

(١) البخارى ، تفسير سورة هود .
مسلم ، كتاب البر ، باب ١٥ ، تحريم الظلم ٤/١٩٩٧ .

(٢) الطبرى ١١/١٦٥ .

(٣) ابن أبى حاتم ٤/١٣٤/أ .

(٤) القاموس المحيط ، فصل الهمزة والباء ، باب النون ٤/٢٠٢ .

(٥) مختار الصحاح ص ٤٤ ، مادة (بدن) .

" أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " . - ٥ -

قوله : " أَلَآ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ " :

١٩١) فى ظلمة الليل وظلمة اللحاف . أخرجه أبوالشيخ ، فيما حكاه السيوطي(١) وقد اختلف أهل التفسير فى المعنى بالآية . هل هم المنافقون ، وما كانوا يطوون عليه صدورهم من بغض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعداوته مع اظهارهم محبته ؟ . أو هي فيما كان من اعراضهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به ؟ فيكون على هذا ، ثنى الصدور واستغشاء الثياب كناية عن ذلك ؟ ، أو أن ثنى الصدور واستغشاء الثياب على حقيقته وذلك أن المنافقين اذا رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حنوا ظهورهم وتغشوا ثيابهم حتى لا يسمعوا منه كلام الله .

حكي هذه الأقوال وغيرها عن السلف ابن جرير(٢) ، وابن أبى حاتم(٣) ، وغيرهما ، وأصح ما قيل فى الآية : انها فى أناس كانوا اذا أتوا أهلهم أو أرادوا أن يتخلوا استغشوا ثيابهم حتى لا يفضوا الى السماء حياء .

رواه البخارى(٤) ، والطبرى(٥) ، وابن أبى حاتم(٦) ، من حديث ابن عباس - رضي

---

(١) الدر المنثور ١١ / ٤٠١ .
(٢) الطبرى ١١ / ١٨٣ .
(٣) ابن أبى حاتم ٤ / ١٤٠ / أ .
(٤) البخارى ، كتاب التفسير (سورة هود) ٦ / ٦١ .
(٥) الطبرى ١١ / ١٨٣ .
(٦) ابن أبي حاتم ٤ / ١٤٠ / أ .

الله عنهما - ، وقول المفسر مخرج على أن الاستغشاء بالثياب كان حقيقة ، ويوافقه ما حكاه ابن جرير[1] ، عن الحسن ، قال : " فى ظلمة الليل فى أجواف بيوتهم " .

قلت : ومهما يكن من القول فى الآية الكريمة ، فالصواب عندى أنها أخبار من الله ، عن سعة علمه واحاطته بأقوال العباد وأعمالهم وأحوالهم ، سواء كان منها خفية أو علانية ، فهو علام الغيوب لا يعزب عنه فى الأرض ولا فى السماء مثقال ذرة . والله أعلم .

" وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ " . - ٦ -

قوله : " مُسْتَوْدَعَهَا " :

١٩٢) ما كان فى أصلاب الرجال . رواه ابن أبي حاتم[2] ، عن ابن عباس ضمن عدة أقوال للمفسرين فى الآية ، ثم قال : " وروى عن قيس[3] بن أبى حازم ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وأبى عبد الرحمن السلمى[4] ، وعطاء بن أبى رباح ، وابراهيم النخعي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وقتادة ، والسدى ، والضحاك ، وعطاء الخراساني نحو ذلك .

قلت : وكما أخرج ابن أبيّ حاتم اختلاف المفسرين فى معنى المستقر والمستودع فى الآية ، أخرج ذلك الاختلاف الطبرى[5] وغيره ، ومجمل الأقوال كما يلى :

---

(١) الطبرى ١١ / ١٨٤ .
(٢) ابن أبى حاتم ٤ / ١٤٢ / أ .
(٣) انظر : الملحق . رقم ٥٨ .
(٤) انظر : الملحق . رقم ٩٩ .
(٥) الطبرى ١٢ / ١ .

أولا : " مُسْتَقَرَّهَا" حيث تستقر فيه ، وذلك مأواها الذى تأوي اليه ليلا أو نهارا . و " مستودعها" الموضع الذى تودع فيه ، بموتها فيه أو دفنها .

ثانيا : " مُسْتَقَرَّهَا" فى الرحم . و" مستودعها" في الصلب .

ثالثا : "المستقر" فى الرحم . و" المستودع" حيث تموت .

رابعا : "مُسْتَقَرَّهَا" أيام حياتها ، و"مستودعها" حيث تموت فيه .

وعندى أن ترجيح أى من هذه الأقوال على ما سواه متعذر لسببين :

السبب الأول :

أن كل منها له وجهه من حيث المعنى ، فهو صالح مستقر ومستودع ، فالأصلاب مستودع للنطف ، حتى تنتقل منها الى الأرحام للاجتماع فيها بنطف الاناث والرحم مستودع من حيث اجتماع النطفة فيه حتى خروجها منه مصورا كيف يشاء الله ، وهو من جهة اجتماع نطفة الذكر والأنثى فيه مستقر ، والأرض من حيث خروج المخلوق اليها من الرحم مستقر ، وهى من حيث وجود ذلك المخلوق على ظهرها حتى يموت مستودع وباطن الأرض من حيث استقرار بنى آدم فيه بعد موتهم مستقر الى حين البعث للجزاء والحساب ، وهو من هذه الناحية الى ذلك الوقت مستودع .

السبب الثاني :

عدم ورود خبر يجب التسليم له يحدد مراد الله من هذه الآية بالمستقر والمستودع ، واعنى بذلك الخبر : صريح الكتاب أو صحيح السنة ، وهذا ما اختاره ابن جرير(١) - بعد حكايته أقوال المفسرين من السلف - فى قوله من سورة الأنعام : " وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ(٢)..." الآية .

---

(١) الطبرى ٧/٢٩١ .
(٢) الأنعام ٩٨ .

" مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ " . - ١٥ -

١٩٣) قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " من أحسن من محسن فقد وقع أجره على الله فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة " . رواه الطبرى (١) ، وعبد الرزاق (٢) ، وهو من رواية ليث بن أبى سليم (٣) عن القرظي ، يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - كما ترى . فلا بد للكلام عليه من النظر فى متنه وسنده . :

فالأمر الأول :

وهو ما يرجع الى المتن ، فانه صحيح المعنى ، ويشهد له أمران :

الأول : ظاهر الآية ، فانها نص فى أن من لا يبتغى بصالح أعماله مثل الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والصدقة ، وجه الله ، فان الله يعجل له ثواب تلك الأعمال فى الدنيا من غير بخس ، وبهذا المعنى جاء تفسير الآية الكريمة عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن فى جماعة من أئمة السلف ، أخرجه عنهم ابن جرير (٤) ، وابن أبي حاتم (٥) وغيرهما .

الأمر الثاني :

مفهوم المخالفة ، وهو أن من أراد بعمله وجه الله - دون سواه - وهو الاخلاص ، فان له عند الله ، عظيم المثوبة والأجر ، وهذا المفهوم قد جاء مصرحا به فى قوله تعالى : " مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ " (٦) . فاذا انضم مضمون هذه

---

(١) الطبرى ١٢/١٢ .
(٢) عبد الرزاق ٢٣٧ .
(٣) تقدم ص ٣٨ .
(٤) الطبرى ١١/١٢ .
(٥) ابن أبى حاتم ١٤٥/٤/أ .
(٦) الشورى ١٦ .

الآية الى قوله بعد الآية المفسرة : " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ".(١) تبين أن إراده الانسان بعمله الدنيا محبطة له لفقده شرط الاخلاص .

أما سند هذا الأثر فانه ضعيف من جهة رواية عن المفسر ، كما أنه مرسل فلم تصح نسبته الى النبي - صلى الله عليه وسلم -

" وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " . - ٣٦ -

قوله : " وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ " :

١٩٤) لما استنقذ الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء كل مؤمن ومؤمنة ، قال : " يا نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون " .

أخرجه ابن أبي حاتم(٢) ، وهذا الأثر وان كان في سنده مقال من جهة محمد بن مسلم الطائفي(٣) ، الا أنه صحيح في معناه ، لأن مفاده : " أن الله جلّ ذكره ، بعد ما استخلص كل مؤمن ومؤمنه ، وفق ما علمه عن قوم نوح في الأزل ، أعلم نبيه نوحا - عليه الصلاة والسلام - أنه لن يؤمن غير هؤلاء ، وهذا القول على أن ذلك الاعلام من الله عن أولئك القوم كان بعد دعائه صلى الله عليه وسلم عليهم ، كما قص الله ذلك : " وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا "(٤) ... الى آخر السورة . وبما قاله مفسرنا قال قتادة . رواه ابن أبي حاتم .(٥)

---

(١) هود ١٦ .
(٢) ابن أبي حاتم ٤ / ١٥١ / ب .
(٣) انظر : الملحق رقم ٧٠
(٤) نوح ٢٦ : ٢٨ .
(٥) ابن أبي حاتم ٤ / ١٥١ / ب .

وثاني قول المفسرين : ان وقت اعلام الله نبيه نوحا أنه لن يؤمن من قومه الاّ من ءامن كان قبل دعائه عليهم ، يعنى فى الآيات السابقة ، وهو مـا رواه الطـبرى[1] ، عن الضحاك .

وعندى أن قول المفسر ، ومن وافقه هو المختار ، لأنه لو كان اخبار اللـه نبيـه نوحا ـ عليه السلام ـ بعدم ايمان أحد من قومه غير من آمن قبل الدعـاء عليهم ، ما احتاج الى ذلك الدعاء الذى جاء فيه : " وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا "، لأن فى اعلام الله له بحالهم ما يغنى عن هذا القول .

فان قلت : كيف قال المفسر : " لما استنقذ الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء كل مؤمن ومؤمنة ... الخ " . قلـت : قد أعانه على هذا الفهم ، ظاهر حال رسول الله نوح ، فانه مع طول مكثه فى قومه ـ وهو (أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِـينَ عَامًا "[2] ـ فان هذه الفترة لا تخلو من ولادة أجيال كان بعضهم من قلة مـن آمن به . والله أعلـم .

" حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلاَّ قَلِيلٌ " . ـ ٤٠ ـ

قولـه : " وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلاَّ قَلِيلٌ " :

١٩٥) لم يكن فى السفينة الاّ ثمانية ، نوح وامرأته وثلاثة من بنين له : سـام ، وحام ، ويافث ونساؤهم . أخرجه عن مفسرنا ، وقتادة ، وابن جريج ، البغـوى[3] ضمن اختلاف المفسرين فى عدد المؤمنين من قوم نوح وتحديدهم ، كما أخـرج

---

(١) الطـبرى ١٢/ ٣٣ .
(٢) العنكبـوت ١٤ .
(٣) البغـوى ١٢/ ٣٨٤ .

ذلك الاختلاف : ابن جرير (١) ، وابن أبى حاتم (٢) وغيرهما . ومهما يكن من القول فى عدد مؤمنى قوم نوح ، سواء كان سبعة أو سبعين ، أو أقل أو أكثر ، فهو رجم بالغيب ، مادام أنه لم يسنده كتاب أو سنة صحيحة ، فيتعين الوقوف عند ما أجمله الله فى الكتاب الكريم من الوصف بالقلة ، وذلك موضع العبرة وما تضمنه قول مفسرنا من أن امرأة نوح كانت من الناجين معه ، فمنكرا جدا لمخالفته ما جاء فى الكتاب الكريم أنها كافرة وفى جملة الهالكين . قال تعالى : " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين " . (٣)

فان قيل : هل هذه الآية دليل قاطع على أنه ليس عنده غيرها ؟

قلت : اذا جاء ما يثبت به خلاف ذلك من كتاب أو سنة ، تعين القول به ، والا كان من النكارة ومخالفة ظاهر الكتاب الكريم .

" قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ " . - ٤٨ -

١٩٦) دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة ودخل فى ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة الى يوم القيامة .

أخرجه ابن جرير (٤) تاما بسنده ، من طريق ابن وكيع . وأخرجه ابن أبى حاتم (٥) من طريق أبى سعيد الأشج (٦) مقتصرا على الشطر الأول منه ، عند قوله : " قِيلَ

---

(١) الطبرى ١٢ / ٤٢ .
(٢) ابن أبى حاتم ٤ / ١٥٥ / أ .
(٣) التحريم ١٠ .
(٤) الطبرى ١٢ / ٥٥ .
(٥) ابن أبى حاتم ٤ / ١٦٠ / أ .
(٦) انظر : الملحق رقم ٩٤ .

يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَّعَكَ". وأخرجه أيضا بتمامه من طريق عمرو بن عبد الله الأودى[1]، عند قوله: "وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ... الآية".

ومداره عندهما على موسى بن عبيده، وهو عند البغوى[2]، كما أخرجه ابن أبي حاتم[3] فى الاسناد الأول، مع اختلاف فى اللفظ واتفاق فى المعنى، وقول مفسرنا هذا، وان كان ضعيف الاسناد - كما سبق - الا أنه صحيح فى متنه وله عدة شواهد منها:

أولا: ظاهر الآية الكريمة. فانها متضمنة أمر الله عبده ورسوله نوحا - عليه الصلاة والسلام - بالهبوط بالسفينة مبشرا بالأمن والبركات، وذلك له ولأجيال من من معه، أى أن تلك الأجيال متناسلة من الذين كانوا معه فى السفينة وأولئك هم فريق المؤمنين، وهذا مصداق دعوته صلى الله عليه وسلم، حين قال: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... الآية". فكان من بركة ذلك الدعاء أنه ما خلا قرن بعد نوح - حتى محمد - صلى الله عليه وسلم - الا وفيه طائفة من المؤمنين، وهذا أول أمرين تضمنتهم الآية الكريمة.

وثانيهما: اخبار الله أن أمما أخرى سيتمتعون فى الدنيا ثم يذوقون أليم العذاب، جزاء تكذيبهم أنبيائهم ورسلهم.

ثالثها: قول الله تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ"[4].

فمضمون هذه الآية ينطبق تماما على ما أسلفنا من المعنى فى آية هود.

---

(١) انظر: الملحق رقم ٥.
(٢) البغوى ١٢/٣٨٧.
(٣) نوح ٢٨.
(٤) الحديد ٢٦.

رابعـــا : أن كثيرا من الأنبياء وأممهم هم من ذرية نوح ، بما فيهم ابراهـــيم ، وهود ، وصالح - عليهم الصلاة والسلام - كما حكا ذلك ابن كثير .[1]

خامســا : أنه قول جماعة من الأئمة ، منهم : الضحاك ، وابن جريج ، والحسن ، أخرجه عنهم الطـــبرى[2] ، وابن أبى حاتـــم[3] ، وغيرهمـــا .

" وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ "
- ٧٧ -

قولـــه : " وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ " :

١٩٧) يعصب شـــره . رواه ابن أبي حاتم[4] ، وبما قال مفسرنا اتفقـــت عبارات أهل التفسير من السلف ومنهم ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، فيمـــا حكاه الطـــبرى ، وغيره[5] ، عن أولئك الأئمة على أن معنى "عصيب" أنه يوم شديد البلاء على لوط - صلى الله عليه وسلم - وذلك انه لما رأى الملائكة قبل أن يعرفهم اشتد عليه الأمـــر ووقع فى ضيق وحرج ، خشية أن يفضحه قومه فى ضيفه ويزيـــد ما قاله المفسر توضيحا ما حكاه الراغـــب[6] : " العصـــب " أطناب المفاصل ، ولحم عصب كثير العصب ، والمعصوب : المشدود بالعصب المنزوع من الحيوان ، ثـــم يقال لكل شد عصب نحو قولهم : لأعصبنكـــم عصب السلمة" ، و " فلان شديـــد العصب " ، و" معصوب الخلق " ، أى مدمـــج الخلقه ، ويوم عصيب شديـــد .

انتهى محـــل الغـــرض .

وبما ذكرنا يتضح صحـــة قـــول المفســـر .

---

(١) البداية لابن كثير ١/ (ابراهيم) ص١٣٢ ، صالح ص ١٢٣ ، وهود ص ١١٣.
(٢) الطـــبرى ١٢ / ٥٥ .
(٣) ابن أبى حاتـــم ٤ / ١٦٠ /أ .
(٤) المرجع السابـــق ٤ / ١٧٠ /أ .
(٥) الطـــبرى ١٢ / ٨٢ .
(٦) المفردات (مادة : عصب) ٣٣٦ .

" قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ " . - ٨١ -

قوله : " قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ " :

١٩٨) إن الرسل عند ذلك سفعوا فى وجوه الذين جاءوا لوطا من قومه يراودونه عن ضيفه ، فرجعوا عميانا . قال : يقول الله : " وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ " (١) . رواه الطبرى (٢) ، من طريق ابن اسحاق ، وفيه بيان لكيفية طمس أعين من راودوا لوطا عن ضيفه من الملائكة ، والسفع : هو الضرب واللطم ، قال الفيروزأبادى (٣) : " سفع الطائر طريدته ، كمنع لطمها بجناحيه . أ . هـ .

قلت : وبنحو ما قال مفسرنا جاءت الرواية عند ابن جرير عن السدى ، ووهب بن منبه ، وحذيفة ، كما رواه ابن أبى حاتم (٤) ، عن ابن عباس ، فقد أجمع هؤلاء الأئمة على أن طمس أعينا لقوم ، كان من الملائكة ، وفى الكتاب الكريم : " وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ " . فلعل هذه الآية مع ما تضمنته السورة من القصة ، وهو ظاهر فى أن الرسل الذين جاءوا الى لوط بعد مرورهم على ابراهيم - عليه الصلاة والسلام - مأمورين باهلاك أولئك القوم . شاهد لما قاله هؤلاء الأئمة . والله أعلم .

" فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ " . - ٨٢ -

---

(١) القمر ٣٧ .

(٢) الطبرى ١٢ / ١٩ .

(٣) القاموس (فصل السين ، باب العين) ٣ / ٣٩ .

(٤) ابن أبي حاتم ٤ / ١٧٠ / ب .

(٥) هود ٧٤ : ٨٣ .

١٩٩) حدثت أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " بعث الله جبريل - عليه السلام - الى المؤتفكة ، قرية لوط - عليه السلام - التى كان لوط فيها ، فاحتملها بجناحية ، ثم اتبعها الله بالحجارة ، يقول الله : " جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ " . فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات ، وكن خمس قريات : صنعة ، وصعوة ، وعثرة ، ودوما ، وسدوم ،. وسدوم هي القرية العظمى ، ونجّى الله لوطا ومن معه من أهله ، الاّ امرأته كانت فيمن هلك .

أخرجه الطبرى (١) ، من طريق ابن حميد .

٢٠٠) حدثت أن الله تبارك وتعالى ، بعث جبريل الى المؤتفكة . مؤتفكة قوم لوط ، التى كان لوط فيها ، فاحتملها بجناحية ، ثم صعد بها حتى أن أهل السماء ليسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ، ثم أتبعها الله بالحجارة ، يقول الله : " فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ " . فأهلكها الله ومن حولها من المؤتفكات ، وكن خمسا : صيغة وصعرة وعمره ودوما وسدوم ، وهي القرية العظمى .

أخرجه ابن أبى حاتم (٢) ، من طريق ابن اسحاق ، وفى الخبرين : جهالة من يحدث عنه المفسر ، وقد تضمنا أمورا نبينها فيما يلى :

أولا : اهلاك قوم لوط بالقلب واتباع ذلك بالحجارة ، فالشواهد له كثيرة منها الآية الكريمة مع قوله : " أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ... الآية " . (٣) وقوله :

---

(١) الطبرى ١٢ / ٩٨ .
(٢) ابن أبى حاتم ٤ / ١٧٢ / أ .
(٣) التوبة آية ٧٠ .

"وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى" (١).

قال ابن قتيبة : " المؤتفكات : مدائن لوط ، لأنها ائتفكت - أى انقلبت. أ. هـ (٢).

قلت : وينضم لهذه الشواهد ، وما أسلفته فى الأثر السابق من الاشارة الى سياق القصة فى سورة هود وما قصه الله عن ابراهيم - عليه السلام - مع أضيافه وفيه : " قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ... " الآيات الى قوله : " ... وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ " (٣).

ثانيا : كيفية قلب تلك القرى ، وان الذى قلبها هو جبريل - عليه السلام - حكا ذلك غير واحد من المفسرين ، منهم : الطبرى (٤) ، وابن أبى حاتم (٥) ، وغيرهما ، عن مجاهد ، وقتادة ، والسدى ، وما قدمته من الشواهد وغيره ، مما جاء فى الكتاب الكريم ، نص فى أن الله أهلك أولئك القوم وجعل عالى أرضهم سافلها ، وا تبعهم الحجارة على أيدى الملائكة.

وأما الكيفية . فاني لم أجد فى تحديدها نص من كتاب ولا سنة صحيحة ، فلعل الأئمة فهموه من ظاهر الحال . والله أعلم .

ثالثا : عدد قرى قوم لوط ، وأسماؤها لم يتفق أهل العلم على شئ من ذلك ، فقد حكى ابن جرير (٦) ، وابن أبى حاتم (٧) ، أن عدد القرى ثلاث ، والمشهور عند الجميع قرية سدوم ، وهي حاضرتها .

---

(١) النجم : آية ٥٣.
(٢) تفسير غريب القرآن : ١٩٠.
(٣) الذاريات آية ٣١ : ٣٧
(٤) الطبرى ١٢ / ٩٧ .
(٥) ابن أبي حاتم ٤ / ١٧٢ / ب.
(٦) الطبرى ١٢ / ٩٧ .
(٧) ابن أبي حاتم ٤ / ١٧٢ / ب.

" قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ " . - ٨٧ -

قولـــه : " أَوْأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ " :

(٢٠١) بلغني أن قوم شعيب عذبوا في قطع الدراهم ، وجدت ذلك في القرآن: " أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ " .

رواه الطبرى (١) باسنادين ، أحدهما من طريق أبي مودود ، والآخر من طريق موسى بن عبيدة ، وكلاهما ضعيف ، ويقول مفسرنا : " قال : زيد ابن أسلم ، وابنه - فيما أخرجه عنهما الطبرى (٢) ، الا أن ابن أسلم قال : " كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم . وأخرجه ابن أبى حاتم (٣) ، عنه بلفظ : " كان ينهاهم عن حذف الدراهم ، وحذف الدراهم من الفساد فى الأرض " .

قلـــت : وقصة شعيب - عليه السلام - جاءت مبسوطة فى الأعراف (٤) ، وهود (٥) ، والشعراء (٦) . وفيما اشتملت عليه من المنهيات : نقص الكيل ، والوزن ، وبخس الناس أشياءهم ، ولم يرد فى تلك المواضع ، ولا فى السنة ذكر للدراهم ، فيما كان ينهى عنه شعيب قومه ، ولا أدرى كيف قال المفسر وابن أسلم ، وابنه ذلك القول ، فان كانوا فهموه من قوله : " وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ " (٧) ، ويعنون بحذف الدراهم وقطعها العبث بها حتى تكون

---

(١) الطبرى ١٢ / ١٠٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ابن أبى حاتم ٤ / ١٧٤ / ب .
(٤) الأعراف ٨٥ ، ٨٦ .
(٥) هود ٨٤ ، ٨٥ .
(٦) الشعراء ١٧٦ : ١٨٩ .
(٧) هود ٨٥ .

ناقصة ، كان ذلك داخلا فى عموم بخس الناس أشياءهم ، فيكون قصر النهى على قولهم تخصيص بلا مخصص . والله أعلم .

" وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ " . - ٩٤ -

قوله : " وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ " :

٢٠٢) ان أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أحدها : الرجفة فى دارهم حتى خرجوا منها ، أصابهم فزع شديد فقزفوا أن يدخلوا البيوت فتسقط عليهم ، فأرسل الله عليهم الظلة ، فدخل تحتها رجل فقال : " ما رأيت كاليوم ظلا أطيب ، ولا أبرد هلموا أيها الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة فصاح فيهم صيحة واحدة فماتوا جميعا .

أخرجه ابن أبي حاتم(١) عند تفسير هذه الآية ، كما أخرجه عند تفسير قوله : " فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ " - وسيأتى - ، والراوى عن المفسر فى كليهما أبومعشر ، ضعيف ، وهذا هو أول اللفظين .

والكلام على هذا الأثر يستلزم البحث فى أمرين :

أولا : الى كم أمة بعث نبي الله شعيب (عليه الصلاة والسلام) ؟ .

ثانيا : كيف عذب قومه ؟

فالجواب عن السؤال الأول . تقول : ان الله تعالى ذكر قصة شعيب مع قومه مبسوطة فى ثلاث سور من القرآن . هي : سورة الأعراف(٢) ، وهود(٣) ،

---

(١) ابن أبي حاتم ١٧٨/٤ ، ٣١٤/٧ .
(٢) الأعراف ٨٥ ، ٨٦ .
(٣) هود ٨٤ ، ٨٥ .

والشعراء[١] ، وفى الأولين يقول جلّ ذكره : " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا "[٢] ، وفى السورة الثالثة . قال : " كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ "[٣] . ولم يقل اخوهم ، والذى جزم به الطبرى[٤] ، عند تفسيرهاتين الآيتين : أن أصحاب الأيكة هم أهل مدين ، واستدل لذلك بما جاءت به الرواية عن ابن عباس ، وابن زيد ، وهو الذى اختاره ابن كثير[٥] ، وخلص الى القول بأن الله عز وجل لما نسب قوم شعيب الى مدين ، ناسب أن يذكر أنه منهم فى النسب ، كما فى سورتي الأعراف وهود ، ولما نسب القوم الى ما يعبدون - وهي الأيكة ، كما فى الشعراء - قطع رابطة النسب بين شعيب وقومه .

قلت : ويترجح عندى ما ذهب اليه الامامان من أن شعيبا ، بعث الى أمة واحدة . لعدة أدلة :

أولا : ظاهر حال القوم من خلال ما عرض عنهم فى القرآن . فيما أشرنا اليه آنفا ، وفى غيرها من المواضيع ، فقد اتفق الخبر عنهم فى نقص المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم على ما قدمنا فى الأثر السابق .

ثانيا : لم يرد فى السنة ، نص صحيح يدل على أن قوم شعيب أمتان ، وظاهر القرآن فى هذه القصة ليس بصريح على أنهم أكثر من أمة .

ثالثا : أن أهل مدين هم أصحاب الأيكة ، وأنهم أمة واحدة ، هو قول أكثر

---

(١) الشعراء ١٧٦ : ١٨٩ .
(٢) الأعراف ٨٥ .
(٣) الشعراء ١٧٧ .
(٤) الطبرى ١٩ / ١٠٧ .
(٥) البداية ١ / ١٧٧ ، والتفسير ٣ / ٣٤٥ .

المفسرين ، منهم : ابن عباس ، وابن زيد ، فيما حكاه الطبرى[1] ، وابن كثير[2] وغيرهما .

وأما ثاني الأمرين : اللذين تضمنهما الأثر فهو كيفية تعذيب أهل مدين ، فان كلام المفسر قاصر فى الحكاية . فالصواب كما ذكره ابن جرير[3] ، عن بعض المفسرين ، وهو خلاصة ما اختاره ابن كثير[4] : أن تعذيب قوم شعيب كان على مراحل :

المرحلة الأولى :

كانت بتسليط الله عليهم الحر الشديد ، الذى أقلقهم وأخرجهم من البيوت ، ثم بعث عليهم سحابة ابتدرها القوم ، فوجدوا فيها بردا وظلا ، فتنادوا ، فلما اكتملوا اضطرمت عليهم نارا .

المرحلة الثانية :

كانت بالرجفة . وذلك أن الله زلزلهم زلزالا شديدا ، ثم أتبع ذلك :

بالمرحلة الثالثة :

وهي الصيحة . والله أعلم .

"ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ" . . . ١٠٠ -

قوله : " قَائِمٌ وَحَصِيدٌ " :

٢٠٣) ما كان من بنيانهم قائم لم يخرب . أخرجه ابن أبى حاتم[5] ، وهو

---

(١) الطبرى ١٠٧/١٩ .
(٢) ابن كثير . البداية ١٧٧/١ .
(٣) الطبرى ١٠٩/١٩ .
(٤) ابن كثير . البداية ١٧٧/١ .
(٥) ابن أبي حاتم ١٧٩/٤/ب .

وان كان ضعيفا شأنه شأن الذى قبله ، الا أنه يشهد لصحة معناه أمران :

الأمر الأول :

ظاهر الآية الكريمة ، فانها متضمنة اخبار الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وكل من يصلح للخطاب بحال من كفر بالله وكذب رسله من الأمم السابقة ، فقد أهلكوا ، فمن قرى تلك الأمم ما هو قائم بنيانه على حاله مشاهد للاعتبار ، ومن ذلك قرى : ثمود[1] فى شمال الجزيرة (وتعرف اليوم بمدائن صالح) ، فهي مثال حي على ما أبقاه الله من قرى الهالكين ، عامر البنيان خاويا على عروشه ، ومن أمثلة : حصيد القرى ، مدينة : عاد[2] بالأحقاف ، وتقع فى جنوب الجزيرة ، (فيما يعرف اليوم بحضر موت) ، فان تلك المدينة قد درست وعفى على آثارها .

الأمر الثاني :

موافقةابن عباس ، وابن زيد فى جماعة من المفسرين . فقد قالوا فى تفسير : القائم والحصيد ، بنحو ما قال مفسرنا ، وأخرج أقوالهم :ابن جرير[3] ، وابن أبي حاتم وغيرهما[4] .

" وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ " . - ١١٤ -

قوله : " طَرَفَيِ النَّهَارِ " :

٢٠٤) الفجر ، والظهر ، والعصر .

---

(١) قرى ثمود .

(٢) مدينة عاد .

(٣) الطبرى ١٢ / ١١٢ .

(٤) ابن أبي حاتم ٤ / ١٧٩ / ب .

٢٠٥) الفجر والعصر . رواهما جميعا : الطبرى[1] ، فالأول من ثلاث طرق ، من رواية أفلح بن سعيد[2] ، وأخرجه ابن المبارك[3] بنحوه ، والثاني من طريق أبي معشر ، وأخرجه ابن أبي حاتم[4] عن الحسن ، ثم قال : " وروى عن محمد بن كعب مثل قول الحسن .

قلت : قد قال بكل من قولى مفسرنا ، جماعة من الأئمة ، وثمة قول ثالث ، وهو : الصلاة الثانية ، من طرفي النهار ، هي : المغرب ، حكي هذه الأقوال جميعا ابن جرير ، بعد أن نقل الاجماع على أن الصلاة الأولى من طرفى النهار هي صلاة الغداة . وأخرج ابن أبى حاتم تلك الأقوال .

ويترجح عندى قول من قال : ان طرفى النهار صلاة الصبح ، وصلاة العصر . لأدلة منها :

أولا : ان الله جلّ ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، باقام الصلاة فى طرفي النهار ، وهو ضد الليل ، وينتهى بغروب الشمس ، وما بعده كان من الليل لغة وشرعا .

ثانيا : قوله تعالى : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ، ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ "[5] . فقد جعل الله فى هذه الآية ، حداً لبداية النهار وهو طلوع الفجر الأبيض الصادق ، وبه يجب الامساك على الصائم ، كما جعل حداً لنهايته ، وبداية الليل وهو غروب الشمس ، وبه يحل الفطر للصائم ، فلو كان المغرب أحد طرفي

---

(١) الطبرى ١٢/١٢٨ ، ١٢٩ .
(٢) تقدم ص ٣١ .
(٣) الأثر رقم (٦٦) .
(٤) ابن أبي حاتم ٤/١٨٤/أ .
(٥) البقرة ١٨٧ .

النهار ، لما كان للصائم به فطر ، يوضحه ما صح به الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " اذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس ، فقد أفطر الصائم ".[1] فالحديث مع الآية السابقة نص في أن ما بعد غروب الشمس من الليل ليس من النهار ، وهذا دليل صريح على أن صلاة المغرب هي أولى صلوات الليل .

قوله : " زُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ " :

٢٠٦) صلاة المغرب وصلاة العشاء . رواه الطبري[2] ، وابن أبي حاتم[3] ، واللفظ له ، من طريق أبي معشر ، ورواه الطبري باسنادين ، من طريق أفلح بن سعيد ، وهو أحد قولي الأئمة من مفسري السلف في الصلاة التي أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - باقامتها من الليل ، وبقول مفسرنا قال الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والقول الثاني : ان تلك الصلاة هي صلاة العشاء ، وبه قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وابن زيد ، أخرجها ابن جرير[4] ، وأول القولين هو الصواب عندي لأدلة منها :

أولا : ما حكاه ابن قتيبة[5] في معنى " زلفا " من أنها ساعة بعد ساعة واحدتها زلفة ". انتهى محل الغرض .

قلت : وهذا يشمل صلاتي المغرب والعشاء معا .

ثانيا : ما أسلفته في الأثر قبله من الأدلة على أن المراد بطرفي النهار الصبح والعصر .

---

(١) البخاري ، كتاب الصيام ، باب ٤٢ ، متى يحل فطر الصائم؟ ٣ / ٣٢ .
مسلم ، كتاب الصيام ، باب وقت انقضاء الصوم وخروج النهار ٢ / ٣٢ .

(٢) الطبري ١٢ / ١٣١ .

(٣) ابن أبي حاتم ٤ / ١٨٤ / أ .

(٤) الطبري ١٢ / ١٣٠ .

(٥) تفسير غريب القرآن ٢١٠ .

فان قلت : قد جاء فى الصحيحين[1] عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من تأخير صلاة العشاء حتى رقد الناس فقام عمر وقال : الصلاة ، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - ورأسه يقطر ماءً ، وقال :" لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم أن يصلوها هكذا" . ألا يكون فى هذا الحديث دليل على ما ذهب اليه أهل القول الثاني ؟

قلت : الحديث نص فى فضل تأخير صلاة العشاء عن أول وقتها لمن لم يخش غلبة النوم ، حتى يفوت وقتها ، فان خشيّ فوات الوقت أو فوات الجماعة بادر الى الصلاة فى أول وقتها . والله أعلم .

قوله :" إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " :

٢٠٧) هنّ الصلوات الخمس . رواه ابن أبي حاتم[2] ، وابن جرير[3] ، واللفظ له ، وقد أخرجاه فى قول جمهور المفسرين بين الأقوال المختلفة فى المراد بالحسنات التى وعد الله أنها تذهب السيئات ، وثمة قول آخر هو أن المراد بهذه الحسنات العموم ، مثل التسبيح والتحميد والتكبير ، وبه قال الحسن ، وعطاء ، ومن قال بالقول الأول : ابن عباس ، ومجاهد ، وابن مسعود ، والحق أن لكل من الفريقين أدلة صحيحة .

فمن أدلة أصحاب القول الأول ما رواه الشيخان[4] وغيرهما من حديث

---

(١) البخارى ، كتاب المواقيت ، باب ٢٥ ، النوم قبل العشاء لمن غلب ١ / ٩٩ . مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ٣٩ ، وقت العشاء وتأخيرها ١ / ٤٤٤ حديث ٢٢٥ .

(٢) ابن أبى حاتم ٤ / ١٨٤ / أ .

(٣) الطبرى ١٢ / ١٣٢ .

(٤) البخارى ، المواقيت ، باب ٦ الصلوات الخمس كفارة ... ١ / ٩٣ . مسلم ، كتاب المساجد ، باب ٥١ ، المشى الى الصلاة تمحي بها الخطايا وترفع بها الدرجات ١ / ٤٦٢ .

أبى هريرة ، واللفظ لمسلم : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قـــال: " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات . هل يبقـى من درنـه شئ . قالوا لا يبقى من درنه شئ . قال : فذلك مثل الصلـوات الخمس ، يمحو الله بهنّ الخطايا " . ومنها ما أخرجاه وغيرهما[1] ، فى سبب نزول الآية من حديث ابن مسعود ، واللفظ للبخارى :" أن رجلا أصـــاب من امرأة قبله فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر ذلك له . فأنزلت عليه :" وَأَقِمْ الصَّلَاةَ ..." ... الحديث " . انتهى محل الغرض .

ومن أدلة الفريق الثاني ما رواه البخارى ، ومسلم ، واللفظ له ، من حديث أبى هريرة ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :" من قال :"لا اله الاّ الله وحده ولا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئـــة ... الحديث " . ومن قال : سبحان الله وبحمده فى يوم مئة مرة ، حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر "[2] . أ.هـ .

قلـت : وقـول الجمهور ، وان كان له وجهه لا يتنافى مع قول الفريق الثاني ، الاّ أن العموم أظهر عندى لأمريـن :

الأول : ما تقرر فى علم الأصول : من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصـوص السبب ، الاّ فيما دل عليه الدليل بتخصيص اللفظ بذلك السبب ، والآية لا مخصص لعمومها .

---

(١) البخارى ، كتاب التفسير ، باب ١٤٢ ، تفسير سورة هود ٦ / ٦٢ .
مسلم ، كتاب التوبة ، باب ٧ ، ان الحسنات يذهبن السيئات ٤ / ٣٩ .

(٢) البخارى ، كتاب الدعوات ، باب ٦٥ ، فضل التسبيح ٨ / ٧٣ .
مسلم ، كتاب الذكريات أفضل التهليل والتسبيح والدعاء ٤ / ٢٠٧١ .

ثانيا : ما صح من الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من تكفير صالح الأعمال للسيئات ، مثل الحج ، ومن ذلك حديث أبي هريرة عند الشيخين[1] ، واللفظ لمسلم . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه " .

* * * * *

* * * *

* * *

* *

*

---

(١) مسلم ، كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة يوم عرفة ٢ / ٩٨٣ حديث ١٣٥٠ .
البخاري ، كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور ٢ / ١١٣ حديث ١٥٢١ .

﴿(تفسير سورة يوسف)﴾

" وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ " . - ٢٤ -

قوله : " لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ " . :

٢٠٨) فى البرهان الذى رأى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله :

- " إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ... الآية " .(١)

وقوله : - "وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ... الآية " .(٢)

وقوله : - "أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ... الآية" .(٣)

رواه ابن جرير (٤) ، وابن أبى حاتم (٥) ، كلاهما من طريق أبى صخر ، ولهما نحوه من رواية أبي معشر .

٢٠٩) رفع يوسف رأسه الى سقف البيت حين هم بها فرأى كتابا فى حائط البيت : " لاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً " .(٦) أخرجه ابن جرير (٧) ، وأبونعيم (٨) ، من طريق أبى مودود ، والبغوى (٩) ، واللفظ له ، من طريق أبى معشر .

---

(١) الانفطار ١٠ .

(٢) يونس ٦١ .

(٣) الرعد ٣٣ .

(٤) الطبرى ١٢ / ١٩٠ .

(٥) ابن أبى حاتم ٤ / ٢٠٠ / أ .

(٦) الاسراء ٣٢ .

(٧) الطبرى ١٢ / ١٩٠ .

(٨) الحلية ٣ / ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٩) البغوى ١٢ / ٤٢٠ .

والأثران فى جملة أقوال[1] لمفسرنا عند هؤلاء الأئمة ، وقد اتفقت فى معناها على أن البرهان الذى رآه يوسف وانصرف به عما دعته اليه امرأة العزيز، هو شدة حرمة الزنا وفظاعته . واعلم أن أهل التأويل لهم فى معنى ما أريه يوسف - عليه السلام - من البرهان ثلاثة أقوال عدا ما قاله مفسرنا . :

أولها : أن البرهان كان فى النداء بالنهى عن الخطيئة وبه قال ابن عباس، وابن جريج ، وقتادة ، وغيرهم .

الثاني : كان البرهان برؤية أبيه يتوعده وهو قول سعيد بن جبير، والحسن، فى أكثر المفسرين .

وثالث الأقوال : كان برهان يوسف - عليه السلام - فى رؤيته تمثال الملك ، وهو قول ابن عباس ، وابن اسحاق .

وقد أخرج هذه الأقوال : ابن جرير[2] ، كما أخرج ابن أبى حاتم[3] والبغوى[4] ، بعضها ، والبحث فى أسانيدها من التطويل الذى ليس ورائه فائدة ، ويغنى عنه أمران :

أولا : أن البرهان الذى أخبر الله عن رؤية يوسف له ، جاء فى القرآن مجملا ، اكتفاء بما يفيد العبرة ضمن سلسلة أحداث عن القصة التى انتظمتها السورة الكريمة .

ثانيا : أنه ليس بين تلك الأقوال خبر مرفوع الى النبي - صلى الله عليه وسلم - يفصل ما أجمله الكتاب فى هذا الخصوص .

---

(١) الطبرى ١٢ / ١٩٠ . ابن أبي حاتم ٤ / ١٩٩ / ب . الحلية ٣ / ٢١٥.

(٢) الطبرى ١٢ / ١٩٠ .

(٣) ابن أبى حاتم ٤ / ٢٠٠ / أ .

(٤) البغوى ١٢ / ٤٢٠ .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[1] ـ بعد حكايته اختلاف المفسرين ، في معنى ما رآه يوسف من البرهان ـ :" هذه الأقوال التي رأيت نسبتها الى هؤلاء العلماء منقسمة الى قسمين :

قسم لم يثبت نقله عمن نقل عنه بسند صحيح ، وهذا لا اشكال في سقوطه .

وقسم ثبت عن بعض من ذكر ومن ثبت عنه منهم شئ من ذلك . فالظاهر الغالب على الظن المزاحم لليقين أنه : انما تلقاه عن الاسرائيليات ، لأنه لا مجال للرأى فيه ، ولم يرفع منه قليل ولا كثير ، الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ" . أ . هـ .

" مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " . ـ ٤٠ ـ

قوله :" مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ " .

٢١٠) كل سلطان في القرآن حجة . أخرجه ابن أبي حاتم[2] عن ابن عباس ، ثم قال :" وروى عن أبي مالك ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، والنضر بن عربي مثله .

سبق دراسته .

" وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" . ـ ٦٧ ـ

قوله :"يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ" :

---

(١) أضواء البيان ٣ / ٦٠ .

(٢) ابن أبي حاتم ٤ / ٢٠٨ .

(٢١١) خشى عليهم العين . أخرجه ابن جرير[1] ، كما أخرج بنحوه عن ابن عباس ، وقتادة ، والسدى ، والضحاك ، وابن اسحاق ، وأخرج ابن أبي حاتم[2] ، أقوال بعضهم ، وقول مفسرنا ، وان كان ضعيف الاسناد ، لأنه من طريق ابن وكيع ، وهو أيضا من رواية أبي معشر ، الا أنه يشهد له أمور منها :

أولا : ظاهر النظم الكريم ، فان يعقوب - عليه السلام - حين أوصى بنيه أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة ، ونهاهم أن يدخلوا من باب واحد قال : إنه لا يغنى عنهم من الله شيئا ، ثم فوض الأمر الى ربه تبارك وتعالى ، وذلك ما حكاه الله عنه فى آخر الآية . بقوله : "وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" .

ويزيد المعنى توضيحا : الآية بعدها : " وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " .

ثانيا : موافقة من قدمنا ذكرهم من الأئمة .

فان قلت : هل للاصابة بالعين حقيقة حتى ينبغى توقيها ؟

قلت : قد دلت السنة الصحيحة على أن الاصابة بالعين حق لا مرية فيه ، من ذلك ما أخرجه الشيخان[3] ، واللفظ للبخارى من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) الطبرى ١٣/١٣ .

(٢) ابن أبى حاتم ٤ /٢١٩ .

(٣) البخارى ، كتاب الطب ، باب ١٣٦ " العين حق " ١١٤/٧ .
مسلم ، كتاب السلام ، باب ١٩٠ " الطب والمرض والرقى ٤ / ١٧١٩ .

" العـــين حـــق ونهـــى عن الوشـــم " .

قال الحافظ ابن حجر[1] : " قوله باب العين حق) أى الاصابة بالعـــين شئ ثابت موجود ، أو هو من جملة ما تحقق كونـه . قال المازرى : " أخـذ الجمهور بظاهر الحديث وأنكره طوائف المبتدعـة لغير معنى ، لأن كل شـــئ ليس محالا فى نفسه ولا يؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد ، دليل ، فهو مـــن متجاوزات العقول ، فاذا أخبر الشرع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى ، وهل مـــن فرق بين انكارهم وانكارهم ما يخبر به من أمور الآخرة " . أهـ .

قلـت : وقد جاء فى السنة ما يدل على وقوع الاصابة بالعين ، كمـــا رواه مالك[2] فى قصة سهل بن حنيف ، من رواية ولده أبى امامة[3] ، قـــال : اغتسل أبى سهل بن حنيـف بالخرار ، فنزع جبة كانت عليه ، وعامر بن ربيعـــة ينظر . قال - وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد - قال : " فقال له عامـــر ابن ربيعة : " ما رأيت كاليوم ، ولا جلد عذراء . قال : فوعك سهل مكانـــه واشتد وعكه ، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأخبره سهـــل بالذى كان من شأن عامر . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " عـــلام يقتل أحدكم أخاه؟ . ألا برّكت إن العين حق . توضأ له " فتوضأ له عامـــر فراح سهل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس به بأس " . أ.هـ .

" فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" . - ٧٦ -

" قولـه : " مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ " :

---

(١) فتح البارى ١٠/٢٠٣ .

(٢) الموطأ ، كتاب العين ، باب الوضوء من العين ٢/٩٣٨ .

(٣) انظـر : الملحـق . رقم ٩١ .

(٢١٢) دين الملك لا يؤخذ به من سرق أصلا ولكن الله كاد لأخيه حتى تكلموا به فأخذ هم بقولهم وليس فى قضاء الملك . أخرجه ابن جرير[1] ، وفى سنده علتان : أحداهما : اللين ، لأنه من رواية أبى مودود ، والأخرى : أبهام من يروى عنه محمد بن ليث المروزى[2] ، لكن يشهد لما تضمنه هذا الأثر من أن الله كاد ليوسف ، حتى أخذ اخوته بقولهم .

ظاهر سياق قصة الصواع من قوله تعالى : " فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ "[3] ... الى قوله : "... إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ " ، وهذا كله حكاية عن يوسف - صلى الله عليه وسلم - مع اخوته ، فان الذى يتأمل تلك الآيات التسع يتضح له جليا الحقائق التالية :

الأولى: ان ما صنعه يوسف - عليه السلام - من وضع السقاية فى رحل أخيه ، ثم استخراجها منه بعد تفتيش أوعية إخوته كان تدبيرا من الله كيدا لأولئك الأخوة الذين كادوا له بإلقائه فى الجب .

الثانية : ان احتباس يوسف أخاه ليس فى دين الملك ! يوضحه قوله : " مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ " ، وسواء كان دين الملك سلطانه ، كما قال ابن عباس ، والضحاك ، أو حكمه وقضاءه ، كما قال المفسر ، وقتادة ، وغيرهما . كما أخرجه ابن جرير[4] ، وابن أبى حاتم .

الثالثة : ان يوسف - عليه السلام - لم يحتجز أخاه دون سائر اخوته ، حتى استصدر منهم الحكم بذلك فى من وجد الوعاء عنده .

---

(١) الطبرى ١٣ / ٢٥ .
(٢) انظر : الملحق . رقم ٦٨ .
(٣) يوسف من الآية : ٧٠ : ٧٨ .
(٤) الطبرى ١٣ / ٢٥ .

الرابعة: ان أخوة يوسف ـ بعد ما وجد الصواع فى رحل أخيهم ـ توسلوا اليه أن يأخذ أحدهم مكانه دون أن يعرفوا أن من يخاطبونه يوسف ، فقد جاء ضمن توسلهم : " قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ "[1] . فأبى عليه السلام أن يأخذ بغير ما حكم به القوم .

قوله تعالى : " وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ " :

٢١٣) سأل رجل عليا عن مسألة ، فقال فيها ، فقال الرجل : ليس هكذا ، ولكن كذا وكذا ، قال عليّ : أصبت وأخطأت ، (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) .

رواه الطبرى[2] ، من طريق أبى معشر ، و ثمة علّة أخرى ترد نسبة الأثر الى عليّ ـ رضي الله عنه ـ وذلك ما قدمناه من أن المفسر ولد فى آخر خلافة عليّ ، وعلى هذا فالأثر مرسل وبهذا يتضح أن نسبته الى عليّ ـ رضى الله عنه ـ ليست صحيحة .

" وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ " ٩٤ ـ

قوله : " إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ " :

٢١٤) وجد ريحه من مسيرة سبعة أيام . حكاه السيوطي[3] ، نقلا عن أبى الشيخ ولا سبيل للحكم على سنده لعدم وجود مصدره ، ولكن لم يكن مفسرنا متفردا بالقول فى المسافة التى وجد يعقوب ـ عليه السلام ـ ريح ولده يوسف منها .

فقد جاءت به الرواية عن ابن عباس ، والحسن وغيرهما ، فيما أخرجه

---

(١) ابن أبى حاتم ٤ / ٢٢٣ / ب .
(٢) الطبرى ١٣ / ٢٧ .
(٣) الدر المنثور ١٣ / ٥٨١ .

ابن جرير[١]، وابن أبي حاتم[٢]، من اختلاف أئمة التفسير من السلف في ذلك، وليس فيما روى عن مسافة وجود يعقوب رائحة ولده يوسف ـ عليهما السلام ـ ولا الكيفية التي تم بها ذلك خبر عن المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبين ما أجمل في القرآن، وظاهر النظم الكريم من قوله: "وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ"، الى قوله تعالى ـ على لسان يعقوب ـ: "... أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"[٣]، يدل بما لا يقبل المراء على ثلاثة أمور:

أولا: أن يعقوب ـ عليه السلام ـ شم رائحة ولده حين انفصال العير من مصر.

ثانيا: أن رائحة يوسف وصلت الى أبيه من مكان لا ترى فيه القافلة، وهو أمر غير متوقع ممن حضره وأخبره نبي الله يعقوب الخبر، ولهذا أشكل عليهم وأنكروه عليه استبعادا لوقوعه.

ثالثا: أن الرائحة شمها يعقوب ـ عليه السلام ـ قبل مجئ البشير اليه فتأكد ما أخبر به بعده، وذلك حين وضع القميص على وجهه، فكان وصول تلك الرائحة على ما سبق معجزة لنبي الله يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ والله أعلم.

"فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ". ـ ٩٩ ـ

٢١٥) اجتمع آل يعقوب الى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون انسانا، صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم، وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ست مئة ألف

---

(١) الطبري ١٣/٥٧.

(٢) ابن أبي حاتم ٤/٢٣٣/أ.

(٣) يوسف ٩٦.

ونيف . أخرجه الطبرى [1] من طريق موسى بن عبيده الربذى ، كما أخرج نحوه عن ابن مسعود ، ومسروق ، وكلهم قالوا : " إن آل يعقوب دخلوا مصر وهم أقل من مئة وخرجو وهم أكثر من ست مئة ألف .

وقد سبق دراسته ضمن الأثر (١٨٦) .

---

(١) الطبرى ١٣ / ٧٢ .

" يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ " - ٣٩ -

" قوله : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ " :

٢١٦) " ينزل الله عز وجل فى آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل ، فينظر فى الساعة الأولى منهن فى أم الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت " . أخرجه بهذا اللفظ البغوى (١) ، من طريق مفسرنا عن أبى الدرداء ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأخرج ابن جرير (٢) نحوه باسنادين فى من فسر المحو والاثبات فى الآية فقال : " يجئ الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه ، أو حان هلاكه أو اتضاعه ، من رفعة أو هلاك مال ، فيقضى ذلك فى خلقه ، فذلك محوه ، ويثبت ما شاء ممن بقى أجله ورزقه وأكله ، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه " . أ.هـ .

قلت : وهذا معنى ما أخرجه عن الحسن ، ومجاهد (٣) ، مستدلا له بما أخرجه من طريق القرظي ، ولكن حديث أبى الدرداء السابق ضعيف ، لأن مداره فى جميع طرقه على زيادة بن محمد الأنصارى ، ولا أرى تحديد المحو والاثبات بما قاله أولئك الأئمة الا قاصرا جدا ، فقد دلت السنة الصحيحة على أن المحو والاثبات فى الآية غير ما قالوه . فمن ذلك ما رواه البخارى (٤) ، عن أبى هريرة

---

(١) البغوى ١٣ / ٢٣ .

(٢) الطبرى ١٣ / ١٧٠ .

(٣) المصدر السابق ١٣ / ١٦٩ .

(٤) البخارى ، كتاب الأدب ، باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم ٨ / ٥ حديث ٥٩٨٥ .

- رضي الله عنه - قال : " سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :"من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه " أ هـ . فقد دل الحديث على أن صلة الرحم سبب فى سعة الرزق وتأخير الأجل . وما أحسن ما ذكره الحافظ ابن حجر[1] فى ثانى الوجهين من أوجه الجمع بين هذا الحديث وقوله : " فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ " . فقال رحمه الله : " وثانيهما : أن الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة الى علم الملك الموكل بالعمر . وأما الأول - الذى دلت عليه الآية - فبالنسبة الى علم الله تعالى ، كأن يقال للملك مثلا ان عمر فلان مئة مثلا ان وصل رحمه ، وستون ان قطعها ، وقد سبق فى علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذى فى علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذى فى علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص واليه الاشارة بقوله تعالى : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" . فالمحو والاثبات بالنسبة لما فى علم الملك ، وما فى أم الكتاب هو الذى فى علم الله تعالى ، فلا محو فيه البتة . انتهى محل الغرض .

* * *

* *

*

---

(١) فتح البارى ، كتاب الأدب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم ١٠/٤١٦ حديث ٥٩٨٥ .

" أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ " . - ٩ -

قوله : " فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ " :

٢١٧) انهم كذبوهم ورد وا عليهم قولهم بأفواههم . ذكره السيوطي (١) ، وعزاه الى ابن أبى حاتم ، ورواه ابن جرير (٢) ،عن مجاهد ، وقتادة ، ضمن اختلاف المفسرين في معنى قوله : " فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ " . كما ذكر ذلك الاختلاف ابن كثير (٣) ، والبغوى (٤) ،وغيرهما ، من أئمة التفسير ، وأظهر أقوال أهل التفسير التى لا تنافى بينها عندى ثلاثة :

الأول : انهم وضعوا أيديهم فى أفواههم وعضوا عليها من الغيظ لما سمعوا دعوة الرسل .

الثاني : أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم تعجبا مما سمعوا من دعوة رسلهم .

الثالث: أن المدعوين وضعوا أيديهم على أفواه رسلهم ، أى أنهم يريدون منهم عدم الكلام بما دعوهم اليه ،

ومع ما قدمته من القول بأنه لا تنافي بين هذه الأقوال فاني أرجح أولها ، وهو قول ابن مسعود ، وابن زيد . رواه ابن جرير (٥) ، ويدل لذلك ما جاء فى

---

(١) الدر المنثور ١٣ / ١١ .
(٢) الطبرى ١٣ / ١٨٩ .
(٣) ابن كثير ١٣ / ٥٤٣ .
(٤) البغوى ١٣ / ٢٧ .
(٥) الطبرى ١٣ / ١٨٨ .

الكتاب من بيان حال : المنافقين مع النبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ . هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ "(١) .

وبهذا يتبين أن الراجح خلاف ما قاله المفسر ومن وافقه من الأئمة .

" مِن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ " . - ١٦ -

قوله : " وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ " :

٢١٨) ما يسيل من فروج الزناه يشربه الكافر . رواه بهذا اللفظ البغوي(٢) ، وحكاه القرطبي(٣) ، وابن الجوزي(٤) بلفظ : " هو غسالة أهل النار ، وذلك ماء يسيل من فروج الزناة والزواني . وقال غيره من المفسرين فيما حكاه الطبري(٥) ، وابن كثير(٦) ، وغيرهما ، القيح والدم يسيلان من أبدان الكفار .

قلت : ولا أرى منافاة بين قول المفسر وما روى في تفسير ماء الصديد عن الجمهور ، فهو شراب كريه تصد عنه النفوس ، ويدل لذلك ما رواه الترمذي(٧) ، وأحمد ، من حديث أبي امامه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله : " وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ " . قال : " يقرب الى فيه فيكرهه ، فاذا

---

(١) آل عمران ١١٨ ، ١١٩ .
(٢) البغوي ١٣ / ٢٩ .
(٣) القرطبي ٩ / ٣٥١ .
(٤) زاد المسير ٤ / ٧٥٢ .
(٥) الطبري ١٣ / ١٩٥ .
(٦) ابن كثير ١٣ / ٥٤٥ .
(٧) الترمذي ، كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٤ / ٧٠ .

أدني منه شوى وجهة ووقعت فروة رأسه ، فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره . يقول الله : " وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ " . ويقول : " وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ " .(١)

" وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ " . - ٢١ -

قوله : " سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ " :

٢١٩) بلغني أو ذكر لي أن أهل النار ، قال بعضهم لبعض : " يا هؤلاء انه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم الصبر ، اذ صبروا . قال : فيجمعون رأيهم على الصبر . قال : فصبروا فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : " سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ " . أي منجى .

أخرجه ابن جرير ،(٢) بهذا اللفظ عن الفرظي ، كما أخرج نحوه عن ابن زيد .

٢٢٠) بلغني أن أهل النار يستغيثون بالخزنة ، كما قال تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ "(٣) . فردت الخزنة عليهم : " أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى "(٤) . وردت الخزنة عليهم : " فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ " . فلما يئسوا مما عند الخزنة ، نادوا : " يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ "(٥) . سألوا الموت فلا يجيبهم

---

(١) الكهف ٢٩ .
(٢) الطبري ١٣ / ١٩٩ .
(٣) غافر ٤٩ .
(٤) غافر ٥٠ .
(٥) الزخرف ٧٧ .

ثمانين سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يوما ، واليوم كألف سنة مما تعدون ، ثم لحظ اليهم بعد الثمانين انكم ماكثون ، فلما أيسوا مما قبله قال بعضهم لبعض انه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهلموا فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم ، فأجمعوا على الصبر فطال صبرهم ، ثم جزعوا فطال جزعهم فنادوا : " سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ " . أى من منجا .

قال : فقام ابليس عند ذلك فخطبهم . أخرجه البغوى[1] ، كما أخرج نحوه عن مقاتل مختصرا ، وكلا الخبرين ضعيف وساقط الاستدلال على ما تضمنه من عجيب السياق القصصى ، لأن الأول من رواية عمر بن أبى ليلى[2] ، والثانى من رواية أبى معشر مع ابهام من يحكى عنه القرظي هذين الخبرين .

والصحيح فيهما أربعة أمور :

الأول : استغاثة أهل النار بالخزنة .

الثاني : تبكيت الخزنة لهم وردهم عليهم ، وأن دعاءهم ليس الا فى ضلال ، وقد تضمنا هذين الأمرين آيتا غافر .

الثالث: سؤال أهل النار مالك جهنم أن يقضى الله عليهم بالموت ، ورده عليهم أنهم ماكثون فى العذاب ، وهذا ما تضمنته آية الزخرف .

الرابع : يأس أهل النار وأنهم لا منجا لهم من العذاب ، جزعوا أم صبروا وهذا ظاهر فى آية ابراهيم .

" وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ

---

(١) البغوى ١٣ / ٣٠ .

(٢) انظر الملحق رقم ٤٩

مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُم وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" . - ٢٢ -

٢٢١) قام ابليس فخطبهم فقال : "إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ... " الى قوله : " ... مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ" . يقول بمغن عنكم شيئا ، " وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ" . قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم . قال : فنودوا : " لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ... الآية " . (١)

٢٢٢) قام ابليس عند ذلك ، يعني حين قال أهل جهنم : " سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ" . فخطبهم فقال : " إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ..." الى قوله : " ... مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ" . يقول : بمغن عنكم شيئا ، "وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ" . قال : " فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم . قال : فنودوا : " لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ... الآية " .

رواهما ابن جرير (٢) ، وكلاهما من رواية عبد الله بن المبارك ، يبلغ به المفسر ، لكن في الأول منهما ، راو مبهم ، وفي الثاني متصل السند عن ابن المبارك ، عن الحكم المكي ، عن عمر بن أبي ليلى ، عن محمد بن كعب ، ولعل الطبري أراد بهذا السياق ، أن الثاني بيان لما في الأول من ابهام ، وكل من الحكم (٣) وعمر بن أبي ليلى مجهول ، وعلى هذا فالأثران ضعيفان ولا تقوم بهما حجة ، فاذا تقرر ذلك كان من الأجدر الاقتصار على ما أيّده ظاهر الكتاب الكريم ، أو كان موافقا لأقوال أهل التفسير من السلف . فنقول :

أولا : الاخبار بأن الشيطان خطب في جنده بقوله : "إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ..." الخ ،

---

(١) غافر : ١٠ .

(٢) الطبري ١٣ / ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) انظر : الملحق رقم ٢١ .

فهذا صحيح ، فظاهر النظم الكريم حكاية بذلك .

ثانيا : قوله : " مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ " : بمغن عنكم شيئا .

قلت : لا أرى هذا التفسير يخالف ما قاله ابن عباس وغيره ، فيما نقله ابن جرير من تفسير المصرخ ، فالمغيث . لأن من أغاث مستصرخه نفعه واغنى عنه .

" وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ " - ٤٤ - وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ - ٤٥ - وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ " . - ٤٦ -

قوله : " رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ " :

٢٢٣) بلغني أو ذكر لي ، أن أهل النار ينادون : " رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ " . فرد عليهم : " أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ . وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ " الى قوله : " ... لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ " . أخرجه ابن جرير (١) ، وروى نحوه عن مجاهد ، وشأنه من حيث السند شأن الآثار السابقة ، لكن يشهد لصحة معناه ظاهر الآيات ، فقد تضمنت عدة أمور . منها :

أولا : سؤال الكفار بعد معاينة العذاب ربهم تأخيرهم وقتا يتمكنون فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل .

ثانيا : الرد عليهم بأنهم قد أقسموا ضمن الاصرار على التكذيب أنهم ليس لهم عن الدنيا زوال . ومقتضى هذا القسم انكار البعث والجزاء .

---

(١) الطبري ١٣ / ٢٤٣ .

ثالثا : اعلام الله اياهم بأنه قد جاءهم من العبرة الحسية ما يكفى فى وعظهم وذلك انهم قد سكنوا ديار الظالمين قبلهم وتبين لهم كيف نكل الله بأولئك الظلمة جزاء تكذيبهم رسلهم .

" يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" .
- ٤٨ -

قوله : " يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ " . :

٢٢٤) تبدل الأرض ، خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدمه . أخرجه ابن جرير (١) ، والبغوى (٢) ، واللفظ له ، وهو قول سعيد بن جبير .

٢٢٥) يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات ، فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم فى هذه المبدلة فى مثل مواضعهم من الأولى ما كان فى بطنها ففى بطنها ، وما كان على ظهرها كان على ظهرها ، وذلك حين يطوى السماوات كطي السجل للكتاب ، ثم يدحوا بها ثم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات .

أخرجه ابن جرير (٣) ، من طريق القرظي ، عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ضمن أحاديث مرفوعة من طريق عائشة ، وأبى أيوب ، كما أخرجه عن كعب الأحبار ، وعمرو بن ميمون الأودى .

وحيال هذين الخبرين ، لابد لنا من موقفين :

الموقف الأول : أن أحدهما من رواية أبى معشر ، والآخر من رواية اسماعيل ابن رافع ، وكلا الرجلين ضعيف مع ابهام الراوى عن القرظي ، ومن يروى عنه القرظي ، كما ترى فى اسناد الخبر الثاني .

---

(١) الطبرى ١٣/٢٥٢ .
(٢) البغوى ١٣/٤١ .
(٣) الطبرى ١٣/٢٥٢ .

الموقف الثاني : يؤيد ثاني الخبرين فى الجملة ، ما أخرجه ابن جرير ، عن عائشة ، وأبى أيوب مرفوعا الى النبي - صلى الله عليه وسلم - . كما يؤيد الخبر الأول ما أورده الحافظ ابن حجر[1] من الآثار فى كون تبديل الأرض خبزة يأكل المؤمنون من تحت أقدامهم يوم القيامة ، ثم قال - رحمه الله - جامعا بين تلك الأخبار - : " والحكمة فى ذلك ما تقدم أنها تعد لأكل المؤمنين منها فى زمان الموقف ، ثم تصير نزلا لأهل الجنة" . أ . هـ.

يعنى ما جمع به بين[2] قول مفسرنا ، وحديث أبى سعيد الخدرى . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده ، كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة ..." الحديث "[3] .

والذى أخرجه ابن جرير[4] وغيره عن ابن مسعود ، وزيد بن أسلم ، وأنس ابن مالك ، ومجاهد ، فى قول الأكثرين أن الأرض تبدل أرضا بيضاء مثل الفضة ، والله أعلم .

* * *

* *

*

---

(١) فتح البارى ١١ / ٣٧٦ .
(٢) المصدر السابق ١١ / ٣٧٤ .
(٣) المصدر السابق ١١ / ٣٧٢ ، حديث ٦٥٢٠ .
(٤) الطبرى ١٣ / ٢٤٩ .

"ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتسأخرين ". - ٢٤ -

٢٢٦) ولقد علمنا المستقدمين منكم : الميت والمقتول . والمستأخرين : من يلحق من بعد ، " وانّ ربّك هو يحشرهم انّه حكيم عليم " .[1] رواه ابن جرير من طريق أبي معشر ، كما روى نحوه ،عن مجاهد ، وقتادة ، وعكرمة ،ومعناه أن الله تبارك وتعالى قد أحاط علمه بجميع خلقه المتقدمين منهم ، قتلا أو موتا ، وكذا اللاحقين بهم ، وقول مفسرنا ضمن عدة أقوال لأهل التفسير في معنى الآية . أخرجها الطبرى[2] ، والبغوى[3] دون قول المفسر ، من تلك الأقوال[4] :

أولا : ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدم هلاكهم ، ومن قد خلق وهو حي ، ومن لم يخلق بعد ممن سيخلق .

ثانيا : عنى بالمستقدمين : الذين هلكوا ، والمتسأخرين : الأحياء الذين لم يهلكوا .

ثالثا : بل معناه :" ولقد علمنا المستقدمين في أول الخلق ، والمستأخرين في آخرهم .

رابعا : ما رواه ابن ماجه[5] من حديث ابن عباس ،وصححه الألباني[6] فى

---

(١) الحجر ٢٥ .
(٢) الطبرى ١٤ /٢٣ .
(٣) المصدر السابق ١٤ /٢٣ :٢٧ .
(٤) البغوى : ١٤ /٤٨ .
(٥) ابن ماجه ، كتاب اقامة الصلاة والسنة منها ،باب ٦٨ الخشوع في الصلاة ١/٣٣٢ .
(٦) صحيح ابن ماجه ١ /١٧٢ .

سبب نزول الآيـة . قال : " كانت امرأة تصلى خلف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسناء من أحسـن الناس ، فكان بعض القوم يستقدم في الصف الأولا لئـــلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر ، فاذا ركع ـ قال هكذا : ـ " ينظر من تحت ابطه ، فأنزل الله : (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقـــد علمنا المتسأخرين " . أ . هـ .

قلت : فالثلاثة الأقوال الأولى غير متنافية مع قول مفسرنا فهى صحيحـه ، وفي لفظ الأخير نكاره . والله أعلـم .

"وان كانَ أصحابُ الأيكـةِ لظالمـين " . - ٧٨ -

٢٢٧) أن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب ، أخذتهم الرجفـة في دارهم حتى خرجوا منها ، فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقـوا ان يدخلوا البيوت أن تسقط عليهم ، فأرسل الله عليهم الظلة ، فدخـل تحتها رجل . فقال : ما رأيت كاليوم ظلاأطيب ولا أبرد ! هلموا أيها الناس، فدخلوا جميعا تحت الظلة ، فصاح فيهم صيحة واحدة فماتوا جميعا .

ذكره السيوطي [1] ، وعزاه الى ابن أبي حاتـم .

سبق دراسته بالأثر رقـم (٢٠٢) .

* * *

* *

*

---

(١) الدر المنثـور ١٤ / ٩٢ .

((تفسير سورة النحل))

" وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " . - ١٦ -

٢٢٨) أراد بالعلامات : الجبال ، والجبال تكون علامات النهار ، والنجوم علامات الليل . رواه البغوى (١) ، ومعناه : أن الله تبارك وتعالى جعل العلامات التي يستدل بها على الجهات المقصوده نهارا هي الجبال ، وأن النجوم أمارات على الجهات ليلا ، وهذا القول صحيح ولا غبار عليه فيما أرى .

فان قلت : العلامات : جمع علامة ، وهي كل ما يستدل به المسافر على ما يقصده من الجهات ، كما هو ظاهر من النظم الكريم ، اذ الآية جاءت في معرض امتنان الله على عباده بشتى النعم ، ومنها أنه جعل لهم ما يستدلون به على ما يقصدونه في أسفارهم وهذا عام وليس مقصورا على الجبال والنجوم .

قلت : فالجواب على هذا التساؤل ، أن ما ذكره مفسرنا أراد به التمثيل لا الحصر وبيان أعظم العلامات . فالجبال أعظم ما يستدل به في النهار ، كما أن النجوم أعظم الأدلة في الليل ، وبهذا يزول الاشكال . والله أعلم .

" الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " . - ٣٢ -

قوله : " الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ " :

٢٢٩) اذا استنقعت (٢) نفس المؤمن ، جاءه ملك الموت - عليه السلام - فقال : السلام عليك يا ولي الله ، الله يقرأ عليك السلام ، ثم نزع هذه الآية : " الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ " ... " .

---

(١) البغوى ١٤/٦٤ .

(٢) استنقعت : خرجت روحه ، أو اجتمعت في فيه . القاموس المحيط ١/٩٤ .

رواه ابن جرير[١] ، وأبونعيم[٢] ، وأبوالشيخ[٣] ، واللفظ له ، وذكره السيوطي[٤] عن أبن أبي حاتم ، وابن المنذر ، وغيرهما ، وأخرج ابن جرير نحوه عن البراء، وابن عباس ، وهذا الأثر يتضمن أمرين :

أحدهما : صحيح ، يدل عليه ظاهر الآية وينتظمه .

والآخر : زائد على ظاهر الآية ، فالأول تسليم الملائكة عند الوفاة على من طابوا قولا وعملا واعتقادا . والأمر الثاني تبليغ الملائكة أولئك الطيبين تسليم الله عليهم ، وهذا الامر غيبي لا سبيل اليه الاّ بظاهر كتاب أو صحيح سنة ، ولم أجد ما يدل عليه سوى قول المفسر ، ومداره على أبي صخر .

" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ " . - ٧٢ -

قوله : " وَحَفَدَةً " :

٢٣٠) أختان الرجل ، حكاه ابن كثير[٥] من قول ابن عباس ، ثم قال : وهذا الأخير الذى ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وأبوالضحى[٦] ، وابراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والقرظي .

وقال الراغب[٧] : " حفدة : جمع حافد ، وهو المتحرك المتبرع بالخدمة

---

(١) الطبرى ١٤/١٠١ .
(٢) حلية الأولياء ٣ /٢١٧ .
(٣) العظمة ٤١ / أ .
(٤) الدر المنثور ١٤/١٢٨ .
(٥) ابن كثير ١٤/٥٩٩ .
(٦) انظر : الملحق رقم ٩٧
(٧) المفردات " مادة : حفد " ١٢٣ .

أقارب كانوا أو أجانب ، قال المفسرون :" هم الأسباط ونحوهم وذلك أن خدمتهم أصدق . قال الشاعر : " حفد الولائد بينهم " . وفلان محفود . أى : مخدوم وهم الأختان والأصهار ، وفى الدعاء اليك نسعى ونحفِدُ " . أ . هـ .

قلت : وهذا الذى ذكره فيه ما يشهد نصا على صحة قول المفسر ، ومن وافقه وأبلغ منه فى الدلالة والتأييد ظاهر النظم الكريم ، فقد أخبر الله جلّ ذكره فى الآية : أنه امتن على عباده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا وجعل من تلك الأزواج بنين وحفدة ، فالبنون هم أبناء صلب الرجل ، والحفدة هنا هم بنو أبنائه والأختان والأصهار ، ينتظمهم ذلك ، لأنهم صاروا أعوانا للرجل بعد أن صاروا قرابة له بواسطة التزاج ، وعلى هذا فأبناء البنين والأختان هم أفضل أعوان الرجل وخدمه .

" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " . - ٩٠ -

قوله :" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ " :

٢٣١) دعانى عمر بن عبد العزيز فقال : " صف لى العدل . فقلت : " بخ . سألت عن أمر جسيم ، كن لصغير الناس أبا ، ولكبيرهم ابنا ، وللمثل منهم أخا ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم ، وعلى قدر أجسادهم ، ولا تضربن بغضبك سوطا واحدا متعديا ، فتكون من العادين ".

حكاه السيوطي عن ابن أبى حاتم (١) ، والأثر يتضمن عدة وصايا ونصائح لا يستغنى عنها الحاكم . منها :

أولا : النصح للرعية .

---

(١) الدر المنثور ١٤ / ١٦١ .

ثانيا : شمولها بعطفه ورحمته .

ثالثا : حسن سياسة المحكومين .

رابعا : انصافهم من نفسه ، وهذه الوصايا والنصائح يشملها المعنى العام للعدل ، ويشهد لمفسرنا ما رواه البخارى[1] من حديث معقل بن يسار : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة " . أ-هـ .

" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " . - ٩٧ -

قوله : " فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً " :

٢٣٢) القناعة . حكاه السيوطي[2] ، وعزاه الى وكيع فى الغرر ، ورواه ابن جرير[3] ، عن على والحسن ، وفى هذا الأثر تفسير الحياة الطيبة التى وعد الله من عمل الصالحات من أهل الايمان، بالقناعة .

واعلم أن أهل التفسير اختلفوا فى معنى هذه الحياةالطيبة . هل هي فى الدنيا أو فى الآخرة ؟ . فأصحاب القول الأول : اختلف تفسيرهم لهذه الحياة على أقوال ، حكاها ابن جرير وغيره . منها :

أولا : السعادة .

ثانيا : الرزق الحلال .

ثالثا : الايمان بالله ، والعمل بطاعته .

---

(١) البخارى ، كتاب الأحكام ، باب ٨ ، من استرعى رعية فلم ينصح... ٩/٥٣ .

(٢) الدر المنثور ٥/١٦٤ .

(٣) الطبرى ١٤/١٧١ .

ولم يختلف أصحاب القول الثاني فى أن المراد بالحياة الطيبة ، هي الجنة ، والقولان كلاهما عند الطبرى (١) ، والبغوى (٢) ، وغيرهما .

وعندى أن الله جلّ وعلا ، وعد أولئك العاملين من أهل الايمان بأمرين مختلفين ، وهما الحياة الطيبة فى الدنيا ، وجزاءهم أحسن الثواب فى الآخرة بما كانوا يعملون من الصالحات فى الدنيا ، ولذلك فانى أرى من الصواب تفسير الحياة الطيبة بكل ما قاله الأولون وغيره من أصناف الحياة الكريمة ، مثل تيسير الأمور ، وتفريج الكربات ، ووافر الرزق ، والنصر والتمكين فى الأرض ، ولا يزال المسلمون الى اليوم يتفيئون ظلال الحياة الهنيئة نتيجة تمسكهم بالايمان بالله .

" قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ " . - ١٠٢ -

قوله : " رُوحُ الْقُدُسِ " :

٢٣٣) جبريل . رواه الطبرى (٣) .

سبق دراسته بالأثر رقم (٩٨) .

* * *

* *

*

---

(١) الطبرى ١٤ / ١٧٠ .

(٢) البغوى ١٤ / ٨٣ .

(٣) الطبرى ١٤ / ١٧٧ .

" ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا " . - ٣ -

قوله : " إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا " :

٢٣٤) كان نوح اذا أكل قال : الحمد لله ، واذا شرب قال : " الحمد لله ، واذا لبس قال : الحمد لله ، واذا ركب قال : الحمد لله ، فسماه الله عبدا شكورا . أخرجه ابن المبارك [١] ، وفى هذا الأثر أن سبب تسمية نوح - عليه السلام - عبدا شكورا ، بتلك الخصال ، وهذا القول عن مفسرنا وان كان فيه مقال ، لأنه من رواية هشام بن سعد [٢] ، عنه ، الا أنه قد جاء عن أئمة التفسير ، مثل ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، ما يشهد له.

وتلك الأقوال أخرجها ابن جرير [٣] ، وأخرج البغوى [٤] بعضها ، وهي وان اختلفت فى اللفظ ، الا أنها متفقة فى المعنى .

وفصل القول عندى عدم تحديد شكر نبي الله نوح ، بسبب معين لأمرين :

أولهما : اطلاق الكتاب الكريم فى تسمية نبي الله نوح عبدا شكورا ، وهذا الاطلاق بصيغة المبالغة يقتضى أنه كثير الشكر لله على ما أنعم به ربه عليه من النعم المختلفة ، وأعظم تلك النعم ، نعمة الرسالة ونجاته ومن معه فى السفينة ، وما قاله أولئك الأئمة وغيرهم فى تفسير شكر نوح ربه لا يعدو أن يكون بعض الشكر .

وثاني الأمرين : عدم ورود ما يحدد ذلك الشكر من كتاب أو سنة ثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - . فالقول بأن حمد نوح على المطعم أو المشرب

---

(١) الزهد ، باب ذكر رحمة الله تبارك وتعالى ٣٢٩ .

(٢) تقدم ص ٤١ .

(٣) الطبرى ١٥ / ١٩ .

(٤) البغوى ١٥ / ٩٧ .

أو الملبس ، أو غيرهما من النعم ، هو شكره بعينه تخصيص دون مخصص ، يجب التسليم له .

" وجعلنا الليل والنهار ءايتين فمحونا ءاية الليل وجعلنا ءاية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا " . - ١٢ -

قوله : " فمحونا ءاية الليل " :

٢٣٥) كانت شمس بالليل وشمس بالنهار ، فمحا الله شمس الليل ، فهو المحو الذى فى القمر . حكاه السيوطي (١) ، وعزاه الى ابن أبى حاتم ، ولا سبيل الى الحكم على هذا الأثر من حيث سنده لفقد تفسير ابن أبي حاتم ، الذى يشتمل على تفسير هذه السورة ، ويفهم من قول المفسر ، أن محو ءاية الليل كان بازالة ما فيه من شمس ، ثم صارت تلك الآية السواد الذى فى القمر ، وهذا القول فيه تشويش وعدم وضوح ، وأوضح منه ما رواه ابن جرير (٢) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " كان القمر يضئ كما تضئ الشمس ، والقمر آية الليل ، والشمس آية النهار ، فمحونا آية الليل السواد الذى فى القمر " . أ . هـ .

ورواه عن على من عدة طرق .

قال ابن كثير (٣) فى تلك الطرق : " إنها جيدة ، وعلى هذا يترجح عندى قول على ، وابن عباس - رضي الله عنهم - ، على قول المفسر .

---

(١) الدر المنثور ١٥ / ٢٤٨ .

(٢) الطبرى ١٥ / ٤٩ .

(٣) ابن كثير ١٥ / ٢٧ .

" يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا " . - ٧١ -

قوله : " بِإِمَامِهِمْ " :

٢٣٦) قيل : يعنى بأمهاتهم ، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة : أحدها : لأجل عيسى (عليه السلام) . والثاني : لشرف الحسن والحسين . والثالث : لئلا يفتضح أولاد الزنا .

أخرجه البغوى (١) . وفيه دعوة كل انسان بأمه يوم القيامة للأسباب التى احتواها الأثر ، وهذا القول فى غاية البطلان والسقوط ، لأدلة منها :

أولا : مخالفة هذا التفسير لمن هم حجة فى اللغة ، والتفسير، فان أشهر ما جاء عنهم عند الطبرى (٢) وغيره فى تفسير الامام المذكور فى الآية قولان :

أحدهما : أن الامام هو من يقتدى به .

الثاني : أنه كتاب الأعمال .

فأول التفسيرين مروى عن مجاهد ، وقتادة ، كما أن ثانيهما قال به ابن عباس ، والحسن ، وغيرهما ، وكلا المعنيين له شاهد من الكتاب الكريم ، فمن أدلة المعنى الأول : قوله تعالى : " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " (٣) . أى قدوة .

كما يدل على المعنى الثاني فى قوله تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ " (٤) .

وقد ذكر الدامغاني (٥) فى معنى امام خمسة أوجه ، وليس منها أن امام بمعنى أم .

---

(١) البغوى ١٥ / ١٢٦ .
(٢) الطبرى ١٥ / ١٢٦ .
(٣) الفرقان ٧٤ .
(٤) يس ١٢ .
(٥) قاموس القرآن ٤٤ .

ثانيا : ومن الأدلة على بطلان هذا الأثر ، أنه من رواية أبي معشر ، وقد عرفته فيما سبق .

" وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا " . - ٧٣ -

٢٣٧) أنزل الله :" والنجم اذا هوى "[١] . فقرأ عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية :" أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ "[٢] . فألقى عليه الشيطان كلمتين : تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجي . فقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - ما بقي من السورة وسجد ، فأنزل الله :" وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ... الآية " . فما زال مغموما مهموما حتى أنزل الله تعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ... الآية "[٣] .

حكاه السيوطي[٤] ، وعزاه الى ابن أبى حاتم . وقد أفاد الأثر أن سبب الآية ، ما يزعم من حادثة الغرانيق - وسيأتى بيانها فى موضعه - ومع ما فيه من النكارة التى يغلب علي ظنى أنها من تخليط أبى معشر ، أو الربذى ، فقد خالف قولى أهل التأويل فى سبب نزول الآية .

كما رواه ابن جرير[٥] ، والبغوى[٦] ، والواحدى[٧] ، وذانك القولان هما :

---

(١) النجم آية ١ .
(٢) النجم آية ١٩ .
(٣) الحج آية ٥٢ .
(٤) الدر المنثور ١٥ / ٣١٩ .
(٥) الطبرى ١٥ / ١٣٠ .
(٦) البغوى ١٥ / ١٢٦ .
(٧) أسباب النزول ٢٩٦ .

أولا : ما عرضه مشركوا قريش على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مس آلهتهم حين الطواف بالكعبة حتى يدعوه يستلم الركن ، وهو قول مجاهد ، وقتادة ، وغيرهما .

ثانيا : طلب ثقيف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمورا منها : تركهم يتمسحون بآلهتهم سنة ، وهو قول ابن عباس ، وهذه الآية الى قوله : "... ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا " . (١) متضمنة أمورا يجب الايمان بها على ظاهرها دون القطع بسببها ما لم يكن منصوصا عليه فى ظاهر كتاب أوصحيح سنة ، ومن تلك الأمورالتى انتظمتها الآيات :

أولا : مقاربة الكفار فتنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ما أوحى اليه ربه ليختلق غيره .

ثانيا : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كاد يميل الى الكفار لولا عصمة الله له وتثبيته .

فان قال قائل : " ان ثاني قولى المفسرين الذى ذكرته جاءت به الرواية مسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ .

قلت : لاشك أن ابن عباس من أعرف الناس بالتنزيل الكريم ، لكن الرواية عنه ، جاءت مسنده عند ابن جرير (٢) ، وسلسلتها من طريق العوفيين وجميعهم ضعفاء ، وعلى هذا فالرواية غير صحيحة .

" أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " . ـ ٧٨ ـ

قوله : " وَقُرْآنَ الْفَجْرِ " :

---

(١) الاسراء ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) الطبرى ١٥ / ١٣٠ .

٢٣٨) يعنى صلاة الفجر . أخرجه عبد الرحمن فى تفسير مجاهد[1] . وراويه عن المفسر أبومعشر ضعيف ، الاّ أنه يشهد لصحته أمـــران :

أولا : أنه قول جمهور المفسرين ، منهم : ابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيـد ، كما رواه الطـــبرى[2] ، وغير واحد .

ثانيا : ما صح به الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبـــي هريرة ، أنه قال : " سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : "تفضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمسا وعشرين درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الصبح" ، يقول أبوهريرة : اقرؤوا ان شئتم : "وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا"[3] . أ.هـ .

قولـــه : " إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُـــودًا " :

٢٣٩) ان الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات يبقين من الليل : فى الساعـــة الأولى منهن ، ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشـــاء ويثبت . ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن - وهي داره - التى لم ترهـــا عين ولا تخطر على قلب بشر ، وهي مسكنه ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة : النبيين والصديقين والشهداء . ثم يقول : طوبى لمن دخلك ، ثم ينزل فـــى الساعة الثالثة الى السماء الدنيا بروحه وملائكته ، فتنتفض . فيقول : قومـــى بعوني . ثم يطلع الى عباده فيقول : من يستغفرني أغفر له ومن يسألنى أعطـــه ومن يدعونى فأستجيب له ، حتى يطلع الفجر ، فذلك حين يقول : " وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " .

رواه الطـــبرى[4] ، عن المفسر ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء ، عن

---

(١) تفسير مجاهـــد ١/٣٦٨ .
(٢) الطـــــبرى ١٥/١٤٠ .
(٣) البخارى ، كتاب التفسير ، باب ١٦٧ قوله : "وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا" ٦/٧١ .
(٤) الطـــــبرى ١٥/١٣٩ .

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم قال : " قال موسى[1] في حديثه : شهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار . وقال ابن عسكر[2] في حديثه : فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار .

قلت : هذا حديث مرفوع ، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير سورة التوبة[3] ، لكنه لم يصح ، لأن في سنده زياده بن محمد .

فان قلت : في هذا السياق زيادات غير ما في أصله المتقدم .

قلت : وحتى هذه الزيادات سواء ما كان منها في سياق الحديث أو ما ذكره ابن جرير ، عن شيخيه ، فان شأنها شأن الأصل في عدم الصحة مادام أن راويه عن المفسر واحد ، وثمة أمر آخر يرد به هذا الحديث : وهو أن تلك الزيادات التي جاءت في هذا السياق لم ترد فيما صح من الأخبار عن نزول الرب تبارك وتعالى ، وشهود ملائكة الليل وملائكة النهار صلاة الصبح ، فمن الصنف الأول ما رواه أحمد[4] ، ورواه مسلم[5] ، واللفظ له عن أبي هريرة . قال : " قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل يعطى ! هل من داع يستجاب له ! هل من مستغفر يغفر له ، حتى ينفجر الصبح" أ . هـ .

ومن الصنف الثاني ، ما ذكرناه في الأثر قبله .

---

(١) انظر : الملحق رقم ٧٧ .

(٢) انظر : الملحق رقم ٦٥ .

(٣) الأثر رقم ١٦١ ، ١٦٢ .

(٤) المسند ٢ / ٢٥٨ .

(٥) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب ٢٤ ، الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه ١ / ٥٢٠ ، حديث ١٧٠ .

" وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا " . - ٨٠ -

قوله : " وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ " :

٢٤٠) اجعل سريرتي وعلانيتي حسنة . رواه أبونعيم (١) ، وفي هذا الأثر تفسير المدخل الصدق بحسن السريرة ، والمخرج الصدق بحسن العلانية .

وعندي أن هذا القول مرجوح وبعيد عن الصواب . لأدلة منها :

أولا : أنه لم يقل به سوى المفسر من أهل التأويل المعتبرين .

ثانيا : مخالفته لما جاءت به الرواية عن ابن عباس ، عند أحمد (٢) ، وابن جرير (٣) ، والترمذي (٤) ، واللفظ له . قال : " كان النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة ثم أمر بالهجرة ، فنزلت عليه : " وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا . وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح .

قلت : وبهذا القول عن ابن عباس ، قال الأكثرون من المفسرين . منهم : الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . كما أخرجه عنهم : الطبري (٥) ، واختاره : البغوي (٦) ، وما صح به الخبر عن رجل هو من أعلم الناس بالتنزيل أولى بالصواب مما عداه من الأقوال . والله أعلم .

" وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا " . - ١٠١ -

---

(١) الحلية ٣/٢١٦ .

(٢) المسند ١/٢٢٣ .

(٣) الطبري ١٥/١٤٨ : ١٥٠ .

(٤) الترمذي ، كتاب التفسير ، باب ١٨ ، ومن سورة بني اسرائيل ٥/٣٠٤ .

(٥) الطبري ١٥/١٤٨ : ١٥٠ .

(٦) البغوي ١٥/١٣٢ .

قولـــه : " وَلَقَـــدْ ءَاتَيْنَـــا مُوسَـــىٰ تِسْعَ ءَايَـــاتٍ بَيِّنَـــاتٍ " :

٢٤١) سألني عمر بن عبد العزيز عن قوله : " وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـــاتٍ بَيِّنَاتٍ " . فقلت له : هي الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والـــدم ، والبحـر ، وعصاه ، والطمســة ، والحجـــر . فقال : وما الطمسة ؟ . فقلـــت : دعا موسى وأمن هارون . فقال : " قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا " . وقال عمر : كيف يكـــون الفقه الاّ هكذا ؟ ، فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مـــروان ، أصيبت بمصر ، فاذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر ، مسخت حجـــــارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر ".

أخرجه الطبري (١) ، من طريق بريدة بن سفيان (٢) .

٢٤٢) الطمس ، والبحر ، بدل السنين ، ونقص من الثمرات . قال : فكان الرجل مع أهله في فراشه وقد صارا حجرين ، والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجـــرا .

أخرجه البغوي (٣) ، من طريق أبي معشر ، .

وكلا الأثرين قد مضى في تفسير سورة يونـــس (٤) .

٢٤٣) هي اليد والعصا والخمسة في الأعراف والطمسة والحجر . حكاه ابـــن كثير (٥) ، عن مفسرنا غير مسند ولا معزو الى أحد من الأئمة ، وجميع هذه الآثـــار كما ترى اخبار عما أوتيه نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ، من الآيات الدالـــة على صدق رسالته .

---

(١) الطـــــبري ١٥ / ١٧١ .

(٢) تقـدم : ٣٢ .

(٣) البغـــــوي ١٥ / ١٣٩ .

(٤) الأثـــر رقـــم ١٨٤ .

(٥) ابن كثـــــير ١٥ / ٧٠ .

ومع تأمل هذه الأقوال الثلاثة ، يظهر جليّا احتواؤها جميعا الى جانب الآيات الصحيحة ، بعض المناكير ، ونحن نوضح ما كان موافقا صريح الكتاب الكريم تاركين ما عداه مكتفين عن الخوض فى تلك المنكرات والغرائب بما قدمناه من الكلام على رواة المفسر . فنقول :

ان هذه الآية ذكرت آيات موسى ـ عليه السلام ـ مجملة ، وقد بينها الكتاب الكريم فى مواضع مختلفة منها على سبيل المثال :

أولا : قوله : " فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ " . (١)

ثانيا : قوله : " وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ " . (٢)

ثالثا : قوله : " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ " . (٣)

" وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا " . ـ ١١١ ـ

٢٤٤) قال ان اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولدا . وقالت العرب : لبيك ، لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك ، وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل الله " . فأنزل الله : " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ". أخرجه الطبرى (٤) من رواية أبى صخر .

---

(١) الأعراف ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) الأعراف ١٣٠ .

(٣) الأعراف ١٣٣ .

(٤) الطبرى ١٥ / ١٨٩ .

٢٤٥) عن أبي هريرة قال : خرجت أنا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويده في يدى ـ أو يدى في يده ـ فأتى على رجل رث الهيئة ، فقال : " أى فلان ما بلغ بك ما أرى " . قال السقم والضر يا رسول الله . قال : " ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر ؟" قال : بلى ، مايسرني أن شهدت بها معك بدرا ، أو أحدا ، قال : فضحك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : " وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟" قال : فقال أبوهريرة : يا رسول الله اياى فعلمنى . قال : " فقل يا أباهريرة : توكلت على الحي الذى لا يموت ، الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا" . قال : فأتي عليّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد حسنت حالي ، قال : "فقال لى "مهيم" قال : قلت يا رسول الله لم أزل أقول الكلمات التى علمتنى .

أخرجه أبويعلي[1] من طريق المفسر عن أبي هريرة ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي سنده موسى بن عبيده الربذى .

فأول الخبرين : مرسل تابعي .

وثانيهما : حديث نبوى ونحن نبين ما فيهما كلا على حدة بايجاز . فنقول :

فى رواية ابن جرير[2] ، ما يفيد أن سبب نزول الآية مقالة تلك الطوائف ، وهذا القول لم يقل بهغيرالقرظي ، والخبر مرسل ، ومن رواية أبى صخر ، وقد عرفته فيما مضى . وأما راويهَ أبى يعلي فيرد هما أمران :

أولا : ضعف السند . وقد سبق لك بيان حال الراوى عن المفسر ، وهو موسى ابن عبيده الربذى .

ثانيا : ما تضمنه الحديث من تفضيل قائل تلك الكلمات على أهل بدر وأحد

---

(١) ابن كثير ٣ / ٢٠ ، نقلا عنه ، والهيثمي فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد كتاب التفسير . سورة الاسراء ٧ / ٥٢ .

(٢) الطبرى ١٥ / ١٨٩ .

وهذا مع نكارته مدفوع بأدلة كثيرة . منها : ماروا ه البخارى [1] ، من قصة حاطب بن أبى بلتعة - رضي الله عنه - وفيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " أليس من أهل بدر؟ . فقال : لعل الله أطلع الى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم " . فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم " . أ . هـ .

قال ذلك - صلى الله وسلم - ردا على عمر لمّا طلب قتل حاطب وقبل عذره ولا يخفى أن فى هذا الحديث دليلا قاطعا على فضل أهل بدر .

* * * *

* * *

* *

*

---

(١) البخارى ، كتاب المغازى ، باب ٩ ، فضل من شهد بدرا ٥ / ٦٥ .

" المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيرٌ أَمَلاً " . - ٤٦ -

قوله : " البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ " :

٢٤٦) لا اله الاّ الله ، والحمد لله وسبحان الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الاّ بالله . أخرجه الطبرى(١) من رواية أبى صخر ،عن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سلم بن عبد الله بن عمر ، ولهذا الأثر قصة طويلة ، وقد آثرت تركها والاقتصار على قول المفسر . وفى قول مفسرنا هذا تفسير الباقيات الصالحات بالتهليل والتسبيح ،والتحميد والتكبير ولا حول ولا قوة الاّ بالله وليس أهل التفسير من السلف متفقين على تفسير الباقيات الصالحات ، فقد أخرج ابن جرير(٢) ثلاثة أقوال أخرى غير قول ابن كعب . :

أحدها : أنها الصلوات الخمس .

ثانيها : العمل بطاعة الله .

ثالثها : الكلام الطيب .

وبكل قول من هذه الأقوال الأربعة قال جماعة من السلف ، ولكن قول الأكثرين ومنهم ابن عباس ،وعثمان بن عفان ،وابن عمر ، ومجاهد ،موافق لقول المفسر، ومهما يكن من القول . فعندى أن تفسير" البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ" هي العمل بطاعة الله أولى بالصواب . لأمرين :

---

(١) الطبرى ١٥/ ٢٥٥ .

(٢) الطبرى ١٥/ ٢٥٣ : ٢٥٦ .

أولهما : أن هاتين الكلمتين جاءتا مقرونتين بالألف واللام لغير العهد ، وذلك من صيغ العموم ، فالقول بسواه لابد له من تخصيص يجب التسليم له ، وما قاله أولئك الأئمة لا يعدو أن يكون بعض الباقيات الصالحات .

والأمر الثاني : الذى يقوى به جانب العموم ما صح به الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبى هريرة[1] - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ان الله قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الىّ عبدى بشئ أحب الىّ مما افترضته عليه وما زال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه ... الحديث" . فاذا تأملت هذا الحديث من قوله تعالى : " وما زال عبدى" ... الى قوله : " ... حتى أحبه " . ظهر لك بجلاء أمران :

الأول : أنه لا أفضل فى القربات وصالح الأعمال من الفرائض .

الثاني : أن التقرب بالنوافل مع المحافظة على الفرائض سبب فى محبة الله للعبد .

وبهذا يتبين أن تفسير : " البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ " بطاعة الله هو الراجح لأن طاعة الله تشمل جميع الأعمال من فرائض ونوافل .

" وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا".

- ٦٠ -

قوله : " مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ " :

٢٤٧) طنجه . رواه الطبرى[2] ، والبغوى[3] وابن أبي حاتم ، فيما نقله عنه السيوطي[4] ، وفى هذا الأثر تحديد ملتقى البحرين فى هذه الآية التى هي

---

(١) البخارى ، كتاب الرقاق ، باب ٣٨ التواضع ٨/٨٩ .

(٢) الطبرى ١٥/٢٧١ .

(٣) البغوى ١٥/١٧١ .

(٤) الدر المنثور ١٥/٤٢٣ .

-حكاية عن طلب موسى-عند طنجة بشمال افريقية .' وقد أجمل الكتاب الكريم ذلك المكان فى هذه القصة الفريدة التى لم تذكر فى غير هذه السورة ، كما هو منهج القرآن فى عرض كثير من القصص اكتفاء بموضع العبرة ، ولم يرد فى السنة بيان لما أجمله الكتاب فى هذا الموضع ، وعلى هذا فتحديد مجمع البحرين بمكان معين ، سواء ما قاله مفسرنا ، أو ما قاله بعض أئمة السلف بأنه ملتقى بحر فارس مع الروم ،لا يعدوا أن يكون تفسير بالاجتهاد ، يستبعده الواقع التاريخي والجغرافي .

قال الأستاذ /سيد قطب:(١) " ونحن نقف عند نصوص القصة فى القرآن لنعيش فى" ظلال القرآن" ،ونعتقد أن لعرضها فى القرآن على النحو الذى عرضت به ، دون زيادة ، ودون تحديد للمكان والزمان والأسماء حكمة خاصة . فنقف نحن عند النص القرآني نتملاه ... " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا " .

والأرجح - والله أعلم - أنه مجمع البحرين : بحر الروم وبحر القلزم - أى :البحر الأبيض ، والبحر الأحمر" ، ومجمعهما مكان التقائهما فى منطقة البحيرات المرّة وبحيرةالتمساح ، أو أنه مجمع خليجي العقبة والسويس فى البحر الأحمر . فهذه المنطقةكانت مسرح تاريخ بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر . وعلى أى - فقد تركها القرآن مجملة . فنكتفى بهذه الاشارة" . أ.هـ.

قلت : وعندى أن هذا القول يعين عليه الواقع التاريخي والجغرافى فنحن حيال تحديد موقع حادثة موسى مع الخضر -عليهما السلام - لابد لنا من أحد افتراضين :

فاما أن نقول :إن تلك الحادثة وقعت قبل خروج موسى وبنى اسرائيل من مصر .

---

(١) فى ظلال القرآن ١٥/٢٢٧٨ .

واما أن نقول : انها حدثت بعد ذلك . فالأول بعيد ، لأن نبي الله موسى كان قبل خروجه بقومه مشغولا بدعوة فرعون وملئه . فالظاهر من حاله أنه لم يغادر مصر حينئذ .

وثاني الافتراضين محتمل ، فكما سلف في قول الشيخ سيد قطب ، فسيناء هي المنطقة التي كانت مستقر بني اسرائيل حين عوقبوا بالتيه جزاء رفضهم دخول الأرض المقدسة ، كما أمرهم موسى - عليه الصلاة والسلام - والله أعلم .

" وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا " . - ٩٩ -

قوله : " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ " :

٢٤٨) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر . قال أبوهريرة : يا رسول الله : ماالصور؟ قال : " قرن ، قال : وكيف هو ؟ قال : " قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات : الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين " .

أخرجه ابن جرير[1] من طريق مفسرنا عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في مواضع متعددة . كما أخرجه أيضا ابن أبي حاتم - وسنأتي على هذه المواضع ان شاء الله تعالى - ولكن الخبر في جميع طرقه ضعيف الاسناد ، وفي بعض ألفاظه غرابة ونكاره ، ويرجع الضعف في الاسناد الى ثلاثة أسباب :

---

(١) الطبري ١٦ / ٣٠ .

الأول : تدليس المحاربي ، لأنه عنعن .

الثاني : أن مداره على اسماعيل بن رافع ، وهو ضعيف . وقال بعضهم : منكر الحديث .

الثالث: ابهام من يروى عنه القرظي ، حيث قال:عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة .

وقد تضمن الحديث أربع مسائل . وهي :

١- النفخ في الصور. ٢-عدد النفخات . ٣-تفسير الصور ، وأنه قرن .

٤- تعيين النافخ في الصور ، ونحن نتناول هذه المسائل مفصّلة حسب ما ظهر لنا من الدليل . فنقول :

المسألة الأولى :

قد دل صريح الكتاب ، كما في آية الكهف هذه ومواضع أخرى ، على ثبوت النفخ في الصور ، وكذلك السنة الصحيحة ،كما ستراه قريبا . فالايمان به واجب .

المسألة الثانية :

يظهر من هذا الخبر أن عدد النفخات في الصور ثلاث ، ولكن الذي جاء في صحيح الخبر أن : النفخ مرتان : أولاهما : نفخة الصعق، وثانيتهما : نفخة القيام للبعث والحساب ، من ذلك ما رواه البخاري (١) ، واللفظ له ، والترمذي (٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " بينما يهودي يعرض سلعته أعطى شيئا كرهه.. الحديث" . وفيه : " فانه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض الاّ من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون

---

(١) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ،باب قول الله تعالى : " وان يونس لمن المرسلين " ٤/١٢٧ حديث ٣٤١٤ .

(٢) الترمذي ، كتاب التفسير (سورة الزمر) ٥/٣٧٣ حديث ٣٢٤٥ .

أول من بعث . انتهى محل الشاهد .

فان سأل سائل : كيف تصنع بآية النمل [1] ، المتضمنة الفزع مع النفخ ، وآية الزمر [2] ، التي تضمنت نفختين . وهما : نفخة الصعق ، ونفخة القيام . فاذا انضم الآيتان الى بعضهما ظهر أن النفخ ثلاث مرات ، كما هو ظاهر الحديث . ؟

فالجواب : انه لا تعارض بين الآيتين ، فنفخة الصعق هي التي يصحبها الفزع ، يوضحه ما رواه مسلم [3] ، من حديث عبد الله بن عمرو (الطويل) . وفيه : "... ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الاّ أصغى ليتا ورفع ليتا . قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله . قال : فيصعق ويصعق الناس. انتهى محل الشاهد .

فقد نص هذا الحديث - كما ترى - على أن الفزع والصعق بنفخة واحدة .

المسألة الثالثة :

في تفسير الصور ، وأنه قرن . فقد دل له من السنة ما رواه الحاكم [4] . وقال : حديث صحيح ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله عز وجل : " ونفخ في الصور" قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " هو قرن ينفخ فيه " . أ.هـ .

المسألة الرابعة :

في تعيين النافخ في الصور ، وأنه اسرافيل - عليه السلام - فلم أجد في السنة ما يدل لذلك ، ولكن قال القرطبي [5] : " قال علماؤنا : " والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور اسرافيل (عليه السلام)" . أ.هـ .

قلت : وليس تعيين الملك النافخ من ضرورات الدين ، وسواء كان النافخ اسرافيل أو غيره فلا يترتب عليه فائدة وقد قدمنا من الأدلة على ثبوت النفخ في الصور ما يكفي لوجوب الايمان به .

---

(١) النمل ٨٧ .
(٢) الزمر ٦٨ .
(٣) مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب خروج الدجّال ... الخ ٤/٢٢٥٨ حديث ٢٩٤
(٤) المستدرك ، كتاب التفسير (سورة الزمر) ٢/٤٣٦ .
(٥) التذكرة في احوال الموتى وأمور الاخرة ٢٢٤ .

﴿(تفسير سورة مريم)﴾

" كٓهيعٓصٓ " . - ١ -

قولـه : كٓهيعٓصٓ :

٢٤٩) الكاف : من الملك ، والهاء : من الله ، والعين : من العزيز ، والصاد : من الصمد . حكاه السيوطي[1] وعزاه الى ابن أبى حاتم .

سبق دراسته فى سورة البقرة[2] .

" يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا " . - ٦ -

قولـه : " وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا " :

٢٥٠) قال داود - عليه السلام - : " يارب هب لى ابنا " فولد له ابن ، خرج عليه فبعث اليه داود جيشا فقال : " ان اخذتموه سليما فابعثوا الىّ رجلا أعرف السرور فى وجهه ، وان قتلتموه فابعثوا الىّ رجلا أعرف الشر فى وجهه ، فقتلوه فبعثوا اليه رجلا أسود ، فلما رآه علم أنه قتل . فقال : " رب سألت أن تهب لى ابنا ، فخرج علىّ ؟ فقال : انك لم تستثن . قال محمد بن كعب : " لم يقل كما قال زكريا : " واجعله رب رضيا " .

حكى هذا الأثر السيوطي[3] ، نقلا عن ابن أبى حاتم ، ولا يمكن الحكم عليه من حيث سنده لعدم وجود مصدره ، لكن يظهر من لفظه النكارة ، ولا أظنه الا من مناكير الربذى ، أو أبي معشر ، وهذه الاخبار وأمثالها مما ينسب الى أنبياء الله ، لا يجوز القول به حتى يؤيده ظاهر الكتاب ، أو صحيح سنة .

فان قلت : كيف تقول إن هذا الخبر منكر ، وقد حدث لسليمان - عليه

---

(١) الدر المنثور ١٦ / ٤٧٨ .

(٢) الأثر رقم ٢ .

(٣) الدر المنثور ١٦ / ٤٨١ .

السلام ـ ما يفيد انه عوقب بتخلق قصده ، وذلك أنه لم يلد من نسائه التسعين اللاتى طاف بهنّ غير واحدة بنصف غلام ، لأنه لم يستثن . أى : لم يقل ان شاء الله ؟

قلت : هذا الخبر الذى ذكرته . رواه البخارى (١) وغيره . وفيه : تصريح سليمان ـ عليه السلام ـ بحسن قصده من طوافه بأهله ، وذلك أنه أراد أن تلد كل واحدة منهنّ بغلام يقاتل فى سبيل الله ، لكنه تخلف قصده لعدم تعليقه ذلك على المشيئة ، ولولا ورود هذا الخبر فى الصحيح لأسقطناه . وثمة وجه آخر من أوجه النكارة فى قول مفسرنا ، يظهر فيما نسبه الى داود ـ عليه السلام ـ من قوله ـ حين بعث الجيش الى ولده المتمرد عليه ـ : " ان أخذتموه سليما فابعثوا اليّ رجلا أعرف السرور فى وجهه ، وان قتلتموه فابعثوا اليّ رجلا أعرف الشر فى وجهه ... الخ " . فلماذا لا يقول وهو ملك الدنيا فى زمانه : " ائتونى به حيا أو ميتا " . وبهذا تعرف أن هذا الأثر فى غاية السقوط والبطلان . والله أعلم .

" يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا " . ـ ٢٨ ـ

قوله : " يَا أُخْتَ هَارُونَ " :

٢٥١) هي اخت هارون لأبيه وأمه ، وهي أخت موسى أخى هارون ، التى قصت أثر موسى : فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . رواه ابن أبى حاتم كما حكاه عنه ابن كثير (٢) بالاسناد عن أبى صخر عن المفسر ، وفى هذا الأثر إخبار بأن والدة المسيح ـ وهي مريم ابنه عمران ـ هي أخت النبيين : موسى وهارون ـ صلى الله وسلم على الجميع ـ وهذا مردود بأدلة كثيرة منها :

---

(١) البخارى ، كتاب الكفارات ، باب ٩ الاستثناء فى الايمان ٨ / ١٢٣ .

(٢) ابن كثير ١٦ / ١٢٥ .

أولا : الآيات من قوله : " إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ "[1] . الى قوله : " ... وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ... الآية "[2] . فهذه الآيات نص صريح الدلالة على أن المسيح - عليه السلام - هو من أنبياء بنى اسرائيل بعد موسى ، كما يفيده قوله : " وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ " . وهذا الاخبار من الله بالتقفية بعيسى ، جاء بعد ذكر الأنبياء من بنى اسرائيل الذين يحكمون بالتوراة .

ثانيا : قوله تعالى : " فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ... الآية "[3] . تظهر دلالتها على بعد ما بين المسيح وموسى - عليهما الصلاة والسلام - ووجه الدلالة منهما : أن هذه الآية جاءت فى سياق قصة نبي من بني اسرائيل بعد موسى ، ومن جنود ذلك النبي داود ، وهو قاتل جالوت ، وقد قدمنا فى تفسير سورة الأنعام[4] ، أن نسب مريم ينتهى الى سليمان بن داود (عليهما الصلاة والسلام) .

ثالثا : وهو أقوى الأدلة وأصرحها ، ولهذا جعلته خاتمتها . قوله صلى الله عليه وسلم : " أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بينى وبينه نبي "[5] . فقد دلّ هذا الحديث صراحة على أن المسيح هو آخر أنبياء بنى اسرائيل ، وليس بينه وبين محمد - صلى الله عليه وسلم - نبي ، فلو كانت أمه أخت موسى وهارون ابنى عمران (عليهم الصلاة والسلام) لكان بينه وبين محمد - صلى الله عليه وسلم - الكثير من الأنبياء مثل :

---

(١) المائدة ٤٤ .

(٢) المائدة ٤٦ .

(٣) البقرة ٢٤٦ : ٢٥١ .

(٤) الاثر رقم ١٠٦ ص

(٥) البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٤٧ ، "واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها ... ٤/١٣٣ .

يوشع ، وزكريا ، ويحيا ، وداود ، وسليمان ، والجميع بعد موسى وهارون .

فان قلت : كيف تدفع ظاهر قوله تعالى حكاية عن قوم مريم لها : " يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ ... الآية " .

قلت : هذا القول محمول على أحد تفسيرين . فهو : اما أن يكون المعنى بهارون . هارون أخا موسى ، نسبت اليه تشبيها به ، لأنها من ولده . واما : أن تلك المقالة من قومها جاءت فى معرض الانكار عليها ، تشبيها لها بهارون فى التقى والصلاح . وكلا القولين حكاه ابن جرير(١) . وعلى الثانى منهما دل صحيح الخبر من ذلك ما رواه الترمذى(٢) وصححه عن المغيرة بن شعبة قال : " بعثنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى نجران فقالوا لى : " ألستم تقرأون يا أخت هارون ؟ وقد كان بين عيسى وموسى ما كان ؟ . فلم أدر ما أجيبهم . فرجعت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته ، فقال : " ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم .

" فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فسوف يلقون غيا - ٥٩ -

قوله : " فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ " :

٢٥٢) هم أهل الغرب يملكون وهم شر من ملك . رواه ابن أبى حاتم فيما حكاه ابن كثير(٣) عنه ، وساق سنده الى المفسر . وفى هذا الأثر تفسير الخلف المذكور فى الآية بأنهم أهل الغرب ، وبنحو ما قال مفسرنا جاءت الرواية عند ابن جرير(٤) ، عن مجاهد ، وعكرمة وغيرهما ، وهذا المعنى مدفوع بأمرين :

أولا : أن هذه الآية سبقها إخبار الله جلا وعلا عن صفوة الأمم من النبيين وصالحى أتباعهم وذلك بالذكر الحسن والثناء الجميل ، ثم أخبر

---

(١) الطبرى ١٦ / ٧٧ .

(٢) الترمذى ، كتاب التفسير (سورة مريم) ٥ / ٣١٥ حديث ٣١٥٥ .

(٣) ابن كثير ١٦ / ١٣٤ .

(٤) الطبرى ١٦ / ٩٩ .

فى هذه الآية عن أولئك الصفوة ، بأنه قد خلفهم قوم سوء سمتهم اضاعة الصلاة والانغماس فى الشهوات .

ثانيا : فى سند مفسرنا كما نقله ابن كثير راو مبهم ، وبهذا يظهر جليا أن ما ذهب اليه مفسرنا ومن وافقه قول مرجوح .

قوله : " أَضَاعُوا الصَّلَاةَ " :

٢٥٣) تركوا الصلاة . رواه الطبرى[١] ، وحكاه السيوطي[٢] ، عن ابن أبى حاتم ، وفى هذا الأثر تفسير اضاعة الصلاة بالترك ، وبه قال : مجاهد ، وقتادة ، كما رواه البغوى[٣] ، وقول أكثر المفسرين كما جاءت به الرواية عند ابن جرير تفسير اضاعة الصلاة بتأخير مواقيتها وكلا القولين حكاه البغوى وغيره .

ويترجح عندى قول المفسر ومن وافقه بدليل قوله تعالى : " إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا "[٤] . ووجه الدلالة من الآية على ما ذهبنا اليه : أن أولئك الخلف الفاسد كفار بسبب ما اقترفوه من تضييع الصلوات والانغماس فى الشهوات ، فاستثنى الله منهم من اتصف بالتوبة والايمان والعمل الصالح ، فلو كانوا مؤمنين ما كان لذكر الايمان بالاستثناء فائدة ، ولم يقل أحد من الأئمة بأن من يهمل أوقات الصلاة كافر ، ولاشك أنه عرضة للوعيد الشديد ، كما قال تعالى : " فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ "[٥] . فقد سماهم الله مصلين ، لكن لتشاغلهم عنها وعن مواقيتها استحقوا هذا الوعيد .

---

(١) الطبرى ١٦ / ٩٩ .
(٢) الدر المنثور ١٦ / ٥٢٦ .
(٣) البغوى ١٦ / ٢٠١ .
(٤) مريم ٦٠ .
(٥) الماعون ٤ ، ٥ .

تفسير سورة طه

" طـــــه " . - ١ -

قولـه :" طـــــه " :

٢٥٤) الطاء : من ذى الطول . أخرجه ابن أبى حاتم ، فيما حكاه السيوطي عنه (١) .

٢٥٥) هو قسم أقسم الله عز وجل بطوله وهدايته . أخرجه البغوى (٢) .

وقد سبق الكلام على ذلك .

" لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى " . - ٦ -

قولـه :" وَمَا تَحْتَ الثَّرَى " :

٢٥٦) الثرى : سبع أرضين . رواه ابن أبى حاتم ، فيما نقله عنه السيوطي (٣) ، كما رواه الطبرى (٤) واللفظ له . وروى نحوه عن الضحاك ، وفيه تفسير الثرى بما تحت السبع الأرضين ، وهذا تفسير صحيح لمطابقته الآية ، وذلك أن الله جلّ وعلا أخبر فيها عن شمول ملكه وسلطانه ما فى السماوات وما فى الأرض وما بين ذلك :" وما تحت الثرى " ، وهو بالقصر : التراب المبلول الذى يبقى فيه الندى بعد جفاف الماء عنه ، وسواء كان ذلك الثرى فى الأرض الأولى أو السابعة ، فلا يعزب عن الله لأنه ملكه .

" وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي " . - ٢٧ -

---

(١) الدر المنثور ١٦ / ٥٥١ .

(٢) البغوى ١٦ / ٢١١ .

(٣) الدر المنثور ١٦ / ٥٥٢ .

(٤) الطبرى ١٦ / ١٣٩ .

٢٥٧) ان موسى ـ عليه السلام ـ انما سأل ربه أن يحل عقدة من لسانه ، كى يفقه بنو اسرائيل كلامه ، ولم يزد عليها . رواه ابن أبى حاتم ، ونقله عنه ابن كثير[1] ، ولهذا الأثر قصة ، وهي أن بعض أقارب محمد بن كعب عاب عليه اللحن فى الكلام ، وعدم الافصاح فى القراءة ، فرد عليه ابن كعب بهذه المقالة . ويفهم من مقالة مفسرنا التى رد بها على السائل ، ان موسى ـ عليه السلام ـ لم يكن كامل الفصاحة فى المنطق ، وانما أوتى بسؤاله ربه من حل عقدة لسانه ما يفهم كلامه مع بعض العجمة ، وفى هذا عندى نظر لسببين :

أولا : أن أنبياء الله هم أكمل الناس خلقا ، وأفضلهم خلقا ، وأكملهم حواسا .

ثانيا : ضعف سند مفسرنا كما ساقه ابن كثير نقلا عن ابن أبى حاتم ، من ثلاثة أوجه :

الأول : صيغة التمريض ، فان ابن أبى حاتم قال : ذكر لنا عن عمرو[2] بن عثمان ، ثم ذكر الاسناد .

الثاني : بقية بن الوليد مدلس[3] .

الثالث: قال أرطأة بن المنذر[4] ، أحد رجال السند : حدثنى بعض أصحاب محمد بن كعب ، وهذا كما ترى فيه ابهام . من يحدث عن ابن كعب فلا يعلم ذلك الراوى أمن الثقات هو؟ أم من الضعفاء ؟ وهذه علة قادحة وبهذا يظهر لك عدم صحة هذا الخبر .

فان قلت : قد جاء على لسان عدو الله فروعون فيما قصه الله عنه ، ما يفهم

---

(١) ابن كثير ١٦ / ١٥٤ .
(٢) انظر: الملحق رقم ٥٣ ،
(٣) انظر: الملحق رقم ١٤ ،
(٤) انظر: الملحق رقم ٧ ،

منه أن موسى غير تام الفصاحة فى المنطق ، وذلك فى قوله :" أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ "(١) .

فالجواب : أن هذا الفهم غير مستقيم ، لأن الخصم يلصق بعدوه غالبا ما ليس فيه من العيوب للحط من شأنه وصرف أنظار الناس عنه ، وهذا ما عناه عدو الله بمقالته الخبيثة صدا عن دعوة موسى (عليه السلام) .

" إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِى أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ" . - ٤٠ -

قوله :" ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ " :

٢٥٨) جئت على القدر الذى قدرت لك انك تجئ اليّ فيه . رواه البغوى(٢) ، وتفسير القدر الذى أخبر الله أن عبده موسى - عليه الصلاة والسلام - جاء عليه هو وقت تكليفه بالرسالة ، وهو صحيح وبنحو ما قال مفسرنا جاءت الرواية عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، فيما أخرجه عنهم ابن جرير(٣) ، ويشهد لصحة قول هؤلاء الأئمة ظاهر النظم الكريم ، فلو استعرضنا على سبيل المثال من سياق قصة موسى فى هذه السورة الآيات من قوله :" وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ... " . الى قوله :"... عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ(٤) " ، لظهر لنا الكثير من الشواهد لقول أولئك الأئمة . منها :

أولا : نجاة موسى - عليه السلام - من القتل حين كان وليدا بعد قذف اليّم له بين آل فرعون .

---

(١) الزخرف ٥٢ .

(٢) البغوى ٢١٨/١٦ .

(٣) الطبرى ١٦٧/١٦ .

(٤) طه ٣٧ : ٣٩ .

ثانيا : رده الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن .

ثالثا : ما ألقاه الله عليه من المحبة ، وهذه كلها وغيرها فى الآيات جاءت ضمن ما ذكّر الله به موسى ـ عليه السلام ـ من النعم حين كلمه من جانب الطور ، أثناء عودته من مدين الى مصر ، وهو وقت تكليفه بالرسالة .

" إِذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي" . - ٤٢ -

قوله : " وَلَا تَنِيَا " : (١)

٢٥٩) لا تقصرا . رواه البغوى ، وفيه تفسير ما نهى الله عنه موسى وأخاه من الوني فى ذكره بالتقصير ، وهذا تفسير صحيح ، ويشهد له أمران :

الأول : ظاهر النظم الكريم ، فان الله أمر موسى وأخاه أن يذهبا الى فرعون وملائه بما آتاهما من الآيات ، ونهاهما ألاّ ينيا فى ذكره ، بل عليهما أن يجتهدا فيه ، فالأنبياء هم أكثر الناس ذكرا لله فى الرخاء والشدة .

والأمر الثاني : صريح اللغة . قال الرازى : " ألوني" : الضعف والفتور والكلال والاعياء . يقال (ونى) فى الأمر ينى بالكسر (ونىّ) و(ونيا) أى : ضعف فهو (وان) ، وفلان لا (ينى) يفعل كذا أى لا يزال يفعله ،و(توانى) فى حاجته : قصّر " . أ هـ .

وان قيل جاء عن بعض أهل التفسير فيما أخرجه ابن جرير (٣) فى تفسير " لا تنيا " : لا تفترا ،لا تبطئا ،لا تضعفا ،فلِمَا اخترت قول المفسر عليها ؟

قلت : وهذه الأقوال الثلاثة وان اختلفت لفظا فانها متفقة مع قول مفسرنا فى المعنى ،فالتباطؤ فى الشئ والتقصير فيه : ضعف وفتور .

---

(١) البغوى ١٦ / ٢١٨ .

(٢) مختار الصحاح (مادة" ونى") ٧٣٧ .

(٣) الطبرى ١٦ / ١٦٩ .

" فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى " - ٧٠ -

قولـه : " فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ " :

٢٦٠) كانوا ثمانين ألفا . حكاه ابن كثير .(١)

سبق دراسته في سورة الأعراف الأثر (١٤٠) .

" إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى " . - ٧٣ -

قولـه : " وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى " :

٢٦١) خير منك إن أطيع ، وأبقى منك عذابا إن عصى . رواه البغوى ،(٢) ورواه الطبرى(٣) عن القرظي ، ومحمد بن قيس ، كما روى نحوه عن ابن اسحاق ، ومعنى هذا الأثر : ان ثواب الله أفضل لمن أطاعه وأن عقوبته أدوم لمن عصاه ، وهذا تفسير صحيح ، فالآية الكريمة تتضمن ردا قويا من سحرة فرعون حين آمنوا برسالة موسى - عليه الصلاة والسلام - وهددهم عدو الله بالعذاب والنكال وهذا الرد يدل على شدة ثباتهم على الايمان .

" وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى " . - ٧٧ -

قولـه : " فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا " :

٢٦٢) يابسا . حكاه السيوطي(٤) عن ابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، وسعيد ابن منصور . ورواه ابن جرير(٥) عن مجاهد ، وهو ظاهر لا اشكال فيه ولا غرابة .

---

(١) ابن كثير ١٦ / ١٦٦ .
(٢) البغوى ١٦ / ٢٢٥ .
(٣) الطبرى ١٦ / ١٩٠ .
(٤) الدر المنثور ١٦ / ٥٩٠ .
(٥) الطبرى ١٦ / ١٩١ .

"يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا" . - ١٠٨ -

قولـه : " يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ " :

٢٦٣) يحشر الله الناس يوم القيامة فى ظلمة تطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادى مناد فيسمع الناس الصوت يأتونه ، فذلك قول الله : " يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ " . أخرجه ابن أبى حاتم ، فيما حكاه عنه السيوطي (١) ، ويتضمن الأثر مسألتين :

احداهما : حشر الناس يوم القيامة فى ظلمة .

والأخرى : ما ذكره من ذهاب الشمس والقمر وتناثر النجوم ... الخ .

وكلتا المسألتين صحيحة بشواهدها .

فالمسألة الأولى : يشهد لها ما رواه مسلم (٢) من حديث ثوبان الطويل قال : " كنت قائما عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء حبر من اليهود ... " وفيه قال اليهودى : " أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " هم فى الظلمة دون الجسر ... الحديث

وقد سبق القول فى تبديل الأرض فى سورة ابراهيم . (٣)

وأما المسألة الثانية : فشواهدها فى الكتاب الكريم كثيرة . منها :

أولا : قوله : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ... الآية " . (٤)

---

(١) الدر المنثور ١٦ / ٥٩٩ .

(٢) مسلم ، كتاب الحيض ، باب بيان صفة منى الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ١ / ٢٥٢ حديث ٣١٥ .

(٣) دراسة الأثر رقم

(٤) الزمر ٦٧ .

ثانيا : قوله : " وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ "[1] .

ثالثا : قوله : " فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ "[2] .

مع قوله تعالى : " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ "[3] . أى لفت وذهب ضوءها .

ويوضح وجه الدلالة من هذه الآيات أن قوله من السورة نفسها : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ..."[4] الى قوله : "... فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا" . حديث عن يوم القيامة وأهواله . فقوله تعالى : " يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ " اخبار عن ما بعد النفخة الثانية التى هي نفخة القيام ، بدليل قوله تعالى: " فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ " . مع قوله : " فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ..." الى قوله : " ... مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ "[5] .

* * *

* *

*

---

(١) الانفطار ٢ .

(٢) القيامة ٧ : ٩ .

(٣) طه الآيات ١٠٥ : ١٠٨ .

(٤) المدثر ٨ : ١٠ .

(٥) القمر ٦ : ٨ .

" وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ " . - ٨١ -

قوله : " وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ " :

٢٦٤) بلغنا أن سليمان بن داود كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاث مائة صريحة وسبع مائة سرية ، فأمر الريح العاصف فرفعته ، فأمر الريح فسارت به ، فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والأرض أنى قد زدت ملكك أن لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح فأخبرتك .

رواه الحاكم (١) . وفى هذا الأثر تفصيل معسكر سليمان وكيفية تسخير الريح له ، وجريانها به وذلك التفصيل غير صحيح لأدلة منها :

أولا : أنه بيان ما أجمله الكتاب دون استناد الى خبر يجب التسليم له من كتاب أو سنة صحيحة .

ثانيا : ضعف سنده ، فان فيه غير أبى معشر راو مبهم عبر عنه بقوله بلغنا وهذا الراوى لا يعلم حاله .

" فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ " . - ٨٤ -

قوله : " رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ " . :

٢٦٥) أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل قد أصاب من هو خير

---

(١) المستدرك ٢ / ٥٨٩ .

منّ ، نبيا من الأنبياء . رواه ابن جرير[1] ، وفيه - كما ترى - حث المسلم على الصبر عند ما يصيبه كرب وشدة ، تأسيا بنبي الله أيوب - عليه الصلاة والسلام - وهذا القول عن مفسرنا وان كان ضعيف الاسناد ، لأنه من رواية أبى معشر ، الاّ أنه يشهد لصحته أدلة منها :

أولا : ظاهر النظم الكريم ، فان الآية ترشد الى أن الغرض من سياق قصة أيوب ، هو التذكر والاعتبار ، ولا فائدة من ذلك ، اذا لم يجد المؤمن فيما أصابه عزاء بقصة أيوب (عليه السلام) .

ثانيا : ما جاء فى السنة ، أن أعظم الناس كربا ومصيبة هم الأمثل فى الدين ، فعن مصعب بن سعد[2] ، عن أبيه . قال : " قلت يا رسول الله : أى الناس أشد بلاء ؟ . قال : " الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، فيبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وان كان فى دينه رقّة ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة . رواه الترمذى[3] ، وقال : " حديث حسن صحيح " ، فالحديث إرشاد الى التأسى بخير عباد الله فى الصبر على المصائب .

" وَذَا النُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " . - ٨٧ -

قوله : " فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ " :

٢٦٦) ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت . رواه الطبرى[4] ،

---

(١) الطبرى ١٧ / ٧٣ .

(٢) انظر : الملحق رقم ٧٥ .

(٣) الترمذى ، كتاب الزهد ، باب ما جاء فى الصبر على البلاء ٤ / ٦٠١ ، حديث ٢٣٩٨ .

(٤) الطبرى ١٧ / ٨٠

فى جملة أقوال المفسرين المختلفة فى تحديد الظلمات التى نادى يونس ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه فيها جامعا بين التضرع والتسبيح ، وقول مفسرنا هو قول أكثر الأئمة . منهم : ابن عباس ، وقتادة .

والصواب عندى : وجوب التسليم والايمان بما جاء فى التنزيل الكريم ، مع تعيين ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وذلك فى عدة مواضع من الكتاب الكريم ، منها قوله تعالى : " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ " . (١) فالآيات نص على أن يونس كان فى ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ، وما عدا هاتين الظلمتين يتوقف القول به على ما يبينه من الدليل عن النبي (صلى الله عليه وسلم) .

" فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ " . ـ ٩٠ ـ

قوله : " وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ " :

٢٦٧) كان فى خُلقها شئ فأصلحها الله . حكاه ابن كثير (٢) غير مسند ضمن ثلاثة أقوال لأهل التفسير فيما عناه الله باصلاح زوج زكريا . والقولان الآخران أنها كانت عقيما فولدت وبه قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والقول الثاني : أنه كان فى لسانها طول فأصلحها الله وبه قال : عطاء .

وبعض هذه الأقوال رواه ابن جرير (٣) والبغوى (٤) .

والمختار عندى : أن الله أصلح حال زوج زكريا ـ عليه السلام ـ اصلاحا عاما ، كما أخبر فى تنزيله الكريم ، والجزم بأن أحد تلك المعاني هو المراد تخصيص بلا مخصص يجب التسليم له .

---

(١) القلم من آية ٤٨ : ٥٠ .

(٢) ابن كثير ١٧ / ٢٠٣ .

(٣) الطبرى ١٧ / ٨٣ .

(٤) البغوى ١٧ / ٢٦٧ .

((تفسير سورة الحج))

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ - ١ - يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " . - ٢ -

٢٦٨) " لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض ، خلق الصور ، فأعطاه اسرافيل ، فهو واضعه على فيه ، شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر ، قال أبوهريرة : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : قرن ، قال : وكيف هو ؟ قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات : الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله عز وجل اسرافيل ، بالنفخة الأولى ، فيقول : أنفخ نفخة الفزع ، ففزع أهل السماوات والأرض الا من شاء الله ، ويأمره الله فيمدها ويطولها ، وهي التي يقول الله : " مَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " ، فيسير الله الجبال فتكون سرابا وترج الأرض بأهلها رجا ، وهي التي يقول الله : " يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ " . فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح ، فيميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار تتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ، ينادي بعضهم بعضا ، وهو الذي يقول الله : " يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ " . فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الأرض من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما وأخذهم لذلك ما الله أعلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وخسف قمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " والأموات لا يعلمون بشئ من ذلك . فقال أبوهريرة : " فمن استثنى الله حين يقول : " فَفَزِعَ مَنْ

فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ " . قال : " أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الأحياء ، وأولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذى يقول : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ..." ...الى قوله : " ... وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " .

وهذا حديث مرفوع من طريق المفسر عن أبى هريرة رضي الله عنه ، يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد مضى فى تفسير سورة الكهف (١) ، وراويه ابن جرير (٢) لهذا الخبر هنا جاءت ضمن قول من يرى من أهل التفسير مثل علقمة ، وابن جريج ، أن ما فى الآيتين من الآيات الكونية واقعة فى الدنيا قبل يوم القيامة ، ثم رجح ابن جرير (٣) - رحمه الله - أن تلك الأهوال فى يوم القيامة مستدلا بأحاديث كثيرة جاءت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - . ويؤيد قوله ما أخرجه الشيخان (٤) ، واللفظ لمسلم ، من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " يقول الله عز وجل : " يا آدم فيقول : لبيك وسعديك والخير فى يديك . قال يقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، قال : فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد " . انتهى محل الشاهد .

---

(١) الأثر رقم (٢٤٧) .

(٢) الطبرى ١٧ / ١١٠ .

(٣) المصدر نفسه ١٧ / ١١١ .

(٤) البخارى ، كتاب التفسير (سورة الحج) باب ١٨٩ ، " وترى الناس سكارى ... " ٦ / ٨١ .
مسلم ، كتاب الايمان ، باب ٥٦ . " فيقول الله لآدم اخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعين " . ١ / ٢٠١ م ٣٧٩ .

" وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ " . - ٢٧ -

قولـه : " يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ " :

٢٦٩) ما آسـئ على شئ الآأنى ودددت أنى كنت حججت ماشيا ، لأن الله يقول : " يأتوك رجالا " ، احكى هذا الأثر ابن كثير(١) نقلا عن وكيع ، وساق سنده الى ابن عباس ، من طريق ابن كعب ، وفى سنده أبوخلحله ، لم أقف له على ترجمة ، ويستفاد من هذا الخبر أن ابن عباس - رضي الله عنهما - متأسف على عدم حجه ماشيا ، كما رواه عنه ابن جرير(٢) من عدة طرق .

قال ابن كثير : " قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء الى أن الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبا ، لأنه قدمهم فى الذكر فدل على الاهتمام بهم وقوة هممهم وشدة عزمهم " . أ.هـ .

قلت : وفى هذا عندى نظر ، لأن الأصل فى العطف بالواو لا يفيد سوى مطلق الجمع ، فتفضيل المعطوف عليه على المعطوف يستدعى بيانا من خارج . ونظائر ذلك كثيرة ، منها قوله تعالى : " إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... " الآية " . فلولا قوله صلى الله عليه وسلم : " أبدأ بما بدأ الله به "(٣) لما كان تقديم الصفا فى السعى واجبا . والله أعلم .

" ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ " . - ٢٩ -

قولـه : " ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ " :

---

(١) ابن كثير ١٧/٢٢٦ .

(٢) الطبرى ١٧/١٤٥ .

(٣) مسلم ، من حديث جابر - رضي الله عنه - كتاب الحج ، باب ١٩ ، حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٢/٨٨٨ ، حديث ١٢١٨ .

٢٧٠) رمى الجمار وذبح الذبيحة وأخذ من الشاربين واللحية والأظفار والطواف بالبيت وبالصفا والمروة . أخرجه الطبرى .

٢٧١) التفث : حلق العانة ، ونتف الابط ، وأخذ من الشارب وتقليم الاظفار . أخرجه ابن أبى شيبة .(٢) وفى هذين الخبرين - كما ترى - تفسيرا للتفث ، وقد خالف كل منهما الآخر لفظا ، وان كانا متفقين فى المعنى على أن التفث يحصل بقضاء مناسك الحج ، ولا بد لنا حيال ذلك من بيان أمرين : أحدهما : يتعلق بالسند ، والآخر : بالمتن .

فأولا : اذا نظرت الى السند وجدت أن كلا من الخبرين ضعيف ، اذ أن رواية ابن جرير ، من طريق أبى صخر ، كما أن راويه ابن أبى شيبة ، من طريق موسى(٣) ابن عبيدة ، وقد مضى القول فى الرجلين .

فان قلت : كيف تضعف رواية ابن أبى شيبة ، وقد أخرج قول القرظي ، من طريق العكلي(٤) ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن كعب القرظي ، وكلا الرجلين ثقة .

قلت : سبب تضعيفنا هذه الرواية : اننا لم نجد موسى بن عقبة فى تلاميذ القرظي ، كما لم نجده فى مشايخ العكلى ، بل ما وجدناه أن العكلي من تلاميذ موسى بن عبيدة ، فأخشى من وقوع الخطأ والتحريف ، فوقع موسى بن عقبة بدل موسى بن عبيدة .

والأمر الثاني : ان ابن جرير حكى مثل ما جاء عن مفسرنا عن جماعة من أئمة

---

(١) الطبرى ١٧ / ١٤٩ .

(٢) المصنف ٢ / ٤ / ٨٤ .

(٣) هو زيد بن الحباب . انظر : الملحق رقم ٥٠ .

(٤) انظر : الملحق رقم ٧٨ .

السلف فيهم : ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، والحسن ، والضحاك ، وغيرهم .

وهذا ما يصحح قولى مفسرنا فى المعنى . سوى ما تضمنه أثر الطبرى من الأخذ من اللحية ، وان ذلك من التفث ، فمردود بما صح به الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأمر بتوفير اللحى واعفاءها وحف وانهاك الشوارب ، فمن الأول قوله صلى الله عليه وسلم :" خالفوا المشركين وفروا اللحي وأحفوا الشوارب "(١) ، ومن الثانى : قوله صلى الله عليه وسلم :" انهكوا الشوارب واعفوا اللحي "(١) . فالحديثان صريحان فى وجوب ارسال اللحية وتركها ، والأصل فى الأمر الوجوب مالم يصرفه عن ذلك صارف .

فان قلت : جاء الأخذ من اللحية عن ابن عمر - رضي الله عنهما - فيما رواه البخارى .(١)

قلت : ان فعل الصحابي - وان صح عنه - لا عبرة به فى مقابل ما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فالعبرة بما رواه الصحابي لا بما رآه .

" وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " . - ٣٦ -

قوله :" وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ " :

٢٧٢) القانع الذى يقنع بالشئ اليسير يرضى به ، والمعتر الذى يمر بجانبك لا يسأل شيئا ، فذلك المعتر . أخرجه ابن جرير(٢) عن مفسرنا بهذا اللفظ ، وأخرج نحوه عن ابن عباس ، ومجاهد ، ضمن أقوال أهل التفسير المختلفة فى المعني بالقانع والمعتر . ورجح أن القانع هو السائل . فقال :" وأولى هذه

---

(١) البخارى ، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظافر ، وباب اعفاء اللحي ٧/١٣٧ .

(٢) الطبرى ١٧/١٦٧ .

الأقوال بالصواب قول من قال : "عني بالقانع : السائل ، لأنه لو كان المعني بالقانع فى هذا الموضع المكتفي بما عنده ، والمستغني به لقيل : " وأطعموا القانع والسائل ، ولم يقل واطعموا القانع والمعتر ، وفى إتباع ذلك قوله : "والمعتر" الدليل الواضح على أن القانع معنى به السائل من قولهم : أقنع فلان الى فلان ، بمعنى سأله وخضع اليه فهو يقنع قنوعا".[1] انتهى محل الغرض.

قلت : وعندى أن الله أمر فى هذه الآية باطعام صنفين من الناس من الهدى : أحدهما : القانع ، والآخر : المعتر ، وسواء قلنا أن القانع هو السائل أخذا من قولك : قنع يقنع قنوعا ، بمعنى خضع يخضع خضوعا ، أو قلنا من قنع يقنع قناعة ، بمعنى الذى يرضى باليسير سأل أو لم يسأل ، فعلى كلا التقديرين له حق فى الاطعام ، ويهشد لذلك قوله تعالى : " لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ... الآية "[2] . ووجه الدلالة من هذه الآية ، ان الله عز وجل ندب الى الانفاق والصدقة على الفقراء المتعففين عن السؤال مع حاجتهم . وبهذا يتبين صواب قول مفسرنا ولا يضره أنه من رواية أبى صخر .

" الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " . - ٤١ -

قوله : " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ "

٢٧٣) هم الولاة ، حكى هذا الأثر السيوطي ،[3] نقلا عن أبن أبى حاتم ، وفيه تحديد الذين عناهم الله بقوله : " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ... الآية"،

---

(١) الطبرى ١٧ / ١٧٠ .

(٢) البقرة ٢٧٣ .

(٣) الدر المنثور ١٧ / ٦٠

بأنهم الحكام والأمراء ، فان أراد المفسر قصر الآية على أولئك ، فليس بمسلم ، لأنه قصر للعموم على بعض ما يتناوله دون مخصص من كتاب أو سنة صحيحة .

وعندى أن الآية فى كل من مكن الله لهم فى الأرض بالنصر على أعدائهم من المشركين اتصفوا بتلك الصفات الأربع فى الآية ، والولاة والأمراء داخلون فى العموم .

وقد سبق دراسة مثل هذا الأثر فى تفسير سورة المائدة .(١)

" فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " . - ٥٠ -

قوله : " رِزْقٌ كَرِيمٌ " :

٢٧٤) الجنة . حكاه السيوطي ،(٢) نقلا عن ابن أبى حاتم .

سبق دراسته بالأثر (١٤٧) .

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " - ٥٢ -

٢٧٥) " لما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تولّى قومه عنه ، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من عند الله تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه ، وكان يسره مع حبه وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما أغلظ عليه من أمرهم حين حدّث بذلك نفسه وتمنى وأحبه ، فأنزل الله : " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى "(٣) . فلما انتهى الى قول الله : " ... أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ... "(٤) ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدّث به نفسه ويتمنى أن يأتى به قومه : "تلك الغرانيق

---

(١) الأثر رقم (٩٠) .
(٢) الدر المنثور ١٧ / ٦٣ .
(٣) النجم ١ ، ٢ .
(٤) النجم ١٩ ، ٢٠ .

العلى وان شفاعتهن ترتضى" ، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم فأصاخوا له ، والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ ولا وهم ولا زلل . فلما انتهى الى السجدة منها وختم السورة ، سجد فيها ، فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقا لما جاء به واتباعا لأمره . وسجد من فى المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لما سمعوا من ذكر آلهتهم فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد ، الا الوليد بن المغيرة ، فانه كان شيخا كبيرا ، فلم يستطع فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرق الناس ، من المسجد وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم يقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر ، وقد زعم فيما يتلو أنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل أسلمت قريش ، فنهضت منهم رجال وتخلف آخرون ، وأتى جبرائيل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا محمد ماذا صنعت ؟ لقد تلوت على الناس مالم آتك به عن الله ، وقلت ما لم يُقل لك ، فحزن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك وخاف من الله خوفا كبيرا ، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه : "وَكَانَ بِهِ رَحِيمًا " ، يعزيه ويخفّض عليه الأمر ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبي تمنى ، كما تمنى ، ولا أحب كما أحب ، الا والشيطان قد ألقى فى أمنيته ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ، أى فأنت كبعض الأنبياء والرسل ، فأنزل الله : "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ...الآية" . فأذهب الله عن نبيه الحزن وأمنه من الذى كان يخاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم أنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتضى ، يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، الى قوله : "... وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى".

---

(١) النجم ٢٦ .

أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده ، فلما جاءه من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه ، قالت قريش : ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله فغيّر ذلك وجاء بغيره ، وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا فى فم كل مشرك ، فازدادوا شرا على ما كانوا عليه .

٢٧٦) جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى نادٍ من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شئ فينفروا عنه ، فأنزل الله عليه : " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى " . فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى اذا بلغ : " ... أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى " ألقى عليه الشيطان كلمتين : " تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى " فتكلم بها ثم مضى ، فقرأ السورة كلها فسجد فى آخر السورة وسجد القوم جميعا معه ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا الى جبهته فسجد عليه ، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود ، فرضوا ما تكلم به ، وقالوا : " قد عرفنا أن الله يحى ويميت ، وهو الذى يخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، اذ جعلت لها نصيبا فنحن معك ، قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل - عليهما السلام - فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : " ما جئتك بهاتين . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أفتريت على الله ما لم يَقُل ، فأوحى الله اليه : " وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ " . الى قوله : " ... ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا " (١) فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " . قال : " فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة ، أن أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا الى عشائرهم وقالوا : هم أحب الينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان .

---

(١) الاسراء ٧٣ : ٧٥ .

أخرج هذين الأثرين الطبري[1] ، وشاركه البغوي[2] في الأول واللفظ لابن جرير ، وكلاهما ضعيف الاسناد ، فهما إما من طريق أبي معشر ، أو تدليس إبن اسحاق ، وفي الأول عند ابن جرير : سلمة بن الفضل[3] ، فانه كثيرا الخطأ ، مع صدقه ومع هذا فالخبران مرسلان وقد تضمنا أمورا منكرة تنافي مقام النبوة . منهـــا :

أولا : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين رأى تولي قومه عنه ، تمنى أن لا ينزل الله فيهم شيئا ينفرهم منه كما يفيده الأثر الثاني .

ثانيا : أن الشيطان ألقى على لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء قراءته سورة النجم :" تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهم ترتضى (ترتجى) وأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكلم بهاتين الجملتين ولذلك سجد المشركون بسجوده ، لأنه في زعمهم أثنى على آلهتهم .

ثالثا : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يشعر بما حصل منه حتى جاءه جبريل وطلب اليه عرض السورة عليه ، ثم قال جبرائيل ـ عليه السلام : يا محمد ماذا صنعت ؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله وقلت ما لم يقل .

وفي الأثر الثاني :" أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما بلغ تلك الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال :" ما جئتك بهاتين" . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" أفتريت على الله ما لم يقل .

ومع ما بيناه في الحديثين من أسباب ردهما وعدم صلاحيتهما للاحتجاج على ما احتويا من الأخبار ، فقد يحتج على اثبات حادثة الغرانيق ،

---

(١) الطبري ١٧/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) البغوي ١٧/ ٢٩٣ .

(٣) انظر : الملحق رقم ٢٨ .

وأنها سبب لنزول قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ... " ، الى قوله : "... عَلِيمٌ حَكِيمٌ " . ، والحجة أن تلك الحادثة جاءت مروية عن غير ابن كعب من أهل التأويل عند جماعة من المفسرين ؟

فالجواب: أن الأمر كما ذكر . فالقصة مشهورة فقد رواها ابن جرير (١) الطبرى ، والبغوى ، وغيرهما ، وحكاها السيوطي (٢) ، نقلا عن ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وغير واحد من المفسرين ومن الأئمة الذين جاءت عنهم رواية تلك الحادثة : ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، لكن جهابذة المحققين من العلماء مثل : القاضى عياض ، وابن العربى ، وابن كثير ، والشوكاني ، والألباني ، تصدوا لهذه الحادثة فكشفوا عن وجه الحق فيها ، وأبانوا بالدليل بطلانها وعدم صحة نسبتها الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد خصصها الألباني (٣) برسالة نقدها فيها سندا ومتنا .

وأرى أنه يجدر بطالب الحق الاطلاع عليها حتى يتبين له وجه الصواب ، ورغبة منى فى دفع السأم وبيان الحق فى تلك الحادثة ـ موجزا ـ فانى أعرض ما قاله بعض أولئك العلماء الجهابذة ـ جزاهم الله عن دينه والمسلمين خير الجزاء ـ . فأقول :

أولا : قال القاضي عياض: " فاعلم أكرمك الله : ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين : أحدهما : فى توهين أصله ، والثانى : على تسليمه . أما المأخذ الأول : " فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم" . الى آخر ما قاله فى الموضوع (٤) .

---

(١) الطبرى ١٧/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) الدر المنثور ١٧/ ٦٧ .

(٣) نصب المجانيق لنسق قصة الغرانيق .

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ١١٧ .

ثانيا : قال ابن كثير: " وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجره الى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح " . أ.هـ .(١)

ثالثا : قال ابن العربي :" - بعد ذكره الحادثة :" المسألة الثانية " : اعلموا أنار الله أفئدتكم بنور هداه ويسر لكم مقصد التوحيد ومغزاه - أن الهدى هدى الله ، فسبحان من يتفضل به على من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، وقد بينا معنى الآية فى فضل تنبيه الغبي ، على مقدار النبي بما نرجو به عند الله الجزاء الأوفى فى مقام الزلفى ونحن الآن نجلوا بتلك الفصول الغماء ونرقيكم بها عن حضيض الدهماء الى بقاع العلماء فى عشر مقامات :

المقام الأول : أن النبي اذا أرسل الله اليه الملك بوحيه فانه يخلق له العلم به ، حتى يتحقق أنه رسول من عنده ولولا ذلك ما صحت الرسالة ولا تبينت النبوة ، فاذا خلق الله له العلم به تميز عنده من غيره ، وثبت اليقين واستقام سبيل الدين ولو كان النبي اذا شافهه الملك بالوحى لا يدرى أملك هو أم انسان أو صورة مخالفة لهذه الأجناس ألقت عليه كلاما وبلغت اليه قولا - لم يصح له أن يقول : انه من عند الله ولا ثبت عندنا أنه أمر الله ، فهذه سبيل متيقنة ، وحالة متحققة لابد منها ولا خلاف فى المنقول ولا فى المعقول فيها ، ولو جاز للشيطان أن يتمثل فيها ، أو يتشبه بها ما أمنّا على آية ، ولا عرفنا منه باطلاق من حقيقة ، فارتفع بهذا الفصل اللبس وصح اليقين فى النفس، ... الى أن قال :" المقام العاشر: أن هذه الآية نص فى غرضنا دليل على صحة مذهبنا ، أصل فى براءة النبي - صلى الله عليه وسلم - مما

---

(١) ابن كثير ١٧ / ٢٣٩ .

نسب اليه أنه قاله عندنا ، وذلك أنه قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " . فأخبر الله تعالى أن من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه أنهم اذا قالوا عن الله قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه ، كما يفعل سائر المعاصي ، كما تقول : " ألقيت في الدار كذا ، وألقيت في الحكم كذا ، وألقيت في الكيس كذا ، فهذا نص في أن الشيطان زاد في الذي قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أن النبي قاله ... الخ "(١) ا . هـ .

وأقول : لقد دلّ الكتاب والسنة صراحة ، على بطلان نسبة تلك المقالة الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قال تعالى : " وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون "(٢) . وقال : " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى "(٣) . فوجه الدلالة من الآيتين الأوليين اخبار الله عن صيانة كتابه عن عبث الشياطين ، وحاشاه أن يخلف وعده ، كما دلت الآيتان الأخيرتان على أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يتكلم في التلاوة الا بما يوحيه اليه ربه ، وهذا نص في أن الشيطان لم يجر على لسانه صلى الله عليه وسلم المقالة الخبيثة ، ويدل على بطلانها ، ما جاء في الصحيح : " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما فرغ من سورة النجم سجد وسجد معه المسلمون والمشركون "(٤) وليس فيه لقصة الغرانيق ذكر .

---

(١) أحكام القرآن ٣ / ١٣٠٠ : ١٣٠٢ .

(٢) الشعراء ٢١٠ ، ٢١١ .

(٣) النجم ٣ ، ٤ .

(٤) البخاري ، كتاب التفسير (سورة النجم) باب : " فاسجدوا لله واعبدوا ... " ٦ / ١١٨ .

" وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ - ٥ - إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ " . - ٦ .

قوله : " إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ " . :

٢٧٧) كل فرج عليك حرام الا فرجين . قال الله : " إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ " . أخرجه ابن أبى حاتم ، ونقله عنه السيوطي .(١) وهذا القول مستنبط من الآيتين ، وهو استنباط صحيح وذلك أن الله جل وعلا لما ذكر من صفات عباده المؤمنين حفظ فروجهم رفع اللوم عنهم فى موضعين : الازواج ، وملك اليمين ، ومفهومه : أن ما عدا هذين الموضعين من الفروج محرم .

" وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ " . - ٦٠ -

٢٧٨) أن عائشة - زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت : " سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن هذه الآية : " وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ " . قالت عائشة : " هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ ، قال : لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم ، أولئك الذين يسارعون فى الخيرات " . رواه الترمذى (٢) ، وقال ابن كثير - بعد حكايته هذا الحديث ، وما ذكره قبله من حديث عائشة ، عند أحمد ، مستدلا على ما فسربه الآية - : " وهكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، والحسن " .(٣)

قلت : (٤) حكى ابن جرير ، وغير واحد من المفسرين أقوال ابن عباس ،

---

(١) الدر المنثور ١٨ / ٨٨ .
(٢) الترمذى ، كتاب التفسير ٥ / ٣٢٧ .
(٣) ابن كثير ١٨ / ٢٥٨ .
(٤) الطبرى ١٨ / ٣٢ .

والحسن ، فمما جاء عن ابن عباس : " المؤمن ينفق ماله ويتصدق وقلبه وجل أنه الى ربه راجع" ، ومن أقوال الحسن : " يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخافون ألاّ ينجيهم ذلك من عذاب ربهم" . وأما قول مفسرنا : فلم أجده غير عند ابن كثير ، ومعنى الآية - كما فسرها هؤلاء الأئمة - : هو الصحيح الراجح ، ويشهد له مع الحديث السابق ، ما أخرجه أحمد[1] باسناد صحيح عن يحى بن آدم[2] ، عن مالك بن مغول[3] ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب[4] ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " يا رسول الله فى هذه الآية : " الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ" . يا رسول الله : هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو يخاف الله ؟ قال : لا يا بنت أبى بكر يا بنت الصديق ، ولكنه : الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل أ.هـ .

" حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ - ٩٩ - لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ " . - ١٠٠ -

قوله : " قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ " :

٢٧٩) الى أى شئ يريد ؟ الى أى شئ يرغب ؟ أجمع المال ، أو غرس الغراس ، أو بنى بنيان ، أو شق أنهار ، ثم يقول : " لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ " . يقول الجبار : " كَلَّا " . أخرجه ابن جرير[5] عن القرظى ، من طريق أبى معشر ، وأخرج نحوه عن الضحاك ، وابن زيد ، وابن جريج .

---

(١) المسند ٦/١٥٩ .
(٢) انظر: الملحق رقم ٨٥ .
(٣) انظر: الملحق رقم ٦٠ .
(٤) انظر: الملحق رقم ٣٩ .
(٥) الطبرى ١٨/٥٢ .

٢٨٠) والله ما تمنى الا أن يرجع فيعمل بطاعة الله ، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا قوة الا بالله ، حكاه ابن كثير [١] ، عن قتادة ، ثم قال : " وعن محمد بن كعب القرظي نحوه ، وكلا الأثرين صحيح المعنى وظاهرفي بيان حال الكافر عند الاحتضار ، وكيف أنه يندم على ما فرط ويتمنى الرجوع الى الدنيا حتى يستدرك ما فاته من صالح الأعمال ، غير أن لنا عند قول المفسر . يقول الجبار : " كلا " وقفة : وذلك أنه لم يبيّن المراد من هذه الكلمة . هل هي للكافر عند تمنيه العودة الى الدنيا حين احتضاره ردعا وزجرا له يقطع عليه به أمنيته ؟ ، أو أن هذه الكلمة جئ بها للنفي المتضمن اخبار الله تعالى عن عدم اعادة الكافر الى الدنيا ؟ . فيكون قوله : " انها كلمة هو قائلها " تعليل لذلك النفي ، وأن الكافر لو رد الى الدنيا ما كان ليعمل بصالح الأعمال ، كما قال تعالى : " وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ " . [٢] . فكلا المعنيين محتمل . والله أعلم .

قوله : " وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ " :

٢٨١) البرزخ ما بين الدنيا والآخرة : ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم . حكى هذا الأثر السيوطي [٣] نقلا عن ابن أبي حاتم ، وفيه مسألتان :

احداهما صحيحة . والأخرى مردودة باطلة .

فالمسألة الأولى : وهي الصحيحة . تفسير البرزخ بما بين الدنيا والآخرة فهذا التفسير يشهد له ما جاء في الكتاب الكريم . قال تعالى : " وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا " . [٤]

---

(١) ابن كثير ١٨ / ٢٦٦ .
(٢) الأنعام ٢٨ .
(٣) الدر المنثور ١٨ / ١١٥ .
(٤) الفرقان ٥٣ .

قال الجوهرى :" البرزخ : الحاجز بين الشيئين . والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ"(١) أ . هـ .

قلت : وهذا ـ وما قاله مفسرنا ـ موافق لما أخرجه ابن جرير(٢) ، وغيره عن أهل التفسير من السلف . مثل : ابن زيد ، ومجاهد ، والضحاك .

والمسألة الثانية : فى قوله : " ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم ، فهذا القول باطل ، ويدل على بطلانه ، ما جاء به الخبر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من التعذيب فى القبر أو التنعيم فيه ، فمن الأول ما أخرجه البخارى من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : " مر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقبرين فقال : انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير : أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر : فكان يمشى بالنميمة ... الحديث"(٣) . ومن الثاني ما أخرجه مسلم(٤) من حديث أم سلمة فى دعائه صلى الله عليه وسلم ـ لأبى سلمة بعد موته ـ وفيه : " ... اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه" . أ . هـ .

* * *

---

(١) الصحاح ، باب الخاء ، فصل الباء ١/٤١٩ .

(٢) الطبرى ١٨/٥٣ .

(٣) البخارى ، كتاب الوضوء ، باب ٥٨ ١/٤٥ ، حديث ٢١٨ .

(٤) مسلم ، كتاب الجنائز ، باب فى اغماض عين الميت والدعاء له اذا أحضر ... ٢/٦٣٤ ، حديث ٩٢٠ .

=((تفسير سورة النور))=

" وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمنهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أية المؤمنون لعلكم تفلحون " . - ٣١ -

قوله : " لعلكم تفلحون " :

٢٨٢) غدا اذا لقيتموني . أخرجه ابن أبي حاتم . (١) تقدم

" الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم " . - ٣٥ -

قوله : " مثل نوره كمشكاة " :

٢٨٣) موضع الفتيلة من القنديل . أخرجه ابن أبي حاتم . (٢)

٢٨٤) المشكاة : ابراهيم ، والزجاجة : اسماعيل ، والمصباح : محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) . سماه الله مصباحا ، كما سماه سراجا فقال تعالى : " وسراجا منيرا " . (٣) توقد من شجرة مباركة : وهي ابراهيم ،

---

(١) ابن أبي حاتم ٧ / ٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ٧ / ٩٣ .

(٣) الأحزاب ٤٦ .

سماه مباركة ، لأنه أكثر الأنبياء من صلبه ، لا شرقية ولا غربية : يعنى ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، لأن اليهود تصلى قبل المغرب ، والنصارى تصلى جهة المشرق ، يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار : تكاد محاسن محمد - صلى الله عليه وسلم - تظهر للناس قبل أن يوحى اليه ، نور على نور : نبي من نسل نبى ، نور محمد على نور ابراهيم .

أخرجه البغوى[1] . والأثران مختلفان سندا ومتنا ، ونحن نبين ذلك الاختلاف ، ثم نتبعه بما نرى أنه الراجح من قول أهل التأويل . فنقول :

أولا : رواية ابن أبى حاتم . صحيحة الاسناد ، فهي من طريق أبى سعيد الأشج[2] ، عن ابن فضيل[3] ، عن عاصم بن محمد ، راوية ابن كعب ، وبه قال ابن عباس ، ومجاهد ، رواه عنهم الطبرى[4] وغيره .

ثانيا : أن رواية البغوى ضعيفة الاسناد وفى ألفاظها نكارة وغرابة تخالف ظاهر الكتاب وصحيح اللغة ، على ما يأتى بيانه فى أدلة الترجيح ، ولم أجد من أهل التفسير من قال بقول مفسرنا فى هذه الرواية ، سوى ما حكاه البغوى[5] نفسه من غير سند عن ابن عمر ، فقد تضمنت تلك الرواية بعض ما جاء عن مفسرنا .

وما جاء عن مفسرنا فى تأويل المشكاه . كما أخرجه عنه ابن أبى حاتم[6] ،

---

(١) البغوى ١٨ / ٣٤٧ .

(٢) هو : عبد الله بن سعيد بن حصين الكندى . أبوسعيد الأشج . انظر: الملحق رقم ٩٤ .

(٣) انظر : الملحق رقم ٦٧ .

(٤) الطبرى ١٨ / ١٣٧ .

(٥) البغوى ١٨ / ٣٤٧ .

(٦) ابن أبى حاتم ٧ / ٩٣ .

فى مختلف الأقوال فى معنى الكلمة . أخرجه أيضا الطبرى[1] عن غير المفسر فى جملة أقوال الأئمة .

والراجح عندى من تلك الأقوال تفسير المشكاه بالكوه لعدة أدلة . منها :

أولا : ظاهر الآية الكريمة ، فان الله جلّ ذكره وصف نوره . فقال : " كمشكاه فيها مصباح " . وهذا يقتضى أن المصباح فى المشكاه ، لأن معنى " فى " هنا للظرفية ، وذلك لا يستقيم لتفسير المشكاه بأنها موضع الفتيلة من القنديل ، لأن الفتيلة هي جزء الاضاءة من المصباح وليس المصباح فيها .

ثانيا : إن تفسير المشكاه بالكوه هو قول أكثر المفسرين . منهم : الضحاك ، ومجاهد ، وابن عباس ، وأبومالك ، وكعب الأحبار ، وقتاده[2] . فيما رواه هؤلاء وغير واحد من المفسرين وبه فسر الكلمة ابن قتيبة[3] ، والراغب[4] ، فكلاهما قال : " المشكاه : الكوه غير النافذه " .

قوله : " زَيْتُونَةٍ " :

٢٨٥) الفتيلة . أخرجه ابن أبى حاتم عن القرظي[5] بهذا اللفظ وفى سنده أبى لهيعة[6] . وهذا القول مع غرابته وضعف سنده لم يقل به أحد من الأئمة ، فصريح النظم الكريم تشبيه المشكاه التى ضربها الله مثلا لنوره ، بالكوكب الدرى الذى يستمد ضوءه من زيت زيتونه ، وهي تلك الشجرة المباركة الموصوفة بأنها لا شرقية ولا غربية لا يسترها عن الشمس ساتر اذا طلعت واذا غربت ،

---

(١) الطبرى ١٨ / ١٣٧ .
(٢) رواه عنه عبد الرزاق ٢٠١
(٣) غريب القرآن ٣٠٥ .
(٤) المفردات : شكا ٢٦٦ .
(٥) ابن أبى حاتم ٧ / ٩٩ .
(٦) انظر : الملحق ٦ رقم ١٠٩ .

كما أخرجه ابن جرير[1] عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة .

قوله : " زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ " : ٢٨٦) القبلية . أخرج هذا الأثر ابن أبى حاتم[2] فى جملة أقوال أهل التفسير المختلفة فى معنى لا شرقية ولا غربية . ويفهم من قول مفسرنا أنه عنى بجهة تلك الشجرة أنها الى الجنوب ، وهي قبلة أهل المدينة وما ماثلها من الأقطار ، ولا أرى هذا القول مخالفا لما رجحه ابن جرير[3] ، وابن كثير[4] من أن تلك الشجرة لا شرقية فتحرم حظها من الشمس فى الغروب ولا غربية وحدها ، فتحرم حظها من الشمس حين الشروق ، بل هي تجمع بين الشرقية والغربية ، فالشمس تصيبها على مدار النهار وكلما نالت حظا أوفر من الشمس كان نموها أفضل وثمرها أطيب . انتهى بتصرف واختصار .

وبهذا يظهر لك أن قول مفسرنا صحيح المعنى ولا يضره ابن لهيعة

" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " . - ٥٥ -

قوله : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ " :

---

(١) الطبرى ١٨ / ١٤٢ .

(٢) ابن أبى حاتم ٧ / ٩٩ .

(٣) الطبرى ١٨ / ١٤١ .

(٤) ابن كثير ١٨ / ٣٠١ .

٢٨٧) نزلت في الذين . أخرجه ابن أبي حاتم .(١)
سبق دراسة نحو هذا الأثر .(٢)

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَئْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَئْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ - ٦٢ - لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - ٦٣ - أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " . - ٦٤ -

٢٨٨) لما أقبلت قريش نزلوا بجمع الأسيال من رومه - بئر بالمدينة - قائدها أبوسفيان بن حرب ، وأقبلت غطفان معها عيينه بن حصن ، والحارث ابن عوف ، حتى نزلوا بنقمين الى جانب أحد ، فلما نزلوا بذلك المنزل وقد كان جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر بما أجمعت له قريش وغطفان ، فضرب الخندق على المدينة وعمل فيه ترغيبا للمسلمين في الأجر ، وعمل المسلمون فيه ، فدأب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودأبوا وأبطأ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعن المسلمين في عملهم ذلك : رجال من المنافقين وجعلوا يورّون بالضعيف من العمل فيتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا اذن وجعل الرجل من المسلمين اذا انابته النائبة من الحاجة التي لابد منها يذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويستأذنه في اللحوق بحاجته فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه عمله رغبة في الخير واحتسابا له . فأنزل الله عز وجل في

---

(١) ابن أبي حاتم ٧ / ١٢٤ .
(٢) الأثر رقم (٢٧٣ .

أولئك من المؤمنين : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ... " . الى قوله : " ... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " . رواه ابن اسحاق (١) ، والبيهقي (٢) واللفظ له ، وفي هذا الخبر أن عدم ذهاب المؤمنين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - اذا كانوا معه على أمر جامع الا باذنه ، وتسلل المنافقين يوم الخندق سبب لنزول هذه الآيات ، وليس ذلك بصحيح . لأدلة منها :

أولا : أن الخبر في كلا طريقيه مرسل .

ثانيا : في سند البيهقي أحمد بن عبد الجبار ضعيف . (٣)

ثالثا : لم أجد عند غير ابن اسحاق والبيهقي من أهل العلم من المحدثين والمفسرين ، ذكر سبب نزول الآيات ، فاذا تقرر هذا وجب المصير الى ما تفيده الآيات من العموم . ومن ذلك العموم الأمور التالية :

أولا : أن من صدق الله ورسوله خالص التصديق دأبه عدم الانصراف عن النبي - صلى الله عليه وسلم - اذا كان معه على أمر جامع مثل الشورى والجهاد الا باذنه .

ثانيا : أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يأذن لمن شاء من المؤمنين اذا استأذنوه لبعض شأنهم .

ثالثا : وعيد من يتسلل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - متسخفيا منه ، وأن ذلك الفعل لا يخفى على الله . ومعناه أنه عرّض نفسه لشدة العقوبة .

رابعا : التحذير من مخالفة أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه بمخالفته مستحق لشدة العقاب . وذلك بفتنته في الدنيا ، أو اليم العذاب في في الدنيا أو في الآخرة ، وهذه الأمور لو صح ما قيل من سبب النزول لا ينافي عمومها فقصرها على يوم الخندق تخصيص للعام دون مسوّغ .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢١٤ .
(٢) دلائل النبوة ، باب تحزيب الأحزاب وحفر الخندق ٣/٤٠٩ .
(٣) انظر : الملحق رقم ٤ .

" الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا " . - ٢ -

قوله : " وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ " :

٢٨٩) قالت اليهود والنصارى : " اتخذالله ولدا " . وقالت العرب : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الاّ شريكا هو لك . وقالت الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل الله " . فأنزل الله عز وجل : " لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك " . أخرجه ابن أبى حاتم (١)

تقدم فى تفسير سورة الاسراء (٢) .

" قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا - ١٥ - لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولاً " . - ١٦ -

قوله : " كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولاً " :

٢٩٠) ان الملائكة تسأل لهم فى قولهم ذلك وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم . رواه ابن أبى حاتم (٣) . ورواه البغوى (٤) بنحوه ، وفى هذا الأثر الاخبار بأن توفية الله وعده عباده المؤمنين من الجنة ونعيمها الدائم كان بسؤال الملائكة ربهم لهم فى الدنيا والآيات من قوله : " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ... " . الى قوله : " ... وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " (٥) . شاهد على صحة قول مفسرنا فى المعنى ، ولا يعارض هذا القول ما رواه ابن جرير (٦) عن

---

(١) ابن أبى حاتم ٧ / ١٥٦ .
(٢) الأثر ٢٤٤ ، ٢٤٥ .
(٣) ابن أبى حاتم ٧ / ١٦٤ .
(٤) البغوى ١٨ / ٣٦٣ .
(٥) غافر ٧ : ٩ .
(٦) الطبرى ١٩٤ .

ابن عباس وغيره من أهل التفسير . وخلاصته :" أن ما وفاه الله عباده المتقين من الجنة ونعيمها كان انجازا لما سألوا ربهم ، وجاء فى قوله تعالى : "رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ ..."[1] الآية" . لأن كلتا المسألتين - أعنى مسألة الملائكة ومسألة المؤمنين - قد نصت على سؤال الرب تبارك وتعالى ادخال عباده المؤمنين الجنة كما وعدهم ، وحين الجزاء ينجز الكريم ما أوجبه على نفسه لعباده المتقين ، تفضلا منه واحسانا ، وهذا ما تدل عليه كلمة " مسئولا " . فقد حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية : أن مسئول بمعنى واجب .

" وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا " . - ٣٨ -

قوله : " وَأَصْحَابَ الرَّسِّ " :

٢٩١) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" ان أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود " . وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا الى أهل قرية فلم يؤمن من أهلها أحد الا ذلك الأسود ، ثم ان أهل القرية عدوا على النبي - عليه السلام - فحفروا له بئرا فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم ، قال وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتى بحطبه فيبيعه ، فيشترى به طعاما وشرابا ثم يعيدها كما كانت ، قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ثم انه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه ، وحزم حزمته وفرغ منها ، فلما أراد أن يحتملها وجد سنة ، فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ثم أنه هب فتمطى ، فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ، ثم انه هب فتمطى ، فاحتمل حزمته ولا يحسب الا أنه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ، ثم ذهب الى الحفرة فى موضعها التى كانت فيه فالتمسه فلم يجده ، وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه

---

(١) آل عمران ١٩٤ .

وآمنوا به وصدقوه ، قال فكان النبي ـ عليه السلام ـ يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل ؟ فيقولون : " ما ندري حتى قبض الله النبي ـ فأهب الله الأسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ان ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة " .

هذا حديث مرفوع أخرجه ابن جرير[1] ، من طريق مفسرنا عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ونحن نوافق الامام الطبري ـ رحمه الله ـ فيما قال بعد اخراجه : " انه لا ينبغي أن يكون هؤلاء هم أصحاب الرس ... الخ "ونزيد في رد هذا الخبر من جهة سنده ومتنه . فنقول : " لا يصح هذا الحديث سندا لثلاثة أسباب . هي :

أولا : ضعف بن حميد شيخ الطبري .[2]

ثانيا : تدليس ابن اسحاق .

ثالثا : الارسال .

ومع هذا الضعف في الاسناد ، فان الخبر يحوي أمورا منكرة كثيرا . منها :

أولا : أن أهل تلك القرية بعد تكذيبهم نبيهم وتعذيبه ، أمهلوا حتى ءامنوا به واستخرجوه من البئر ولا يعرف من سنة الله في المكذبين من الأمم غير اهلاكهم الاّ ما كان من قوم يونس (عليه الصلاة والسلام) . قال تعالى : " فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ "[3] .

ثانيا : يذكر الخبر أن ذلك العبد الأسود يأتي نبيه وهو في بئره التي حفرها له أهل تلك القرية ، ويرفع عنه ذلك الحجر الضخم ، ثم يدلي

---

(١) الطبري ١٩ / ١٤ .

(٢) انظر : الملحق ، رقم ١٠٨

(٣) يونس ٩٨ .

عليه الطعام والشراب ، ثم يعيد العبد تلك الصخرة على فم البئر ، كما كانت .

وأقول : يظهر أن العبد يأتي خلسة من القوم ، فلماذا لا يترك الصخرة بعد رفعها ؟ ولماذا لا يستخرج النبي من الحفرة ؟ ولماذا لا يأمره النبي بترك البئر مفتوحة حتى يجد سبيلا الى الخروج ؟ أطاب له المقام في هذا العذاب ؟! أم رضي بالذل والاستكانة ؟ . لو حصل هذا الأمر لأبسط الناس مع الفرصة المواتية لخلاصه ما قعد في العذاب المهين . فكيف بنبي يؤيده الله بالمعجزات ، ويهيئ الله له من الأسباب ما يفلت به من كيد الظالمين .

وبهذا يظهر لك عدم صحة هذا الخبر . والله أعلم .

" تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا".

- ٦١ -

قوله : " تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا " :

٢٩٢) القصور . حكاه ابن أبي حاتم [١] ، بقوله : " وروى عن ابن عباس ومحمد بن كعب ، وأبي صالح ، في احدى الروايات ، وابراهيم النخعي ، والأعمش .

قلت : ورواه ابن جرير [٢] ، عن عطية بن سعد [٣] ، ويحى بن رافع [٤] ، وأبي صالح [٥] ، وابراهيم النخعي في أحد قولي أهل التفسير واختاره [٦] قائلا : " قال أبوجعفر : " وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : هي قصور في السماء

---

(١) ابن أبي حاتم ٧ / ٢٠٩ .

(٢) الطبري ١٩ / ٢٩ .

(٣) انظر الملحق ، رقم ٤٦

(٤) انظر الملحق ، رقم ٨٦

(٥) انظر الملحق ، رقم ٩٦

(٦) الطبري ١٩ / ٣٠ .

لأن ذلك في كلام العرب :" ولو كنتم في بروج مشيّدة"[1]. انتهى محل الغرض .

وقال ابن منظور[2] :"والبرج واحد من بروج الفلك ، وهي اثنا عشر برجا لكل برج منها منزلتان وثلث منزلة للقمر وثلاثون درجة للشمس اذا غاب منها سنة طلع سنة ". أ . هـ . انتهى محل الغرض .

وما اختاره ابن جرير هو قول الأكثرين . والله أعلم بمراده .

"والذين يقولون ربنا اصرف عنّا عذاب جهنّم انّ عذابها كان غراما".

- ٦٥ -

قوله :" انّ عذابها كان غراما ". :

٢٩٣) سأل الله الكفار ثمن نعمه فلم يؤدوا فأغرمهم فيه فبقوا في النار.

أخرجه ابن أبي حاتم[3] ، وأبونعيم[4] ، والبغوى[5] واللفظ له. وجميعهم من طريق أبي معشر .

وأخرجه بنحو هذا اللفظ الطبرى[6] ، وابن أبي حاتم[7] ، باسنادين وجميعها من طريق موسى بن عبيدة الربذى .

وأخرج نحوه ابن جرير[8] ،عن الحسن ، وابن زيد ، وابن جريج ،

---

(١) النساء ٧٨ .
(٢) لسان العرب ٢٤٣ .
(٣) ابن أبي حاتم ٧ / ٢١٦ .
(٤) الحلية ٣ / ١٢٦ .
(٥) البغوى ١٩ / ٣٧٦ .
(٦) الطبرى ١٩ / ٣٦ .
(٧) ابن أبي حاتم٧ / ٢١٦ .
(٨) الطبرى ١٩ / ٣٦ .

مستدلا به على ما اختاره في تفسير الآيـــة ، وذلك شاهد لصحة ما قالـــه مفسرنا في المعـــنى .

"والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّيّاتنا قرّة أعـــين واجعلنـــا للمتّقـــين امامـــا ". - ٧٤ -

قـــولـــه :" قـــرّة أعـــين " :

٢٩٤) ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين للـــه عز وجل . رواه البغوى [1] والخبر ضعيف الاسناد ، لكن يشهد لصحة معنـــاه عدة أدلـــة :

أولا : ظاهر الآيـــة . فان أولئك الصفوة من عباد الرحمن سألوا ربهـــم مسألتـــين :

أولاهمـا : ما تقربه أعينهم من الأزواج والذرية الصالحـــة .

ثانيتهمـا : ان يجعلهم قدوة في الخير وهذه المسألة قرينة علـــى شرط صلاح ما سألوه من الأزواج والأولاد .

ثانيا : ما جاء على لسان الخليل وابنه اسماعيل :" ربّنا واجعلنا مسلمـــين لك ومن ذرّيّتنـــا أمّـــة مسلمـــة لـــك " . [2]

---

(١) البغـــوى ١٩ / ٣٧٩ .

(٢) البقـــرة ١٢٨ .

ثالثا : ما حكاه الله عن نبيه زكريا حين بلغ الكبر ولم يولد له . فقال تعالى : " هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ " . (١)

رابعا : ما رواه ابن جرير (٢) بنحو قول القرظي عن ابن عباس ، وابن زيد ، والحسن وغير واحد من الأئمة .

" قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا" . - ٧٧ -

قوله : " فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا" :

٢٩٥) موتا . أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي معشر .

٢٩٦) يوم بدر . أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي مالك ، ثم قال : " وروى عن أبيّ بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومحمد بن كعب القرظي ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك نحو ذلك .

قلت : وليس بين الأثرين اختلاف في المعنى ، والآية الكريمة تتضمن وعيد الكفار على تكذيبهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنهم سينالهم عقاب الله على ذلك التكذيب ، وأنه لازم لهم لا محالة ، وذلك العقاب شامل للقتل والأسر يوم بدر ، وما يسلط الله عليهم من البلايا ، مثل كثرة الأمراض ، والموت ، والسنين وغير ذلك .

وبهذا يظهر أن قولي مفسرنا صحيحان في المعنى .

* * *

---

(١) آل عمران ٣٨ .

(٢) الطبري ١٩ / ٥٢ .

(٣) ابن أبي حاتم ٧ / ٢٣٧ .

=((تفسير سورة الشعراء))=

" طسم " . - ١ -

٢٩٧) الطاء : من ذى الطول ، والسين : من القدوس ، والميم : من الرحمن . أخرجه ابن أبى حاتم. (١)

٢٩٨) أقسم الله بطوله وسنائه وملكه . أخرجه البغوى . (٢)

وكل منهما تقدم .

" فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ " . - ٤٦ -

٢٩٩) كانت السحرة الذين توفاهم الله مسلمين ثمانين ألفا . أخرجه ابن أبى حاتم . (٣)

تقدم .

" إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ " . - ٥٤ -

٣٠٠) اجتمع يعقوب وولده الى يوسف وهم اثنان وسبعون . قال : فخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف فقال فرعون : " إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ " . قال : وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه من الدهم فى عسكره مائة ألف فرس.

أخرجه ابن جرير (٤) ، وأخرجه ابن المنذر مختصرا فيما حكاه السيوطي (٥).

وأخرجه ابن أبى حاتم (٦) واللفظ له .

تقدم .

---

(١) ابن أبى حاتم ٧ / ٢٣٨ .
(٢) البغوى ١٩ / ٣٨٠ .
(٣) ابن أبى حاتم ٧ / ٢٥٦ .
(٤) الطبرى ١٩ / ٧٥ .
(٥) الدر المنثور ١٩ / ٢٩٦ .
(٦) ابن أبى حاتم ٧ / ٢٦١ .

" كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ " . - ٦٢ -

٣٠١) قال أصحاب موسى انا لمدركون قال : كلا ان معى ربى سيهدين الى النجاة قد وعدنى ولا خلف لموعده . أخرجه ابن أبى حاتم .(١)

وهذا تفسير صحيح يرشد اليه ظاهر الآية الكريمة ، ولا يجوز العدول الى غيره .

" فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ " . - ٦٣ -

قوله : " كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ " :

٣٠٢) كالجبل .

أخرجه ابن أبى حاتم(٢) عن ابن عباس ، ثم قال : " وروى عن عبد الله بن مسعود ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وقتادة ، وعبد الله بن عبيد(٣) ، مثل ذلك .

قلت : وبه فسر ابن قتيبة(٤) الآية . وهذا تفسير صحيح خال من الغرابة والتكلف .

" ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ " . - ٦٦ -

٣٠٣) لما دخلت بنو اسرائيل البحر فلم يبق منهم أحد أقبل فرعون على حصان له من الخيل حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله ، فهاب الحصان أن يتقدم فعرض له جبريل - عليه السلام - على فرس انثى وديق فقربها منه فشمها الفحل ، فلما شمها قدمها فتقدم الحصان عليه فرعون ، فلما رأى الجند فرعون قد دخل دخلوا معه . قال: وجبريل أمامه يتبعه فرعون وميكائيل

---

(١) ابن أبى حاتم ٧ / ٢٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ٧ / ٢٦٩ .

(٣) انظر الملحق ٣٠٦

(٤) تفسير غريب القرآن ٣١٧ .

على فرس من خلف القوم يشحذ هم على فرسه ذاك ، يقول الحقوا بصاحبكم حتى اذا فصل جبريل من البحر ليس أمامه أحد ، ووقف ميكائيل على ناحيته الأخرى ليس خلفه أحد ، طبق عليهم البحر ، ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى ، وعرف ذله وخذلته نفسه ، نادى : " أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ " .

أخرجه ابن أبى حاتم . (١)

تقدم -

" فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" . - ١٨٩ -

قوله : " فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ " :

٣٠٤) أن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب . أخذتهم الرجفة فى دارهم حتى خرجوا منها ، فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا البيوت فتسقط عليهم ، فأرسل الله عليهم الظلة ، فدخل تحتها رجل . فقال : ما رأيت كاليوم ظلا أطيب ولا أبرد ، هلموا أيها الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة ، فصاح فيهم صيحة واحدة فماتوا جميعا ، ثم تلا محمد : " فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" .

أخرجه ابن أبى حاتم . (٢)

سبق دراسته فى سورة هود . (٣)

" نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ " . - ١٩٣ -

٣٠٥) جبريل . أخرجه ابن أبى حاتم عن عطية ، ثم قال : وروى عن (٤)

---

(١) ابن أبى حاتم ٧ / ٢٧٢ .
(٢) المصدر نفسه ٧ / ٣١٤ .
(٣) الأثر رقم ٢٠٢ .
(٤) ابن أبى حاتم ٧ / ٣١٧ .

محمد بن كعب ، وقتادة ، والسدى ، والضحاك ، والزهرى مثل ذلك .

قلت : ويشهد لصحة هذا التفسير قوله تعالى : " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ "[1] . ووجه الدلالة فى هذه الآية النص صراحة على أن الذى نزل بالقرآن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو جبريل (عليه السلام) .

" هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ " . - ٢٢١ -

٣٠٦) كذبوا . والله مالأحد من أهل الأرض فى السماء نجم ، ولكنهم يتبعون الكهنة ، ويتخذون النجوم علّة . ثم قرأ : " هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ "[2] .

أخرجه أبوالشيخ[3] ، وأبونعيم[4] واللفظ له .

وقد تقدم فى تفسير سورة الأنعام[5] .

" يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ " . - ٢٢٣ -

٣٠٧) والله ما لأحد من أهل الأرض فى السماء نجم ، ولكنهم يتبعون الكهنة ويتخذون النجوم علّة .

أخرجه ابن أبى حاتم[6] ، وأبوالشيخ[7] ، وأبونعيم[8] واللفظ لابن أبى حاتم .

تقدم .

* * *

(١) البقرة ٩٧ .
(٢) الشعراء ٢٢٢ .
(٣) العظمة ٦٣/ب .
(٤) حلية الأولياء ٣/٢١٧ .
(٥) الأثر رقم ١١٠ .
(٦) ابن أبى حاتم ٧/٣٣١ .
(٧) العظمة ٦٣/ب .
(٨) الحلية ٣/٢١٧ .

﴿(تفسير سورة النمل)﴾

" طـــــسّ " . - ١ -

٣٠٨) الطاء : من الطول ، والسين : من القدوس.
أخرجه ابن أبى حاتم .(١)

تقدم .

" فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " . - ٨ -

قوله : " أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ " :

٣٠٩) نور الرحمن ، والنور هو الله " وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " . أخرجه ابن أبى حاتم (٢) ، والطبرى (٣) واللفظ له ، وفيه : أن المراد بمن فى النار - كما ترى - هو نور الرحمن وهذا النور هو الله ، وهذا التفسير مع نكارته مردود من وجهين :

الأول : مخالفته ظاهر القرآن ، فان الكتاب الكريم يجب أن يحمل تفسيره على ظاهره ، ولا يجوز العدول عنه الى غيره دون مسوّغ يجب التسليم له ، وهذا المسوّغ الذى يحكم به على القرآن ، هو القرآن نفسه ، أو صحيح السنة .

الوجه الثاني : ضعف السند من جهة موسى بن عبيدة ، وعلى هذا يكون المعنى الذى يجب المصير اليه ، وهو المتبادر الى الذهن من ظاهر النظم الكريم ، كما قال الزمخشرى : " بورك من فى مكان النار ومن حول مكانها ، ومكانها البقعة التى حصلت فيها ، وهي البقعة المباركة المذكورة

---

(١) ابن أبى حاتم ٧ / ٣٣٧ .
(٢) المصدر نفسه ٧ / ٣٤٥ .
(٣) الطبرى ١٩ / ١٣٤ .

فى قوله تعالى :" نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِ الأَيْمَنِ فِي البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ" أ . هـ.

فان قال قائل : قد جاء هذا المعنى عن غير ابن كعب من الأئمـــــة ، مثل : ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن، وقتـادة . عند ابن جرير.(١)

فالجواب : أنه مهما يكن القول وقائله فلا يسلم به مالم يستند الى سنـة صحيحة تسوّغ العدول عن ظاهر القـرآن .

قولـــه :" وَمَـــنْ حَوْلَهَـــا " :

٣١٠) موسى النبي والملائكة . أخرجه ابن جرير(٢) بهذا اللفظ ، كمـــا أخرجه ابن أبى حاتم(٣) بتمامه ضمن الأثر السابق ، وحكاه السيوطي(٤) عن ابن المنذر والخبر من حيث الاسناد مثل سابقه ، لكنه صحيح المعنى ، فان الـــذى حول النار من البقعة المباركة هو نبي الله موسى والملائكـة .

" وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَـــى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِـهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِـينَ" . - ١٢ -

قولـــه : تِسْـــعِ ءَايَـــاتٍ " :

٣١١) الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد ونقص مـــن الثمرات والسنين .

٣١٢) الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وعصاه ويده والطمسة والبحر.

أخرجهما ابن أبى حاتم(٥) ، الاّ أن الأول من روايته ،عن ابن عباس ثم قال:

---

(١) الكشـــاف ٣ / ١٣٤ .
(٢) الطـــبرى ١٩ / ١٣٥ .
(٣) ابن أبى حاتم ٧ / ٣٤٥ .
(٤) الدر المنثـور ١٩ / ٣٤١ .
(٥) ابن أبى حاتم ٧ / ٣٥٠ .

وروى عن عبيد بن عمير[1] ، والشعبي ، وعكرمة ، وأبي صالح ، والسدى ، ومحمد بن كعب ، مثل ذلك .

قلت : قد مضى الكلام في الآيات التسع في تفسير سورة الاسراء.[2]

" وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين " . - ١٦ -

قوله : " وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير " :

٣١٣) بلغنا أن سليمان كان عسكره مئة فرسخ ، خمسة وعشرون منها للأنس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاث مئة صريحة وسبع مئة سرية فأمر الريح العاصف فرفعته وأمر الرخا فسيرته ، فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح فأخبرته . كذا أخرجه ابن جرير[3] عن مفسرنا ، من طريق أبي معشر ، وليس في الخبر - لو صح - سوى وصف معسكر سليمان - عليه الصلاة والسلام - ، ومن ذلك المعسكر العظيم نصيب الطير من الفراسخ ، ونحن نؤمن أن الله جل وعلا أعطى سليمان من خصائص ملكه ما يفهم به منطق الطير ، والمنطق هو ما يعبر به عن المراد ، وقد دل القرآن الكريم على أن الطير يتكلم وأن سليمان يفهم كلامه ، ويتضح ذلك فيما جاء على لسان الهدهد في السورة نفسها من قوله : " فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ... ... الآيات . الى قوله : " ... اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر

---

(١) انظر : الملحق ٦ رقم ٤٣

(٢) الأثر رقم ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٣) الطبري ١٩ / ١٤١ .

مَاذَا يَرْجِعُونَ " [1] . ففى هذا السياق ، يظهر جليا أن الهدهد خاطب نبي الله سليمان - عليه الصلاة والسلام - ، وأنه فهم عنه خطابه وما جاء به من خبر ورد عليه الخطاب وكلفه بايصال رسالته الى أهل سبأ ، وقد تقدم قول مفسرنا فى سورة الأنبياء . [2]

" وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ " . - ١٧ -

قوله : " وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ " :

٣١٤) كان معسكر سليمان مائة فرسخ ، خمسة وعشرون منها للانس، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلثمائة منكوحة ، وسبعمائة سرية يأمر الريح العاصفة فترفعه ، ويأمر الرخاء فتسير به . فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والأرض : أنى قد زدتك فى ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت به الريح فأخبرتك . أخرجه البغوى . [3]

تقدم .

" قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ " .

- ٤١ -

قوله : " أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ " :

٣١٥) ان الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى اليه أسرار الجن ، وذلك أن أمها كانت جنية ، واذا ولدت له ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده ، فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها ، وقالوا : ان فى عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار ، وانها شعراء الساقين . فأراد سليمان

---

(١) الآيات من ٢٢ : ٢٨ .

(٢) الأثر رقم ٢٦٤ .

(٣) البغوى ١٩ / ٤١٠ .

أن يختبر عقلها بتنكير عرشها ، وينظر الى قدميها ببناء الصرح . رواه البغوى (١) .

وفيه : أن سبب أمر سليمان - عليه السلام - بتنكير عرش ملكة سبأ ما احتواه من الاخبار ومن ذلك وشاية الشياطين بها وتزهيدهم له فيها مخافة أن يتزوجها ، فاذا ولدت له ولدا لا ينفكون من تسخيره وذريته ... الخ ، ولا يصح هذا الخبر من وجهين :

أولا : انه قول على الله وعلى نبيه سليمان - عليه الصلاة والسلام - بغير علم يستند الى كتاب أوسنة ، وانما من قبيل القصص .

ثانيا : ضعف السند . فمثله لا يصلح طريقا فى اثبات ما ينسب الى أنبياء الله من الأخبار ، فيجب المصير الى ما أجمله الله فى الكتاب من أن نبى الله سليمان أمربتنكير عرش تلك الملكة اختبارا لذكائها ، وهذا لا يلزم أن يكون له سبب معين . واذا أردنا معرفة سبب ذلك فلا يظهر من سياق القصة سوى أنه أراد تعريفها بما آتاه الله من قوة ، اذ جلب اليه عرشها من اليمن الى الشام .

" قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " . - ٤٤ -

قوله : " فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا " :

٣١٦) قالت الجن لسليمان تنزهده فى بلقيس : ان رجلها رجل حمار ، وأن أمها كانت من الجن ، فأمر سليمان بالصرح فعمل فسجن فيه دواب البحر : الحيتان ، والضفادع ، فلما بصرت بالصرح قالت : ما وجد ابن داود عذابا يقتلنى به الا الغرق ؟ " فحسبته لجه وكشفت عن ساقيها" . قال : فاذا أحسن

---

(١) البغوى ١٩ / ٤٢١ .

ساقا وقدمـا ، قال : فظن سليمان بساقها عن الموسى قال : فاتخـــذت النورة بذلك السبب . رواه ابن جرير[1] ويتضمـن أمريـن :

أولهما : ذكر السبب الذى من أجله أمر سليمان ببناء الصرح .

ثانيهما : اسـم ملكـة سبـأ .

والخبر مردود لسببـين :

أولا : أنه مثل نسابقه من حيث اشتماله على ما لم يسنده كتاب ولا سنـة .

الثاني : ضعف السند من جهة ابن حميد شيخ الطبرى ، وأبى معشـر .

" قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ " .

- ٤٧ -

قولـه : " بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ " :

٣١٧) تعذبـون . رواه البغوى[2] . وفيه تفسير الفتنة بالعذاب ، ويفهم من حكاية الراغب[3] ، والدامغانـي[4] ، المعاني المتعددة للفتنة أن كـلام مفسرنا له وجه من الصحة ، ومن تلك المعاني تفسير الفتنة بالعذاب ، وبسببه ، وعلى هذا يكون المعنى : أنكم أيها القوم بتكذيبكم رسولكم وتشاؤمكم به وبمـن معه توقعون أنفسكم فيما فيه عذابكـم .

" وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ " . - ٨٢ -

قولـه : " دَابَّـةً " :

---

(١) الطـبرى ١٩ / ١٦٩ .

(٢) البغـوى ١٩ / ٤٢٣ .

(٣) المفـردات ٣٧١ .

(٤) قاموس القرآن ٣٤٨ .

٣١٨) أما والله . ما لها ذنب وان لها للحيه . أخرجه ابن أبي حاتم[1] بسنده ، من طريق المفسر عن عليّ بن أبي طالب ، والأثر يتضمن بعض أوصاف الدابة التي أخبر الله عنها ولم تصح نسبته الى عليّ رضي الله عنه لسببين :

الأول : تدليس ابن اسحاق .

الثاني : الانقطاع . فان مفسرنا لم يسمع من عليّ على التحقيق ، فروايته هذا الأثر عنه مرسله ، وليس العبرة بأوصاف تلك الدابة ، حتى نكلف أنفسنا بتحقيقها ، وانما العبرة في أنها من أشراط الساعة الكبرى التي بظهورها لا ينفع نفسا ايمانها ان لم تكن ءامنت من قبل ، كما صح بذلك الخبر . فعن أبي هريرة قال : " قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها ، والدّجال ، ودابة الارض "[2]

" وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ " . - ٨٧ -

قوله : " يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ " :

٣١٩) ان الله عز وجل لما فرغ من خلق السماوات والأرض ، خلق الصور فأعطاه اسرافيل ، فهو واضعه على فيه ، شاخصا بصره الى العرش ، ينظر متى يؤمر ، فقلت يا رسول الله : " وما الصور ! قال : قرن . قال قلت : وكيف هو ؟ قال : قرن عظيم ، والذي نفسي بيده ان عظم " دائرة " فيه

---

(١) ابن أبي حاتم ٧ / ٤١٩ .

(٢) مسلم ، كتاب الايمان ، باب ٧٢ ، بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الايمان ١ / ١٣٨ . حديث ٢٤٩

كعرض السماوات والأرض ، ينفخ فيه ثلاث نفخات . الأولى : نفخة الفـــزع ، والثانية : نفخة الصعـــق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين . أخرجـه الطبرى (١) ، وابن أبى حاتم (٢) مختصرا واللفظ لـه .

تقـــدم .

قولـه : " فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ " :

٣٢٠) ان الله عز وجل لما فرغ من خلق السماوات والأرض ، خلق الصـــور فأعطاه اسرافيل ، فهو واضعه على فيه شاخصا بصره الى العرش ينتظر مـــتى يؤمر ، ينفخ فيه ثلاث نفخات . الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخـة الصعق ، والثالثة : نفخـة القيام لرب العالمين . يأمر الله اسرافيـــل بالنفخة الأولى ، فيقول له : انفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السمـــاوات ، والأرض ، الا من شاء الله ، ويأمره فيمد بها ويطولها فلا يفتر وهي الـــتى يقول عز وجل : " وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاَءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " (٣) فيســـير الله الجبال ، فتمر مر السحاب ، ثم يجعلها سرابا وترج الأرض بأهلها رجـا فتكون كالسفينة الموبقة فى البحر ، أو كالقنديل المعلق بالعرش ، ترجـه الأرياح ، فيميد الناس على ظهرها وهي التى يقول الله : " يَوْمَ تَرْجُـــفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ " (٤) فتذهـل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة مـــن الفزع حتى تأتى الأقطار ، فتأتيها الملائكة فتضرب وجهها فترجع ويولى الناس مدبرين ، ينادى بعضهم بعضا ، وهى التى يقول الله : " يَوْمَ التَّنَادِ يَـــوْمَ

---

(١) الطـــبرى ٢٠ / ١٩ .
(٢) ابن أبى حاتم ٧ / ٤٢٤ .
(٣) ص ١٥ .
(٤) النازعات ٦ : ٩ .

تُولُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ " (١) . فبينما الناس على ذلك . اذ انصدعت الأرض فتصدعت من قطر الى قطر ، فرأوا أمراعظيما لم يروا مثله فأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم . ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل انشقت من قطر الى قطر ، فيخسف بشمسها وقمرها . وانتثرت نجومها . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" والأموات لا يعلمون بشئ من ذلك . أخرجه ابن أبى حاتم (٢) واللفظ له ، وابن جرير (٣) باسنادين أحدهما : من طريق أبى كريب (٤) ، والآخر : من طريق القاسم (٥) مختصرا وأخرجه أبو الشيخ (٦) وجميع الأربع روايات مدارها على اسماعيل بن رافع المدنى .

وقد تقدم .

" وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ " . ـ ٨٨ ـ

قوله : " وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ " :

٣٢١) يسير الله الجبال فتمر مر السحاب ، ثم يجعلها سرابا ، وتمرج الأرض بأهلها رجا ، فتكون الأرض كالسفينة الموبقة فى البحر ، أو كالقنديل المعلق بالعرش . أخرجه ابن أبى حاتم (٧) ، وفى هذا الحديث دليل على أن سير الجبال ، وجعلها سرابا بعد نفخة الفزع ، وقد عرفت فيما مضى أن هذا الخبر مرفوع الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكنه ضعيف الاسناد .

وفى صريح الكتاب الكريم ما يدل على أن هذا الأمر العظيم يقع يوم القيامة . ومن تلك الأدلة :

---

(١) غافر ٣٣ .
(٢) ابن أبى حاتم ٧ / ٤٢٥ .
(٣) الطبرى ٢٠ / ١٨ : ١٩ .
(٤) انظر الملحق رقم ١٠٣
(٥) انظر الملحق رقم ١٠٤
(٦) العظمة ٣٥ / ب .
(٧) ابن أبي حاتم ٧ / ٤٢٩ .

أولا : قوله تعالى : " ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض ... " .[1] الى قوله : " ... وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب " .[2] فان الآية التي نحن بصدد ها جاءت عقب ما عطف على النفخ في الصور بالفاء وذلك دليل على أن هذه الحركة للجبال ليست في الدنيا .

ثانيا : ما يدل من ظاهر الكتاب صراحة على أن سير الجبال وجعلها سرابا ، يكون ضمن أهوال القيامة ، ومن ذلك قوله تعالى : " يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا " .[3] فمجيء الناس أفواجا وتفتح السماء وتسيير الجبال ، بعد النفخة الثانية ، وليس بعد نفخة الفزع ، كما يفهم من هذا الحديث ، يوضحه قوله : " إن عذاب ربك لواقع . ما له من دافع يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيرا " .[4] فوجه الدلالة من الآيات أن وقوع العذاب وقت مور السماء وسير الجبال وليس ذلك في الدنيا .

" ومن جاء بالحسنة فله خير منها ، وهم من فزع يومئذ آمنون " . - ٨٩ -

قوله : " من جاء بالحسنة " :

٣٢٢) لا اله الا الله . أخرجه ابن أبي حاتم[5] ، عن ابن مسعود ، ثم قال : " وروى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وعلي بن الحسين ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وعطاء ، ومجاهد ، وأبي صالح ذكوان[6] ، ومحمد

---

(١) النمل ٨٧ .
(٢) النمل ٨٨ .
(٣) النبأ ١٨ : ٢٠ .
(٤) الطور ٧ : ١٠ .
(٥) ابن أبي حاتم ٧ / ٤٣١ .
(٦) انظر : الملحق رقم ٩٥

ابن كعب ، والنخعي ، والضحاك ، والزهرى ، وعكرمة ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، نحو ذلك .

تقدم فى تفسير سورة الأنعام .[1]

قوله : " فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا " :

٣٢٣) الأضعاف . أعطاه الله تعالى بالواحدة عشرا فصاعدا ، روى هذا الأثر البغوى ،[2] وفيه : تفسير الخيرية المذكورة فى الآية بمضاعفة الحسنات وهذا تفسير صحيح ، وشواهده كثيرة منها :

أولا : قوله تعالى : " مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ... الآية "[3] .

ثانيا : قوله تعالى : " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "[4] .

ثالثا : من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : " قال تعالى : " ان الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وان همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ بها فعملها كتبها الله واحدة " أ . هـ .[5] رواه البخارى ومسلم واللفظ له من حديث ابن عباس (رضي الله عنه) .

---

(١) الأثر رقم ١٢٠ .

(٢) البغوى ٢٠ / ٤٣٢ .

(٣) الأنعام ١٦٠ .

(٤) البقرة ٢٦١ .

(٥) البخارى ، كتاب الرقاق ، باب ٣١ ، من همّ بحسنة أو سيئة ٨ / ٨٧ حديث ٦٤٩١
مسلم ، كتاب الايمان ، باب ٩٩ ١ / ١١٨ حديث ٢٠٧

قولـــه :" وَهُـــمْ مِّن فَـــزَعٍ يَوْمَئِـــذٍ آمِنُـــونَ " :

٣٢٤) الشهداء . هم أحياء عند ربهم يرزقون . وقاهم الله فزع ذلـــك اليـــوم وأمنهم منه . أخرجه بهذا اللفظ ابن أبى حاتم ،(١) وأخرجه الطـــبرى بلفظ أتـــم وقد مضى الكلام عليه(٢) فى تفسير سورة الحج .

فاذا تأملت السياقين يظهر لك ما بينهما من اختلاف . فسياق ابن أبى حاتم يوحى بأن الفزع المعنى فى الآية ، هو ما يقع يوم القيامة ، وسياق الطبرى فيه التصريح بأن ذلك الفزع هو ما يكون بعد النفخة الأولى ، وسواء قلنا هـذا أو ذاك ، فقصر الأمن من الفزع على الشهداء غير سديد لوجهين :

أولا : ما عرفـــت مـــرارا من ضعـــف الخـــبر .

ثانيا : عموم الآية الكريمة فهي نص فى أن الأمن من الفزع يوم القيامة لكل مـــن جاء بالحسنة .

" وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْـــتُمْ تعملـــون " . - ٩٠ -

قولـــه :" وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَـــةِ " :

٣٢٥) الشـــرك . رواه ابن جرير(٣) ، ورواه ابن أبى حاتم(٤) ، عن ابن عبـــاس ، ثم قال :" وروى عن عبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وأبى وائل ، وعطـاء ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والنخعي ، وأبى صالح ، والزهـــرى ، وزيد بن أسلم ، ومحمد بن كعب ، والسدى ، وقتاده ، والضحاك ، مثلـــه .

تقـــدم فى ســـورة الأنعـــام(٥) .

* * *

---

(١) ابن أبى حاتـــم ٧ / ٤٣١ .
(٢) الأثـــر رقـــم (٢٦٨) .
(٣) ابن أبى حاتـــم ٧ / ٤٣٢ .
(٤) ابن جـريـــر ٢٠ / ٢٣ .
(٥) الأثـــر رقـــم (١٢١) .

" ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين " . - ١٥ -

قوله : " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها " :

٣٢٦) دخلها فيما بين المغرب والعشاء . رواه البغوى(١) وفيه تحديد ساعة الغفلة التى دخل فيها موسى المدينة من مصر ، بما بين المغرب والعشاء ، وهذا أحد القولين عند ابن كثير(٢) . وحكاه عن ابن عباس ، والثاني أن تلك الساعة كانت فى وقت القيلولة ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدى ، رواه ابن جرير(٣) .

والتحقيق عندى أنه لا يمكن تحديد دخول موسى تلك المدينة بساعة معينة من ليل أو نهار لعدة أوجه منها :

أولا : عدم بيان السنة لما أجمله القرآن فى هذا الشأن .

ثانيا : أن الغفلة تختلف أوقاتها حسب حال الناس وأمكنتهم اختلافا يصعب ضبطه ، فقد يكون وقت الغفلة فى بلد ، كما قال مفسرنا ، وقد يكون فى بلد آخر ، كما قال ابن عباس ، ومن وافقه ، وعلى هذا فكلا القولين مبنى على الاجتهاد . والله أعلم .

" فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال

---

(١) البغوى ٢٠ / ٤٣٨ .

(٢) ابن كثير ٢٠ / ٣٩٤ .

(٣) الطبرى ٢٠ / ٤٤ .

لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ " . - ٢٩ -

قوله : " فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ " :

٣٢٧) سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : أوفاهما وأتمهما " . أخرجه ابن أبى شيبة (١) ، وابن جرير (٢) ، وكلاهما من طريق أبى معشر ، عن مفسرنا ، وتزيد رواية الطبرى : بأن فيها ابن وكيع ، فالخبر مرسل ضعيف الاسناد ، وبما قال مفسرنا جاءت الرواية بنحوه عن ابن عباس . أخرجه ابن جرير عنه من عدّة طرق .

والذى يظهر لى عند تأمل القصة من قوله تعالى : " إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ، عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِ حِجَجٍ " ... " الى قوله حكاية عن موسى : " ... وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ " . ثلاثة أمور :

أولها : عرض صاحب مدين نكاح احدى بنتيه على موسى لقاء استئجاره ثمان سنين .

وثانيها : رغبة صهر موسى فى الزيادة الى عشر سنين .

وثالث الأمور : موافقة موسى - عليه السلام - على شرط صهره ، وأنه لا مانع عنده من زيادة العمل من ثمان سنين الى عشر ، ولم يرد فى صريح الكتاب بيان ما قضاه موسى من الأجلين ، بل أن هذه الآية المفسرة نص فى أنه أدى الأجل المشروط الذى هو ثمان سنوات ، وذلك أن الألف واللام للعهد ، وصرف الذهن عن غير المعهود ، لا يتأتى بغير بيان من كتاب أو صحيح سنة ، فان قال قائل : قد جاء من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ما يدل على أن نبي الله موسى قضى أكثر

---

(١) المصنف ١١ / ٥٣٣ .

(٢) الطبرى ٢٠ / ٦٨ .

الأجلين وأطيبهما . "ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم اذا قال فعل .

فالجواب: ان الحديث رواه البخارى (١) ، ولكن ليس فيه غير أن ابن عباس، فهم ذلك باجتهاده مستندا على ما عرفه من فعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل الأمور . فلا نزال نحتاج فى معرفة ما قضاه موسى من الأجلين الى مستند صريح ، وليس عندنا دليل صريح يصرف عن ظاهر القرآن ، ولكن لا يستبعد أن موسى ـ عليه السلام ـ فعل أوفاهما ، لأن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم أكمل الناس صلة وأكثرهم برا . والله أعلم .

" أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ " . - ٦١ -

٣٢٨) نزلت فى حمزة ، وعلىّ ، وأبى جهل . رواه البغوى (٢) ، وفيه ـ كما ترى ـ بيان السبب الذى من أجله نزلت الآية الكريمة ، وهذا ضمن عدة أقوال للمفسرين فى سبب نزولها .

ويقول مفسرنا جاءت الرواية عن مجاهد ، عند ابن جرير (٣) ، والواحدى (٤) .

والقول الثاني : أن الآية نزلت فى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبى جهل ، قاله مجاهد فى الرواية الثانية ، وابن جريج . أخرجه عنهما ابن جرير (٥) ، والبغوى (٦) .

وثالث الأقوال أن نزول الآية فى عمار ، والوليد بن المغيرة ، أخرجه

---

(١) البخارى ، كتاب الشهادات ، باب ٣٩، من أمر بانجاز الوعد ٣ / ١٥٧ حديث ٢٦٨٤

(٢) البغوى ٢٠ / ٤٥١ .

(٣) الطبرى ٢٠ / ٩٧ .

(٤) الواحدى ٣٥٣ .

(٥) الطبرى ٢٠ / ٩٧ .

(٦) البغوى ٢٠ / ٤٥١ .

البغـــوى (١) ، والواحـــدى (٢) ، عن السـدى . وهذه الأقوال جميعها مرسلة وما جاء عن مفسرنا ضعيف ، ومهما يكن من القول ، فان الآية عامة ، وذلك أن معناها ليس من وعده الله وعدا حسنا على اخلاصه التوحيد واقامة شعائر الاسلام ، فهو لاق يوم القيامة ما وعده ربه منجزا ، وذلك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كمن كان حظه متاع الحياة الدنيا فانغمس فى شهواتها وملذاتها ، حتى اذا كان يوم القيامة هو من المحضرين للعذاب على ما فرطه فى جنب الله . فهذا لمعنى يشمل بطرفه الأول كل متقى ، كما يشمل بطرفه الثاني كل مشرك كافر الى يوم القيامة .

"قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ".

- ٧٨ -

قولـــه : " وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ " :

٣٢٩) عن ذنوب الذين مضوا فيم أُهلكوا . أخرجه ابن جرير (٣) .

٣٣٠) لا يسئل عن ذنوبهم المجرمون الذين كانوا قبلهم عما أُهلكوا وعن منزلتهم فيعتبوا ، ولكنهم يكونون على ما كانوا عليه من العبرة . أخرجه ابن أبى حاتم (٤) . وكلاهما من طريق موسى بن عبيدة ، عن مفسرنا ، ومع هذا الضعف فى السند ، فقد اشتمل على أمر غريب فى غاية النكارة ، وهو أن المنفى فى الآية سؤال المجرمين عن ذنوب من سبقهم . كيف أهلكوا ؟ وهذا ارجاع للضمير فى قوله : " عن ذنوبهم " ، الى غير مرجعه . والآية الكريمة

---

(١) البغـــوى ٢٠ / ٤٥٢ .
(٢) الواحـــدى ٣٥٣ .
(٣) الطـــبرى ٢٠ / ١١٤ .
(٤) ابن أبى حاتم ٧ / ٥٠٨ .

نص صريح فى أن الله أهلك من الأمم قبل قارون من هو أشد منه قوة ، ولكنه لم يعتبر بما مضى من مثل الأولين ، وفى قوله : " وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ " اخبار من الله تعالى بأن المجرمين اذا وقع عليهم القول ، وجاءهم من البينات ما تقوم به عليهم الحجة ، فلن يسئلوا لما أهلكوا . ومثله قوله تعالى : " فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ " (١) . فهل يقال فلا يسئل عن ذنب غيره ، ولم نعرف فى سنة الله فى خلقه سؤاله عباده عن غير ذنوب أنفسهم .

" مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " . - ٨٤ -

قوله : " مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ " . :

٣٣١) لا اله الاالله . أخرجه ابن أبى حاتم (٢) ،عن عبد الله بن مسعود ، وقال : " وروى عن ابن عباس ، وأبى هريرة ، وعلىّ بن حسين (٣) ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وعطاء ، ومجاهد ، وأبى صالح ذكوان ،وعكرمة ، ومحمد ابن كعب القرظي ، والنخعي ، والضحاك ، والزهرى ، وقتاده ، وزيد بن أسلم - نحو ذلك .

تقدم .

قوله : " مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ " :

٣٣٢) الشرك . أخرجه ابن أبى حاتم (٤) ،عن ابن عباس ،وقال : " وروى عن ابن مسعود ،وأبى هريرة ، وأنس بن مالك ،وأبى وائل ،وعطاء ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والنخعي ،وأبى صالح ، والزهرى ، وزيد بن أسلم ، ومحمد بن كعب ،والسدى ،وقتاده ،والضحاك ، نحو ذلك .

تقدم .

* * *

---

(١) الرحمن ٣٩ .
(٢) ابن ابى حاتم ٧ / ٥١٩ .
(٣) انظر الملحق ص رقم ٤٧
(٤) ابن ابى حاتم ٧ / ٥٢٠ .

((تفسير سورة العنكبوت))

" إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " - ١٧ -

قوله : " فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " :

٣٣٣) ان كل عمل ، عمل لله هو شكر لأنعم الله . رواه ابن أبى حاتم (١) ، ومفاده أن ما يقوم به العبد من العمل ، طاعة لله ، هو شكر لله على نعمه ، وهذا تفسير صحيح ، ولا يضره انه من طريق موسى بن عبيده ، ويشهد له ما رواه الترمذى (٢) ، من حديث أبى كبشة الأنمارى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيه : "... انما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما ، فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل . وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ، فهو نيته ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما ، فهو يتخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما ، فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان ، فهو نيته فوزرهما سواء " . أ . هـ .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن من وفق فى غناه التقوى وصلة الرحم كان شاكراً لأنعم الله عليه ، كما أن من حرم ذلك التوفيق ، كان جاحدا فضل الله منكرا له .

* * *

---

(١) ابن أبى حاتم ٧ / ٥٣٨ .

(٢) الترمذى ، كتاب الزهد ، باب ١٧ ما جاء مثل الدنيا أربعة نفر ٤ / ٥٦٢ .

" وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ " . - ٣٩ -

قوله : " وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ " :

٣٣٤) الرجل يعطي من ماله ليكافئه به أو يزداد ، فذلك الذى لا يربوا والمضعفون الذى يعطي لوجه الله تعالى ، لا يبغي به مكافأة ، فذلك الذى يضاعف الله له . أخرجه ابن أبى حاتم فيما نقله عنه السيوطي (١) ، وأبونعيم (٢) واللفظ له ، وبمثل ما قال مفسرنا : جاءت الرواية عن ابن عباس ، وسعيد ابن جبير ، ومجاهد ، وابراهيم النخعي ، فى قول أكثر المفسرين فى معنى الآية ، أخرجه عنهم : ابن جرير (٣) ، ويشهد لصحة قول مفسرنا فى المعنى ، غير من أسلفنا من الأئمة . أمران :

الأول : ظاهر الآية الكريمة ، فانها اخبار من الله جل وعلا يتضمن تقسيم الناس من حيث البذل والعطاء الى قسمين :

- قسم آتى المال يريد ورائه غير وجه الله من المكافأة على ما أعطى ، فذلك ليس له على ما آتى أجر ولا ثواب .

- وقسم أعطى من ماله صدقة مندوبه ، أو زكاة مفروضة ، لا يبغى بذلك غير وجه الله ، فهذا القسم هو الذى يضاعف له ما آتى عند الله أضعافا كثيرة .

الأمر الثاني : ما جاء فى الصحيح (٤) من حديث عبد الله بن عمرو ، ويرفعه الى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها " . ووجه الدلالة من هذا الحديث أن من الناس من يصل رحمه لصلتهم اياه وان منهم من يصلها وان قطعته ، فالأول : وصله مكافئه ، والثاني وصله لوجه الله .

---

(١) الدر المنثور ٢١ / ٤٩٦ .
(٢) حلية الاولياء ٣ / ٢١٦ .
(٣) الطبرى ٢١ / ٤٥ .
(٤) البخارى ، كتاب الادب ، باب ١٥ ليس الواصل بالمكافئ ٨ / ٦ . حديث ٥٩٩١

((تفسير سورة الأحزاب))

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا " . ـ ٩ ـ

قوله : " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا " :

٣٣٥) قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : " يا أبا عبد الله ، رأيتم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبتموه ؟ قال : نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقدكنا نجهد . قال الفتى : " والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض لحملناه على أعناقنا . قال حذيفة : يا ابن أخي لقد رأيتنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالخندق ، وصلى رسول الله هويا[1] من الليل ، ثم التفت الينا فقال : " من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ؟ (يشترط له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن يرجع أدخله الله الجنة)[2] فما قام أحد ، ثم صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هويا من الليل ، ثم التفت الينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هويا من الليل ، ثم التفت الينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ، ثم يرجع يشترط له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة ، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة البرد وشدة الجوع ، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يكن لي بد عن القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة : اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً فقام أبوسفيان فقال : يا معشر قريش لينظر

---

(١) قال في اللسان : جلست عنده هويا من الليل . والهوى : الساعة الممتدة من الليل على فعيل . أي هز بهمصنه ص ٤٧٢٧ .

(٢) كذا عند ابن جرير وأظن الصواب : يشرط له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ان يرجع أو أدخله الله الجنة" .

امرؤ من جليسه فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى جنبى ، فقلت من أنت ؟ فقال : أنا فلان ابن فلان ، ثم قال أبوسفيان : يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع ، والخف ،واختلف بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما يطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام الى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله الاّ وهو قائم ولولا عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اليّ أن لا تحدث شيئا حتى تأتينا ، لو شئت لقتلته بسهم ،قال حذيفة : فرجعت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه ، فلما رآني أدخلنى بين رجليه وطرح علىّ طرف المرط ،ثم ركع وسجد وإنى لفيه ، فلما سلم ، أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم .

رواه ابن اسحاق (١) ، وابن جرير (٢) ، واللفظ له ،والخبر ضعيف الاسناد ، لأن فيه عند الطبرى شيخه ابن حميد ، كما أنه فى كلا الطريقين مشتمل على تدليس ابن اسحاق وقد أخرجه مختصر الامام مسلم (٣) ، من رواية الأعمش عن ابراهيم بن (٤) يزيد التيمى ، عن أبيه (٥) قال : كنا عند حذيفة فقال رجل : لو أدركت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاتلت معه وأبليت . فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الأحزاب

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (أرسل الرسول حذيفة ليتعرف ما حل بالمشركين) ٢ / ٢٣١ .

(٢) الطبرى ٢١ / ١٢٧ .

(٣) مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة الأحزاب ٣ / ١٤١٤ .

(٤) انظر : الملحق رقم ١

(٥) انظر : الملحق رقم ٨٩

وأخذتنا ريح شديدة وقرّ[1] فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ألا رجل يأتينا بخبر القوم ، جعله الله معى يوم القيامة " فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال : " ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟" فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال : " ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟ ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد . فقال :" قم يا حذيفة : فاتنا بخبر القوم " فلم أجد بدا اذ دعانى باسمى أن أقوم . قال : اذهب فأتنى بخبر القوم ولا تذعرهم علىّ " فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمّام حتى أتيتهم فرأيت أباسفيان يصلى ظهره بالنار ، فوضعت سهما فى كبد القوس فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" ولا تذعرهم علىّ " ولو رميته لأصبته ، فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمام ، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم ، وفرغت قررت فألبسنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها ، فلم أزل نائما حتى أصبحت ، فلما أصبحت قال :" قم يا نومان " .

قلت : فهذا الخبر هو الصحيح المعوّل عليه فى اثبات هذه القصة .

" مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا " . - ٣٨ -

قوله : " مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبْلُ " :

٣٣٦) يعنى يتزوج من النساء ما شاء ، هذا فريضة ، وكان من كان من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ هذا سنتهم وقد كان لسليمان ـ عليه السلام ـ ألف امرأة ، وكان لداود ـ عليه السلام ـ مئة امرأة . أخرجه ابن سعد[2] ، وهو

---

(١) قرّ : بارد . انظر: مختار الصحاح ٥٢٨ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨ / ٢٠٢ .

ضعيف الاسناد من قبل محمد بن عمر الواقدى [1] ، وأسامة بن زيد بن أسلم [2] ، والأثر يتضمن ثلاثة أمور :

الأول : يباح للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تزوج ما شاء من النساء ، وأنه لا حرج عليه فى ذلك ، وقد تزوج عليه الصلاة والسلام أكثر من أربع ، وهذه خصوصيته .

ثانيا : ان شأنه فى تزوج أكثر من أربع ، كان سنة الأنبياء قبله ، وهذان الأمران مستفادان من الآية ، ولا ينافيهما أنها فى سياق قصة زواجه من زينب بنت جحش ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما تقرر فى الأصول ، وينبغى أن يعلم أنه صلى الله عليه وسلم ، قد قصر على عدم الزيادة على من وقع فى حقهنّ التخيير بين أنفسهنّ ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهنّ ما عدا خديجة ـ رضي الله عنها ـ وهذا القصر جاء فى قوله : " لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا " [3] .

والأمر الثالث : ما ذكره من عدد زوجات داود وسليمان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ فهو من القصص الذى لا يعوّل عليه .

" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي

---

(١) انظر : الملحق رقم ٦٦

(٢) تقدم : ص٣١

(٣) الأحزاب ٥٢ .

أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" . . ٥٠ -

٣٣٧) تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث عشرة امرأة ، ستا من قريش : خديجة ، وعائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة ، وثلاثا من بني عامر بن صعصعة ، وامرأتين من بني هلال بن عامر : ميمونة بنت الحارث ، وهي التي وهبت نفسها للنبي - صلى الله عليه وسلم - وزينب أم المساكين ، وامرأة من بني بكر بن كلاب من القرظيات ، وهي التي اختارت الدنيا ، وامرأة من بني الجون ، وهي التي استعاذت منه ، وزينب بنت جحش الأسدية ، والسبيتين : صفية بنت حيي بن اخطب وجويريه بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية .

أخرجه ابن سعد (١) ، وابن أبي احاتم فيما نقله عنه ابن كثير (٢) واللفظ له .

٣٣٨) التي وهبت نفسها للنبي - صلى الله عليه وسلم - ميمونه . أخرجه ابن أبي شيبة (٣) .

وكلا الأثرين مرسل ضعيف الاسناد ، لأن مدارهما على موسى بن عبيده ، وفيهما أربع مسائل :

الأولى : تعيين الواهبة نفسها .

الثانية : بيان أن التي اختارت الدنيا على الله ورسوله هي امرأة من بني بكر ابن كلاب من القرظيات .

الثالثة : فيمن طلقها . لأنها استعاذت بالله منه .

الرابعة : عدد زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنهن ثلاث عشرة امرأة .

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ٢١٩ .

(٢) ابن كثير ٢٢ / ٥٠٧ .

(٣) المصنف ٢ / ٤ ص ٣١٦ .

وهذه الثلاث المسائل الأخيرة فى الأثر الأول ، ولم يصح من ذلك سوى عدد زوجاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ واليك الأدلة :

أولا : الى جانب ما أسلفناه من ضعف السند ، فلم أجد فى السنة بيان الواهبة نفسها ، شأنها فى ذلك شأن القرآن الكريم فى الاجمال ويدل عليه ما رواه الشيخان[1] من حديث سهل بن سعد الساعدى قال : " جاءت امرأة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يا رسول الله : جئت أهب لك نفسى . قال : فنظر اليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصعد النظر فيها وصوبه ، ثم طأطأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأسه ... الحديث " . انتهى محل الغرض .

فالحديث بتمامه يدل على عدم تعيين تلك المرأة ، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوجها ، بل زوجها غيره ، فعلى هذا لم تكن من زوجاته .

ثانيا : صح فى السنة من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن جميع نساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، كما رواه مسلم[2] . قالت عائشة : " فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، قالت : ثم فعل أزواج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت . انتهى محل الغرض .

ثالثا : ذكر ابن اسحاق[3] وغيره عدد من تزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأنهن ثلاث عشرة ، وليس فيهن الواهبة نفسها .

---

(١) البخارى ، كتاب النكاح ، باب ١٥ ، تزويج المعسر ٧/٧ حديث ٥٠٨٧
مسلم ، كتاب النكاح ، ٢/١٠٤٠ .

(٢) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب ٤ ، بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا الا بالنية ٢/١١٠٣ .

(٣) سيرة ابن هشام " عدتهن وشأن الرسول معهن " ٢/٦٤٧ ، وانظر : ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم ، أمهات المؤمنين ٢/٦٤٣ .

رابعا : ما أخرجه البخارى[1] من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودنا منها قالت :" أعوذ بالله منك " . فقال لها : لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك . أ . هـ . وليس فيه أنها الحارثية (كما ذكر القرظي) .

فان سأل سائل : هل طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير الجونية ؟

قلنا : روى أحمد[2] بسنده ، عن كعب بن زيد - أو زيد بن كعب - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوج امرأة من بنى غفار ، فلما أدخل عليها وضع ثوبه وقعد على الفراش ، أبصر بكشحها بياضا ، فانحاز عن الفراش ، ثم قال خذى عليك ثيابك ولم يأخذ مما أتاها شيئا . أ . هـ ، لكن لم يصح هذا الحديث لضعف جميل بن زيد الطائي[3] .

" تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا" .

- ٥١ -

٣٣٩) كن نساء وهبن أنفسهن لرسول الله لم يدخل بهن ولم يضرب عليهن الحجاب ولم يتزوجهن أحد بعد ، منهن أم شريك .

٣٤٠) كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موسعا عليه فى قسم أزواجه يقسم بينهن كيف يشاء وذلك قول الله :" وذلك أدنى أن تقر أعينهن" ، اذا علمن أن ذلك من الله .

---

(١) البخارى ، كتاب الطلاق ، باب من طلق . وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق " ٧ / ٣٦ ، حديث ٥٢٥٤ .

(٢) المسند ٣ / ٤٩٣ .

(٣) انظر : الملحق رقم ١٥

أخرجهما ابن سعد [1] ، ومن يتأمل الأثرين سنداً ومتنا يظهر له عدة أمور . منها :

أولا : ضعف السند . فكلاهما من طريق الواقدى ، ويزيد ثانيهما أنه من رواية زياد بن أبى زياد [2]

ثانيا : يفيد الأول من الأثرين أن الآية فى الواهبات أنفسهن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يفيد الثاني تخييره صلى الله عليه وسلم فى القسم بين نسائه ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وغيرهم ، كما حكاه ابن كثير [3] واختاره ابن جرير [4] ، وابن العربى [5] ، والقرطبى [6] ، مستدلين بما رواه البخارى ، من طريق معاذة [7] ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يستأذن فى يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية : " تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ" . فقلت لها : ما كنت تقولين ؟ قالت : كنت أقول له : ان كان ذاك اليّ فانى أريد يا رسول الله أن لا أوثر عليك أحدا" أ . هـ . [8]

ثالثا : يتبين من سياق الأثرين اختلاف قول مفسرنا فى الآية مع أن الآية اذا انضمت الى ما قبلها تفيد العموم ، أعنى من تهب نفسها للنبي

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٢٠١ ، ١٧٢ .

(٢) انظر الملحق رقم : ٢٤ .

(٣) ابن كثير ٢٢/ ٥٠٨ .

(٤) الطبرى ٢٢/ ٢٧ .

(٥) أحكام القرآن ٣/ ١٥٦٨ .

(٦) القرطبي ١٤/ ٢١٤ .

(٧) انظر : الملحق رقم ٧٣ .

(٨) البخارى ، كتاب التفسير ، باب ٢٢٢ ، قوله : " ترجى من تشاء منهن وتؤى اليك من تشاء " ٦/ ٩٨ . حديث ٤٧٨٩

صلى الله عليه وسلم - ، ومن كانت فى عصمته فله ارجاء من يشاء منهنّ وايواء من يشاء، الاّ أن حديث عائشة السابق ، نص فى أن المراد من كنّ فى عصمته بدليل قولها :" أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم "- كان يستأذن فى يوم المرأة منا " .

وصواب القول عندى : أنه يجب القسم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين نسائه ، شأنه فى ذلك شأن سائر الأمة ، كما تقرر فى الأصول من أن الأصل فى الخطاب شموله - صلى الله عليه وسلم - الاّ فيما ثبت فيه خصوصيته ،.

ويدل على وجوب القسمة فى حقه صلى الله عليه وسلم . أدلة كثيرة . منها :

أولا : حديث عائشة المتقدم . - وأعنى قولها : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يستأذن فى يوم المرأة منا ...الحديث" . فلو كان له التخييربين القسم وعدمه ما احتاج الى الاستئذان .

ثانيا : ما رواه أبوداود [1] من حديث عائشة - رضي الله عنها - فى شأن سودة . وفيه قالت : " يا ابن اختى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم من مكثه عندنا ، وكان قل يوم إلاّ وهو يطوف علينا جميعا ، فيدنوا من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ الى التى هو يومها ، فيبيت عندها ، ولقد قالت سودة بنت زمعة - حين أسنت وفرقت - أن يفارقها رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " يا رسول الله يومى لعائشة فقبل ذلك رسول الله منها .

قلت : ويستفاد من هذا الحديث أمران :

الأول : أن دنوه عليه الصلاة والسلام من نسائه حين طوافه عليهنّ حتى ينتهى بصاحبة النوبة ، هو تفسير الايواء فى الآية .

---

(١) أبوداود ، كتاب النكاح ، باب القسم بين النساء ٢/ ٦٠١ .

الثاني : لو كان مخيرا ما أحوج الأمر سودة أن تهب نوبتها لعائشة .

ثالثا : و من الأدلة على وجوب القسم ما رواه البخارى ، من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم - كان يسأل أين أنا غدا ، وذلك فى مرضه الذى مات فيه ، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء ، فكان في بيت عائشة ، حتى مات عندها ... الحديث "[1] . فلو كان له صلى الله عليه وسلم التخيير فى القسم ما احتاج الى إذن أزواجه فى هذه الحال مع أنه ليس على المريض حرج . والله أعلم .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا " . - ٥٣ -

٣٤١) كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذا نهض الى بيته بادروه فأخذوا المجالس فلا يعرف ذلك فى وجه رسول الله ، ولا يبسط يده الى الطعام استحياء منهم ، فعوتبوا فى ذلك . فأنزل الله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ... " .

أخرجه ابن سعد[2] ، وفيه : أن من عادة أصحاب النبي - صلى الله عليه

---

(١) البخارى ، كتاب النكاح ، باب ١٥ ، "اذا استأذن الرجل نساءه فى أن يمرض فى بيت بعضهن فأذن له ٧ / ٣٠ . حديث ٥٢١٧

(٢) الطبقات الكبرى ٧ / ١٧٤ .

وسلم ـ مبادرته اذا نهض الى بيته حتى يضيقوا عليه المجلس ، وأن هذه العادة على الدوام ، وذلك مردود لأمرين :

الأول : أنه رواه ابن سعد ، عن الواقدى ، عن موسى بن عبيدة ، عن مفسرنا ، يرفعه الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا مرسل ضعيف الاسناد ، فلا يصلح للاستدلال به على ما تضمنه .

الثاني : ما ثبت فى صحيح الخبر ، أن هذه الآية هي آية الحجاب ، وقد نزلت بعد وليمته صلى الله عليه وسلم ـ على زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ فعن أنس بن مالك قال :" قال عمر ـ رضي الله عنه ـ : قلت : يا رسول الله : يدخل عليك البر و الفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله : آية الحجاب . وعنه رضي الله عنه قال :" لما تزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زينب بنت جحش ، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، واذا هو كأنه يتهيأ للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام ، قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، فجاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليدخل ، فاذا القوم جلوس ، ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بينى وبينه . فأنزل الله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ .... الآية " .

أخرجهما البخارى (١) ، والحديثان نص فيما ذكرناه ، وأن الآية نزلت فى سبب معين ، متضمنة من الآداب والأحكام الشرعية ، ما لو أخذ به الناس لاستقامت حالهم على الطريقة المثلى ، ولو صح قول مفسرنا ، لم يكن منافيا تلك الآداب والأحكام ، التى منها :

---

(١) البخارى ، كتاب التفسير ، باب ٢٢٣ ، قوله :" لا تدخلوا بيوت النبي ... الآية " . ٦/ ٩٨ حديث ٤٧٩٠ ، ٤٧٩١

أولا : أمر المؤمنات عامة ، ونساء النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة بالحجاب ، من غير ذوى المحارم .

ثانيا : على من دعى الى وليمة اجابة الدعوى ، تطييبا لخاطر الداعي ، ومن ثم المغادرة بعد أن يطعموا ، دون اطالة المكث الى حد يتأذى به صاحب الوليمة .

" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا " . - ٥٩ -

٣٤٢) كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين يؤذيهنّ ، فاذا قيل له قال كنت أحسبها أمة فأمرهنّ الله أن يخالفن زى الاماء ويدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ، تخمر وجهها الاّ احدى عينيها ، يقول : ذلك أدنى أن يعرف فلا يؤذين ، يقول ذلك : أحرى أن يعرفن .

أخرج هذا الأثر عن مفسرنا ابن سعد (١) ، من طريق شيخه الواقدى ، وفيه مسألتان :

أولاهما : تعيين السبب الذى من أجله أنزلت الآية .

ثانيهما : فى كيفية أمر المؤمنات بارخاء الجلابيب عليهنّ .

فالمسألة الأولى : وهي سبب نزول الآية . فقد روى فيه الواحدى (٢) خبرين :

أحدهما : عن أبى مالك ، قال : " كانت النساء المؤمنات يخرجن بالليل الى حاجتهنّ ، وكان المنافقون يتعرضون لهنّ ويؤذونهنّ . أ.هـ .

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ١٧٦ .

(٢) أسباب النزول ٣٨٢ .

والثاني: عن السدى ، وهو : " كانت المدينة ضيقة المنازل ، وكانت النساء اذا كان الليل ، خرجن يقضين الحاجة ، وكان فساق من فساق المدينة يخرجون ، فاذا رأوا المرأة عليها قناعا ، قالوا : هذه حرة ، فتركوها واذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا : هذه أمة ، فكانوا يراودونها . فأنزل الله تعالى هذه الآية . أ . هـ .

قلت : وهذان الخبران متفقان مع قول مفسرنا - لو صحا - فى المعنى لكن كلاهما مرسل ، ومهما يكن فان العبرة بعموم الآية ، وذلك أنها أمر للمؤمنات بالادناء عليهن من جلابيبهن اذا خرجن لحاجة ، حتى يتميزن ولا يتعرض لهن فاسق بأذية .

وأما المسألة الثانية : وهي كيف تدني المؤمنة عليها من جلبابها .

فقد أخرج ابن جرير الطبرى[1] فى ذلك قولين لأهل التفسير .

أحدهما : تغطية الرأس والوجه بالجلباب ، وترك عين واحدة ، وهو قول ابن عباس ، وعبيده السلماني .

الثاني : قول ابن عباس فى الرواية الثانية ، وقتادة ، ومجاهد ، وأبى صالح ، وهو شد الجلباب على الجبهة .

وعندى أن أول القولين أظهر ، لأنه هو الأفضل لستر المرأة . والله أعلم .

" لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا " . - ٦٠ -

٣٤٣) يعنى المنافقين بأعيانهم ، والذين فى قلوبهم مرض ، شك ، يعنى المنافقين أيضا . رواه ابن سعد[2] عن الواقدى ، عن أسامة بن زيد بن أسلم ،

---

(١) الطبرى ٢٢ / ٤٩ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨ / ١٧٦ .

عن مفسرنا ، وفيه مسألتان ، وهمـــا : تفسير المنافقين ، والذين فى قلوبهم مـرض :

المسألة الأولى :

لا يخفى أن المنافقين هم الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر، ومـا ذكره مفسرنا بقوله : بأعيانهم لا ينافى هذا المعنى ، ولكنه يريد أن الآيـة نزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعيدا لأناس معروفين لديه ، ومن أولئك النفر عبد الله بن أبى بن سلول ، وهو رأس المنافقين بالمدينة .

المسألة الثانية :

وهي تفسير المرض بالشك ، وأن المعنى بذلك هم المنافقون ، فصحيـح لأن المرض فى القرآن ـ كما ذكره الدامغاني[1] ـ يطلق على أربعة معـان : منها الشك ، والفجور ، وكلا المعنيين من صفات المنافقين ، يدل على الأول قولـه : " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّـهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ "[2] .

والآيات الثلاث تتضمن أوصاف المنافقين . ويدل على المعنى الثانـي: آية الأحزاب هذه . فقد أخرج الطبرى[3] ، عن عكرمة ، وقتاده ، وأبى صالـح ، وابن زيد أن المراد بالذين فى قلوبهم مرض ، هم أهل الفجور من المنافقـين ، ولا ريب أن الشك فيما جاء عن الله ورسوله ، وكذا حب الهوى والشهوة لمـن أعظم النفـاق .

وبهذا يتبين لك صحة ما قالـه مفسرنا فى المعـنى .

* * *

(١) قاموس القـرآن ٤٣٢ " مادة (مرض) " .
(٢) البقـرة ٨ : ١٠ .
(٣) الطـبرى ٢٢ / ٤٧ .

" يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" . - ١٣ -

قوله : " اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا " :

٣٤٤) الشكر تقوى الله والعمل بطاعته . أخرج هذا الأثر ابن جرير (١) . ويشهد لصحة معناه ما رواه الترمذى (٢) ، من حديث أبى كبشة الأنمارى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - :" ... انما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل رحمه ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ، فهو نيته ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما ، فهو يتخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لىّ مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء " . أ . هـ .

ووجه الدلالة من هذا الحديث ان من وفق فى غناه التقوى وصلة الرحم ، كان شاكرا لأنعم الله عليه ، كما أن من حرم ذلك التوفيق كان جاحدا افضل الله عليه منكرا له .

وبهذا يظهر لك صحة قول القرظي ، ولا يضره أنه من رواية موسى بن عبيده ، وابن حميد شيخ الطبرى .

" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ " . - ٢٨ -

---

(١) الطبرى ٢٢/٧٢ .

(٢) الترمذى ، كتاب الزهد ، باب ١٧ ، ما جاء مثل الدنيا أربعة نفر ٤/٥٦٢ .

قولـــه :" وَمَـا أَرْسَلْنَـاكَ إِلاَّ كَافَّـةً لِّلنَّـاسِ" :

٣٤٥) للناس عامـــة . حكاه السيوطي (١) ، نقلا عن ابن أبى حاتم ، وقـــد جاء من الأدلة الكثيرة ما يشهد لصحة قول مفسرنا هذا ، قال تعالى :" قُـلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًـا" (٢) . وأخرج البخارى (٣) من حديـث جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :" أعطيـت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ... الحديث" . وفيه :" وكان النبي يبعث الـى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامـة" . أ . هـ .

فقد دلت الآية والحديث معا ، على عموم رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه لا نبي بعده حتى قيام الساعة .

" قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" . ـ ٤٦ ـ

قولـه :" أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ" :

٣٤٦) يقوم الرجل مع الرجل أو وحده فيتفكر ، ما بصاحبكم من جنة . يقـول: أنه ليس بمجنون . حكى هذا الأثر الامام السيوطي (٤) ، نقلا عن ابن أبى حاتم .

والآية الكريمة ظاهرة فيما قال مفسرنا وذلك أن الله جل وعلا دعـــا المشركين من قريش ، وقد اتهموا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ انكارا لرسالتـه بالجنون الى أن يتجردوا من الهوى والتعصب الأعمى ، فيقوموا قيام الصـادق المنصف متفكرين فيما قد علموه من حسن سيرته صلى الله عليه وسلم وصدقـــه وأمانته ، وقد علموا قبل مبعثه اليهم من رجاحة عقلة ومكانته فى النسب ما تقوم

---

(١) الدر المنثـــور ٢٢ / ٧٠٢ .
(٢) الأعـــراف ١٥٨ .
(٣) البخارى ، ١ / ٦٢ (كتاب التيمـم) . حديث ٣٣٥
(٤) الدر المنثـــور ٢٢ / ٧١٠ .

به عليهم الحجة فى تصديقه والايمان بما جاء به . وبنحو ما قاله مفسرنا قال مجاهد ، وقتاده ، فيما أخرجه ابن جرير .[1]

" وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ " . - ٥٢ -

قوله : " وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ " :

٣٤٧) طلبوا الرجعة الى الدنيا والتوبة مما هم فيه ، وليس بحين رجعة ولا توبة . حكى هذا الأثر ابن كثير[2] - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم قال وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله .

قلت : وأخرج ابن جرير[3] نحوه ، عن مجاهد ، والضحاك ، وغيرهما .

ووجه دلالة الآية على صحة معنى هذا الأثر أنها متضمنة أمرين :

الأول : اقرار الكفار بالايمان يوم القيامة .

والثاني : استبعاد جدوى ذلك الايمان ، وقد كانوا فرطوا فى الدنيا يوم كانوا يملكون أمرهم ، ونظيرها قوله تعالى : " وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ "[4] .

* * *

---

(١) الطبرى ٢٢ / ١٠٤ .

(٢) ابن كثير ٢٢ / ٥٥٢ .

(٣) الطبرى ٢٢ / ١١٠ .

(٤) السجدة ١٢ .

" اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً " . - ٤٣ -

قوله : " وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ " :

٣٤٨) ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به ، من مكر ، أو بغى ، أو نكث.

ثم قرأ : " وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ " . " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ " (١) . " فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ " (٢) .

حكى هذا الأثر الحافظ السيوطي (٣) ، وعزا اخراجه الى ابن أبى حاتم ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، ونظرا لعدم حكمي عليه من حيث اسناده لفقد مصادره ، فلابد لنا من وقفتين :

احداهما : عند معنى الآية . والأخرى : عند قول مفسرنا .

الوقفة الأولى :

أن معنى الآية الكريمة فى غاية الظهور ، وذلك أن الله يخبر أن عاقبة المكر السئ لا تعود الا على أصحابه ، ومن نظائر ذلك قوله : " مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ " (٤) . وهذا كمال العدل .

الوقفة الثانية :

أن الناظر الى قول مفسرنا يتضح له افادة الأثر أن المكر والبغي والنكوث

---

(١) يونس ٢٣ .
(٢) الفتح ١٠ .
(٣) الدر المنثور ٢٢ / ٣٦ .
(٤) فصلت ٤٦ .

فى العهد ، لا ينجو فاعلها من عقاب الله ، وهذا ألفهم منه رحمه الله لـــه احتمـــالان :

الاحتمال الأول :

اذا كان مراده أن فاعل تلك الخصال لا ينجو من العقاب مع الاصـــــرار وعدم المبالاة بسوء العواقب المترتبـة عليها فى الدنيا والآخرة . فهذا صحيح ويدل له ما أخرجه البخارى (١) ، من حديث أبى موسى ـ رضي الله عنه ـ قـــال: " قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إن الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلتـــه ... الحديث " .

والاحتمال الثاني :

أن يريد بقوله عدم النجاة من العقاب مطلقا ، ففير صحيح لما ثبت مـــن الأدلة الصحيحة أن التوبة تكفّـر الخطايا وان عظمت . ومنها ما أخرجـــــه ابن ماجـه (٢) ، من حديث ابن مسعود ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلـــم : " التائب من الذنـب كمن لا ذنب لـــه " .

* * *

* *

*

---

(١) البخارى ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة هود ، باب ١٤١ ، قولـــه : وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى ... الآية " . ٦/٦٢ ، حديث ٤٦٨٦

(٢) ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ٣٠ ، ذكر التوبة ٢/١٤٢٠ .

" مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ " . - ٤٩ -

٣٤٩) " ان الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه اسرافيل ، فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر ، قال أبوهريرة : " يا رسول الله : وما الصور ؟ قال : قرن ، قال : وكيف هو ؟ قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات : الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله اسرافيل بالنفخة الأولى ، فيقول : انفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض إلاّ من شاء الله ، ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر ، وهي التي يقول الله : " مَا يَنْظُرُ هَؤُلاَءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " . ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق ، فيقول : انفخ نفخة الصعق ، فيصعق أهل السماوات والأرض الاّ من شاء الله ، فاذا هم خامدون ، ثم يميت من بقى ، فاذا لم يبق الاّ الله الواحد الصمد بدّل الأرض غير الأرض والسماوات . فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم فى هذه المبدلة فى مثل مواضعهم من الأولى ، ما كان فى بطنها كان فى بطنها ، وما كان على ظهرها كان على ظهرها .

أخرجه الطبرى(١) عن المفسر ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

تقدم .

" هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ " . - ٥٦ -

قوله : " الأَرَائِكِ " :

---

(١) الطبرى ٢٣ / ١٤ .

٣٥٠) هـي : السرر تحت الحجال . حكى هذا الأثر الحافظ ابن كثير[1] ، عن مفسرنا ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتاده ، وغيرهم ، من أهل التفسير ، وما قاله أولئك الأئمة فى الآية ـ عدا قول المفسر ـ أخرجه ابن جرير الطبرى[2] ، بألفاظ متقاربة ، والذى يتأمل ما عرضه الكتاب الكريم يجد أن اتكاء أهل الجنة جاء على صور متعددة . منها على السرر ، ومنها " على الأرائك" ، ومنها على الفرش . فمن الأول : " عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ "[3] ، ومن الثاني : " مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا "[4] ، ومن الثالث : " مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ "[5] .

والذى يظهر من هذه الصور ونظائرها أن الأرائك هي السرر مع ما عليها من فرش ، والعلم عند الله .

" سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ " - ٥٨ -

٣٥١) " اذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار أقبل يمشى فى ظلل من الغمام والملائكة ، فيقف على أول درجة ، فيسلم عليهم فيردون عليه السلام ، وهو فى القرآن : " سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ " . فيقول : " سلوا فيقولون ما نسألك وعزتك وجلالك لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثقلين لأطعمناهم ولسقيناهم ولكسوناهم . فيقول : سلوا ، فيقولون : نسألك رضاك . فيقول : رضائى أحلكم دار كرامتى فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهى ، قال : ولو أن امرأة من الحور العين طلعت لأطفأ ضوء سواريها الشمس والقمر . فكيف بالمسوّره ؟ " .

---

(١) ابن كثير ٢٣ / ٥٨٢ .
(٢) الطبرى ٢٣ / ٢٠ .
(٣) الواقعة ١٦ .
(٤) الانسان ١٣ .
(٥) الرحمن ٥٤ .

٣٥٢) " اذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة . قال : فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام . قال القرظي : " وهذا في كتاب الله : " سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ " ؟ . فيقول : سلوني فيقولون: "ماذا نسألك أي رب ؟ . قال : بل سلوني . قالوا : " نسألك أي رب رضاك قال : " رضائي أحلكم دار كرامتي . قالوا : يارب وما الذي نسألك ؟فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك ، لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ولأسقيناهم ولألبسناهم ولأخدمناهم ، ولا ينقصنا ذلك شيئا . قال : ان لدي مزيدا ، قال : فيفعل الله ذلك بهم في درجة حتى يستوي في مجلسه ،قال ثم تأتيهم التحف من الله تحملها اليهم الملائكة " .

٣٥٣) " اذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل يمشي في ظلل من الغمام ويقف ، قال : ثم ذكر نحوه ، الا أنه قال : فيقولون : فمذا نسألك يارب فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو أنك قسمت علينا أرزاق الثقلين ، الجن والانس لأطعمناهم ولسقيناهم ولأخدمناهم من غير أن ينقص ذلك شيئا مما عندنا . قال : بل فسلوني ،قالوا : نسألك رضاك . قال : رضائي أحلكم دار كرامتي فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي الى مجلسه " .

أخرج هذه الأحاديث ابن جرير الطبري[1] باسناده ، عن مفسرنا يرفعها الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكنها مرسلة ،ومدارها على سليمان بن حميد[2] المدني ، فقد أفادت تلك الأحاديث عدة أمور منها :

أولا : مجيء الرب تبارك وتعالى ماشيا الى أهل الجنة في ظلل من الغمام والملائكة ، وذلك بعد الفراغ من حساب الخلائق .

ثانيا : تسليم الله على أهل الجنة كل أصحاب درجة على حده .

---

(١) الطبري ٢٣/ ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سليمان بن حميد المدني . تقدم ص٣٤

ثالثا : سؤاله اياهم أن يسألوه المزيد من النعيم ، ولابد لنا خيال هذه الأمور من ايضاحات أربعة :

أولا : أن كل نعيم من الله الى أهل الجنة متصور ، ممكن ، على وجه العموم ، وقد صح أنه جل وعلا يقول : " أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر "[1] . لكن ما يتعلق بصفات الله توفيقى لا مجال للعقل فيه .

ثانيا : السلام فى آية (يس) هذه مجمل يحتمل التسليم أى أن الله يحيى أهل الجنة بالسلام ، كما يحتمل السلامة ، وقول مفسرنا لم يصح رفعه الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذا حديث جابر عند الهيثمي وفيه قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " بينما أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا بالرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة . فذلك قوله تعالى : " سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ..." الحديث " . قال الهيثمي بعد اخراجه : " رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى وهو ضعيف "[2] .

قلت : وعلى هذا فان تسليم الله على أهل الجنة مشافهة فيه نظر لعدم صحة ما يستدل به عليه ، فيجب قصر التسليم على ما ورد فى صريح الكتاب ، وأنه من الملائكة ، ومن ذلك قوله تعالى : " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ... الآية " .[3]

ثالثا : صح فى الخبر مخاطبة الله أهل الجنة على غير النحو الذى جاء عن

---

(١) مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤ / ٢١٧٤ / ٢٨٢٤ .

(٢) انظر : الملحق رقم ٥٥

(٣) الزمر : ٧٣ .

مفسرنا ، من ذلك ما رواه مسلم ، من حديث أبى سعيد الخدرى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " ان الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك . فيقول : " هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يارب وأى شئ أفضل من ذلك ؟ . فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا" . (١)

رابعا : صريح الكتاب دليل على أن مجئ الله فى ظلل من الغمام والملائكة قبل حساب الخلائق . قال تعالى : " هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ" . (٢)

" وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ - ٥٩ - أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِى ءَادَمَ أَنْ لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ - ٦٠ - وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" - ٦١ -

٣٥٤) اذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ، ثم يقول : " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِى ءَادَمَ أَنْ لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ... الآية" الى قوله : "... هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ" . فيتميز الناس ويجثون وهو قول الله : "وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ ... الآية" . (٣) هذا خبر مرفوع أخرجه ابن جرير (٤) من رواية عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسماعيل بن رافع ، عمن حدثه ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبى هريرة ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكن هذا الاسناد ضعيف ـ كما قدمنا غير مره ـ من حال المحاربي ، واسماعيل ابن رافع ، ويزيد هنا أن الراوى ، عن المفسر مبهم ، وكما أن الخبر ضعيف السند ، فانه منكر المتن ، ووجه النكارة فيه وصف العنق الذى يخرج من جهنم بالسطوع والظلمة ، هذان ضدان لا يجتمعان مما يزيد الخبر ضعفا على ضعفه .

---

(١) مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب احلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا ٤ / ٢١٧٦ حديث ٢٨٢ .

(٢) البقرة ٢١٠ .

(٣) الجاثية ٢٨ ، وتمامها : " وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون " .

(٤) الطبرى ٢٣ / ٢٢ .

((تفسير سورة الصافات))

" لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون " - ٤٧ -

قوله : " ولا هم عنها ينزفون " :

٣٥٥) لا تذهب عقولهم . حكى هذا الأثر ابن كثير[1] عن مجاهد . ثم قال : وكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، والحسن ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ، والسدى وغيرهم .

قلت : فقول مجاهد ، وابن عباس ، والسدى . أخرجها بن جرير[2] وكلها متفقة فى المعنى على أن خمر الجنة لا تغلب شاربيها فتذهب عقولهم ، وهذه العلة هي التى يرشد اليها ظاهر الآية الكريمة ، فان الله جل وعلا نفى عن خمر الآخرة أمرين وهما الغول : وهو الفساد ، أو وجع البطن . والثاني: الانزاف : وهو ذهاب العقل كما ذكره الأئمة[3] .

" طلعها كأنه رؤوس الشياطين " . - ٦٥ -

٣٥٦) هم الشياطين بأعيانهم ، شبه بها لقبحها . حكى هذا الأثر البغوى[4] عن ابن عباس ومفسرنا بقوله : لأن الناس اذا وصفوا شيئا بغاية

---

(١) ابن كثير ٨/٢٣ .

(٢) الطبرى ٥٥/٢٣ .

(٣) قال مكي بن أبى طالب فى الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ٢٢٤/٢ قوله : " ينزفون " قرأه حمزة والكسائي بكسر الزاى ، وقرأ الباقون بفتحها ، وقرأ الكوفيون بكسر الزاى فى الواقعة وفتحها الباقون . وحجة من كسر ، أنه جعله من (أنزف ينزف) اذا سكروا . المعنى : ولا هم عن الخمر يسكرون فتزول عقولهم . أى : تبعد عقولهم كما تفعل خمر الدنيا . انتهى محل الغرض .
قلت : وهذا ما ذهب اليه مفسرنا ومن وافقه .

(٤) البغوى ٢٩/٢٣ .

القبح . قالوا : كأنه شيطان ، وان كانت الشياطين لا ترى لأن قبح صورتها متصور في النفس وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي .

قلت : ذكر الله عن شجرة الزقوم أمرين :

أولهما : تعريفها وبيان فظاعتها وذلك بقوله : " إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ " . (١) فلما استقر في نفوس المخاطبين ذلك الحال القبيح ذكر .

الأمر الثاني : وهو تشبيه طلع تلك الشجرة بشئ مستقر في نفوسهم قبحه وبشاعته ، وهو رؤوس الشياطين فقال : " طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ " (٢) . وهذا ما استحسنه ابن كثير .

" فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ " . - ١٠١ -

٣٥٧) اسماعيل عليه السلام . ذكر هذا الأثر السيوطي (٣) وعزا اخراجه الى ابن المنذر ، وسعيد بن منصور ، ويدل على صحة ما ذكره مفسرنا من أن المبشر به في الآية اسماعيل - عليه السلام - قوله تعالى : " وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ " . (٤) ووجه دلالة هذه الآية على أن المبشر به من قوله : " فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ " هو اسماعيل أمران :

أحدهما : أن ذكر البشارة باسحاق جاء عطفا على الآيات التي في سياق قصة الذبيح ، فالمبشر به آخر الآيات غير المبشر به أولها ، وهذا هو الأصل ، لأن العطف يقتضي المغايرة ، فلو كان المبشر به شيئا واحدا لكان تكرارا دون فائدة . وكلام الله منزه عن ذلك .

---

(١) الصافات ٦٤ .

(٢) ابن كثير ١٢/٢٣ .

(٣) الدر المنثور ١٠٢/٢٣ .

(٤) الصافات ١١٢ .

الأمر الثاني : أن النص اذا احتمل التأسيس والتأكيد وجب حمله على التأسيس وسيأتى مزيد من الايضاح فى الآثار الآتيـة بعـد .

" فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّيَ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ".

- ١٠٢ -

قولـه : " يَا بُنَيَّ إِنِّيَ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ " :

٣٥٨) ان الذى أمر الله ابراهيم بذبحه من بنيه اسماعيل وانا لنجد ذلـك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبح ابنه اسماعيل وذلك أن الله يقول - حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم ، قال : " وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ " . يقول : بشرناه باسحاق ومن وراء اسحـاق يعقوب ، يقول بابن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح اسحاق وله فيه من اللـه الموعود ، ما وعده الله ، وما الذى أمر بذبحه الاّ اسماعيل .

أخرجه ابن جرير (١) ، والحاكم (٢) ، كلاهما عن ابن اسحاق ، عنْ مفسرنـا ، واليه أشار البغوى (٣) ضمن القائلين أن الذبيح اسماعيل .

٣٥٩) ذكر لعمر بن عبد العزيز ذلك ، وهو خليفة اذ كان معه بالشـام ، فقال له عمر : ان هذا الشئ ما كنت أنظر فيه ، وانى لأراه كما هو ، ثم أرسـل الى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً ، فأسلم فحسن اسلامه ، وكان يـرى أنه من علماء يهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك . فقال محمد بن كعـب : " وأنا عند عمر بن عبد العزيز . فقال عمر : أى ابنى ابراهيم أمر بذبحـه ؟ فقال : اسماعيل . والله يا أمير المؤمنين ، وان يهود لتعلم بذلك ولكنهـم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه والفضـل

---

(١) الطـبرى ٢٣ / ٨٤ .

(٢) المستـدرك ٢ / ٥٥٥ .

(٣) البغـوى ٢٣ / ٣٢ .

الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحاق أبوهم ، فالله أعلم أيهما كان ، كل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لربه .

أخرجه ابن جرير ،[1] من طريق ابن اسحاق ،عن بريدة الأسلمي ،[2] عن مفسرنا .

٣٦٠) سأل عمر بن عبد العزيز رجلا كان من علماء اليهود ، أسلم وحسن اسلامه : أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : اسماعيل ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ان اليهود لتعلم ذلك ،و لكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله تعالى بذبحه ، ويزعمون أنه اسحاق ابن ابراهيم ، ومن الدليل عليه أن قرنى الكبش كانا منوطين بالكعبة فى أيدى بنى اسماعيل ، الى أن احترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج .

أخرجه البغوى من[3] طريق أبى معشر .

فهذه الآثار كلها ضعيفة الاسناد . وفى أقوال مفسرنا مجتمعة مسألتان :

الأولى : إن الذى أمر ابراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذبحه من ابنيه هو : اسماعيل ، وذلك فى أرجح قولى المفسرين ، وبه قال ابن عباس، والحسن، والشعبي ، فى احدى الروايتين عنهم ، وابن عمر ، ومجاهد ، وأحمد ابن حنبل ،وغيرهم . وقال جماعة من أهل التفسير : " أن الذى أمر ابراهيم بذبحه هو: اسحاق ، وبه قال الثورى ، وعبيد بن عمير، وابن مسعود ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والسدى ، وقتادة ، وكعب الأحبار ، وأبوهريرة ، وابن عباس ، والحسن ،والشعبي ،فى الرواية الثانية عنهم . وكلا القولين حكاه البغوى[4] ، وابن كثير[5] وغيرهما .

---

(١) الطبرى ٢٣ / ٨٤ .

(٢) تقدم ص٣٢٩

(٣) البغوى ٢٣ / ٣٢ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) ابن كثير ٢٣ / ٢٠ .

ومما يستدل به لأهل القول الثاني ما رواه ابن أبي حاتم باسناده الى أبي هريرة [1]، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " ... ان الله تعالى لما فرّج عن اسحاق كرب الذبح قيل له يااسحاق سل تعطى ". انتهى محل الشاهد . وما رواه ابن جرير [2]، من حديث العباس بن عبد المطلب أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " هو اسحاق " . ويرد الاستدلال بأن كلا الحديثين غير صحيح ، وذلك أن في اسناد الأول عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، وفي اسناد الثاني الحسن بن دينار [3]، وعلي بن زيد بن جدعان [4] وثلاثتهم ضعفاء ، وبقية ما يستدلون به في الغالب مأخوذ من الاسرائيليات، وعلى هذا فقول مفسرنا ومن وافقه أسعد بالدليل من أوجه :

أحدها : ما قدمناه في الأثر السابق من أن المبشر به هو اسماعيل .

ثانيها : صريح ظاهر القرآن وذلك في قوله تعالى : " فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ " [5]. ووجه الدلالة من الآية في بشارة الله الخليل وزوجه ساره بأنه سيولد لهما ولد ويعيش ثم يولد له ، وهذا أمر كوني قدري لا يتخلف ، فهل يعقل أن يبشر به أولا ثم يؤمر بذبحه صغيرا ؟! لو كان ذلك لكان في غاية التناقض ، اذ إنه يخلف موعود الله لهما والله منزه عن ذلك .

المسألة الثانية : أن قرني كبش اسماعيل بقيا معلقين بالكعبة حتى عهد الحجاج، وابن الزبير ، ولا أرى هذا الا من مناكير أبي معشر ، ولا أدل على ذلك من استحالة بقاء القرنين آلاف السنين بدءً من عهد الخليل ـ عليه السلام ـ حتى منتصف القرن الأول الهجري .

* * *

---

(١) ابن كثير ١٨/٢٣

(٢) الطبري ٨١/٢٣ .

(٣) انظر : الملحق رقم ١٨

(٤) انظر : الملحق رقم ٤٨

(٥) هود ٧١ .

((تفسير سورة ص))

" ص " . - ١ -

٣٦١) الصاد مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد .
أخرجه البغوى (١) .

تقدم دراسة مثل هذا الأثر .

" كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ " . - ٣ -

قوله : " فَنَادَوْا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ " :

٣٦٢) نادوا بالتوحيد حين تولت عنهم الدنيا واستناصوا (٢) للتوبة حين تولت الدنيا عنهم . حكاه ابن كثير (٣) من غير عزو .

٣٦٣) نادوا بالتوحيد والعقاب حين مضت الدنيا عنهم ، فاستناصوا التوبة حين زالت الدنيا عنهم . حكاه السيوطي (٤) ، وعزاه الى ابن المنذر ، وعبد بن حميد . وعند النظر فى قولى مفسرنا هذين يظهر أمران :

الأول : أن المشركين نادوا بوحدانية الله والاقرار برسالاته معلنين التوبة حين معاينتهم العقاب ، لكن دون جدوى ، ومن شواهد ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى : " فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ " (٥) .

الأمر الثاني : فى أثر السويطي كلمة العقاب ، والمعنى : أن المشركين حين

---

(١) البغوى ٢٣ / ٤٧ .
(٢) استناص : تأخر . انظر : اللسان ٤٥٧٦ (مادة "ناص") .
(٣) ابن كثير ٢٣ / ٢٩ .
(٤) الدر المنثور ٢٣ / ١٤٥ .
(٥) غافر ٨٤ ، ٨٥ .

نزول بأس الله بهم نادوا على أنفسهم بعقاب الله ، فاما أن تكون الكلمة محرفة عن العتاب من قبيل بعض النساخ ، واما أن تكون على ظاهرها ، فان كانت كذلك ، فأخشى أنها من منكرات الربذى أو أبى معشر ، ويرد عليه أنه لم يعرف من كافر قط أن دعى على نفسه بالعقاب حين معاينته بأس الله ، فهذا أشد أعداء الله ، ومدعى الألوهية دونه ، فرعون يقول حين أحس بالهلكة فيما قصه الله عنه : " وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ "(١) .

" مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ" . - ٧ -

قوله : " مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ " :

٣٦٤) ملة عيسى . أخرجه ابن جرير(٢) ، وهو قول ابن عباس ، والسدى ، وقال مجاهد وقتاده ، وابن زيد : " هي ملة قريش".

قلت : والقولان متكافئان من حيث القائلون بكل منهما ، ولكن يترجح عندى قول المفسر ومن وافقه لأمرين :

الأول : أن دين عيسى هو آخر الأديان السماوية قبل رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذا معروف لدى المشركين ، كما أنهم يعلمون أن اليهود هم أتباع موسى عليه السلام .

الثاني : أن فى قريش بعض معتنقي الديانة النصرانية ، مثل ورقة بن نوفل .

" كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ" . - ١٢ -

قوله : " ذُو الْأَوْتَادِ " :

---

(١) يونس ٩٠ .

(٢) الطبرى ٢٣ / ١٢٦ .

٣٦٥) ذو البناء المحكم . أخرجه عن مفسرنا ، وابن عباس ، البغوى [1] ، وحكاه ابن قتيبة [2] . فقال : " فرعون ذو الأوتاد " ذو البناء المحكم . والعرب تقول : " هم فى عز ثابت الأوتاد ، وملك ثابت الأوتاد " . يريدون أنه دائم شديد . وأصل هذا ، أن البيت من بيوتهم يثبت بأوتاده .

قال الأسود بن جعفر : " فى ظل ملك ثابت الأوتاد " . وقال قتاده : وغيره : " هي أوتاد كانت لفرعون يعذب بها الرجل فيمده بين أربعة منها حتى يموت " . أ . هـ .

قلت : وفيما يظهر لى أنه لا منافاة بين المعنيين ، لأن توتيد الشئ تثبيته . قال تعالى : " وَالجِبَالَ أَوْتَادًا " [3] . يعنى مثبتات للأرض . والله أعلم .

" وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " . ٠ - ١٥ -

٣٦٦) ان الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور . فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره ينتظر متى يؤمر . قال أبوهريرة : يا رسول الله وما الصور؟ . قال : قرن . قال : كيف هو؟ . قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات : نفخة الفزع الأولى ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين . يأمر الله اسرافيل بالنفخة الأولى ، فيقول : " انفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السماوات والأرض الا من شاء الله ، ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهي التى يقول : " وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " .

أخرجه الطبرى [4] .

تقدم .

---

(١) البغوى ٢٣ / ٤٩ .

(٢) تفسير غريب القرآن ٣٧٦ .

(٣) النبأ ٧ .

(٤) الطبرى ٢٣ / ١٣٢ .

" وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ ..". - ٢١ -

الى قوله تعالى :

"... فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ". - ٢٥ -

٣٦٧) كان داود قد قسم الدهر ثلاثةأيام : يوم يقضى فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوم يخلو فيهلنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب ، فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب . قال : يارب ان الخير كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى ، فأعطنى مثل ما أعطيتهم وافعل بى مثل ما فعلت بهم . قال : فأوحى الله اليه :" ان آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ، ابتلى ابراهيم بذبح ابنه ، وابتلى اسحاق بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف ، وانك لم تبتل من ذلكبشئ ، قال : يارب ابتلنى بمثل ما ابتليتهم وأعطنى مثل ما أعطيتهم . قال : " فأوحى إليه إنك مبتلى فاحترس، قال : فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، اذ جاءه الشيطان قد تمثل فى صورة حمامة من ذهب ، حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلى فمد يده يأخذه ، فتنحى فتبعه ، فتباعد حتى وقع فى كوه ، فذهب ليأخذه فطار من الكوه ، فنظر أين يقع فيبعث فى أثره . قال : فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا ، فحانت منها التفاته فأبصرته ، فألقت شعرها فاستترت به ، قال : فزاده ذلك فيها رغبة ، قال : فسأل عنها فأخبر أن لها زوجا ، وأن زوجها غائب بمسلحة كذا أو كذا ، قال : فبعث الى صاحب المسلحة أن يبعث " أهريا " الى عدو كذا وكذا ، قال : فبعثه ففتح له ، قال : وكتب اليه بذلك . قال : فكتب اليه أيضا : أن ابعثه الى عدو كذا ، أشد منهم بأسا . قال : فبعثه ففتح له أيضا ، قال : فكتب الى داود بذلك ، قال : فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا فبعثه . فقتل المرة الثالثة . قال : وتزوج امرأته . قال : فلما دخلت عليه . قال : لم تلبث عنده الا يسيرا حتى

بعث الله ملكين فى صورة انسيين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته ، فمنعهما أن يدخلا ، فتسوروا عليه المحراب ، قال : فما شعر وهو يصلى ، اذ هو بهما بين يديه جالسين . قال : ففزع منهما ، فقالا : " لا تخف " انما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تُشطط . يقول : " لا تحف (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) .: الى عدل القضاء . قال : فقال : قصا عليّ قصتكما ، قال : فقال أحدهما : " إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ " . فهو يريد أن يأخذ نعجتى ، فيكمل بها نعاجه مئة . قال : فقال للآخر : ماذا تقول ؟ . فقال : ان لى تسعا وتسعين نعجة ، ولأخى هذا نعجة واحدة ، فأنا أريد أن آخذها منه ، فأكمل بها نعاجى مئة ، قال : وهو كاره ؟ قال : وهو كاره قال : وهو كاره . قال : وهو كاره ؟ قال : اذن لا ندعك وذاك . قال : ما أنت على ذلك بقادر . قال : فان ذهبت تروم ذلك أو تريد ، ضربنا منك هذا وهذا وهذا . وفسر أسباط طرف الأنف وأصل الأنف والجبهة ، قال : يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا ، حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة ، ولم يكن لأهريا الاّ امرأة واحدة ، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته وتزوجت امرأته . قال : فنظر فلم ير شيئا ، فعرف ما قد وقع فيه ، وما قد ابتلى به . قال : فخر ساجدا قال : فبكى . قال: فمكث يبكى ساجدا أربعين يوما ، لا يرفع رأسه الاّ لحاجة منها ، ثم يقع ساجدا يبكى ، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه . قال : فأوحى الله اليه بعد أربعين يوما : " يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك . فقال يارب كيف اعلم انك قد غفرت لى وأنت حكم عدل لا تحيف فى القضاء ، اذا جاءك أهريا يوم القيامة آخذ رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما فى قبل عرشك . يقول : يارب سل هذا فيم قتلنى ؟ قال : فأوحى اليه : " اذا كان ذلك دعوت أهريا فاستوهبك منه ، فيهبك لى ، فأثيبه بذلك الجنة ، قال : رب الآن علمت أنك قد غفرت لى ، قال : فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم .

قال السيوطي[1] ـ بعد حكايته هذا الأثر ما زيا اخراجه عن السدى الى الطبرى[2] ، والحاكم[3] ، وأخرج ابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي نحوه .

قلت : وأثر السدى هذا هو عند الطبرى بتمامه وهذا لفظه وعند الحاكم مختصرا ، لكنه ضعيف الاسناد ، لأن مداره فى كلا الطريقين على أسباط ابن نصر[4] مع الارسال ، وقد اشتمل الخبر على أمور منكرة لا تليق بشخص داود ـ عليه السلام ـ وقد جعله الله نبيا داعيا اليه ، وملكا يحكم فى أرضه بالعدل ومن تلك المنكرات التى لا يقبل الأثر معها ولو صح سنده . :

أولا : سؤاله من ربه البلاء حين دعاه أن يعطيه مثل ماأعطى آباؤه ابراهيم ، واسحاق ويعقوب ، وقد أخبره ربه أنهم ماأعطوا ما فضلهم الله به عليه الا بالبلايا العظيمة ، فما كان من داود عليه السلام ، الا أن سأل فى مقابل هذا العطاء الفتنة ، وهذا مردود بما صح به الخبر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لا تمنوا لقاء العدو واذا لقيتموه فاصبروا"[5] ، فالحديث دليل على عدم جواز تمنى الفتنة ، لكن اذا وقعت وجب عليها الصبر .

فان قال قائل : كيف تحتج على نفى سؤال داود الفتنة بما جاء فى شرعنا ؟ فجوابنا : أن دين الأنبياء جميعا هو الاسلام ، وقد أمر الله جل ذكره نبينا بالاقتداء بالسابقين من أخوانه الأنبياء . فقال: " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ"[6] . ومن جملة من أمر نبينا صلى الله

---

(١) الدر المنثور ٢٣ / ١٦١ .

(٢) الطبرى ٢٣ / ١٤٧ .

(٣) المستدرك ٢ / ٥٨٦ .

(٤) انظر: الملحق رقم ٨

(٥) رواه البخارى ، من حديث أبى هريرة ، كتاب الجهاد ، باب لا تمنوا لقاء العدو ٤ / ٥٠ حديث ٣٠٢٦

(٦) الأنعام ٩٠ .

عليه وسلم بالسير على نهجهم ، وأنه خير نهج داود عليه السلام .

ثانيا : أفاد هذا الأثر أن نبي الله داود قد بلغ من العشق والغرام في زوجة جنديه أهريا ، ما حمله على حسد زوجها ، فصار يدفع به في المعارك ، المعركة تلو المعركة حتى قتل ، وسنحت الفرصة الثمينة ليضم الى نسائه التسع والتسعين تلك المرأة التي ما هدأت نفسه ولا سكن فؤاده حتى تخلص من زوجها . سبحان الله العظيم ، ان هذا الأمر لا يقبل نسبته الى عقلاء الناس وصالحيهم ! فكيف بنبي من أنبياء الله الذين يدعون الى شريعته ويحكمون بالعدل بين عباده ، هذا ضرب من المحال ، والاّ كان داود ممن قال الله فيهم : " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " (١) .

وبعد : فرب سائل يقول : هل ورد من غير طريق السدى والقرظي قول في فتنة داود وسببها ؟ .

فالجواب : قد جاءت الرواية عند ابن جرير (٢) وغيره في ذلك عن بعض السلف ، مثل ابن عباس وابن حسن ، لكننا لا نقر الخوض فيما جاء عن الأنبياء مجملا في كتاب الله دون الاستناد الى نص ثابت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ونهجنا في ذلك - ان شاء الله - نهج أهل الحق من الوقوف عند ظاهر ذلك القصص ، وما أحسن ما قاله ابن كثير (٣) - رحمه الله - : " قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديث لا يصح سنده ، لأنه من رواية يزيد الرقاشي (٤) ، عن أنس - رضي الله عنه - ويزيد وان كان من الصالحين ، لكنه ضعيف الحديث

---

(١) البقرة ٤٤ .

(٢) الطبري : ٢٣/١٤٦ ، ١٤٨ .

(٣) ابن كثير : ٢٣/٣٤ .

(٤) انظر الملحق رقم : ٨ .

عند الأئمة ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يرد علمها الى الله عز وجل ، فان القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضا". أ. هـ.

قلت : ولا أرى مسلكا أفضل من هذا للسلامة من القدح فى أعراض المصطفين الأخيار ، فهم صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من ثلاثة أشياء :

أولا : الوقوع فى الخطأ بما أمروا بتبليغه .

ثانيا : الوقوع فى كبائر الذنوب مثل الزنا والسرقة والقذف والحسد .

ثالثا : الوقوع فى صغائر الخسة نحو اللمس والقبلة .

ولعل الحافظ ابن كثير فى اشارته الى حديث أنس ، عند ابن أبى حاتم يعنى ما رواه الطبرى[1] من حديث أنس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال " ان داود النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين نظر الى المرأة فأهم ، قطع على بنى اسرائيل ، فأوصى صاحب البعث فقال : اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدى التابوت ، لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته ، ففطن داود فسجد ، فمكث أربعين ليلة ساجدا ، حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه ... الحديث". وهو منكر وغريب وفى سنده الرقاشي ، وأبوصخر وابن لهيعة ومثله تطوى صحيفته فلا يحتج به فى اثبات ما ينسب الى أنبياء الله من الوقوع فى الآثام .

" وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ " . ـ ٥٢ ـ

٣٦٨) قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم (أتراب) قال سن واحد . حكاه السيوطي[2] ، نقلا عن سعيد بن منصور وابن المنذر ، وبنحو ما قال مفسرنا فى هذه الآية . قال قتادة ، والسدى . حكاه عنهم ابن جرير[3] ، وهو تفسير صحيح خال من التكلف والغرابة .

قال الراغب[4] : " وقوله : " أبكارا عربا أترابا . **وكواعب أترابا ـ وعندهم قاصرات الطرف أتراب** "أى لدات تنشأن معا تشبيها في التساوى والتماثل والترائب ، التى هى ضلوع الصدر أو لوقوعهن معا على الأرض. انتهى محل الغرض .

---

(١) الطبرى : ٢٣ / ١٥٠ .
(٢) الدر المنثور : ٢٣ / ١٦٩ .
(٣) الطبرى : ٢٣ / ١٧٤ .
(٤) المفردات ((تراب)) : ٧٤ .

((تفسير سورة الزمر))

" قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " . - ٥٣ -

٣٦٩) هي للناس أجمعين . رواه ابن جرير (١) ، كما أخرج نحوه ، عن ابن عمر وعلى ، وعن ثوبان ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ويفيد هذا الأثر أن الآية دعوة لكل مسرف على نفسه بعدم القنوط من رحمة الله ، ويشهد لما ذهب اليه من هذا العموم دليلان :

الأول : قوله تعالى : " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا " . (٢)

ووجه الدلالة من هذه الآيات ثلاثة أمور :

أولا : شدة وعيد مرتكب الشرك وقتل النفس المحرمة والزنا .

ثانيا : وعد الله اياه بالمغفرة مع التوبة والعمل الصالح .

ثالثا : تبديل سيئاتهم تلك وغيرها حسنات .

الدليل الثاني : سياق آيات الزمر من قوله : " يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ... الآية " . الى قوله : " ... بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ " . (٣)

ووجه الدلالة من هذا السياق أن الآيات حث للمسرفين على أنفسهم

---

(١) الطبرى ٢٤ / ١٦ .

(٢) الفرقان ٦٨ : ٧٠ .

(٣) الزمر ٥٣ : ٥٩ .

الى أن يبادروا . عدة أمـــور منهـــا :

اتباع أحسن ما أنزل اليهم من ربهم وذلك قبل نزول العذاب فيندمون حين لا ينفع الندم ، وقد رجح هذا العموم ابن جرير الطبرى ، بعد ذكره أقوال المفسرين الأخرى فى الآيـــة .

فان احتج أحد أن الآية نزلت فى سبب خاص بمثل ما رواه البخـــارى[1] ، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : "إن أناسا من أهل الشـــرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : " ان الذى تقول وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزل : "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَـــقِّ وَلَا يَزْنُونَ " . ونزل : " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـــهِ " .

فالجواب : إن هذا الحديث وما شابهه مفيدا خصوصية سبب نزول الآية وذلك لا ينافى ما ذكرناه من عمومها ، لما هو معلوم أن العبرة بعموم اللفـــظ لا بخصوص السبب ، ولكن لما صح من سبب النزول أولوية الدخول فى المعنى .

وبما قدمنا من الشواهد يتضح أن ما جاء عن القرظي ـ رحمه الله ـ فـــى آية الزمر هذه صحيح المعنى ، ولا يضره أنه من رواية أبى صخر .

" وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَـــاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِـــهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُـــونَ " . - ٦٧ -

قولـــه : " وَمَا قَـــدَرُوا اللَّهَ حَـــقَّ قَـــدْرِهِ " :

٣٧٠) لو قدروا الله حق قدره ما كذبوا . حكاه ابن كثير[2] غير معزو ولا مسند ،

---

(١) البخارى ، كتاب التفسير ، سورة الزمر ، باب قوله : " يا عبادى الذيـــن أسرفوا على أنفسهم ... الآية " . ٦/١٠٤ . حديث ٤٨١٠

(٢) ابن كثـــير ٢٤/٦٧ .

لكنه صحيح المعنى ، ويشهد له ظاهر الآية ، ومعناها أن المشركين لو عظموا الله حق تعظيمه لآمنوا به وبنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وبنحو ما قال مفسرنا ، جاءت الرواية عند ابن جرير (١) ، عن ابن عباس والسدى .

" وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ " . - ٦٨ -

٣٧١) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ينفخ في الصور ثلاث نفخات : الأولى : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين تبارك وتعالى . يأمر الله اسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض ، الا من شاء الله . قال أبوهريرة : " يا رسول الله فمن استثنى حين يقول : ففزع من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله ؟ " . قال : أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الأحياء . أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم . ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق . فيقول : انفخ نفخة الصعق ، فيصعق أهل السماوات والأرض الا من شاء الله ، فاذا هم خامدون . ثم يأتي ملك الموت الى الجبار تبارك وتعالى فيقول : يارب قد مات أهل السماوات والأرض الا من شئت . فيقول له وهو أعلم : " فمن بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقي حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل، فيقول الله له : اسكت انى كتبت الموت على من كان تحت عرشي ، ثم يأتي ملك الموت فيقول : يارب قد مات جبريل وميكائيل . فيقول الله - وهو أعلم - : من بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقي حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله : فليمت حملة العرش فيموتون . ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور فيقول : أى رب قد مات حملة عرشك . فيقول : من بقي وهو أعلم . فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا . قال : فيقول الله أنت من خلقي خلقتك لما رأيت فمت لا تحى . فيموت " أخرجه الطبرى (٢) .

تقدم دراسته .

---

(١) الطبرى ٢٤ / ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ٢٤ / ٣٠ .

" ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد " . - ٣٢ -

قوله : " يوم التناد " :

٣٧٢) يأمر الله اسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفزع ، ففزع أهل السماوات وأهل الأرض الا من شاء الله ويأمره الله أن يديمها ويطولها فلا يفتر ، وهي التي يقول الله : " وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق " . فيسير الله الجبال فتكون سرابا ، فترج الأرض بأهلها رجا وهي التي يقول الله : " يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة " فتكون كالسفينة المرتعة في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها ، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الأرواح فيميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة ، حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا ، وهو الذي يقول الله : " يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم " (١) .

أخرجه الطبري (٢) . تقدمت دراسته . وفيه أن وقوع تناد الناس بعضهم بعضا حين نفخة الفزع . والصواب : ما أخرجه ابن جرير (٣) عن ابن زيد وقتادة أن ذلك يوم القيامة ، يدل على له ما أوضحناه من القول في تلك النفخة مستشهد بن بحديث عبد الله ابن عمر (٤) " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب " . - ٤٦ -

قوله : " غدوا وعشيا " :

٣٧٣) ليس في الآخرة ليل ولا نصف نهار ، وانما هو بكرة وعشي . وذلك في القرآن في آل فرعون : " يعرضون عليها غدوا وعشيا " . وكذلك قال لأهل

---

(١) غافر ٣٣

(٢) الطبري ٢٤ / ٦١ .
(٣) الطبري ٢٤ / ٦٠١ - ٦١ .
(٤) تقدم ص ٣١٦ .

الجنـــة :"وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا "[1] . أخرجه ابن جرير ، وفى سنده سليمان بن حميد المدني ، الراوى عن المفسر ، وفى الأثر دمج وخلط بـــين هذه الآية من سورة غافر ، وآية أخرى من سورة مريم ، ذكرهما على سبيـــــل الاستدلال ، لما يراه من أنه ليس فى الآخرة ليل ولا نـهار ،وهذا يجرنـــــا لبيان ثلاثة أمـــور :

أولها : أن هذه الآية نص صريح فى ثبوت عذاب البرزخ ، ويدل له من السنة قوله صلى الله عليه وسلم :" انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ..... الحديث "[2] . وهذا هو قول أهـــل الحـــق .

وثانيها: عرض آل فرعون على النار أول النهار وآخره ، وذلك أن الآية اخبـــار أهل الدنيا عن قوم أهلكوا فيها بعاجل العذاب ، وبدليل قوله فـــى نفس الآيـة :" ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب". فحاصل ذلك أن أولئك القوم جمع لهم بين عذابـــين :

أحدهما : قبل القيامة ،وهو عرضهم على النار غدوا وعشيا .

الثانـــي : فى الآخرة بادخالهم أشد العذاب فى النـــار .

الأمر الثالث: أنه ليس فى الآخرة ليل ولا نهار ، وانما يراد بالغدو والعشي مقدار ذلك ، قال ابن كثير - عند تفسير :" وَلَهُمْ فِيهَا رِزْقُهُمْ بُكْـــرَةً وَعَشِيًّا "[3] :" أى فى مثل وقت العشيات لا أن هناك ليلا ونهارا ،ولكنهم فى أوقات تتعاقب يعرفون مضيّها بأضواء وأنوار" . ثم حكى فى المعنى عن ابن عباس ،والضحاك ، وغيرهمـــا .[4]

---

(١) الطـــبرى ٢٤ / ٧١ .

(٢) البخارى ، من حديث ابن عباس ، كتاب الجنائز ، باب الجريد على القبر ٢ / ٨٣ . حديث ١٣٦١

(٣) مريـــــم ٦٢ .

(٤) ابن كثـــير ١٦ / ١٣٦ .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[1] : " فيه سؤال معروف ، وهو أن يقال : ما وجه ذكر البكرة والعشي مع أن الجنة ضياء دائم ولا ليل فيها ؟

وللعلماء عن هذا السؤال أجوبة :

الأول : أن المراد بالبكرة والعشي : قدر ذلك من الزمن ، كقوله : " غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ " . وروى معنى هذا عن ابن عباس ، وابن جريج وغيرهما .

الجواب الثاني : أن العرب كانت في زمنها ترى أن من وجد غداء وعشاء ، فذلك الناعم . فنزلت الآية مرغبة لهم ، وان كان ما في الجنة أكثر من ذلك . ويروى هذا عن قتادة ، ويحى بن كثير ، والحسن .

الجواب الثالث : أن العرب تعبر عن الدوام بالبكرة والعشي ، والمساء والصباح ، كما يقول الرجل : " أنا عند فلان صباحا ومساء ، وبكرة وعشي . يريد الديمومة ، ولا يقصد الوقتين المعلومين " ... الى آخر ما ذكره من الأجوبة الخمسة ملخصا من القرطبي[2] وغيره .

قلت : وهذا الأخير هو الأرجح عندى ، بدليل قوله تعالى : " أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا " .[3]

* * *

---

(١) أضواء البيان ٤ / ٣٤٠ .

(٢) القرطبي ١١ / ١٢٦ .

(٣) الرعد ٣٥ .

" وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " . - ٢٨ -

قوله : " وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ " :

٣٧٤) يعنى جعل وصية ابراهيم التى أوصى بها بنيه باقية فى نسله وذريته ، وهو قوله عز وجل : " وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ " . أخرجه البغوى (١) ، وفيه أن المعنى بهذه الآية وصية ابراهيم لبنيه ، وهي الوصية التى جاءت فى سورة البقرة : " وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٢) " . وهذا التفسير بعيد وغريب جدا ، وذلك أن مفسرنا فى هذا القول أرجع الضمير ، الى غير مذكور فى سياق الآيات ، وسبب هذا البعد ما عرفته فى أكثر من مرة ، من أن مرويات البغوى عن مفسرنا من طريق أبى معشر ، والصحيح أن ما جعله ابراهيم - عليه الصلاة والسلام - باقيا فى عقبه هو : اعلانه فى أبيه وقومه وحدانية الله عز وجل ، وخلع ما يعبدونه من الأوثان ، وليس فى سياق الآيات غير ذلك . قال تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " . (٣)

قال الامام ابن كثير : " يقول الله تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليله امام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الأنبياء الذى تنتسب اليه قريش فى نسبها ومذهبها : " أنه تبرأ من أبيه وقومه فى عبادتهم الأوثان . فقال : " إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ " . أى هذه الكلمة ، وهي الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه

---

(١) البغوى ٢٥ / ١٣٧ .

(٢) البقرة ١٣٢ .

(٣) الزخرف ٢٦ : ٢٨ .

من الأوثان ، وهي لا الـه الاّالله ، أى جعلها دائمة فى ذريته تقتدى به فيها من هداه الله تعالى من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام" .أ .هـ.(١)

قلت : ويؤيد ذلك ما جاء فى سورة الممتحنة . قال تعالى :" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ... الآية " .(٢)

" وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ". - ٣١ -

قوله :" مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ " :

٣٧٥) مكة والطائف . حكاه ابن كثير(٣) ، عن مفسرنا ، وابن عباس وعكرمة ، وقتاده ، والسدى ، وابن زيد ، وأقوال هؤلاء الأئمة ـ عدا مفسرنا ، وعكرمة ـ أخرجها ابن جرير(٤) ، وكلهم متفقون على أن المعنى بالقريتين فى الآية : مكة والطائف ، وهو أمر فى غاية الوضوح لقرب القريتين من بعضهما واتصال كل واحدة بالأخرى اتصالا وثيقا ، والآية اخبار عن بعض مواقف المشركين من قريش ، فى تنكرهم لما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يمكن أن ينصرف الى الذهن آنذاك الى اطلاق القريتين على غير مكة والطائف ، لأنه لا يعرف لدى القوم قريتان غيرهما بهذه المثابة .

" وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ" .-٣٦-

قوله : وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ " :

---

(١) ابن كثير ٢٥ / ١٣٦ .
(٢) الممتحنة ٤ .
(٣) ابن كثير ٢٥ / ١٣٧ .
(٤) الطبرى ٢٥ / ٦٦ .

٣٧٦) يـول ظـهـره عن ذكر الرحمن وهو القرآن . رواه البغوى[1] ، وما قالـه مفسرنا من أن العشي تولية الظهر ، وأن الذكر فى الآية هو القرآن تـفسـير صحيح ، فتولية الظهر عن الذكر : اعراض عنه ، ويشهد له قوله تعالى : " وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى "[2] .

ووجه الدلالة من الآية على صحة قول مفسرنا ، أن تولية الظهر عنـد سماع الذكر كناية عن الاعراض عنه ، اذا صحبه عدم الرضا والاستنكار ، ولا يتنافى تفسيره هذا مع ما حكاه ابن قتيبة[3] ، عن بعض أهل اللغة من أن تفسير العشى ظلمة فى البصر ، لأن التولى والاعراض : ظلمة فى القلب والبصيرة ، ومنهـا قوله تعالى : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ "[4] .

" فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ " . - ٥٥ -

قولـه : " فَلَمَّا ءَاسَفُونَا " :

٣٧٧) أغضبونـا . حكاه ابن كثير[5] ، عن الضحاك ، ثم قال : " وهكـذا قال ابن عباس أيضا ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن كعب القرظي ، وقتاده ، والسدى ، وغيرهم من المفسرين .

قلـت : ويشهد لصحة هذا التفسير أن هذه الآية وما قبلها وما بعدها نص فى أن سبب ما حل بآل فرعون من النكال هو اغضابهم الله ، اذ كفروا بـه وبرسوله موسى عليه الصلاة والسلام . قال تعالى حكاية عن فرعون وشـدة

---

(١) البغـوى ٢٥ / ١٣٩ .
(٢) طـه ١٢٤ .
(٣) تفسير غريب القرآن ٣٧٥ .
(٤) الحـج ٤٦ .
(٥) ابن كثـير ٢٥ / ١٤١ .

عتـــوه : " فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ" . (١)

" ولما ضرب ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ " . - ٥٧ -

قولـــه : " إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ " :

٣٧٨) يضجـــرون . أخرجه البغوى (٢) ، وفى هذا الأثر تفسير صـــد المشركين حين ضرب ابن مريم عليه السلام مثلا بالضجر ، وهذا تفسير غريـب لم أجد من أهل التفسير من قـال بـه .

والصـواب : أن الصدود ههنا يعنى به الجزع والضجيج ، ويوضـح ذلك ما حكاه ابن اسحاق من قصة عبد الله بن الزبعـرى - قبل اسلامه - مـع النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ابن اسحاق : " ثم قام رسول الله - صلـى الله عليه وسلم - وأقبل عبد الله بن الزبعـرى السهمي حتى جلس ، فقال الوليد ابن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى : " والله ما قام النضر بن الحارث لابـن عبد المطلب آنفا ، وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هـذه حطب جهنم . فقال عبد الله بن الزبعرى : أما والله لو وجدته لخصمتـه ، فسلوا محمدا : أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ؟ فنحـن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم - عليهما السلام ، فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ان كل من أحب أن يعبد مـن دون الله فهو مع من عبده ... الخ " . أ . هـ . (٣)

---

(١) الزخـــرف ٥٤ : ٥٦ .

(٢) البغـــوى ٢٥ / ١٤٣ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٥٩ .

قلـــت : وقد دلت القصة على عـــدة أمـــور منهـــا :

أولا : غلبـه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قومه بالحجة على بطلان مـــا يعبدونه من دون اللـــه .

ثانيا : زعم المشركين أن ابن الزبعرى قد أحسن فيما حاج به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك حين احتج بمساواته عيسى ابن مريم والملائكـــة وعزيرا بمعبوداتهم ، وعلى هذا الزعم بأن من عبد من الأنبياء والملائكـة مع آلهـة المشركين سواء في النار ، استدلالا بقوله تعالى : " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ... الآية ".(١) حتى قـــال قائلهم : رضينا أن نكون وآلهتنا وعيسى ابن مريم ، وهذه المحاجـــة مجادلة بالباطل ، واستكبارا عن الحق ، مما جعل القوم يضجـــون زعما منهم أنهم غلبوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالقضيـــة اذا ليست قضية ضجر ، بل سخرية وتهكم ، وذلك ما توضحه الآيـــات ، قال تعالى : " فَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ".(٢)

" أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُـــونَ".

- ٨٠ -

٣٧٩) بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها ، قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي ، فقال واحد من الثلاثة : " أترون الله يسمع كلامنا ؟ . فقال الأول : اذا جهرتم سمع ، واذا أسررتم لم يسمع ، قال الثاني : ان كان يسمع اذا أعلنتم ، فانـــه يسمع اذا أسررتم ، قال : فنزلت : " أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُـــمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِـــمْ يَكْتُبُـــونَ " .

---

(١) الأنبيـــاء ٩٨ .

(٢) الزخـــرف ٥٧ ، ٥٨ .

رواه ابن جرير [1] ، وفى سنده عمرو بن سعيد بن يسار القرشي [2] ، ويفيد الأثر أن الآية نزلت فى سبب معين ، وقد دلت هذه الآية - مع التى قبلها - على ثلاثة أمور (لو صح سبب نزولها كما جاء عن مفسرنا ما كان منافيا لها) :

وأول تلك الأمور : أن المشركين مهما يحكموا من المكر والكيد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به من الحق والهدى ، فان الله أعظم منهم مكرا وأشد احكاما ، كما قال تعالى : " أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ " . [3]

الأمر الثاني : أن الله محيط بأعمال عباده وأقوالهم ، ما كان ظاهرا منها أو خافيا ، فهو يسمع السر من القول والنجوى .

الأمر الثالث : انه تعالى من كمال عدله جعل مع العباد حفظة ، يكتبون كل ما صدر عنهم ، كما قال تعالى : " هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " . [4] وقال : " وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ " . [5]

* * *

---

(١) الطبرى ٢٥ / ١٠٠ .

(٢) عمرو بن سعيد بن يسار القرشي : الملحق ، رقم ٤٢

(٣) الطور ٤٢ .

(٤) الجاثية ٢٩ .

(٥) الانفطار ١١ .

=((تفسير سورة الدخان))=

" وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ " - ٢٤ -

قوله : " رَهْوًا " :

٣٨٠) طريقا مفتوحا . ذكر هذا الأثر السيوطي[١] ، وعزاه الى ابن عبد الحكم ، وقول مفسرنا فى الآية صحيح ، وذلك أن الله أمر نبيه موسى - صلى الله عليه وسلم - فى الآية قبلها أن يسرى بعباد الله المؤمنين من مصر ليلا ، لأن فرعون وجنوده سيتبعونهم ، ثم أمره أن يترك البحر على حاله التى ولجه هو وبنو اسرائيل ، ثم خرجوا منه عليها ، ومعنى هذا أن يتركه ساكنا ، فالمقصود من أمر الله نبيه موسى بضربه البحر ، أن يفتح لهم فيه طريقا يبسا ، وبنحو ما قال مفسرنا قال ابن عباس ، وكعب الأحبار . أخرجه ابن جرير .[٢]

فما بكت عليهم السَّمَاءُ والأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ " - ٢٩ -

٣٨١) قوله : " فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ " :

ان الأرض لتبكى من رجل ، وتبكى على رجل ، تبكى على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله عز وجل ، وتبكى ممن كان يعمل على ظهرها بمعصية الله تعالى ، ثم قرأ : " فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ "، رواه ابن المبارك[٣] عن مفسرنا ، ورواه أبونعيم[٤] ، من طريق ابن المبارك ، وزاد: (وقد أثقلها) ، واسناده فى كتاب الزهد صحيح . فقد جاء فيه :"أخبركم أبوعمر بن حيوية[٥] ، وأبوبكر الوراق[٦] ، قالا : أخبرنا يحيا[٧] حدثنا الحسين[٨] قال :

---

(١) الدر المنثور ٢٥ / ٤١٠ .
(٢) الطبرى ٢٥ / ١٢١ .
(٣) الزهد والرقائق ١٥٠ .
(٤) الحلية ٣ / ٢١٣ .
(٥) انظر: الملحق رقم ١٠٠
(٦) هو محمد بن اسماعيل بن محمد . انظر: الملحق رقم ٩٢
(٧) يحيا بن محمد بن صاعد . انظر: الملحق رقم ٨٧
(٨) الحسين بن الحسن المروزى . انظر: الملحق رقم ٢٠

"أخبرنا ابن المبارك . قال :" أخبرنا داوود بن قيس . قال :" سمعت محمد بن كعب القرظي ، ثم ذكر الخبر ، وفي الأثر نص على أن الأرض تبكي من فقد المؤمن المطيع ، كما أنها تبكي من وجود العاصي ، ولبيان هذين الأمرين ، لابد لنا من ثلاثة ايضاحات :

أولا : في الآية - كما ترى - نفى بكاء السماء والأرض على آل فرعون ، وأنهم لم يمهلوا . قال ابن كثير:" لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء ، فتبكي على فقدهم ، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها ، فقدتهم ، فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ، ولا يؤخروا لكفرهم واجرامهم وعتوهم وعنادهم " . أ . هـ .(١)

الايضاح الثاني : في بكاء السماء والأرض على فقد المؤمن بمعنى أنه يبكي على المؤمن ، المكان الذي يعبد الله فيه ، ومصعد عمله من السماء ، فهذا ما جاءت به الآثار مرفوعة وموقوفة ، وتفصيلها كما يلي :

أولا : عن أنس بن مالك ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " ما من مؤمن الا وله بابان ، باب يصعد منه عمله ، وباب ينزل منه رزقه ، فاذا مات بكيا عليه ، فذلك قوله عز وجل :" فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ " . أ . هـ .(٢)

أخرجه بهذا اللفظ الترمذي ، كما أخرجه أبويعلى(٣) ، وأبونعيم(٤) ، بنحوه ، ولكنه في جميع طرقه من رواية يزيد الرقاشي ، وعند

---

(١) ابن كثير ٢٥ / ١٥٣ .

(٢) الترمذي ، كتاب التفسير " سورة الدخان" ٥ / ٣٨٠ . حديث ٣٢٥٥ .

(٣) مسند أبويعلى الموصلي ٧ / ١٦٠ .

(٤) الحلية ٣ / ٥٣ .

الأولين من رواية موسى بن عبيده الربذى ، عن يزيد الرقاشي ، وكلا الرجلين ، كما تقدم ، ضعيف ، وعلى هذا فالحديث ساقط الاستدلال .

ثانيا : عن شريح بن عبيد الحضرمي قال :" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ، ألا لا غربة على المؤمن ، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والأرض ، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" فما بكت عليهم السماء والأرض " ، ثم قال :" انهما لا يبكيان على كافر " . أ.هـ. رواه الطبرى .[1]

قلت الحديث أرسله شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولعدم معرفة من أرسله عنه فان الخبر لا يصلح الاحتجاج به .

ثالثا : بنحو ماقدمنا من بكاء السماء والأرض على المؤمن جاءت الآثار الموقوفة عند ابن جرير[2] ، وابن كثير ،[3] عن غير واحد من المفسرين ، منهم : ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والضحاك ، فأقوال هؤلاء الأئمة مع مفهوم الآية والأحاديث تقوى القول ببكاء السماء والأرض على المؤمن دون الكافر .

الايضاح الثالث : لم أجد من الأئمة من قال مثل مفسرنا ببكاء الأرض من وجود العاصي عليها ، فلعله فهم منه . والله أعلم .

* * *

---

(١) الطبرى : ٢٥/١٢٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ابن كثير : ٢٥/١٥٣ .

=((تفسير سورة الجاثية))=

" قُلْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " . - ١٤ -

٣٨٢) نزلت في أناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل مكة ، كانوا في أذى شديد من المشركين من قبل أن يؤمروا بالقتال، فشكوا ذلك الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله هذه الآية ، ثم نسختها آية القتال . رواه البغوى (١) ، وذكر أنه قول السدى . وفي الأثر مسألتان :

احداهما : في سبب نزول الآية ، **والأخرى** في نسخها بآية القتال ، وحتى نبين كل واحدة منهما على حده . نقول :

المسألة الأولى :

وهي سبب نزول الآية ، فللمفسرين فيه أربعة أقوال :

أولها : قول المفسر ، والسدى ، عند البغوى ، وقد عرفت فيما أوضحنا مرارا أن ما جاء من هذا الطريق مرسل ضعيف الاسناد .

الثاني : أن رجلا من غفار شتم عمر بن الخطاب ، في مكة ، فأراد عمر البطش به . فنزلت الآية ، فأمر بالعفو عنه . رواه البغوى (٢) عن ابن عباس ومقاتل ، ويلاحظ على هذا القول أمران :

١- أنه لم يسنده ، فان كان قول ابن عباس من طريق عطاء - حسب ما ذكر البغوى في مقدمته ، فانه لم يسلم من تدليس ابن جريج .

٢- أن قول مقاتل مرسل شأنه شأن ما جاء عن المفسر والسدى ، وان كان ابن سليمان . (٣) فالبلية أعظم .

---

(١) البغوى ٢٥ / ١٥٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مقاتل بن سليمان . انظر : الملحق رقم Vo

الثالث : أن عبد الله بن أُبيّ ، أرسل غلامه يستقى له الماء من بئر يقال لها : المريسيع ، فأبطا عليه ، فقال له ما حبسك ؟ . فقال الغلام : " ان غلاما لعمر جلس على فم البئر فمنع الناس حتى ملأ قرب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقرب أبى بكر ، وملألمولاه . فقال ابن أبىّ ما مثلنا ومثل هؤلاء الاّ كما يقال سمّن كلبك يأكلك ، فاشتمل عمر سيفه ليقتله . فنزلت الآية ، وكان ذلك فى غزوة بنى المصطلق ، كذا رواه الواحدى (١) ، من رواية عطاء ، عن ابن عباس غير مسند ، وأظنه لا يخلو من الوهم ، فان الذى حدث فى غزوة بنى المصطلق - كما رواه البخارى - من حديث جابر - رضي الله عنه - قال : "كنا فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصارى: يا للأ نصار ، وقال المهاجرى ياللمهاجرين فسمعها الله رسوله ... الحديث " . وفيه أن عبد الله بن أبيّ قال : " أوقد فعلوا ؟ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل ، فقال عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه : " دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه " . ورواه الترمذى (٣) ، بنحوه ، وفيه صرح سفيان بقوله : " يرون أنها غزوة بنى المصطلق .

الرابع : عن ابن عباس قال : " لما نزلت هذه الآية : " مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا " . قال يهودى بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج رب محمد . قال : " فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج فى طلبه ، فجاء جبريل - عليه السلام - الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " إن ربك يقول لك : " قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ

---

(١) أسباب النزول ٣٩٩ .

(٢) البخارى ، كتاب التفسير " سورة المنافقين " ١٢٨/٦ . حديث ٤٩٠٧

(٣) الترمذى ، كتاب التفسير " سورة المنافقين " ٤١٨/٥ .

لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ " . واعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه وخرج فى طلب اليهودى ، فبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى طلبه فلما جاء قال : " يا عمر ضع سيفك ؟ قال : صدقت يا رسول الله أشهد أنك أرسلت بالحق . قال : إن ربك عز وجل يقول : " قُلْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ " . قال : لا جرم ، والذى بعثك بالحق لا يرى الغضب فى وجهي" . رواه الواحدى (١) واسناده ضعيف لمحمد بن زياد اليشكرى . (٢)

وبعد هذا السرد يتبين أن ما ذكره المفسرون من سبب نزول الآية غير صحيح .

المسألة الثانية :

وهي نسخ آية الجاثية هذه ، قال به ابن عباس ، ومجاهد ، وقتاده ، والضحاك ، وأبوصالح ، وابن زيد ، أخرجه عنهم ابن جرير (٣) . فقد اتفق هؤلاء الأئمة على أن الآية منسوخة ، وان اختلفوا فى الناسخ .

ويترجح عندى أن الآية عامة فى أمر المؤمنين بالتجاوز والصفح عن كل من لا يرجو أيام الله من منافق وكافر ، والصبر على أذاهم . لأدلة كثيرة منها :

أولا : أنه يتصدر الآية اسم موصول ـ الذين ـ وهو من ألفاظ العموم ، فلا يعدل عن ظاهر مدلوله الا بمخصص يجب التسليم له .

ثانيا : أن ما قدمناه من أسباب النزول ـ لو صح واحد منها ـ ما كان منافيا لعموم الآية ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

---

(١) أسباب النزول ٣٩٩ .

(٢) انظر : الملحق رقم ٦٣

(٣) الطبرى ٢٥ / ١٤٤ .

ثالثا : في قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمر وقد استأذنه في قتل ابن أبيّ - كما تقدم - دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه". دليل على أن العفو مع المقدرة على العقاب من مكارم الأخلاق ، التي جاء بها الاسلام ، وينبغي العلم أن هذا ما لم تنتهك حرمات الله ، فاذا انتهكت ، فقد وجب عقوبة المعتدين .

فهذه الأدلة وأمثالها مما لم نذكره وهو كثير ، أكبر شاهد على أن الآية محكمة غير منسوخة .

* * *

* *

*

=((تفسير سورة الأحقاف))=

" وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ" . - ٢٩ -

٣٨٣) لما انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الطائف، عمد الى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم اخوة ثلاثة : عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عقده بن غبره بن عوف بن ثقيف ، وعند أحد هم امرأة من قريش من بنى جمح ، فجلس اليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم الى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحد هم :" هو يمرط ثياب الكعبة (١) ،ان كان الله أرسلك ، وقال الآخر :" أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ! وقال الثالث : " والله لا أكلمك أبدا ،لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك . فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عند هم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم - فيما ذكر لى - :" اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى ،وكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبلغ قومه عنه ، فيذئرهم (٢) ذلك عليه ، فتعصبوا فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيد هم ، يسبونه ،ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ،وألجئوه الى حائط (٣) لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعه ،وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان قد تبعه ، فعمد الى ظل حبلة (٤) من عنب

---

(١) يمرط : أى ينزعه ويرمى به ،قاله ابن منظور (لسان العرب) ٤١٨٢ مرط ٤٦.

(٢) يذئرهم عليه : يثيرهم عليه ويجرئهم (لسان العرب) ١٤٨١/١٧ مادة (ذأر).

(٣) الحائط : البستان .

(٤) الحبله : شجرة العنب ،أو قضبانها . (لسان العرب) ٧٦٢ "مادة حبل".

فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران اليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما ذكر لى ـ المرأة التى من بنى جمح ، فقال لها :" ماذا لقينا من أحمائك ؟" .

فلما اطمأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ فيما ذكر لى ـ :"اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى[1] ؟ أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك علىّ غضب فلاأبالى ، ولكن عافيتك هي أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل علىّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الاّ بك " .

فلما رآه ابنا ربيعه : عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس ، فقالا له خذ قطفا من العنب ، فضعه فى هذا الطبق ، ثم اذهب به الى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه ، ففعل عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال له :" كل . فلما وضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه يده قال : بسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس فى وجهه ، ثم قال :" والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟ قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عداس : " وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ذاك أخى ، كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقبل رأسه ويديه وقدميه ،

---

(١) تجهمه : استقبله بوجه كريه . لسان العرب ٧١٤ .

يقول ابنا ربيعه أحدهما لصاحبه :" أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهم عداس . قالا له :" ويلك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديةوقدميه ؟ قال : " يا سيدى ما فى الأرض شئ خير من هذا ، لقدأخبرنى بأمر ما يعلمه الا نبي ، قالا له : ويحك يا عداس ،لا يصرفنك عن دينك ،فان دينك خير من دينه ، ثم إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم ـ فيما ذكر لى ـ سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له ،فلما فرغ من صلاته ، ولوا الى قومهم منذرين ،وقد آمنوا وأجابوا الى ما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل :" وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ..." الى قوله تعالى :" ... وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ "(١). وقال تبارك وتعالى :" قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ..." الى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة .

رواه ابن اسحاق(٢) عن يزيد بن زياد ، عن مفسرنا ، يبلغ به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وروى البغوى(٣) نحوه ، من طريق ابن اسحاق بنفس الاسناد ، ولم أجده غير مرسل ، وفى الخبر أمور كثيرة منها :

أولا : دعوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سادة ثقيف بالطائف وطلبه منهم النصرة ، وما كان من موقفهم السئ من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعوته .

ثانيا : ان استماع الجن القرآن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان بعد

---

(١) الأحقاف ٢٩ : ٣١ .
(٢) السيرة النبوية ١/ ٤١٩ .
(٣) البغوى ٢٦/ ١٧٢ .

منصرفه من الطائف ، وهذا فى الحقيقة وهم ، ويخالف ما صح به الخبر فى ذلك ، من حديث ابن عباس قال : " انطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب ، قال ما حال بينكم وبين خبر السماء الا ما حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذى حدث ، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذى حال بينهم وبين خبر السماء ، قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة ، الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنخلة ، وهو عامد الى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له ، فقالوا : هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا الى قومهم فقالوا : يا قومنا " إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا " . (١) وأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم : " قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ " . (٢) وانما أوحى اليه قول الجن . فالحديث ظاهر الدلالة على أن سماع الجن القرآن من النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل سفره ذلك الى الطائف ، وأنه فى أوائل البعثة ، وأما سفره صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، فانه فى أواخر مقامه بمكة قبل الهجرة بسنتين تقريبا .

* * *

---

(١) الجن آية ١ ، ٢ .

(٢) البخارى ، كتاب التفسير " سورة الجن " ٦ / ١٣٣ . حديث ٤٩٢١

-٦- " وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ " :

٣٨٤) يعرفون بيوتهم اذا دخلوا الجنة ، كما تعرفون بيوتكم اذا انصرفتم من الجمعة . حكاه ابن كثير.(١)

ومعنى هذا الأثر أن أهل الجنة يستدلون على بيوتهم فيها ومنازلهم منها ، كما يستدلون على ذلك فى الدنيا ، ويشهد لصحة ما قاله مفسرنا ما رواه البخارى(٢) من حديث أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى اذا نقوا وهذبوا ، أذن لهم بدخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة ، أدل بمنزله كان فى الدنيا " . أ . هـ .

* * *

* *

*

---

(١) ابن كثير ٢٦ / ١٨٨ .

(٢) البخارى ، كتاب المظالم ، باب قصاص المظالم ٣ / ١١٢ . حديث ٤٤٠

" يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " . - ١٧ -

٣٨٥) قدم عشرة رهط من بني أسد بن خزيمة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أول سنة تسع ، فيهم حضرمي بن عامر ، وضرار بن الأزور ، ووابصة بن معبد ، وقتاده بن القايف ، وسلمة بن حبيش ، وطلحة بن خويلد ، ونقاده بن عبدالله بن خلف ، فقال حضرمي بن عامر : " أتيناك نتدرع(1) الليل البهيم ، في سنة شهباء ، ولم نبعث الينا بعثا ، فنزلت فيهم : " يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا " . وكان معهم قوم من بني الزنيه ، وهم بنو مالك بن مالك بن ثعلبة بن داود بن أسد ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنتم بنو الرشده ، فقالوا : لا نكون مثل بني محوله ، يعنون بني عبدالله ابن غطفان .

رواه ابن سعد(2) ، عن مفسرنا والكلبي ، وفيه مسألتان :

الأولى :

أن سبب نزول الآية مقالة أولئك النفر من بني أسد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

الثانية :

تغيير نسب بني الزنيه الى بني الرشده .

ولكن الخبر مع ارساله ضعيف الاسناد جدا ، لأن قول مفسرنا من طريق

---

(1) وادّرع فلان الليل : اذا دخل في ظلمته يسرى ، والأصل فيه : تدرع كأنه لبس ظلمة الليل فاستتر به . اللسان (درع) ١٣٦٢ .

(2) الطبقات الكبرى ١ / ٢٩٢ .

الواقـدى ، وقول الكلبي من طريق ابنه هشـام[1] ، وليس الرجل أحسـن حالا من أبيه ، فان سأل سائل ، هل ذكر أحد الأئمة غير القرظي والكلـبي سبب نزول الآيـة ؟ .

فالجواب : أن هذه الآية ضمن سلسلة آيات السورة من قولـه : " قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّـا ..."[2] الى قوله :" ... إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ" . وقـد ذكر الأئمة ثلاث روايات فى سبب نزولهـا :

أولاهـا :

ما ذكره البغوى[3] ، والواحـدى[4] : قالا : نزلت فى أعراب من بنى أسـد ابن خزيمة ، قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة فى سنـة جدبـه ، فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين فى السر ، وأفسدوا طـرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها ، وكانوا يقولون لرسول الله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ :" أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، فأعطنا من الصدقة ، وجعلوا يمنون عليه ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآيـة ، أ . هـ . واللفظ للواحدى وهو غير معـزو .

الثانيـة :

ما حكاه ابن كثير[5] ، عن أبى بكر البزار ، من طريق سعيد بن جبـير ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال :" جاءت بنو أسد الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وقاتلك العرب ولم نقاتلك . فقال

---

(١) انظـر : الملحـق رقم ٨٣

(٢) الحجرات الآيات من ١٤ : ١٧ .

(٣) البغـوى ٢٦ / ٢٠١٨ .

(٤) الواحـدى ٤١٩ .

(٥) ابن كثـير ٢٦ / ٢٣٤ .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" ان فقههم قليل وأن الشيطان ينطق على ألسنتهم " . ونزلت هذه الآية :" يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " . . أ . هـ .

قلت : وفى سند هذا الأثر أبوعون (١) . لين الحديث .

الثالثة :

عن عبدالله بن أبي أوفى . قال : " أن أناسا من العرب قالوا : يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان ، فأنزل الله عز وجل :" يمنون عليك أن أسلموا ... الآية " أ . هـ .

قال الهيثمي (٢) ـ بعد اخراجه ـ :" رواه الطبراني فى الكبير والأوسط ، وفيه الحجاج بن أرطأه ، وهو ثقة ولكنه مدلس ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

قلت : وان كان فى كلام الهيثمي (٣) ـ رحمه الله ما يدل على ضعف هذه الرواية ، الاّ أن الخبر موافق لعموم الآية فى عدم تعيين تلك الطائفة من الأعراب .

والآثار الثلاثة فى جملتها تنقسم الى قسمين :

القسم الأول : ما كان غير معزو ، ولا مسند ، حتى يمكن الحكم عليه صحة أو ضعفا ، فهذا لا يصلح للاحتجاج وذلك قول البغوى والواحدى .

القسم الثاني : ما تبين لك ضعف سنده كما عند الهيثمي والبزار ، وبهذا يتضح أن الآيات نزلت فى طائفة من الأعراب جمعوا بين أمرين :

الأول : إقرارهم بالاسلام ظاهرا فقط .

الثاني : منّهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامهم .

* * *

---

(١) انظر الملحق رقم ١٠١

(٢) مجمع الزوائد ٧ / ١١٠ .

(٣) المصدر السابق .

﴿(تفسير سورة ق)﴾

" ق " - ١ - ٠

٣٨٦) هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض .
أخرجه البغوى (١) .

سبق دراسة مثل هذا الأثر .

" لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ " - ٣٥ -

٣٨٧) لو أن أدنى أهل الجنة نزل به أهل الجنة كلهم لأوسعهم طعاما وشرابا ومجالس وخدما . حكاه السيوطي (٢) ، وعزاه الى ابن المنذر ، وسعيد ابن منصور . ويشهد لصحة معناه أمران :

أولا : الآية . فان فيها اخبار من الله ، أنه أنعم على أهل الجنة بنعمتين :

الأولى : أن لهم فيها كل ما يشتهونه ويختارونه من أصناف النعيم ، كما قال تعالى : " وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ " (٣) .

وما ذكر مفسرنا هو بعض ذلك النعيم الموعود به أهل الجنة .

والنعيم الثاني : أنه لديه المزيد ، وهو أعظم ما يطلبون وأعظم ذلك المزيد الذى وعد الله به أولياءه ، النظر اليه فى الجنة . فقد روى أحمد (٤) ، والترمذى (٥) ، وابن ماجه (٦) واللفظ له ، من حديث

---

(١) البغوى ٢٦ / ٢٢٠ .
(٢) الدر المنثور ٢٦ / ٦٠٨ .
(٣) فصلت ٣١ / ٣٢ .
(٤) المسند ٤ / ٣٣٣ .
(٥) الترمذى كتاب التفسير " سورة يونس " ٥ / ٢٨٦ .
(٦) ابن ماجه ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية . ١ / ٦٧ حديث ١٨٧

صهيب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " اذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ناد منـاد: يا أهل الجنة ! إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب فينظرون اليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب اليهم من النظر ـ يعني اليه ـ ولا أقر لأعينهم " . أ . هـ .

ثانيا : ما رواه البخاري[1] ، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : " قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " ان آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا فيقول له ربه : " أدخل الجنة . فيقول : رب . الجنة ملأى فيقول له ذلك ثلاث مرات ، فكل ذلك يعيد عليه : الجنة ملأى . فيقول : ان لك مثل الدنيا عشر مرات" . أ . هـ .

ووجه الدلالة من هذا الحديث ان من أعطاه الله مثل الدنيا عشر مرات لا يعجز عن اكرام أهل الجنة وهم لا شك بعض أهل الدنيا .

" إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " . ـ ٣٧ ـ

قوله : " أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " :

٣٨٨) يستمع القرآن وقلبه معه لا يكون في مكان آخر . عزاه السيوطي[2] الى ابن المنذر ، وأخرجه أبونعيم[3] واللفظ له .

---

(١) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٩ / ١١٩ . حديث ٧٥١١ .
(٢) الدر المنثور ٢٦ / ٦٠٩ .
(٣) الحلية ٣ / ٢١٦ .

قال ابن كثير [1] في الآيـــة : " أى استمع الكلام فوعاه وتعقله وعقلـــه وتفهمـه بلبـه .

وقال مجاهد : " أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " يعنى لا يحدث نفســـه فى هذا بقلـــب .

وقال الضحاك : العرب تقول : ألقى فلان سمعه ، اذا استمع بأذنيـه وهو شاهد بقلب غير غائب ، وهكذا قال الثورى وغير واحد " . أ . هـ .

وقال الزمخشرى [2] : "لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ" ، أى قلب واع ، لأن من لا يعـى قلبه فكأنه لا قلب له ، والقاء السمع : الاصغاء " وَهُوَ شَهِيدٌ " ، أى حاضـر بفطنته ، لأن من لا يحضر ذهنه فهو غائب " . أ . هـ .

قلـت : وهذه الأقوال المتفقة فى معناها شاهد لصحة ما قاله مفسرنا ولا يضره أنه من رواية أبى معشر ، كما فى سند أبى نعيم .

* * *

* *

*

---

(١) ابن كثـــير ٢٦ / ٢٤٥ .

(٢) الكشـــاف ٤ / ٢٥ .

" وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " - ١٩ -

قوله : " الْمَحْرُومِ " :

٣٨٩) صاحب الحاجة . ثم قرأ : " إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ "[1] .

أخرجه البغوى[2] ، ويفهم من استشهاد المفسر بالآية ، على ما قال أن المحروم هو الممنوع الرزق ، وهذا العموم هو أولى بالصواب من حمل المحروم على معنى معين ، وهو الذى اختاره ابن جرير[3] - بعد سرده أقوال الأئمة - فقال - رحمه الله - : " والصواب من القول فى ذلك عندى أنه الذى قد حرم الرزق واحتاج ، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره ، فصار ممن حرمه الله ذلك ، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة ، ويكون بأنه لا سهم له فى الغنيمة لغيبته عن الوقعة ، فلا قول فى ذلك أولى بالصواب من أن تعم كما قال جلّ ثناؤه : " وَفِي أَمْوَالِهِم حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ " . أ . هـ .

* * *

* *

*

---

(١) الواقعة ٦٦/٦٧ .

(٢) البغوى ٢٦/٢٣١ .

(٣) الطبرى ٢٦/٢٠٤ .

=((تفسير سورة الطور))=

قوله: " وَالبَحْرِ المَسْجُورِ " - ٦ -

٣٩٠) يعنى الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور . أخرج هذا القول عن المفسر ، والضحاك ، البغوى[1] ، ثم قال : " وهو قول ابن عباس .

قلت : وأخرجه ابن جرير[2] ، عن مجاهد ، وابن زيد وغيرهما ، وتفسير المسجور بالموقد صحيح ، ومن شواهده فى القرآن الكريم قوله تعالى : " فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ "[3] . والمعنى أن النار توقد بأولئك الكفار ، كما قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ... الآية "[4] . فأخبر جلّ وعلا أن من وقود النار الناس والحجارة ، وهو بيان لمعنى السجر فى آية غافر .

قوله: " يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا " . - ١٣ -

٣٩١) يدفعون فيها دفعا . حكى هذا القول عن مفسرنا ، ومجاهد ، والشعبي ، والضحاك ، والسدى ، والثورى، ابن كثير[5] ، وبه فسر الزمخشرى[6] الآية : " الدع الدفع العنيف ، وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم " . أ . هـ .

* * *

---

(١) البغوى ٢٧/٢٣٧ .
(٢) الطبرى ٢٧/١٩ .
(٣) غافر ٧٢ .
(٤) التحريم ٦ .
(٥) ابن كثير ٢٧/٢٥٨ .
(٦) الكشاف ٤/٣٣ .

قوله : " ثم دنا فتدلى " - ٨ -

٣٩٢) قلنا يا نبى الله : هل رأيت ربك ؟ قال : لم أره بعينى ، ورأيته بفؤادى مرتين . ثم : تلا : " ثم دنا فتدلى " .

٣٩٣) قالوا يا رسول الله رأيت ربك ؟ . قال : " رأيته بفؤادى مرتين " ، ثم قرأ : " ما كذب الفؤاد ما رأى " . أخرج أول الحديثين ابن جرير (١) ، عن ابن حميد ، عن مهران ، عن موسى بن عبيد الحميرى ، عن المفسر . وهذا الاسناد ضعيف من جهة الأولين ، ولم أقف للثالث على ترجمة .

وقال ابن كثير (٢) - عند ايراد هذا الحديث - : " ورواه ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن مهران (٣) ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : " لم أره بعينى ورأيته بفؤادى مرتين " . ثم تلا : " ثم دنا فتدلى " . أ هـ .

قلت : ويغلب على الظن أن ما جاء فى سياق ابن كثير ، هو الصواب ، لأنه لا يعرف بين رواة ابن كعب موسى بن عبيد الحميرى ، وانما المعروف هو موسى بن عبيدة الربذى ، ولا يخفى حاله ،

وأخرج الحديث الثاني : ابن أبى حاتم عن مفسرنا ، من طريق موسى ابن عبيده ، كما نقله ابن كثير (٤) ، فكلا الحديثين مرسل ، ضعيف الاسناد ، وحتى

---

(١) الطبرى ٢٧ / ٤٧ .

(٢) ابن كثير ٢٧ / ٢٦٨ .

(٣) انظر الملحق رقم ٧٦

(٤) ابن كثير ٢٧ / ٢٦٨ .

يمكن الحكم على الخبرين من حيث الصحة ، وعدمها ، متنا ، فلابد من بيان أمرين :

الأول :

رؤية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربه بقلبه ليلة الاسراء ، وهو قول ابن عباس في أكثر الروايات عنه ، وأبي صالح والربيع ، رواه عنهم جميعا ابن جرير (١) .

وروى مسلم عن عطاء ، عن ابن عباس . قال : " رآه بقلبه (٢) " أ هـ .

وفي لفظ له من طريق أبي العالية : " رآه بفؤاده مرتين (٣) " أهـ .

فان سأل سائل : كيف تزيل الاشكال بين هذا القول وما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - في جوابها لمسروق حين سألها : هل رأى محمد - صلى الله عليه وسلم - ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ! أين أنت من ثلاث من حدثكهنّ فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ... ، الحديث " . وفيه : " ولكنه رأى جبريل - عليه السلام - في صورته مرتين " أهـ (٤) .

قلنا : قد جمع الحافظ ابن حجر (٥) بما يزيل الاشكال بين هذه الأحاديث . فقال : " وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر ، واثباته على رؤية القلب " . أ هـ .

---

(١) الطبري ٢٧ / ٤٨ .

(٢) مسلم، كتاب الايمان ، باب معنى قوله عز وجل : " ولقد رآه نزلة أخرى " : ١ / ١٥٨ حديث ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) رواه الشيخان واللفظ للبخاري ، كتاب التفسير (سورة النجم) ٦ / ١١٧ حديث ٤٨٥٥ ومسلم ، كتاب الايمان معنى قوله : " ولقد رآه نزلة أخرى : ١ / ١٥٩ .

(٥) فتح الباري ٨ / ٦٠٨ ، كتاب التفسير حديث ٤٨٥٥ .

الأمر الثاني :

يفهم من الحديث الأول أن الدنو والتدلى فى الآية ، كان من الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وهذا - مع ما قدمناه من ضعف السند - يرده ما جاء من السنة الصحيحة ، أن المعني بقوله : " ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى " هو جبريل - عليه السلام - ، ومن تلك الأدلة ما رواه مسلم (١) عن مسروق . قال : " قلت لعائشة - رضي الله عنها - : " فأين قوله : " ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى " (٢) . قالت : " انما ذاك جبريل - عليه الصلاة والسلام كان يأتيه فى صورة الرجال ، وأنه أتاه فى هذه المرة فى صورته التى هي صورته ، فسد أفق السماء" أهـ .

قوله " إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى " . - ١٦ -

٣٩٤) فراش من ذهب يغشاها . أخرج هذا القول عن مفسرنا ، أبونعيم (٣) من طريق محمد بن رفاعة القرظي ، وهو قول أكثر المفسرين ، منهم ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيد ، كما حكاه ابن جرير (٤) وغيره .

ولكن يترجح عندى أن ما غشي السدرة مبهم ، ويدل له ما رواه مسلم (٥) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " أُتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه . قال فركبته ... الحديث " . وفيه : ثم ذهب

---

(١) مسلم ، كتاب الايمان ، باب معنى قوله عز وجل : " وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى" ١ / ١٦٠ حديث ١٩٠ .

(٢) النجم ٨ : ١٠ .

(٣) حلية الأولياء ٣ / ٢١٥ .

(٤) الطبرى ٢٧ / ٥٥ .

(٥) مسلم ، كتاب الايمان ، باب الاسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ١ / ١٤٩ حديث ١٦٢ .

بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيّرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ". انتهى محل الغرض .

قوله " مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى " ٠ - ١٧ -

٣٩٥) رأى جبرائيل فى صورة الملك . أخرجه ابن جرير الطبرى (١) ، عن المفسر ، من طريق موسى بن عبيدة ، وأبوالشيخ (٢) بلفظ رأى جبريل فى صورته ، ويشهد لصحته ما رواه الشيخان واللفظ للبخارى (٣) ، من حديث مسروق . قال : " قلت لعائشة - رضي الله عنها - يا أمتاه : هل رأى محمد ربه؟ فقالت : " لقد قف شعرى مماقلت ! أين أنت من ثلاث من حدثكهنّ فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه ، فقد كذب . ثم قرأت : " لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " (٤) . " وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ " (٥) . ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت : " وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا " (٦) . ومن حدثك أنه كتم فقد كذب . ثم قرأت : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... الآية (٧) ". ولكنه رأى جبريل - عليه السلام - فى صورته مرتين " . أ هـ .

ووجه الدلالة من هذا الحديث على صحة قول مفسرنا ، إخبار عائشة - رضي الله عنها - أنه صلى الله عليه وسلم ، رأى جبريل فى صورته مرتين .

---

(١) الطبرى ٢٧/٥٧ .

(٢) العظمة ٣٤ ب .

(٣) البخارى ، كتاب التفسير ، سورة " النجم " ٦/١١٧ . حديث ٤٨٥٥ مسلم ، كتاب الايمان ، باب معنى قوله عز وجل : " ولقد رآه نزلة أخرى " ١/١٥٩ حديث ٢٨٧ .

(٤) الأنعام ١٠٣ .

(٥) الشورى ٥١ .

(٦) لقمان ٣٤ .

(٧) المائدة ٦٧ .

ويوضحه ما رواه البخارى [1]، من عدة طرق ،عن ابن مسعود - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل له ستمائة جناح ".

" لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى " . - ١٨ -

٣٩٦) جبريل من آيات الله الكبرى . أخرجه أبوالشيخ [2]، من طريق موسى ابن عبيدة الربذى ،وهذا صحيح المعنى ، ومن شواهده ما تقدم فى الأثر قبله .

قوله " وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى " . - ٣٤ -

٣٩٧) نزلت فى أبى جهل . وذلك أنه قال :" والله ما يأمرنا محمد الاّ بمكارم الأخلاق . فنزلت قوله :" وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى " . أخرجه البغوى [3]، ويفهم من هذا القول ، أن أباجهل بمقالته هذه كان فيه ميل الى الايمان ببعض ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا فى غاية الغرابة ، فلم يعرف من أبى جهل غير عداوة النبي - صلى الله عليه وسلم - وشدة التنكر لما جاء به ، ولا أدلّ على ذلك من قصته مع أبى طالب حين حضرته الوفاة ، كما تقدم فى تفسير سورة التوبة [4]، وأكثر المفسرين كما أخرجه ابن جرير [5] والبغوى [6]، على أن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة .

قال ابن جرير [7]:" من أجل أنه عاتبه بعض المشركين ،وكان قد اتبع

---

(١) البخارى ،كتاب التفسير ، " سورة النجم" ٦/ ١١٧ . حديث ٤٨٥٧
مسلم ، كتاب الايمان ،باب معنى قوله عز وجل :" ولقد رآه نزلة أخرى" ١/ ١٥٩ حديث ٢٨٧ .

(٢) العظمة ٣٤/ب .

(٣) البغوى ٢٧/ ٢٥٣ .

(٤) الأثر رقم ١٧٥ .

(٥) الطبرى ٢٧/ ٧٠ .

(٦) البغوى ٢٧/ ٢٥٣ .

(٧) الطبرى ٢٧/ ٧٠ .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على دينه ، فضمن له الذى عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع الى شركه ، أن يتحمل عنه عذاب الآخرة ، ففعل ، فأعطى الذى عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له ، ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له " أ هـ .

ثم حكى القول فى ذلك عن مجاهد ، وابن زيد . والله أعلم .

قوله : " وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى " . ـ ٣٧ ـ

٣٩٨) وفّى بذبح ابنه . أخرجه ابن جرير[1] ، وهذا القول ، وان كان فى سنده ابن لهيعة ، الاّ أنه صحيح المعنى ، لأ ن امتثال الخليل ـ عليه السلام ـ أمر ربه بذبح ولده من جملة ما وفّى به ، ولا ينافى قول مفسرنا هذا ما أخرجه ابن جرير ، عن أكثر المفسرين ، ومنهم ابن عباس، وعكرمة ، أن الذى وفّى به ابراهيم هو ما أمر به من تبليغ الرسالة ، ولا شك أن صدوع الخليل بالحق فى وجه أبيه وقومه هو أعظم ما وفّى به ربه .

* * *

* *

*

---

(١) الطبرى ٢٧ / ٧٢ .

" وفجّرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر " . -١٢-

٣٩٩) كانت الأقوات قبل الأجساد ، وكان القدر قبل البلاء ، وتلا : "فالتقى الماءُ على أمرٍ قد قُدِرَ" . أخرج هذا الأثر ابن جرير الطبرى[١] ، عن مفسرنا من طريق موسى بن عبيده الربذى ، ويشهد لصحة معناه ثلاثة أمور :

أولها :

معنى الآية ، فقد أخبر الله فيها أن ماء السماء مع ماء الأرض التقيا على القوم ، وفق ما قدر الله فى الأزل .

الأمر الثانى :

قوله تعالى : " قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا . ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ . وجعل فيها رواسيَ مِنْ فَوْقِهَا وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ " .[٢]

ووجه الدلالة من الآيات على صحة قول مفسرنا : أن الله جلّ وعلا قدّر فى الأرض ما يصلح لأهلها من الأقوات وذلك قبل خلقهم .

الأمر الثالث :

ما رواه الشيخان[٣] ، واللفظ للبخارى ، من حديث ابن مسعود - رضي

---

(١) الطبرى ٢٧ / ٩٣ .

(٢) فصلت ٩ : ١٠ .

(٣) البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ٤ / ٨٨ . حديث ٣٢٠٨ مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الادمي فى بطن أمه ٤ / ٢٠٣٦ حديث ٢٦٤٣ .

الله عنه ـ قال : " حدثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصادق المصدوق . قال : " ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات . ويقال له : أكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أم سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ... الحديث " .

وما أخرجاه (١) ، واللفظ لمسلم ، من حديث أبى هريرة أنه قال : " قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " احتج آدم وموسى . فقال موسى : " يا آدم أنت أبونا ، خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة . فقال له آدم : " أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ، أتلومني على أمر قدّره الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ؟ " . فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى " .

ووجه الدلالة من هذين الحديثين : نص الأول على تقدير رزق الانسان قبل خلقه ، وانما أُمر الملك بكتابة ذلك المقدر ، ونص الثاني على تقدير البلاء قبل وقوعه ، كما هو ظاهر من احتجاج آدم على موسى (صلى الله وسلم على الجميع) .

" وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ " . ـ ١٣ ـ

قوله : " دُسُرٍ " :

٤٠٠) المسامير . أخرجه ابن جرير (٢) فى جملة قول أكثر المفسرين وبه فسر الآية . فقال : " يقول تعالى ذكره : " وحملنا نوحا اذ التقى الماء

---

(١) البخارى ، كتاب القدر ، باب تحاج آدم وموسى عند الله "
ومسلم ، كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى ٤ / ٢٠٤٢ حديث ٢٦٥٢ .

(٢) الطبرى ٢٧ / ٩٣ .

مفسرنا : ان العبرة التى هي الاتعاظ والتذكر لا فائدة منها ، اذا لم يعقبها الانزجار عن المعاصى ، وأعظم ذلك : الشرك بالله وتكذيب الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى : " وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا "(١) .

ووجه الدلالة من هذه الآيات على صحة قول المفسر ، ما أخبر الله به فيها من شدة تنكيله بالمكذبين رسلهم قبل هذه الأمة ، وأن من سلك مسلكهم من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو حري بالعقوبة وفى ذلك أعظم العبرة لمن اعتبر .

" بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ " . - ٤٦ -

قوله : "وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ" :

٤٠٢) ذكر الله قوم نوح ، وما أصابهم من العذاب ، وذكر عادا وما أصابهم من الريح ، وذكر ثمود وما أصابهم من الصيحة ، وذكر قوم لوط وما أصابهم من الحجارة ، وذكر آل فرعون وما أصابهم من الغرق . فقال : " أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ..." الى قوله : " ... وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ " . يعنى أدهى مما أصاب أولئك وأمر . حكى هذا الأثر الامام السيوطي(٢) وعزا اخراجه الى ابن المنذر ، وسعيد بن منصور ، وفيه أمران :

أحدهما : بيّن ظاهر ، لااشكال فيه .

والآخر : يحتاج الى مزيد ايضاح .

---

(١) الطلاق ٨ : ١٠ .

(٢) الدر المنثور ٢٧ / ٦٨٢ .

فالأول : ما ذكره أن الآيات من قوله : " أكفاركم ... " الى قوله : " ... أدهى وأمر " واقعة بعد ما قصه الله عن قوم نوح وبعض الأمم المكذبة رسلها ، وذلك تحذير لكفار مكة . فهذا صحيح ، وواضح من سياق الآيات من قوله : " كذبت قبلهم قوم نوح ... " . الى قوله : " ... فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر " . (١)

والأمر الثاني : وهو قول المفسر يعنى أدهى مما أصاب أولئك وأمر، فهذا المعنى وان كان له وجهه من الصحة فيما أرى ، الا أن سياق الآيات من قوله " أكفاركم "... " . الى قوله : " ... أدهى وأمر " . يدل على ما هو أولى مما ذهب اليه من وجهين :

الأول :

أن الآيات سالفة الذكر خطاب لكفار مكة ، فالمعنى على هذا أن الساعة أدهى وأمر مما توعدهم الله به فى الدنيا من القتل والهزيمة والأسر، كما قال تعالى : " أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر " . (٢)

والوجه الثاني :

فيما رواه البخارى (٣) ، عن ابن عباس ، من عدة طرق ، منها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال وهو فى قبة له يوم بدر : " أنشدك عهدك ووعدك، اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا ، فأخذ أبوبكر بيده ، وقال : حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك ، وهو فى الدرع ، فخرج وهو يقول : " سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر " أ هـ .

---

(١) القمر ٩ : ٤٢ .

(٢) القمر ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) البخارى ، كتاب التفسير ، تفسير سورة القمر بات قوله تعالى : " بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر " ٦ / ١١٩ . حديث ٤٨٧٧

فالحديث نص صريح فيما ذكرناه من معنى الآية . والله أعلم .

" إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ - ٤٧ - يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ - ٤٨ - إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ - ٤٩ - وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ - ٥٠ - وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ - ٥١ - وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ - ٥٢ - وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ - ٥٣ - (٤٧ : ٥٣) .

٤٠٣) كنت أقرأ هذه الآية فلا أدرى من عني بها ، حتى سقطت عليها : " ان المجرمين في ضلال وسعر ..." . الى " ... كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ" . فاذا هم المكذبون بالقدر . أخرجه عبد الرزاق (١) ، من طريق داود بن قيس واسناده صحيح .

٤٠٤) اذا رأيتموني أنطلق في القدر ، فغلوني فاني مجنون ، فوالذى نفسي بيده ما أنزلت هذه الآيات الا فيهم ، ثم قرأ : " إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ..." . الى قوله : "... خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" . أخرجه الواحدى (٢) من طريق بكير بن أسيد ، عن أبيه ، عن القرظي ، والذى قبله شاهد لصحة معناه .

٤٠٥) لما تكلم الناس في القدر ، نظرت فاذا هذه الآية أنزلت فيهم : " إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ "..." . الى قوله : " ... خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ". أخرجه الطبرى (٣) ، من طريق خصيف (٤) ، وهو ضعيف .

٤٠٦) ما نزلت هذه الآية الا تعييرا لاهل القدر : " ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ " . رواه ابن جرير (٥) باسنادين من طريق سالم بن أبى حفصه

---

(١) عبد الرزاق ، ٢ / ٥٢٩ .
(٢) أسباب النزول ٤٢٧ .
(٣) الطبرى ٢٧ / ١١١ .
(٤) هو خصيف بن عبد الرحمن . تقدم ص ٣٣
(٥) الطبرى ٢٧ / ١١١ .

فالأول : صحيح ،لأنه عن ابن بشار[1] ، عن أبي عاصم ، ويزيد بن هارون[2] عن سفيان[3] ، والثاني : ضعيف ، لأن فيه ابن حميد ومهران ، كما أن السيوطي[4] حكى نحو هذا اللفظ ،وعزا اخراجه الى سفيان بن عيينه .

٤٠٧) " جاء مشركو قريش الى النبي - صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر . فنزلت : " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ " . رواه ابن جرير ، عن أبي هريرة ،ثم ساق السند ، من طريق مهران بن أبي عمر ، الى أن قال عن محمد بن كعب القرظي مثله .

قلت : وكلا الاسنادين مداره على مهران ، وهو ضعيف ، لكن روى حديث أبي هريرة هذا من غير طريق ابن جرير ،مسلم[5] ،والترمذي[6] ،وغيرهما وذلك شاهد على صحة قول المفسر .

٤٠٨) طلبت هذا القدر فيما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - فوجدته في : " اقتربت الساعة " . " وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ " . " وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ " . حكاه السيوطي ، وعزاه الى ابن شاهين في السنة .

ويستفاد من هذه الأقوال ما يلي :

أولا : اثبات القدر .

ثانيا : ذم القدرية نفاة القدر وشدة الانكار عليهم وهذا هو شأن السلف

---

(١) انظر: الملحق رقم ١٠٧

(٢) انظر: الملحق رقم ٩٨ ، رقم ٩٠

(٣) هو سفيان الثوري . انظر ترجمة أبي عاصم الضحاك بن مخلد . تهذيب الكمال ٢/٦١٧ .

(٤) الدر المنثور ٢٧/٦٨٤ .

(٥) مسلم ،كتاب القدر باب كل شئ بقدر ٤/٢٠٤٠٦ حديث ٢٦٥٦ .

(٦) الترمذي ،كتاب التفسير ،باب ومن سورة القمر ٥/٣٩٨ حديث ٣٢٩٠ .

من الصحابة والتابعـــــين .

" إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ " . - ٥٤ -

قولـه : " وَنَهَرٍ " :

٤٠٩) نور وضياء . أخرجه الحكيم الترمذى فيما حكاه عنه السيوطي[1] ، وفيه تفسير النهر بالنور والضياء . وهذا تفسير غريب .

قال ابن جرير[2] : " يقول تعالى ذكره : ان الذين اتقوا عقاب اللـــه بطاعته وآداء فرائضه ، واجتناب معاصيه فى بساتين يوم القيامة وأنهـــار ، ووحّد النهر فى اللفظ ، ومعناه الجمع ، كما وحد الدبر ، ومعناه الأدبـــار فى قوله : " وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ " . وقد قيل ان معنى ذلك ان المتقين فى سعـــة يوم القيامة وضياء . ووجه معنى قوله : " وَنَهَرٍ " الى معنى النهار " . أهـ .

قلـت : وايراد ابن جرير تفسير النهر بالضياء بصيغة التضعيف دليل على ضعف ما جاء عن مفسرنا ، وبنحو حكاية الطبرى هذه ، أورده ابن منظور[3] فقال : " وقيل فى قوله تعالى : " فى جنات ونهر " أى فى ضياء وسعة ، لأن الجنة ليس فيها ليل ، انّما هو نور يتلألأ " . انتهى محل الغرض .

قلـت : وقد جاء فى سورة القتال ما يوضح المراد بالنهر فى آية القمر هذه . قال تعالى : " مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ... الآية "[4] .

* * *

---

(١) الـدر المنثـور ٢٧ / ٦٨٧ .

(٢) الطـبرى ٢٧ / ١١٣ .

(٣) اللسان "مادة نهر" ٤٥٥٦ .

(٤) محمـد آيـة ١٥ .

" رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ " ٠ - ١٧ -

٤١٠) مغرب الشتاء ومغرب الصيف ومشرق الشتاء ومشرق الصيف .

أخرجه أبو الشيخ[١] من طريق أبي معشر .

وهذا تفسير صحيح ولا يضره ضعف سنده .

قال ابن كثير[٢] - رحمه الله - : " يعني مشرقي الصيف والشتاء ، ومغربي الصيف والشتاء . وقال في الآية الأخرى : " فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ "[٣] وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروز هامته الى الناس. وقال في الآية الأخرى : " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا "[٤] وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والانس. قال : "فبأي آلاء ربكما تكذبان" . ا . هـ.

قلت : ونحو هذا المعنى من تفسير المشرقين والمغربين . ما أخرجه ابن جرير[٥] ، عن مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد وغيرهم . .

" يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ " ٠ - ٤٤ -

٤١١) يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس ، وهي كالتي يقول الله تعالى : " فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ "[٦] .

---

(١) العظمة ٦٠/ب .
(٢) ابن كثير ٢٧/٢٩١ .
(٣) المعارج ٤٠ .
(٤) المزمل ٩ .
(٥) الطبري ٢٧/١٢٧ .
(٦) غافر ٧١ .

٤١٢) حاضـــر . حكاهما ابن كثير[1] ،غير معزويـــن ، ولكن الأثريـــن صحيحان فى المعنى :

فأولهمـــا :

بيان لكيفية طواف المجرمين بين النار والحميم ، وما استشهد به المفسر من آية غافر دليل على صحة قوله ، وذلك أن الله جلّ وعلا فى تلك الســـورة ، بيّن كيف يطاف بالكفار بين النار والحميم . فقال : " إِذْ الأَغْلاَلُ فِى أَعْنَاقِهِـــمْ وَالسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ فِى الحَمِيمِ ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ "[2] . وقال فى ســـورة الرحمـــن : " يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُـــمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِى وَالأَقْـــدَام "[3] .

وفى الأثر الثانى :

تفسير الآن بالحاضـــــر .

قال ابن كثير[4] ـ بعد حكايته قول مفسرنا ـ : " والحاضر لا ينافى مـــا روى عن القرظي . أولا : أنه الحار كقوله تعالى : " تُسْقَى مِنْ عَينٍ ءَانِيَةٍ "[5] أى حاضرة شديدة الحر لا تستطاع ، وكقوله : " غَيرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ "[6] يعنى استواءه ونضجـــه" أ هـ .

قلـــت : وعلى هذا فلا منافاة بين ما جاء عن مفسرنا فى معنى الآن ، وما أخرجه ابن جرير[7] ،عن ابن عباس ، والضحاك ، وسعيد بن جبير ، من أنـــه

---

(١) ابن كثـــير ٢٧ / ٢٩٦ .
(٢) غافـــر ٧١ ، ٧٢ .
(٣) الرحمـــن ٤١ .
(٤) ابن كثـــير ٢٧ / ٢٩٦ .
(٥) الغاشيـــة ٥ .
(٦) الأحـــزاب ٥٣ .
(٧) الطـــبرى ٢٧ / ١٤٤ .

الذى اشتد غليه ، لأن الحميم على تلك الحال قد أعد سلفا فهو محضّر لهم .

" كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ " . - ٥٨ -

قولـه :" الْيَاقُوتُ " :

٤١٣) الياقوته من ياقوت صاحب القرآن ، يضيء لها ما بين المشرق والمغرب . أخرجه أبونعيم (١) ، من طريق اسماعيل بن رافع ، عن مفسرنا وقد تقدم غير مرّة أن ابن رافع ضعيف ، والمعروف أنه يروى عن القرظي بواسطة ، وقد حدث عنه هذه المرة كما هو فى إسناد أبى نعيم ، فالسند مع ضعفه منقطع - ويظهر أن عبارة المفسر غير واضحة المراد - فان كان يعنى الحور العين الموصوفات فى الآية بأنهنّ يشبهن الياقوت والمرجان فى الحسن ، خاصات بأهل القرآن ، فذلك قصر للعموم دون مخصص ، فيرده أمران :

أولهما :

أن الحديث من قوله تعالى : " وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ... (٢) " الى آخر السورة موصول فى ذكر ما أعده الله لأهل الجنة على إختلاف مراتبهم من النعيم ، وفيه أزواجهم من الحور .

والأمر الثاني :

ما رواه مسلم (٣) من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - وفيه :" أولم يقل أبوالقاسم - صلى الله عليه وسلم - :" إن أول زمرة تدخل الجنة على

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ٢١٧ .

(٢) الرحمن ٤٦ .

(٣) مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم ٤ / ٢١٧٨ حديث ٢٨٣٤ .

صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضواء كوكب درى فى السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب " .

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن تلك الأزواج الموصوفات لعموم أهل الجنة ، بما فيهم أهل القرآن العاملون به .

" مُدْهَامَّتَانِ " . - ٦٤ -

٤١٤) ممتلئتان من الخضرة . حكاه ابن كثير[1] من غير عزو ، ولا اسناد ، وهو تفسير صحيح المعنى وقريب مما قال ابن جرير[2] : " سودا وان من شدة خضرتهما " . أهـ .

وحكاه عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف .

وقال ابن قتيبة[3] " سوداوان ، من شدّة الخضرة والرى " . أهـ .

ويوضح وجه التوافق بين قول مفسرنا وما جاء عن ابن عباس ، ومن ذكرنا من السلف ما حكاه ابن منظور[4] : " وحديقة دهماء مدهامة خضراء تضرب الى السواد من نعومتها وريها ، وفى التنزيل العزيز : " مدهامتان " أى سوداوان من شدّة الخضرة من الرى " . أهـ .

" حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ " . - ٧٢ -

قوله : " مَّقْصُورَاتٌ " :

---

(١) ابن كثير ٢٧ / ٣٠٠ .

(٢) الطبرى ٢٧ / ١٥٤ .

(٣) تفسير غريب القرآن ٤٤٢ .

(٤) اللسان" مادة دهم ١٤٤٣ .

٤١٥) محبوسات فى الحجال . رواه ابن جرير[١] ضمن أحد قولى المفسرين فى الآية ، وهو قول أبى العالية ، وابن عباس ، وأبى صالح ، والضحاك ، والحسن ، ومجاهد ، والربيع فى احدى الروايتين .

والقول الثاني : قصرن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا ولا يرفعنّ أطرافهنّ الى غيرهم من الرجال ، وهذا هو قول مجاهد ، والربيع فى الرواية الثانية[٢] .

قلت : ولا منافاة بين القولين وذلك أن الله جلّ وعلا ذكر أن هؤلاء الأزواج مقصورات فى الخيام ولم يخصص وصفا دون آخر ، وهو ما اختاره ابن جرير .

" مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ " - ٧٦ -

قوله : " رَفْرَفٍ " :

٤١٦) البسط . أخرج هذا المعنى عن مفسرنا ، والحسن ، ومقاتل: البغوى[٣] . وهو أحد أقوال ثلاثة رواها ابن جرير[٤] ، عن المفسرين من السلف ، وبه قال ابن عباس ، والقول الثاني : بأن الرفرف هي رياض الجنة . وبه قال : سعيد بن جبير . والقول الثالث : هو قول الحسن أن الرفرف مرافق[٥] خضر .

وعندى أنه لا منافاة بين هذه الأقوال ، لأن الله ذكر فى تنعم أهل الجنة أنهم متكئون على رفرف خضر ، وهذا الاتكاء على ماوصفه من الرفرف الخضر صالح لشمول ما ذكره هؤلاء الأئمة كما قال تعالى : " مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا "[٦] . فالإتكاء اذن فى رياض الجنة على ما فيها من وسائد وفرش وسرر وغير ذلك مما يصلح له .

---

(١) الطبرى ٢٧ / ١٦٠ .
(٢) المصدر السابق ٢٧/ ١٥٩ .
(٣) البغوى ٢٧/ ٢٧٨ .
(٤) الطبرى ٢٧/ .
(٥) مرافق : قال في اللسان : "المرفقة بالكسر والمرفق : المتكأ والمخدة (رفق) ١٦٩٥ .
(٦) الانسان ١٣ .

" لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ " . - ٢ -

٤١٧) لابد أن تكون . حكاه ابن كثير[١] ، والشواهد على صحته كثيرة : قال تعالى : " سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ "[٢] . وقال تعالى: " وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ "[٣] .

وجه الدلالة من هذه الآيات ونحوها على صحة قول المفسر ، في افادتها أن يوم القيامة اذا أراد الله وقوعه ليس له راد ولا صارف .

" وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ " - ١٠ -

٤١٨) الى كل خير .

٤١٩) هم الأنبياء عليهم السلام .

حكى الأول البغوى[٤] ، وحكى الثاني ابن كثير[٥] ، ولا منافاة بين القولين، فكلاهما صحيح المعنى ، وذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، هم أسبق الناس الى كل فضيلة ، ثم اتباعهم باحسان ، غير أن أثر البغوى أوفق بظاهر الآية من حيث افادة العموم في السبق بالخير على ما ذكرنا ، ويدل له من السنة ما رواه مسلم[٦] ، وأبوداود[٧] ، من حديث أبي هريرة - رضي الله

---

(١) ابن كثير ٢٧ / ٣٠٢ .

(٢) المعارج ١ .

(٣) الأنعام ٧٣ .

(٤) البغوى ٢٧ / ٢٨٠ .

(٥) ابن كثير ٢٧ / ٣٠٤ .

(٦) مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة أو دعا الى هدى أوضلالة ٤ / ٢٠٦٠ حديث ٢٦٧٤ .

(٧) أبوداود ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة ٥ / ١٥ حديث ٤٦٠٩ .

عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ".

ووجه الدلالة من الحديث شمول ما تضمنه من الأجر كل من دعا الى الله على بصيرة ، وقد ترسم نهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فى القول والعمل والاعتقاد ، وأولئك أسبق الناس الى كل فضيلة .

" فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ " . ـ ٨٩ ـ

قوله : " فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ " :

٤٢٠) فرج من الغم الذى كانوا فيه ، واستراحة من العمل لا يصلون ولا يصومون .

أخرجه ابن المنذر فيما حكاه عنه السيوطي[1] ، وقول مفسرنا هذا لا ينافى ما جاء عن قتادة ، والحسن ، والضحاك فى تفسير الروح بالرحمة ، وما جاء عن ابن عباس فى تفسير الريحان بالمستراح ، وقد أخرج القولين وغيرهما فى الآية : ابن جرير[2] . ثم قال : " وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : " عنى بالروح : الفرح والرحمة والمغفرة ، وأصله من قولهم : وجدت روحا : اذا وجد نسيما يستريح إليه من كرب الحر ، وأما الريحان فانه عندى الريحان الذى يتلقى به عند الموت . كما قال أبو العالية ، والحسن ، ومن قال فى ذلك نحو قولهما ، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه" . أ هـ .

قلت : وهذا القول موافق من حيث الشمول قول مفسرنا ، ويشهد له من السنة ما رواه الامام أحمد[3] من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه قال :

---

(١) الدر المنثور ٢٧ / ٣٧ .

(٢) الطبرى ٢٧ / ٢١٢ .

(٣) المسند ٤ / ٢٨٧ .

" خرجنا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في جنازة رجل من الأنصـــار ... الحديث " . وفيه : " فينادى مناد في السماء أن صدق عبدى فافرشـــوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة . قال : فيأتيه مـــن روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره "... الحديث " . فقد نص الخبر ـ كما ترى ـ على ألوان من النعيم ينالها المؤمن في البرزخ منها : التوسعة في القبر مد البصر ، ومنها ما يلبسه ويفرش له من لباس الجنة وفراشهـــا ، وهذا هو وجه الدلالة من الحديث . وذلك ما يجب الايمان به مع تفويـــض علم كيفية ذلك التنعيم الى الله . وقول المفسر : واستراحة من العمـــل لا يصلون ولا يصومون . فما أراه يعنى بذلك الاّ أن أولئك الصفوة من عبـاد الله قد أدوا ما عليهم في الدنيا فلا تكليف في الآخـرة . فانتهوا بفضـــل الله ورحمته الى جزاء ما أسلفـوا .

" وَجَنَّةُ نَعِيمٍ "

٤٢١) لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهـــل النار .

حكاه ابن كثير [1] ،غير معـــزو ولا مسند ، ولكن هذه الحكاية لا تضـره فانه صحيح المعنى ، ويشهد له حديث البراء بن عازب السابق . وفيـــه : "إن العبد المؤمن إذا كان في إنقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة . نـــزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ،معهم كفن من أكفـان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ ملـــك الموت ـ عليه السلام ـ حتى يجلس عند رأسه . فيقول : " أيتها النفـــس الطيبة أخرجي الى مغفرة الله ورضوان ... ، وأما العبد الكافر ،اذا كـــان

---

(١) ابن كثـــير ٢٢٢/٢٧ .

فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه . فيقول :" أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله وغضب " . انتهى محل الغرض .

فقد نص الخبر على نداء ملك الموت ، روح المؤمن والكافر ، واعلام الأول أنه من أهل الجنة ، واعلام الثاني أنه من أهل النار .

وهذا هو وجه الدلالة منه على صحة قول المفسر .

* * * *

* * *

* *

*

=((تفسير سورة المجادلة))=

"قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ . وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ - ١ - الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ - ٢ - وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ - ٣ - فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ - ٤ - (١ : ٤)

٤٢٢) " كانت خولة ابنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت ، وكان رجلا به لمم ، فقال في بعض هجراته :" أنت عليّ كظهر أمي ، ثم ندم على ما قال . فقال لها : ما أظنك الاّ قد حرمت عليّ ، قالت : لا تقل ذلك ، فوالله ما أحب الله طلاقا . قالت : ائترسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسله . فقال: انى أجدنى استحي منه أن أسأله عن هذا ، فقالت فدعنى أن أسأله . فقال لها : سليه ، فجاءت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا نبي الله ، ان أوس بن الصامت أبو ولدى وأحب الناس اليّ ، قد قال كلمة والذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا . قال : أنت عليّ كظهر أمي . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -" ما أراك الاّ قد حرمت عليه ، قالت : لا تقل ذلك يا نبي الله ، والله ما ذكر طلاقا . فرادّت النبي - صلى الله عليه وسلم- مرارا ، ثم قالت : اللهم أنى أشكو اليوم شدة حالى ووحدتي ، وما يشق عليّ من فراقه ، اللهم فأنزل على لسان نبيك ، فلم ترم مكانها ، حتى أنزل الله :" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ"

الى أن ذكر الكفارات ، فدعاه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : اعتق رقبة . فقال : لا أجد ،فقال : صم شهرين متتابعين ،قال : لا أستطيع، انى لأصوم اليوم الواحد فيشق عليّ . قال : اطعم ستين مسكينا ، قال : أما هذا فنعم ".

أخرجه ابن جرير[(١)] ، عن مفسرنا ،من طريق ابن حميد ،عن مهران ، عن أبى معشر ،وهذه السلسلة كلها ضعيفة ، كما أن الخبر مرسل ، فلا يصلح للاستدلال به ،على ما تضمنه من سبب نزول الآيات ، فلابد لذلك من طريق خارجي ،فيلزم بيان أمرين :

الأول :

ان أكثر أقوال أهل العلم فيما حكاه ابن جرير[(٢)] ،والواحدى[(٣)] ،وابن كثير[(٤)]، ان المرأة التى ظاهر منها زوجها فجاءت تجادل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سائلة ربها هي خولة بنت ثعلبة .

قال ابن كثير[(٥)] - بعد سرده روايات القصة - :" هذا هو الصحيح فى سبب نزول هذه السورة " . أهـ .

الأمر الثاني :

ان كل رويات القصة متفقة على أن الذى ظاهر من امرأته هو أوس بن الصامت .

قال ابن جرير[(٦)] :" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -:

---

(١) الطبرى ٢٨ / ٤ .
(٢) المصدر السابق ٢٨ / ٢ .
(٣) الواحدى ٤٣٢ .
(٤) ابن كثير ٢٨ / ٣٤١ .
(٥) المصدر السابق ٢٨ / ٣٤٢ .
(٦) الطبرى ٢٨ / ١ .

" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ " يا محمد " قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا " . والتى كانت تجادل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى زوجها امرأة من الأنصار، واختلف أهل العلم فى نسبها واسمها ، فقال بعضهم : خولة بنت ثعلبة ، وقال بعضهم : خويلة بنت ثعلبة . وقال آخرون : هي خويلة بنت خويلد. وقال آخرون : هي خويلة بنت الصامت . وقال آخرون : هي خويلة ابنة الدليج ، وكانت مجادلتها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى زوجها ، وزوجها أوس بن الصامت ، مراجعتها اياه فى أمره ، وما كان من قوله لها : " أنت عليّ كظهر أمى ، ومحاورتها اياه فى ذلك ، وبذلك قال أهل التأويل وتظاهرت به الرواية ". أ ه .

وبقية قول مفسرنا يغنى عن البحث فيه ما قدمناه من ضعف سنده .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " . - ١١ -

قوله : " إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ :

٤٢٣) هذا فى مجالس الحرب ، ومقاعد القتال ، كان الرجل يأتى القوم فى الصف فيقول : توسعوا فيأبوا عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم فى الشهادة .

أخرج هذا القول عن مفسرنا ، وأبى العالية ، والحسن : البغوى(١) ، وقد عرفت أن طريق مفسرنا عنده ضعيف ، ويظهر من حكاية القول أنه مرسل عن

---

(١) البغوى ٢٨ / ٣٠٩ .

الجميع ، وعلى هذا فحمل الأمر فى الآية بالتوسع والتفسح فى المجالس على العموم ، ومن ذلك مقاعد الحرب والقتال ، ومجالس العلم ، هو المتعين لأدلة كثيرة منها :

أولا :

ان ما جاء فى سبب نزول الآية ، كما حكاه ابن جرير (١) ، والبغوى (٢) ، عن ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما مرسل .

ثانيا :

ان تخصيص التفسح فى المجلس لو جاء فيه خبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما كان مخرجا له عن العموم ، لأن العبرة بعموم اللفظ ، والحاجة فى كثير من المجالس داعية الى أن يتفسح المسلمون ويوسعوا لبعضهم فيها المكان ، فمن تلك المجالس مجالس العلم ، ومقاعد القتال ، وصفوف الصلاة وأماكن عقد الشورى .

قال ابن جرير - بعد سرده الآثار فى الآية (٣) - : " والصواب من القول فى ذلك أن يقال : " إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا فى المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - دون مجلس القتال ، وكلا الموضعين يقال عليه مجلس ، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومجالس القتال" . أ هـ .

قلت : وبما يفيد العموم بوب البخارى (٤) ، وأخرج حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : " عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ، ولكن تفسحوا وتوسعوا " . وأخرجه مسلم (٥) بنحوه " .

* * *

---

(١) الطبرى ٢٨ / ١٧ .
(٢) البغوى ٢٨ / ٣٠٩ .
(٣) الطبرى ٢٨ / ١٨ .
(٤) البخارى ، كتاب الاستئذان باب اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس ... الآية ٨ / ٥١ حديث ٦٢٧٠ .
(٥) مسلم ، كتاب السلام باب تحريم اقامة الانسان من موضعه المباح الذى سبق اليه ٤ / ١٧١٤ حديث ٢١٧٧ .

" هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ " . - ٢٣ -

قوله : " الجَبَّارُ " :

٤٢٤) انما يسمى " الجبار " ، لأنه يجبر الخلق على ما أراده.

أخرجه البيهقي[1] من طريق أبي معشر ، وهذا الاسناد ضعيف ،

وعزاه السيوطي[2] الى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ،

ووجه هذا التفسير أن من معنى الجبار القهار ، ومن شواهده قوله تعالى : " وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ " .[3]

* * *

* *

*

---

(١) الأسماء والصفات " باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع اثبات الابداع والاختراع له ٤٨ .

(٢) الدر المنثور ٢٨ / ١٢٣ .

(٣) الأنعام ١٨ .

((تفسير سورة الصف))

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ - ٢ - كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ " . - ٣ -

٤٢٥) لما أخبر الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بثواب شهداء بدر . قالت الصحابة : " لئن لقينا بعده قتالا لنفرغنّ فيه وسعنا ، ففروا يوم أحد ، فعيّرهم الله بهذه الآية .

رواه البغوى (١) ، وفيه - كما ترى - أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فروا من القتال يوم أحد ، بعد أن كانوا متشوقين الى ملاقاة العدو ، حين علموا بثواب أهل بدر ، وهذا القول مع ضعف سنده وارساله فيه غرابة وخلاف الواقع ، فان المسلمين لم يهزموا يوم أحد بفرارهم ، وانما لانقضاض خيل المشركين عليهم ، حين ترك الرماة أماكنهم ، كما ذكر ذلك ابن اسحاق (٢) وغيره .

فالصواب : فى معنى الآية ما ذكره ابن جرير (٣) - بعد حكايته الأقوال المختلفة فى سبب نزولها - فقال : " وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية : قول من قال : عني بها الذين قالوا : لو عرفنا أحب الأعمال الى الله لعملنا به ، ثم قصرّوا فى العمل بعد ما عرفوا .

* * *

---

(١) البغوى ٢٨ / ٣٣٧ .

(٢) سيرة ابن هشام " حديث الزبير عن سبب الهزيمة " ٧٧ .

(٣) الطبرى ٢٨ / ٨٥ .

=((تفسير سورة الجمعة))=

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ " . - ٩ -

٤٢٦) ان رجلين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كانا يختلفان في تجارتهما الى الشام ، فربما قدما يوم الجمعة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، فيدعونه ويقومون فيما هم الاّ بيعا حتى تقام الصلاة . فأنزل الله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ " . قال : فحرم عليهم ما كان قبل ذلك .

رواه عبد بن حميد ، فيما حكاه السيوطي (١) ، وفي الأثر بيان سبب نزول الآية ، وأنها في انصراف القوم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين خطبة الجمعة وانشغالهم بالتجارة ، ولابد لنا حيال ذلك من ايضاح أمرين :

الأول :

انما نزل في الاخبار عن انشغال الناس بالتجارة وترك النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب يوم الجمعة هو قوله تعالى : " وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ... الآية " (٢) . فقد جاء ذلك بالصحيحين (٣) وغيرهما من

---

(١) الدر المنثور ٢٨ / ١٦٣ .

(٢) الجمعة ١١ .

(٣) البخاري ، كتاب الجمعة ، باب اذا نفر الناس عن الامام في صلاة الجمعة فصلاة الامام ومن معه جائزة ٢ / ١٢ .

حديث جابر رضي الله عنه . قال :" بينما نحن نصلى مع النبي - صلى الله عليه وسلم - اذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها ، حتى ما بقي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا إثنا عشر رجلا . فنزلت هذه الآية : " وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا " . انتهى من لفظ البخارى ، وهو عند مسلم [1] بألفاظ مختلفة .

الأمر الثاني :

فى قول المفسر"فيدعونه ويقومون فيما هم الاّ ببيعا ، عدم وضوح المعنى وذلك أن بيعا جاء مستثنى دون ذكر المستثنى منه . فشوشت العبارة كما ترى .

قوله :" فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ " :

٤٢٧) السعى العمل ليس باليد . أخرجه أبونعيم [2] ، من طريق موسى ابن عبيدة الربذى .

٤٢٨) يعنى أن تسعى بقلبك وعملك ، وهو المشي اليها . حكاه ابن كثير [3] عن قتادة ، ثم قال :" وروى عن محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك .

قلت : وكلا الأثرين من حيث أن السعى الى الصلاة يوم الجمعة بعد النداء لا يراد به الاسراع صحيح ويدل له أمران :

---

(١) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب قوله تعالى :" وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ... الآية " ٢/٥٩٠ .

(٢) حلية الأولياء ٣/٢١٦ .

(٣) ابن كثير ٢٨/٣٩١ .

الأول :

ما صح به الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأمر بعدم السعي الى الصلاة حين الاقامة ، والمشى بكسينة ووقار ، ومن ذلك ما رواه الشيخان [1] ، واللفظ لمسلم ، من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : " سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة . فما أدركتم فصلوا . وما فاتكم فأتموا " . أهـ .

الأمر الثانى :

ان ما قال مفسرنا ، هو قول عمر ، وابن مسعود ، وأبى العالية ، وغيرهم ، من أئمة السلف .

أخرجه عنهم ابن جرير [2] . ويلاحظ فى القول الأول كلمة : " ليس باليد " وما حكاه ابن كثير [3] ليس بالشد - وهو الصواب - فأخشى أن تكون الأولى محرفة أو من مناكير موسى بن عبيدة الربذى .

* * *

---

(١) البخارى ، كتاب الجمعة ، باب المشى الى الجمعة ٢/٧ . حديث ٩٠٨ مسلم ، كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة ، باب استحباب اتيان الصلاة بوقار وسكينة ، والنهى عن اتيانها سعيا ١/٤٢٠ حديث ٦٠٢ .

(٢) الطبرى ٢٨/٩٩ .

(٣) البداية والنهاية " ترجمة محمد بن كعب " ٩/٢٦٩ .

=((تفسير سورة المنافقين))=

" هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ - ٧ - يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ " - ٨ -

٤٢٩) لما قال عبد الله بن أبيّ : لا تنفقوا على من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال أيضا : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، أخبرت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فلامنى الأنصار ، وحلف عبد الله بن أبى ما قال ذلك ، فرجعت الى المنزل فنمت فدعا بى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتيته فقال : " ان الله قد صدقك ، ونزل : " هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا ... الآية " .

وهذا خبر صحيح رواه البخارى (١) ، واللفظ له ، والترمذى (٢) ، والنسائي (٣) ، وأبونعيم (٤) ، من طريق مفسرنا ، عن زيد بن أرقم ، وليس لنا عليه من استدراك أو تعليق سوى ما وقع فى رواية الترمذى والنسائي ، من أن مقالة ابن أبيّ تلك ، كانت فى غزوة تبوك ، والتحقيق أن رأس المنافقين تلفظ بمقالته الشنيعة فى غزوة بنى المصطلق سنة ست من الهجرة . ويدل لذلك أمران :

---

(١) البخارى ، كتاب التفسير " سورة المنافقون ٦/١٢٧ . حديث ٤٩٠٢

(٢) الترمذى ، كتاب التفسير "، سورة المنافقون ٥/٤١٧ حديث ٣٣١٤ .

(٣) النسائى ، ١/٢٣٨ .

(٤) حلية الأولياء ٢/٢١٨ .

الأول :

ما صرح به سفيان فى بعض طرق الخبر عند الترمذى[1] بقوله : " يـــــرون أنها غزوة بنى المصطلـــق .

الأمر الثانـي :

ذكر ابن اسحاق[2] ، وابن كثـير[3] هذه القصة ، وأنها حدثت فى غـزوة بنى المصطلق ، فلعل ما ذكره الترمذى ، والنسائي ، من أن تلك الحادثـــة فى غزوة تبـوك ، وهـــم من بعـض الرواة .

* * * *

* * *

* *

*

---

(١) الترمذى ، كتاب التفسير ، " سورة المنافقون " ٥/٤١٧ حديث ٣٣١٥ .

(٢) سيرة ابن هشـــام " سبب غزو الرسول لهم " ٣ ، ٤/٢٩٠ .

(٣) البداية والنهايـة ٤/١٥٨ .

"عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا " - ٥ -

قولـه : "سَٰٓئِحَٰتٍ " :

٤٣٠) صائمـات . حكاه ابن كثير[1] في قول الأكثرين وفيهم أبوهريرة ، وعائشة ، وابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، واختاره على قول زيـد ابن أسلم ، وابنه عبد الرحمن "سَٰٓئِحَٰتٍ" أي مهاجرات .

قلـت : ويدل على رجحان قول الأولـين . أمور منهـا :

أولا :

إن الله تعالى وعد رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يبدله أزواجا خير من اللائي تظاهرن عليه ان طلقهن ، وهذه الخبرية لا تتأتى في الهجـرة وحدها ، بل تمامها أن يكن صوامات قوامـات .

ثانيا :

لم أجد بين أهل اللغة من يذكر الهجرة في معاني الساحة ، بل حكـى الراغب[2] ما يفيد قوة جانب قول مفسرنا ومن معه . فقال : " سائحات : أي صائمات . قال بعضهم الصوم ضربان : حقيقي ، وهو ترك المطعم ، والمنكح ، وصوم حكمي ، وهو حفظ الجوارح عن المعاصي ، كالسمع والبصر واللسـان ، فالسائح هو الذي يصوم هذا الصوم دون الأول " . . أ هـ .

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ

---

(١) ابن كثـير ٢٨ / ٤١٦ .

(٢) المفـردات ٢٤٦ .

سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". - ٨ -

قولـه : " تَوبَةً نَصُوحًا " :

٤٣١) يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والاقلاع بالأبدان ، واضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيئ الاخوان . أخرجه البغوى[1] واسناد ضعيف لكنه فى جملته صحيح المعنى ، وما تضمنه من أمور هي من مستلزمات التوبة النصوح ، وتعليقنا على جملة واحدة منه ، وهي قوله : " الاستغفار باللسان، فقد جاء فى الكتاب الكريم ما ظاهره أن التوبة غير الاستغفار ، قال تعالى: " وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ "[2]. فذكر التوبة معطوفة على الاستغفار بحرف العطف ثم . دليل على أنه غيرها ، اذ الاستغفار هو الذكر المعروف باللسان ، وان التوبة هي الرجوع الى الله ، فقد أجاب الزمخشرى[3] بما يزيل الاشكال فقال :

" فان قلت " ما معنى ثم فى قوله : " ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ " ؟ قلت : معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة أو استغفروا والاستغفار توبة ، ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها . كقوله " ثُمَّ اسْتَقَامُوا "[4] ".

* * *

---

(١) البغوى ٢٨ / ٣٦٧ .

(٢) هود ٣ .

(٣) الكشاف ٤ / ٢٠٧ .

(٤) يعنى قوله : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا " فصلت ٣٠ .

=((تفسير سورة القلم))=

" نٓ وَالْقَلَمِ " . - ١ -

٤٣٢) أقسم الله بنصرته المؤمنين .

أخرجه البغوى [١]

تقدم دراسة نحو هذا الأثر .

" وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ " . - ٢٥ -

قوله : " عَلَىٰ حَرْدٍ " :

٤٣٣) على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم . أخرج هذا القول عن مفسرنا ، ومجاهد ، وعكرمة : البغوى [٢] . ثم قال : " وهذا على معنى القصد ، لأن القاصد الى الشئ جاد مجمع على الأمر " . أ هـ .

قلت : وهذا التفسير أخرجه الامام الطبرى [٣] ، عن مجاهد ، وعكرمة ، وظاهر السياق من قوله : " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ... " الى قوله : "... أَنْ لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ " . [٤] يرشد الى ما قاله أولئك الأئمة .

ووجه الدلالة من تلك الآيات عليه ، فيما صورته من تصميم أصحاب الجنة على صرمها مصبحين فى غفلة ودون أن يتنبه لهم المساكين ومن يستحق

---

(١) البغوى ٢٩ / ٣٧٥ .
(٢) المصدر السابق ٢٩/ ٣٨٠ .
(٣) الطبرى ٢٩ / ٣٢ .
(٤) القلم ١٧ : ٢٤ .

أن يؤتى من الثمر حقه عند حصاده . والأمر الذى ائتمروا به وهو الحرد معناه المنع .

" قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ" . - ٢٨ -

قوله : " أَوْسَطُهُمْ " :

٤٣٤) أعدلهم وأخيرهم . حكى هذا التفسير عن مفسرنا ، وابن عباس، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وقتادة ، ابن كثير (١) . وأخرجه عنهم - دون المفسر - ابن جرير (٢) .

وهذا تفسير صحيح ، وما قصه الله عن ذلك الرجل من دعوة رفاقه الى تسبيح الله يدل على خيريته واعتداله .

* * *

* *

*

---

(١) ابن كثير ٢٩ / ٤٣٣ .

(٢) الطبرى ٢٩ / ٣٤ .

=((تفسير سورة الحاقة))=

" يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ " . - ٢٧ -

٤٣٥) موتة لا حياة بعدها . حكاه ابن كثير[1] عن الضحاك . ثم قال : " وكذا قال محمد بن كعب، والربيع ، والسدى .

قلت : وهذا هو أظهر القولين وأولاهما ، وذلك أن الآية إخبار من الله جل وعلا عن تمنى أصحاب الشمال أن موتتهم التى كانت فى الدنيا هي النهاية، وذلك حين رأوا ما آلت إليه حالهم من الشقاء والعذاب المقيم .

" هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ " . - ٢٩ -

قوله :" سُلْطَانِيَهْ" :

٤٣٦) حجتى . حكاه السيوطي[2] وعزاه الى سعيد بن منصور . وأخرجه ابن جرير[3] ،عن مجاهد ، وعكرمة .

وقد سبق نحو هذا الأثر .

" ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ ". - ٤٦ -

قوله :" الوَتِينَ " :

٤٣٧) القلب ومراقّه[4] وما يليه . حكاه ابن كثير[5] ، ولم أجد من أهل العلم من قال بقول مفسرنا هذا ، والذى عليه الأكثرون - كما حكاه ابن جرير[6]، وأختاره - أن الوتين هو : نياط القلب ، ومن من قال بهذا القول من الأئمة ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، ومجاهد ، وقتادة .

قلت : ولعل مفسرنا يعنى بقوله " مراقّه" ما لان من القلب .

* * *

---

(١) ابن كثير ٢٩ / ٤٤٤ .
(٢) الدر المنثور ٢٩ / ٢٧٣ .
(٣) الطبرى ٢٩ / ٦٣ .
(٤) المراق (بتشديد القاف) : ما رق من أسفل البطن . انتهى محل الغرض. اللسان (مرق) ٤١٨٦ .
(٥) ابن كثير ٢٩ / ٤٤٥ .
(٦) الطبرى ٢٩ / ٦٦ - ٦٧ .

=((تفسير سورة المعارج))=

" تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" . - ٤ -

قوله : " خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " :

٤٣٨) هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة . حكاه ابن كثير[1] ، نقلا عن ابن أبي حاتم ، وساق سنده ، وهذا القول ، مع ضعف سنده من جهة موسى بن عبيدة الربذي ، فهو بعيد كل البعد عن ظاهر النظم الكريم ، وذلك أن الآيات من أول السورة ... ، الى قوله : " ... خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" . حديث عن أمرين :

الأول :

وقوع العذاب بأعداء الله الكفره ، وأنه ليس له دافع يدفعه .

الأمر الثاني :

وصف الحق تعالى نفسه ، بأنه صاحب المعارج ، وذلك أنه تصعد اليه الملائكة ، وجبريل عليه السلام .

والذي رواه ابن جرير[2] ، عن الأكثرين ، منهم : ابن عباس ، وقتاده ، وعكرمة ، أن المعنى بذلك اليوم ، هو يوم القيامة ، ويدل له من السنة ، ما رواه مسلم[3] ، وأبو داود[4] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - . وفيه : " ... كلما بردت

---

(١) ابن كثير ٢٩ /٤٤٧ .

(٢) الطبري ٢٩ / ٧١ .

(٣) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب اثم مانع الزكاة ٢ / ٦٨٠ حديث ٢٤ .

(٤) أبو داود ، كتاب الزكاة ، باب في حقوق المال ٢ / ٣٠٢ ، حديث ١٦٥٨ .

أعيدت له ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ... الحديث".

فان قال قائل : " كيف توفق بين آية المعارج هذه ، وما ظاهره فى سورتي الحج[1] ، والسجدة[2] ، أن نزول الأمر وصعوده فى يوم كألف سنة ؟ .

قلنا : قد جمع الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[3] بين الآيات الثلاث فقال : " وللجمع بينهما وجهان :

الأول :

هو ما أخرجه ابن أبى حاتم ، من طريق سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، من أن يوم الألف فى سورة الحج ، هو أحد الأيام الستة التى خلق الله فيها السماوات والأرض . ويوم الألف فى سورة السجدة هو تعداد سير الأمر وعروجه اليه تعالى . ويوم الخمسين ألفا هو يوم القيامة" .

الوجه الثاني :

أن المراد بجميعها ، يوم القيامة ، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر . ويدل لهذا قوله تعالى : " فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ "[4] . ذكر هذين الوجهين صاحب الاتقان[5]". والعلم عند الله . أ هـ .

* * *

---

(١) الحج ٤٧ .

(٢) السجدة ٥ .

(٣) دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب ٢٠٦ .

(٤) المدثر ٩ .

(٥) الاتقان ٢ / ٢٨ .

=((تفسير سورة نوح))=

" وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " . - ٢٣ -

قولـه : " وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " :

٤٣٩) هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح ، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم فى العبادة ، فجاءهم ابليس، وقال لهم : لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق لكم فى العبادة ، ففعلوا ، ثم نشأ قوم بعدهم . فقال لهم ابليس : إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم ، فعبدوهم ، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك ، وسميت تلك الصور بهذه الأسماء ، لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المسلمين .

٤٤٠) كان لآدم - عليه السلام - خمسة بنين : ود ، وسواعا ، ويغوث، ويعوق ، ونسرا . فكانوا عبّادا ، فمات رجل منهم ، فحزنوا عليه حزنا شديدا ، فجاءهم الشيطان فقال حزنتم على صاحبكم هذا ؟ قالوا : نعم . قال : هل لكم أن أصور مثله فى قبلتكم إذا نظرتم اليه ذكرتموه ؟ . فقالوا : لا ، نكره أن تجعل لنا فى قبلتنا شيئا نصلى إليه . قال : فأفعله فى مؤخر المسجد ، قالوا : نعم ، فصوّره لهم حتى مات خمستهم ، فصور صورتهم فى مؤخر المسجد ، فتنقصت الأشياء حتى تركوا عبادة الله وعبدوا هؤلاء الخمسة العبّاد الذين ماتوا فبعث الله عز وجل نوحا - عليه السلام - فقالوا - يعنى لقومهم -[1] : " لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَيَعُوقَ ... الآية " .

أخرج الأثر الأول بتمامه البغوى[2] . وأورده السيوطي[3] مختصرا ،

---

(١) فى العظمة : "فقال يعنى لقومه . والصواب : ما أثبتناه" . انظر : الدر المنثور ٢٩٤/٢٩ .

(٢) البغوى ٣٩٩/٢٩ .

(٣) الدر المنثور ٢٩٤/٢٩ .

وعزاه الى عبد بن حميد ، وله شاهد بنحوه من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عند البخارى [1] .

وأخرج الثاني : أبوالشيخ [2] من طريق أبى معشر ، فاسناده ضعيف ، وقد تضمن الأثران مجتمعين ثلاثة أمور صحيحة ، يدل عليها ما أشرنا اليه من حديث ابن عباس [3] :

الأمر الأول :

أن أولئك الرجال ، كانوا من الصالحين قبل بعثة نوح - عليه الصلاة والسلام - .

الأمر الثاني :

أن قومهم جعلوا لهم صورا وتماثيل ليتذكروا عبادتهم فيقتدوا بهم ، وذلك وحى من الشيطان .

الأمر الثالث :

عبادة أولئك الرجال ، حين ذهب الصالحون من القوم ، فأوحي الشيطان الى الجهلة أن آبائهم ما صوروهم الاّ لعبادتهم ، فكانت تلك الصور والتماثيل هي سبب الانحراف من التوحيد الى الوثنية ، وأما ما اشتمل عليه أثر أبى الشيخ من تفصيلات وغرائب ، فلا أراها الاّ من أخبار من سبقنا ، يغنى عن سردها وتفنيدها ما قدمناه من ضعف السند .

" إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا " . - ٢٧ -

---

(١) البخارى ، كتاب التفسير ، سورة نوح ، باب ودا ولا سواعا " ٦ / ١٣٣ . حديث ٤٩٢٠

(٢) العظمة ٩٨ / أ .

(٣) البخارى ، كتاب التفسير ، سورة نوح ، باب ودا ولا سواعا" ٦ / ١٣٣ .

٤٤١) انما قال نوح هذا ، حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام نسائهم ، وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة .

أخرج هذا القول عن مفسرنا ، ومقاتل ، والربيع : البغوى (١) ، وهو قول فى غاية التكلّف واخبار بما لم يسنده دليل من كتاب ولا سنة .

قال ابن كثير (٢) فى سبب دعاء نوح - عليه السلام - على قومه : " أى أنك ان أبقيت منهم أحدا أضلوا عبادك " - أى الذين تخلقهم بعدهم - " وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا " - أى فاجرا فى الأعمال كافر القلب - ، وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة الّا خمسين سنة " أ هـ .

قلت : فهذا القول حسن ويوافق ما أوضحناه فى سورة هود (٣) ، من أن نبي الله نوحا - صلى الله عليه وسلم - دعا على قومه بهذا الدعاء قبل أن يعلمه الله أنه لن يؤمن منهم الّا من قد آمن . ومثل ما خشي نوح من فتنة الكفار للمؤمنين واضلالهم ، كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر ، إذ ناشد ربه قائلا : " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد " (٤) أ هـ .

فكل من النبيّين - عليهما الصلاة والسلام - خبر قومه وعرف من حالهم ما يؤول اليه الأمر لو تغلب الكفار على المؤمنين من فتنتهم واضلالهم عن دين الله .

* * *

---

(١) البغوى ٢٩ / ٤٠٠ .

(٢) ابن كثير ٢٩ / ٤٥٦ .

(٣) الأثر رقم ١٩٤ .

(٤) سيرة ابن هشام (مناشدة الرسول ربه النصر) ١ / ٦٢٦ .

=((تفسير سورة الجن))=

" وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا " . - ١٦ -

قوله : " الطَّرِيقَةِ " :

٤٤٢) الاسلام . حكاه ابن كثير (١) ، عن مجاهد ، ثم قال : " وكذا قال سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والسدى ، ومحمد بن كعب القرظي .

قلت : واختار هذا التفسير الطبرى (٢) ، وحكاه عن أكثر المفسرين ، منهم : ابن عباس ، وعمر ، والربيع ، وابن زيد ، وهذا على أن الآية معني بها القاسطون ، والمعنى : أن القاسطين لو استقاموا على طريقة الحق والهدى لأسقيناهم ماء كثيرا ، يعنى : سعة الرزق ، كما قال تعالى : " وَلَوْ أَنَّهُم أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم " . (٣) وكقوله تعالى : " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ " . (٤)

فهاتان الآيتان مع قول أكثر المفسرين ، وما يرشد اليه سياق الآيات ، كما قدمنا يقوى ما جاء عن مفسرنا ، ويرجح جانبه .

* * *
* *
*

---

(١) ابن كثير ٢٩ / ٤٥٩ .
(٢) الطبرى ٢٩ / ١٤ .
(٣) المائدة ٦٦ .
(٤) الأعراف ٩٦ .

" إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً " . - ٥ -

٤٤٣) ثقيل على المنافقين . رواه البغوى (١) ، وهذا القول ، وان كان له وجهه ، الاّ أن وصف القرآن بالثقل ، أعمّ من ذلك ، لأن الآية - بل السورة كلها - من أول ما نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، حين بدء النبوة ، فلا معنى لحمل وصف الله القرآن بالثقل على المنافقين فحسب ، اذ أنهم لا وجود لهم آنذاك ، فلم يعرف المنافقون الاّ بالمدينة بعد الهجرة ، وما أحسن ما قاله ابن جرير (٢) - بعد حكايته قولى السلف فى الآية - :" وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك ، أن يقال : أن الله وصفه بأنه قول ثقيل ، فهو كما وصفه به ثقيل محملة ، ثقيل العمل بحدوده وفرائضه".أهـ.

قلت : وبكل من الوصفين جاء الدليل من صحيح الخبر . فمن الأول : ماروا ه البخارى (٣) وغيره ، من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام - رضي الله عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله . كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" أحيانا يأتينى مثل صلصة الجرس ، وهو أشده علىّ ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى فأعي ما يقول ، قالت عائشة - رضي الله عنها - :" ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وان جبينه ليتفصد عرقا" . أ هـ .

ومن الثاني : ما رواه الترمذى (٤) من حديث معاذ - رضي الله عنه - قال :

---

(١) البغوى ٢٩/٤٠٨ .

(٢) الطبرى ٢٩/١٢٨ .

(٣) البخارى ، كتاب كيف كان بدء الوحي ؟ ١/٣ . حديث ٢

(٤) الترمذى ، كتاب الايمان ، باب ما جاء فى حرمة الصلاة ٥/١ حديث ٢٦١٦ .

" قلت يا رسول الله دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار؟ قال :" يا معاذ لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه ... الحديث" .

ووجه الدلالة من الحديثين : شدة ما يعانيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند تلقي الوحي ، كما في الحديث الأول ، وعظم تكاليف الاسلام وصعوبتها - الاّ على الكمّل من أهل الايمان - كما نص الحديث الثاني .

" إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا " . - ١٢ -

قوله :" أَنْكَالاً " :

٤٤٤) هي القيود . حكاه ابن كثير (١) ، عن مفسرنا ، وابن عباس ، وجماعة آخرين ، وبه قال الطبري (٢) في الآية ، وحكاه عن عكرمة ، وقتادة ، وغيرهما . وحكاه ابن منظور (٣) فقال :" النكل بالكسر : القيد الشديد من أي شئ كان ، والجمع : أنكالا . وفي التنزيل العزيز :" إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا". قيل : هي قيود من نار" . انتهى محل الغرض .

* * *

* *

*

---

(١) ابن كثير ٢٩ / ٤٦٦ .

(٢) الطبري ٢٩ / ١١٤ .

(٣) اللسان (نكل) ٤٥٤٤ .

" وثيابك فطهر " . - ٤ -

٤٤٥) وخلقك فحسن . أخرجه عن مفسرنا ، والحسن : البغوى (١) ، ولم يقل به أحد من الأئمة غيرهما ، ومع ضعف سند المفسر ، فان هذا القول معارض ما جاء صريحا فى القرآن الكريم ، بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعظم الناس خلقا . قال تعالى : "وإنك لعلى خلق عظيم" (٢) . فان قلت : ما قال أهل التأويل فى هذه الآية ؟ .

قلنا : حسب ما رواه ابن جرير (٣) ، وحكاه ابن كثير (٤) ، فليسوا بمتفقين على معناها ، فقول الأكثرين ، ومنهم ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة : " لا تلبس ثيابك على معصية ، ولا على غدره . وقال ابن زيد ، وابن سيرين : "اغسلها بالماء وطهرها من النجاسة . وهذا ما اختاره ابن جرير (٥) . وقال : إنه أظهر معانيه .

قلت : ونحن مع الأظهر من معاني القرآن الكريم حتى يصرفنا عن ذلك الظاهر صارف يجب إتباعه . وما أحسن قول الزمخشرى (٦) . إذ قال : " أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات ، لأن طهارة الثياب شرط فى الصلاة ولا تصلح الا بها ، وهي الأولى والأحب فى غير الصلاة ، وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثا . وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب فى تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مالا يؤمن معه اصابة النجاسات " . أ هـ .

فان سألت : لما تعدل عن قول الأكثرين الى قول ابن سيرين وابن زيد

---

(١) البغوى ٢٩ / ٤١٣ .
(٢) القلم ٤ .
(٣) الطبرى ٢٩ / ١٤٥ .
(٤) ابن كثير ٢٩ / ٤٦٩ .
(٥) الطبرى ٢٩ / ١٤٧ .
(٦) الكشاف ٤ / ١٥٦ .

حتى أيدته بقول الزمخشرى ، مع أن فى قول ابن عباس ، ومن وافقه من الجمهور كناية بليغة ؟ .

فالجواب : عدلنا عن الكناية الى الظاهر الصريح ، لأن الله اختار محمد - صلى الله عليه وسلم - على علم وعرفه قومه بالصادق الأمين ، لأنهم لم يجربوا عليه كذبا ولم يروا منه خيانة ، وما عرفوا منه أنه تلبس يوما بما درجوا عليه من خبيث العادات وذميم الأخلاق ومنكر الخلال .

* * * *

* * *

* *

*

=((تفسير سورة القيامة))=

" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " . - ٢٢ -

٤٤٦) نضّر الله تلك الوجوه وحسّنها للنظر اليه . رواه ابن المنذر ، والآجرى ، فيما ذكره عنهم السيوطي (١) . وفى الأثر مسألتان :

الأولى :

امتنان الله على عبادة المؤمنين بتنضير وجوههم وتحسينها يوم القيامة .

الثانية :

فى اثبات رؤية المؤمنين ربهم ذلك اليوم . وكلتا المسألتين ، وان تعذر علينا الحكم على سند الأثر ، صحيحة ، فشاهد الأولى مع ظاهر آية القيامة هذه . قوله تعالى : " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ... " الى قوله : " ... وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (٢) . ويشهد للثانية ما أخرجه الشيخان (٣) ، واللفظ للبخارى ، من حديث جرير بن عبد الله البجلى - رضي الله عنه - قال : " كنا جلوسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - اذ نظر الى القمر ليلة البدر . قال : " انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا " . أ هـ .

فالحديث - كما ترى - نص صريح فى نظر المؤمنين الى ربهم تبارك وتعالى .

* * *

---

(١) الدر المنثور

(٢) آل عمران ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) البخارى ، كتاب التوحيد ، باب " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " ٩ / ١٠٣ حديث ٧٣٤٠ . مسلم ، كتاب المساجد ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ١ / ٤٣٩ حديث ٤١١ .

=((تفسير سورة النبأ))=

" إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا " . - ٤٠ -

قوله : " وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا " :

٤٤٧) ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " يقضى الله بين خلقه الجن والانس والبهائم ، وانه ليقيد يومئذ الجماء من القرناء حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى . قال الله : كونوا ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر : " يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا " . أخرجه ابن جرير (١) ، عن مفسرنا ، عن أبى هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - واسناده جد ضعيف ، لأن فيه غير المحاربي واسماعيل بن رافع ، راويا مبهما بين المفسر وأبى هريرة .

وفى الخبر مسألتان :

احداهما :

فى إقتصاص الله للخلق بعضهم من بعض حتى البهائم ، فتكون ترابا بعد ذلك .

والأخرى :

فى سبب تمنى الكافر : " لوكان ترابا " عند ما يرى ذلك فى البهائم .

فالمسألة الأولى: دل عليها جملة ما رواه مسلم (٢) ، واللفظ له ، والترمذى (٣) ، من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) الطبرى ٣٠ / ٢٦ .

(٢) مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ٤ / ١٩٩٧ حديث ٢٥٨٢ .

(٣) الترمذى ، كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء فى شأن الحساب والقصاص ٤ / ٦١٤ حديث ٢٤٢٠ .

قال : " لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " . فالحديث نص فى قضاء الله بين الخلائق والاقتصاص لأهل المظالم دون صيرورة البهائم الى التراب .

والمسألة الثانية : وهي تمنى الكافر أن يكون ترابا حين معاينته حال البهائم بعد قضاء الله لبعضها من بعض . قال ابن كثير[1] ـ عند تفسير الآية ـ : " أى يود الكافر يومئذ أنه كان فى الدار الدنيا ترابا ، ولم يكن خلق ولا خرج الى الوجود وذلك حين عاين عذاب الله ونظر الى أعماله الفاسدة ، قد سطرت عليه بأيدى الملائكة السفرة الكرام البررة . وقيل انما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التى كانت فى الدنيا ، فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يجور حتى انه ليقتص للشاة الجماء من القرناء ، فاذا فرغ من الحكم بينها . قال لها: " كونى ترابا فتصير ترابا . فعند ذلك يقول الكافر: " يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا " أى : كنت حيوانا فارجع الى التراب ، وقد ورد هذا فى حديث الصور المشهور ، وورد فيه آثار عن أبى هريرة ، وعبد الله بن عمر وغيرهما " أ هـ .

قلت : وما اختاره ـ رحمه الله ـ هو ما يرشد اليه ظاهر الآية ، وما ذكره من حديث الصور ، فضعيف ، وقد تقدم مرارا . وما أشار اليه من الآثار ، فقد أخرجها ابن جرير[2] ، وهي آثار موقوفة ، ولم أجد ما يعضدها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم . فيترجح عندى الوقوف عند ظاهر النظم الكريم . والله أعلم .

* * *

* *

*

---

(١) ابن كثير ٣٠ / ٤٩٧ .

(٢) الطبرى ٣٠ / ٢٦ .

=((تفسير سورة النازعات))=

" يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ " . - ١٠ -

قوله : " الْحَافِرَةِ " :

٤٤٨) في الحياة . أخرجه ابن جرير[1] ، عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس - أو - محمد بن كعب . وحكاه ابن كثير[2] بلفظ : " الحياة بعد الموت غير مسند ولا معزو ، ولا يضره ضعف سنده عند الطبري ، وعدم عزوه عند ابن كثير ، لأنه قد دلّ صريح الكتاب مع ظاهر هذه الآيات في مواضع كثيرة على انكار الكفار المعاد والعودة الى الحياة للبعث والحساب . قال تعالى : " وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ . قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ "[3] ... " الى قوله : " ... هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ " .

فاذا تأملت هذه الآيات وما قبلها من السياق بدءا من قوله : " ... وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ "[4] . ظهر لك أمران :

الأول :

انكار الكفار البعث والجزاء ، وذلك من أسباب بؤسهم وشقائهم في الآخرة .

الأمر الثاني :

الرد عليهم بإثبات ما أنكروه وأنهم ملاقوا سوء عاقبتهم .

---

(١) الطبري ٣٠ / ٣٤ .
(٢) ابن كثير ٣٠ / ٤٩٨ .
(٣) الواقعة ٤٧ .
(٤) الواقعة ٤١ .

ويؤيد قول مفسرنا من جهة اللغة ما قاله الفراء[1] : " وقوله عز وجل : " الحَافِرَة " . يقال : الى أمرنا الأول الى الحياة ، والعرب تقول : " أتيت فلانا ثم رجعت على حافرتي . أي رجعت الى حيث جئت" . انتهى محل الغرض .

" يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ - ١٠ - أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً - ١١ - قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ - ١٢ .

٤٤٩) لما نزلت هذه الآيات : " أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ . أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً " . قال كفار قريش : " لئن حيينا بعد الموت لنخسرنّ . فنزلت : " تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ " .

٤٥٠) قالت قريش : " لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرنّ . قال الله تعالى : " فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ" .

أخرج الأول من هذين الأثرين : سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر . ذكر ذلك السيوطي[2] . وفيه : أن مقالة قريش : " لئن حيينا بعد الموت لنخسرنّ " . بعد نزول قوله تعالى : " أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ . أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً " . وأن قوله تعالى : " تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ " نزلت بعد تلك المقالة . وهذا القول لم أجده عند غيره من أهل التفسير ، وفيه غرابة ، وعدم تناسق مع الآيات . فأخشى أن يكون من مناكير الربذي أو أبي معشر .

وحكى الأثر الثاني : ابن كثير[3] ، غير مسند ولا معزو ، ولكنه صحيح

---

(١) معاني القرآن ٣ / ٢٢٢ .

(٢) الدر المنثور ٣٠ / ٤٠٧ .

(٣) ابن كثير ٣٠ / ٤٩٨ .

المعـــنى فى الواقع ، فان الذى يتأمل سياق تلك الآيات الخمس[1] لا يظهر لـه سوى أمريـــــن :

الأول :

فى الثلاث الأولى ، استبعاد الكفار البعث وانكارهم إياه ، حتى بلـــغ بهم ذلك أن قالوا : " انهم لو رجعوا الى الحياة مرة أخرى فان رجعتهـــــم خاســـرة .

الأمر الثانـــي :

رد الله عليهم فى الآيتين الأخيرتين ، بأن البعث ما هو الاّ نفخـــــة واحدة تنفخ فى الصور ، فيبرزون أحياء على وجه الأ رض ، كما كانوا فـــــى الدنيا . ونظير هذا فى الكتاب الكريم كثير. ومنه : " وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ " [2] .

* * *

* *

*

---

(١) النازعـــــات ١٠ : ١٤ .

(٢) القمـــــــر ٥٠ .

((تفسير سورة المطففين))

" وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ - ١ - الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ - ٢ - وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ " . - ٣ -

٤٥١) كان بالمدينة تجار يطففون ، وكانت بياعاتهم كشبه القمار : المنابذة[(١)] ، والملامسة[(٢)] ، والمخاطرة[(٣)] ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى السوق ، وقرأها :. أخرجه الواحدى[(٤)] ، وهذا القول مع أننا لا يمكننا الحكم عليه من حيث السند ، لعدم وجوده ، إلاّ أنه يظهر عليه الارسال ، كما يتضح من لفظه الغرابة والنكارة ، وذلك لتضمنه مع التطفيف أنواعا من البيوع لا علاقة لها بموضوع الآيات ، الذى هو بخس الكيل والوزن عند البيع ، واستفاؤهما عند الشراء .

والصريح فى سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن ماجه[(٥)] ، وحسّنه الألباني[(٦)] من حديث ابن عباس . قال : " لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا . فأنزل الله سبحانه : " وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ " فأحسنوا

---

(١) فى اللسان (نبذ) ٤٣٢٢ ، والمنابذه فى التجر : أن يقول الرجل لصاحبه : انبذ اليّ الثوب ، أو غيره من المتاع . أو أنبذه اليك ، فقد وجب البيع بكذا وكذا .

(٢) فى اللسان (لمس) ٤٠٧٣ ، وبيع الملامسة : أن تشترى المتاع بأن تلمسه ولا تنظر اليه . وفى الحديث النهى عن الملامسة . قال أبوعبيد : "الملامسة أن يقول : ان لمست ثوبى أو لمست ثوبك ، أو اذا لمست المبيع ، فقد وجب البيع بيننا بكذا وكذا .

(٣) فى اللسان والخطر : السبق الذى يترامى عليه فى التراهن والجمع : أخطار قلت : وعلى هذا فالمخاطرة : المراهنة .

(٤) الواحدى ٤٨٢ .

(٥) ابن ماجه ، كتاب التجارات باب التوقى فى الكيل والوزن ٢ / ٧٤٨ حديث ٢٢٢٣ .

(٦) صحيح ابن ماجة ، كتاب التجارات بالتوقى فى الكيل والوزن ٢ / ١٩ .

الكيـــل بعد ذلـــك " . أ هـ .

" كَـــلَّآ إِنَّ كِتَـــابَ الْفُجَّـــارِ لَفِـــى سِجِّـــينٍ " . ـ ٧ ـ

قولـــه : " سِجِّـــــينٍ " :

٤٥٢) ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " الفلق جب فى جهـــنم مغطى ، وأما سجين فمفتـــوح " . أخرجه ابن جرير[1] ، عن مفسرنا ، عـــــن أبى هريرة ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال ابن كثير[2] فى تفسير الآية ، عند سياق هذا الحديث ـ بعد ذكـــر أقوال المفسرين ـ : " وقد روى ابن جرير فى ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصـح " أ هـ .

قلـــت : وعدم صحة هذا الحديث لثلاثـــة أوجـــه :

الأول :

مخالفته ما جاء فى الخبر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من روايـــة أحمـــد[3] ، عن البراء . وفيه : " فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى ... الحديث " .

الثانـــي :

شذوذه عن ما اختاره ابن جرير[4] . وروى فيه قول أكثر المفسريـــن أن سجين هي الأرض السابعة السفلى ، وليس فى جهنم كما يفهم من هذا الخبر .

---

(١) الطـــبرى ٣٠ / ٩٦ .
(٢) ابن كثـــير ٣٠ / ٥١٧ .
(٣) المسند ٤ / ٢٨٨ .
(٤) الطـــبرى ٣ / ٩٤ .

الثالـــث :

فى سنده شعيب بن صفـــوان[1] بن الربيع الثقفي ، فان من ترجم له مـــن الأئمة مثل المـــزى ، والخطيب البغدادى ، وابن حجر ، لم يذكروه فى مـــن روى عن القرظي . فأخشى أن تكون روايته عن مفسرنا منقطعة .

" وما أدراك مـــا سجّـــين كتـــاب مرقـــوم " . - ٨ -

٤٥٣) قد رقّم الله على الفجار ما هم عاملون فى سجين ، فهو أسفـــــل والفجار منتهون الى ما قد رقم الله عليهم ، ورقم على الأبرار ما هم عاملـــــون فى عليين ، وهم فوق ، فهم منتهون الى ما قدر الله عليهم .

رواه سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، حكى ذلك السيوطي[2] .

وفى الأثر مسألتان صح بكل منهما الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم :

فالمسألة الأولى :

أن كتاب الفجار فى سجين ، وهو أسفل ، وأن كتاب الأبرار فى عليـــين فيشهد له حديث البراء ، عند أحمد[3] . وفيه : " فيقول الله عز وجل : اكتبـــوا كتاب عبدى فى عليين ... " . كما يقول فى الكافر : " اكتبوا كتابه فى سجـــين فى الأرض السفلـــى ... الحديث " .

والمسألة الثانيـــة :

وهي أن كلا من البر والفاجر ، منتـه الى ما كتب الله عليه من السعـــادة ، أو الشقاوة ، فدليلها ما رواه الشيخان[4] ، واللفظ للبخارى ، من حديـــــث

---

(١) انظـــر الملحـــق رقم ٩٢

(٢) الدر المنثـــــور ٣ / ٤٤٤ .

(٣) المسنـــــد ٤ / ٢٨٧ / ٢٨٨

(٤) البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ٤ / ٨٨ حديث ٣٢٠٨ .
مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمى من بطن أمه ، وكتابـــة رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ٤ / ٢٠٣٦ حديث ٢٦٤٣ .

ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : " حدثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصادق المصدوق . قال : " ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ، ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ، فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة الاّ ذراع ، فيسبق عليه كتابه ، فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة الاّ ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة"أهـ .

" كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ " . ـ ١٨ .

قوله : " فِى عِلِّيِّينَ " :

٤٥٤) يرى فى الجنة كهيئة البرق فيقال: ما هذا ؟ قيل : رجل من أهل عليين تحول من غرفة الى غرفة . أخرج هذا الأثر ابن أبى شيبة [1] . وفيه ـ كما ترى ـ الاخبار بلون من ارتفاع المنزلة الحسية لأهل الجنة ، لكن قول مفسرنا مع ما فيه من المقال من جهة أسامة بن زيد الليثي ، فهو اخبار بأمر غيبي لا سبيل الى الجزم به مالم يكن له شاهد من صريح الكتاب أو صحيح سنة ، ويغنى عنه عندنا شيئان :

الأول :

أن من ذينك الشيئين أن آيتى المطففين هاتين ، اخبار من الحق تبارك وتعالى عن أن كتاب الأبرار فى عليين ، فهم منتهون بفضل الله ورحمته الى ما أعد لهم من أعلى المنازل عنده ، وقد وعد الصفوة من عباده المؤمنين أن يورثهم الفردوس ، وهي أعلى الجنة ، ومنها تتفجر أنهارها وسقفها عرش الرحمن .

---

(١) المصنف ١٣ / ١٢٥ حديث ١٥٨٧٧ .

الشئ الثانـي :

أن ارتفاع أهل الجنة حسا وتفاضل بعضهم على بعض فى المنزلة جاء به صحيح الخبر عن النبي — صلى الله عليه وسلم — وفيه غنية عن مثل قـــول مفسرنا - رحمه الله - من ذلك ما رواه مسلم (١)، عن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :" إن أهل الجنـــة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفـق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم " . قالوا : يا رسول الله ! تلـــك منازل الأنبياء لا يبلغها غيره . قال :" بلى . والذى نفسى بيده رجـــال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ". أ هـ .

ورواه الترمـــذى (٢) من حديث أبى هريرة بنحـــوه .

* * *

* *

*

---

(١) مسلم ، كتاب الجنة ، باب تراءى أهل الغرف كما يرى الكوكب فى السمـــاء ٤ / ٢١٧٧ حديث ٢٨٣١ .

(٢) الترمذى ، كتاب الجنة ، باب ما جاء فى تراءى أهل الجنة فى الغـــرف ٤ / ٦٩٠ حديـث ٢٢٥٦ .

=((تفسير سورة الفجر))=

" وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ " - ١ -

قوله : " وَالْفَجْرِ " :

٤٥٥) فجر يوم النحر ، وليس كل فجر . أورد هذا الأثر عن مجاهد : السيوطي[1] ، نقلا عن ابن أبي حاتم ، ثم قال : " وأخرج ابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب القرظي مثله .

قلت : وحكاه بنحوه أيضا عن مفسرنا ، ومسروق ، ومجاهد : ابن كثير[2] ، ومقتضى هذا القول تخصيص فجر يوم معين كما ترى . وهو عندي مرجوح لأدلة منها :

أولا :

اقتران اسم الفجر "بأل" الجنس ، وهي من ألفاظ العموم - وعليه فقد أقسم الله في هذه السورة ، بفجر كل يوم ، والعدول عن هذا العموم لا يسوغ دون مخصص يجب التسليم له ، ولا وجود لذلك المخصص فيما أعلم ، وهذا ما اختاره ابن جرير[3] ، وأخرجه عن الزبير ، وعكرمة ،

ثانيا :

العطف على القسم بالفجر بليال عشر ، والعطف يقتضي المغايرة .

" وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ " . - ٤ -

٤٥٦) هذه الافاضة إسر يا سرى ولا تبيتن الا بجمع . حكاه نقلا عن ابن أبي حاتم السيوطي[4] ، وابن كثير[5] ، وهذا لفظ السيوطي . ومفاده أن ما أقسم

---

(١) الدر المنثور ٣٠ / ٤٩٨ .
(٢) ابن كثير ٣٠ / ٥٣٩ .
(٣) الطبري ٣٠ / ١٦٨ .
(٤) الدر المنثور ٣٠ / ٥٠٤ .
(٥) ابن كثير ٣٠ / ٥٤١ .

اللـه بـه فى السورة ليلة المزدلفـة ، وبه قال عكرمة . أخرجه عنه ابن جريـر[1]، وعندى أن هذا التفسير مرجوح لثلاثة أوجـه :

أولا :

العـدول عمـا ظاهـرة العمـوم دون مسـوغ .

الثاني :

أن كل من فسر الآية من السلف مثل : ابن عباس ، ومجاهد ، وأبى العالية ، كما حكاه ابن جرير ، وابن كثير ، ذكروا أن سريان الليل ذهابه ولم يخصصـوا ليلة بعينهـا .

الثالث :

ضعف سند الروايتين ، فما جاء عن مفسرنا من طريق كثير بن عبد اللـه ابن عمرو المزنى المدني ، وما جاء عن عكرمة فى سنده ابن حميد ، ومهـران ، والثلاثة جميعهم ضعفـاء .

" إِرَمَ ذَاتِ العِمَـادِ " - ٧ -

قولـه : " إِرَمَ " :

٤٥٧) الأسكندرية . رواه ابن جرير[2] من طريق أبى صخر ، والبغوى[3] ، مـن طريق أبى معشر . وهذا بتفسير غريب ومخالف للواقع . ويرده أمور منهـا :

أولا :

إن هذه الآيات إعلام من الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - والأمة بمـا صنعه بعاد قوم هود ، حين كذبوا نبيهم - صلى الله عليه وسلم - يوضح ذلك ما جاء من القصص عنهم فى سورة الحاقـة . اذ يقول تعالى : " وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا

---

(١) الطـبرى ٣٠ / ١٧٣ .

(٢) المرجع السابق ٣٠ / ١٧٥ .

(٣) البغـوى ٣٠ / ٤٨٢ .

بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ..."[1] . الى قوله : " فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ". وفي آية الفجر هذه يظهر من السياق أن ارم عطف بيان من عاد ، فارم هي القبيلة نفسها بقرينة قوله : " الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلادِ " . أي في ذلك الزمان ، يوضحه ما حكاه الله على لسان نبيهم هود ، اذ قال مذكرا لهم : " وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[2] وقال عنهم في سورة فصلت : " فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ"[3].

فالآيتان مع آية الفجر بيان أن المعني هم عاد أنفسهم .

الأمر الثاني :

ما جاء في صريح الكتاب الكريم ، أن منازل القوم كانت بالأحقاف ، وهي معروفة في جنوب الجزيرة العربية . قال تعالى : " وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"[4]. فلا معنى مع هذه الآية الصريحة الدلالة على مكان القوم لما قاله مفسرنا ، فلو قلنا ان ارم مدينة سكنى عاد ما كان مكانها الا كما قص الله تعالى .

فان قال قائل : " هل ذكر أحد من المفسرين معنى ارم ؟ .

قلت : ما أكثر الأقوال في ذلك . وانظر على سبيل المثال ما أخرجه

---

(١) الحاقة ٦ .
(٢) الأعراف ٦٩ .
(٣) فصلت ١٥ .
(٤) الأحقاف ٢١ .

ابن جرير[1] ،عن المقبرى : "إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ " دمشق . وما أخرجه عن قتادة أن ارم قبيلة من عاد ، بيت مملكة عاد ، لكنها جميعا ليست بشئ ، لأنها لم يسندها قول عن المعصوم صلى الله عليه وسلم .

" يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ - ٢٧ - ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً " . - ٢٨ -

٤٥٨) أن المؤمن اذا مات رأى منزله من الجنة ،فيقول تبارك وتعالى : " يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي " . الى جسدك الذى خرجت منه " رَاضِيَةً " ما رأيت من ثوابى مرضيا عنك حتى يسألك منكر ونكير .

رواه ابن المنذر فيما حكاه عنه السيوطي[2] ، وما يجدر به الاهتمام فى هذا الأثر ثلاث مسائل :

الأولى :

فى خطاب نفس المؤمن بهذا النداء .

الثانية :

فى المعني بربك فى قوله : " ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً " .

الثالثة :

فى الملكين اللذين يسألان الانسان فى قبره .

المسألة الأولى : صرح فى هذا الأثر أن خطاب نفس المؤمن بقول الله تعالى : " يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ " بعد الموت حين يعلم منزله من الجنة ، والصحيح قوله : " لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار" . وقد قدمنا هذا القول فى تفسير سورة الواقعة ، واستشهدنا له بحديث البراء عند أحمد . وفيه : التصريح بأن نداء كل من المؤمن والكافر

---

(١) الطبرى ٣٠ / ١٧٥ .

(٢) الدر المنثور ٣٠ / ٥١٥ .

عند الاحتضـــار ، وليس بعد المـــوت .[1]

المسألة الثانيـة : في تفسيره الرب بالجسد ، والمعنى ارجعي الـــى جسدك الذي كنت فيه . أي : صاحبك . وبه قال ابن عباس ، والضحـــاك ، وعكرمة . رواه ابن جرير واختاره .

وعندي أن هذا مرجوح ، ويرده حديث البراء المتقدم ، حيث يقـــول ملك الموت :" أيتها النفس الطيبة أخرجي الى مغفرة من الله ورضوان . فقد أفاد الحديث أن مرجع النفس الذي تدعى اليه الى الله لا الى الجسد .

المسألة الثالثـــة : في أن ملكي السؤال في القبر ، هما منكر ونكـير، فلم أجد في هذه المسألة الاّ ما رواه الترمذي[2] ، وحسّنه من حديث أبي هريـرة- رضي الله عنه - قال :" قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :" اذا قـــبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان . يقال لأحدهمـــا المنكر ، والآخر النكير ... الحديث" قال الترمـذي فيه :" غريب".

* * *

* *

*

---

(١) الأثـــر رقـــم ٤٢١ .

(٢) الطـــــبري ٣٠/ ١٩١ ، ١٩٢ .

(٣) الترمذي ، كتاب الجنائـز ، باب ما جاء من عذاب القـبر ٣/ ٣٧٤ ، حديـــث ١٠٧ .

=((تفسير سورة البلد))=

" وهديناه النجدين " . - ١٠ -

٤٥٩) الهدى والضلالة .

٤٦٠) الثديين .

أخرج الأول من الأثرين سعيد بن منصور ، فيما حكاه السيوطي[١] .

وأخرج الثاني منهما عبد الرزاق[٢] ، والبغوى[٣] ، وكلاهما عن مفسرنا عن ابن عباس ، وكلا الأثرين أخرجه ابن جرير[٤] ، عن مفسرى السلف . ثم قال : " وأولى القولين بالصواب من ذلك عندنا : قول من قال : عنى بذلك طريق الخير والشر " . انتهى محل الغرض .

قلت : ويتأكد ذلك القول عندى لأوجه كثيرة منها :

أولا :

ضعف ثاني القولين من طريق مفسرنا ، فانه فى سند عبد الرزاق : عمرو ابن أبى بكر القرشي ، كما أنه عند البغوى من رواية أبى معشر . وقد عرفت كلا الرجلين فيما تقدم .

ثانيا :

لو كان ما جاء فى ذلك عن ابن عباس صحيح الاسناد ، ما كان راجحا على أكثر الروايات عنه فى جملة الأكثرين من أهل التفسير . كما حكاه الطبرى وابن كثير[٥] ، مع أن فى سنده عقال البجلى[٦] . لم أجد من ذكره

---

(١) الدر المنثور ٣٠ / ٥٢١ .
(٢) تفسير عبد الرزاق ٢ / ٦٢٠ .
(٣) البغوى ٣٠ / ٤٨٩ .
(٤) الطبرى ٣٠ / ٢٠١ .
(٥) ابن كثير ٣٠ / ٥٤٧ .
(٦) الجرح والتعديل ٧ / ٤٠ .

غير ابن أبي حاتم ، لكنه سكت عنه ، فلم يعدله ولم يجرحه .

ثالثا :

لم نعلم في صريح الكتاب أن الله جلّ وعلا امتن على الانسان بنعمة بعد ايجاده من العدم أفضل من بيانه الخير له ليسلكه ، والشر ليجتنبه ، مرتبا على فعل الأول الثواب ، وعلى فعل الثاني العقاب . وذلك في مثل قوله تعالى : " إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ... " الى قوله : " .... فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا " .(١)

" عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ " - الآية الأخيرة -

قوله : " مُؤْصَدَةٌ " :

(٤٦١) مطبقة . حكاه ابن كثير(٢) قائلا : " قال أبوهريرة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعطية العوفي ، والحسن ، وقتادة ، والسدي : " مُؤْصَدَةٌ " مطبقة .

قلت : واختار هذا القول ابن جرير(٣) . وأخرجه عن ابن عباس ، وقتادة ، وقال ابن منظور(٤) : " وأوصد الباب : أطبقه كأوصده اذا أغلقه . وفيه قرأ أبوعمرو : " انها عليهم مؤصدة " بالهمز . وأصد القدر : أطبقها " . انتهى محل الغرض .

قلت : وبهذا يتضح أن ما قاله مفسرنا وموافقوه صحيح ، ولا ينافي ماقاله مجاهد ، وحكاه عنه ابن كثير(٥) ، أن معنى مؤصدة مغلقة .

* * *

---

(١) الانسان الآيات من ٢ : ١١ .

(٢) ابن كثير ٣٠ / ٥٥٠ .

(٣) الطبري ٣٠ / ٢٠٦ .

(٤) اللسان ٨٦ " مادة (أوصد) " .

(٥) ابن كثير ٣٠ / ٥٥٠ .

=((تفسير سورة الشمس))=

" كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا " . - ١١ -

٤٦٢) بأجمعها . أخرجه ابن جرير (١) ، من طريق محمد بن رفاعة القرظي ، عن مفسرنا ، في جملة ثلاثة أقوال لأهل التفسير :

أحدها :

عذابها . وهو قول ابن عباس ، وقتادة .

ثانيها :

معصيتهم الله . وبه قال مجاهد ، وابن زيد .

ثالثها :

قول مفسرنا .

واختار ابن جرير (٢) القول الأول ، واستدل له بقوله : " فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ " . (٣)

وقال ابن كثير (٤) في تفسير الآية : " يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي . وقال محمد بن كعب : " بِطَغْوَاهَا " أي بأجمعها . والأول أولى . قاله مجاهد ، وقتادة وغيرهما ، فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم - عليه الصلاة والسلام - من الهدى واليقين " . أ هـ .

قلت : وما ذكره رحمه الله هو ثاني الأقوال كما ترى . ويترجح عندي

---

(١) الطبري ٣٠ / ٢١٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الحاقة ٥ .
(٤) ابن كثير ٣٠ / ٥٥٢ .

لأدلة كثيرة منها :

أولا :

أن ما جاء عن مفسرنا باسنادى الطبرى ، مداره على محمد بن رفاعة القرظي ، وهو ضعيف كما تقدم .

ثانيا :

جاء فى صريح القرآن ما يدل على أن بعض ثمود آمنوا بالله وصدّقوا رسوله صالحا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذلك فى مواضع كثيرة . منها : " فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ " (١) .

ثالثا :

فى كامل القصة ـ كما جاءت فى سورة هود (٢) ـ بيان أن ثمود تنكروا لما جاءهم به نبيهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الدعوة الى الله وخلع ما دونه من الأوثان ، وتذكيره إياهم بآلاء الله عليهم ، ولم يكن الأمر قاصرا على ما توعدهم به من العذاب بعد عقرهم الناقة ، فان تلك الفعلة الشنيعة هي خاتمة ما واجهوا به نبيهم من التكذيب والتمرد .

* * *

* *

*

---

(١) هود ٦٦ .

(٢) هود ٦١ : ٦٨ .

=((تفسير سورة الانشراح))=

" وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ " . - ٤ -

٤٦٣) اذا ذكر الله ذكر معه ، أشهد أن لا اله الاّالله وأشهد أن محمدا رسول الله .

أخرجه سعيد بن منصور ، وابن عساكر ،فيما حكاه السيوطي.(١) وما تضمنه الأثر من رفع الله ذكر نبيّه محمدا - صلى الله عليه وسلم - صحيح ، ولكن ليس ما قاله مفسرنا على سبيل الحصر ، فقد شرف الله خاتم رسله وخيرته من خلقه في مواطن كثيرة أعلى فيها شأنه على الخليقة ورفع بها قدره ورفع بها ذكره . ونحن نذكر بعض تلك المواطن :

أولا :

مقام النبوة والرسالة التي جعلها الله خاتمة الرسالات عامة جميع البشر ، قال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا "(٢) . وقد ذكرنا عند هذه الآية قول المفسر وشواهده من الكتاب والسنة في تفسير سورة " سبأ "(٣) ، ونعزز ذلك هنا بما رواه مسلم(٤) ، من حديث أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به الاّ كان من أصحاب النار " . أ هـ .

فقد أفاد الحديث - مع عموم رسالته - وجوب الايمان بها على كل الناس ، وأنها ناسخة ما قبلها من الشرائع .

---

(١) الدر المنثور ٣٠ / ٥٤٩ .

(٢) سبأ ٢٨ .

(٣) الأثر رقم ٣٤٥ .

(٤) مسلم ، كتاب الايمان ، باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنها ناسخة لجميع الملل . ١ / ١٣٤ حديث ٢٤٠ .

ثانيـــا :

قوله تعالى : " وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا " . (١) وهذا المقام المحمود يتجلى فى الشفاعة العظمى التي يتخلى عنها أولو العزم من الرسل ، وينال شرفها نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - كما جاء ذلك مفسرا فيما أخرجه البخارى (٢) ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : " إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود " . أ هـ .

وأتم منه وأطول ما أخرجه الشيخان (٣) ، من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - وفيه : " فانطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجدا لربى عز وجل ، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال : " يا محمد ارفع رأسك سل تعطه ، واشفع تشفع ... الحديث " .

* * *

* *

*

---

(١) الاسراء ٧٩ .

(٢) البخارى ، كتاب التفسير " ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا"، ٦ / ٧٠ حديث ٤٧١٢ .

(٣) البخارى ، كتاب التفسير ، باب قوله : عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا " ٦ / ٧٢ حديث ٤٧١٨ .

مسلم ، كتاب الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١ / ١٨٤ حديث ١٩٤ .

=((تفسير سورة التين))=

" وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ - ١ - وَطُورِ سِينِينَ - ٢ - وَهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ " ٠ - ٣ - (١ : ٣)

٤٦٤) التين مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون مسجد إيليا ، وطور سينين مسجد الطور ، وهذا البلد الأمين مكة . أخرجه بتمامه عبد بن حميد وابن أبى حاتم . وذكر ذلك السيوطي[1] ، وأخرج ما يتعلق بكلمتى التين والزيتون البغوى[2] ، والاسناد عنده ضعيف ، وتفسيره الكلمات الثلاث الأولى فيه غرابة ونكارة والحق أن أهل التفسير لهم فى كل كلمة من تلك الكلمات - ما عدا الأخيرة - عدة أقوال حكاها ابن جرير[3] ، وابن كثير وغيرهما . وسنذكر خلاصة ما ترجح لدينا بالدليل . فنقول :

أولا :

فى " التِّينِ وَالزَّيْتُونِ " قال ابن كثير[4] - وهو يسرد أقوال المفسرين فى الآية - : " وقال بعض الأئمة ، هذه محال ثلاثة بعث الله فى كل واحد منها نبيا مرسلا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار : فالأول : محله التين والزيتون ، وهي بيت المقدس التى بعث الله فيها عيسى - عليه السلام - ، والثاني : طور سينين وهو طور سيناء ، الذى كلم الله عليه موسى بن عمران . والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين ، الذى من دخله كان آمنا ، وهو الذى أرسل فيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - انتهى محل الغرض .

قلت : وان كان هذا القول يعجبنى من الناحية التاريخية ، الاّ أن

---

(١) الدر المنثور ٣٠ / ٥٥٥ .

(٢) البغوى ٣٠ / ٥٠٤ .

(٣) الطبرى ٣٠ / ٥٣٨ .

(٤) ابن كثير ٣٠ / ٥٦٣ .

ما كان معروفا فى صريح اللغة العربية ولا يتبادر للذهن غيره ، من أن التين والزيتون هما الشجرتان المعروفتان ، هو وأولى وأصوب ، وهو قول أكثر المفسرين واختاره ابن جرير[1] .

ثانيا :

فى " طُورِ سِينِينَ " قال ابن جرير[2] : " وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال طور سينين : جبل معروف ، لأن الطور هو الجبل ذو النبات باضافته الى سينين تعريف له ، ولو كان نعتا للطور - كما قال من قال معناه : حسن أو مبارك - لكان الطور منونا ، وذلك أن الشئ لا يضاف الى نعته لغير علّة تدعو الى ذلك " . أ هـ .

قلت : وما اختاره - رحمه الله - ترجيح لقول ابن عمر ، والحسن ، وكعب الأحبار ، وابن عباس ، وابن زيد - فيما حكاه وغيره - بأن طور سينين هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى - صلى الله عليه وسلم - . ويدل له من السنة ما رواه الترمذى[3] ، وابن ماجه[4] ، واللفظ له ، من حديث النواس بن سمعان الكلابي فى خبر عيسى ويأجوج ومأجوج . وفيه : " فبينما هم كذلك اذ أوحى الله اليه : يا عيسى انى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم وأحرز عبادى الى الطور ... الحديث " .

ثالثا :

لم يختلف المفسرون على أن المعنى بالبلد الأمين فى الآيات : مكة ، كما نص على ذلك ابن كثير[5] . وأخرجه ابن جرير[6] عن ابن عباس ، وكعب الأحبار ، والحسن ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن زيد ، وابراهيم النخعي .

---

(١) الطبرى ٣٠ / ٢٤٠ .
(٢) المصدر السابق ٣٠ / ٢٤١ .
(٣) الترمذى ، كتاب الفتن ، باب ماجاء فى فتنة الدجال ٤/ ٥١٠ حديث ٢٢٤٠ .
(٤) ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال وخروج عيسى وخروج يأجوج ومأجوج ٢ / ١٣٥٦ حديث ٤٠٧٥ .
(٥) ابن كثير ٣٠ / ٥٦٣ .
(٦) الطبرى ٣٠ / ٢٤٢ .

=((تفسير سورة القدر))=

"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" . - ١ -

قوله : "لَيْلَةِ الْقَدْرِ" :

٤٦٥) أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - جلس في رهط من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المهاجرين ، فذكروا ليلة القدر فتكلم منهم من سمع فيها بشئ مما سمع ، فتراجع القوم فيها الكلام . فقال عمر : " مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم ؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة . قال ابن عباس: " فقلت يا أمير المؤمنين ان الله تعالى وتر يحب الوتر ، فجعل أيام الدنيا تدور على سبع ، وخلق الانسان من سبع ، وخلق أرزاقنا من سبع ، وخلق فوقنا سماوات سبعا ، وخلق تحتنا أرضين سبعا ، وأعطى من المثاني سبعا ، ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع ، وقسم الميراث في كتابه على سبع ، ونقع في السجود من أجسادنا على سبع ، وطاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالكعبة سبعا ، وبين الصفا والمروة سبعا ، ورمى الجمار بسبع لاقامة ذكر الله مما ذكر في كتابه . فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان . والله أعلم . فتعجب عمر وقال : " ما وافقني فيها أحد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الا هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : " التمسوها في العشر الأواخر" . ثم قال : يا هؤلاء من يؤديني في هذا كأداء ابن عباس ؟ .

أخرجه بهذا اللفظ أبونعيم (١) ، من طريق مفسرنا عن ابن عباس . وفيه كما ترى ، بيان وقت ليلة القدر ، لكنه مع ضعف سنده من جهة محمد بن يونس (٢) الكديمي ، فانه غريب جدا ، وأغرب ما فيه أمران أستبعد أن يحتاج اليهما عمر وابن عباس (رضي الله عنهما) . :

---

(١) الحلية ١/٣١٧ .
(٢) انظر الملحق رقم ٧٣

وأول هذين الأمرين :

أن أولئك الرهط تراجعوا فى ليلة القدر ، فأدى كل من سمع فى ذلك شيئا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما سمعه ، فلماذا لا يكتفون بسماعهم ذلك ، وفى القوم عمر ، وعندى أنه من أعلم الناس عموما ، وخصوصا فى ليلة القدر لكثرة ملازمته النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وثاني الأمرين :

أن ابن عباس أجاب عمر لما سأله إجابة يظهر فيها التكلف ، وقد صح فى الخبر أنه رضي الله عنه ، عنده من العلم بتلك الليلة ما فيه غنية عن العسف . فقد أخرج البخارى[1] عنه رضي الله عنه - من عدة طرق أن ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان ، فلماذا لا يجيب ابن عباس عمر ومن معه بما علم فى ذلك مباشرة وكل القوم حريص على أن يسمع شيئا مستندة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

* *

*

---

(١) البخارى ، كتاب الصيام ، باب تحرى ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر ٣ / ٤١ .

=((تفسير سورة الزلزلة))=

٤٦٦) انى لان أقرأ " القارعة" و " اذا زلزلت " فى ليلة أردد هما ، وأتفكر فيهما أحب اليّ من أن أهذ[1] القرآن . أخرجه وكيع[2]، واللفظ له كما أخرجه ابن المبارك[3]، وأبونعيم[4]، وأبوالشيخ[5] بألفاظ متقاربة ، وفى الأثر بجميع طرقه مقال من جهة عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، راوية عن المفسر لكنه صحيح المعنى لما تضمنه من التعريض بالذين يهذّون القرآن هذّا حتى يصل بهم الأمر الى الاخلال بأحكام التلاوة وعدم استفادة السامع من ثمرتها المقصودة ، وهي التدبر والتفكر ، فان القارئ لا يستفاد من الاستماع اليه إذا لم يكن فى تلاوته تمهل وترو ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، بالترسل أثناء القراءة . قال تعالى : " وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا "[6] . وقال فى موضع آخر : " أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا "[7].

واختيار مفسرنا لسورتى القارعة والزلزلة يرجع فى نظرى لسببين :

الأول :

اشتمال كل من السورتين على ما تقشعر له القلوب من أحوال البعث ، والجزاء ، فقد تضمنت الأولى خروج الناس من القبور مذعورين ، وصيرورة الجبال ،

---

(١) هذّ : الهذّ والهذذ : سرعة القطع وسرعة القراءة . هذّا القرآن يهذّه هذّا . يقال هو يهذّ القرآن هذّا ، ويهذّ الحديث هذّا أى يسرده . اللسان ٤٦٤٣ مادة هذذ .

(٢) الزهد ٢ / ٤٧٩ .

(٣) المصدر السابق ٩٧ .

(٤) الحلية ٣ / ٢١٤ .

(٥) العظمة ٦ / ب .

(٦) الاسراء ١٠٦ .

(٧) المزمل ٤ .

مثل العهن المنفوش ، وخبر وزن الأعمال وما يؤول اليه الحال لأهل السعادة والشقاوة . كما قال تعالى : " فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ "[1] . وفي السورة الثانية زلزلة الأرض ، وتوفية كل عامل عمله ، وان كان مثقال ذرة لا يخفى منه شئ . كما قال تعالى : " وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا " .

فالآيتان نص في تقرير كل انسان بعمله ومجازاته عليه ، يوضح ذلك ما رواه مسلم[2] من حديث أبي ذر القدسي . وفيه : " ... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيرا فليحمد الله . ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه " . أ هـ .

والسبب الثاني :

قصر السورتين ، وأنه لا يعرف لهما نظير في المفصل في عرض ما قدمناه فيهما من أحوال القيامة .

" بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا " . - ٥ -

قوله : " أَوْحَىٰ لَهَا " :

أوحى اليها . رواه البغوي[3] ، عن مفسرنا وابن عباس ، وبه فسر البخاري[4] الآية . فقال : " يقال أوحى لها : أوحى اليها ، ووحى لها ، ووحى إليها واحد " أ . هـ .

قلت : وفي معناه ما أخرجه ابن جرير[5] عن مجاهد . قال : " أوحى لها " :

---

(١) المؤمنون ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ٤ / ١٩٩٤ حديث ٢٥٧٧ .

(٣) البغوي ٣٠ / ٥١٥ .

(٤) البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الزلزلة ٦ / ١٤٥ .

(٥) الطبري ٣٠ / ٢٦٧ .

أمرهـــا .

قلـــت : وفى الكتاب العزيز ما يوضح هذا المعنى ، اذ قال جـــلّ ذكره : " إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَـــتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّـــتْ "(١) .

قال ابن كثير(٢) : " وأذنت لربها وحقت " أى استمعت لربها وأطاعـــت أمـره فيما أمرها به من الانشقاق ، وذلك يوم القيامة ، وحق لها أن تطيـــع أمره ، لأنه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب ، بل قد قهر كل شئ وذل كـل شئ " أ هـ .

وعلى هذا فقول مفسرنا صحيح ، وما أوردناه من الأقوال شاهد على ذلك .

" فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ - ٧ - وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَـــالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " - ٨ - (٧ ، ٨) .

٤٦٨) ما أحسن من محسن مؤمن أو كافر الاّ وقع ثوابه على الله ، فى عاجـل دنياه أو آجل آخرتـه . رواه ابن جرير(٣) ، من طريق مفسرنا يبلغ به النبـــي - صلى الله عليه وسلم - لكنه مرسـل ، وضعيف الاسناد من جهة ليث بن أبـى سلـــيم .

٤٦٩) من يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفســه وأهله وماله وولده ، حتى يخرج من الدنيا وليس له عنده خير : " وَمَنْ يَعْمَـــلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وأهله ومالـــه وولده ، حتى يخرج من الدنيا وليس عنده شئ .

أخرجه بهذا اللفظ عن مفسرنا ، من طريق محمد بن مسلم الطائفـــي:

---

(١) الانشقـــاق ١ : ٥ .

(٢) ابن كثـــير ٣٠ / ٥٤١ .

(٣) الطـــبرى ٣٠ / ٢٧٠ .

ابن جرير[1] . وله عنده طريقان : إحداهما : من طريق معمر ، عن قتادة ، والأخرى : من طريق محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار. وأخرجه أبونعيم[2] ، وروى بعضه عبد الرزاق[3] ، ورواه البغوى[4] مختصرا ، وعزاه السيوطي[5] الى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

وقد أفاد هذان القولان وما فى معناهما أن رؤية الناس أعمالهم فى الدنيا ، فالكافر بتعجيل حسناته ، والمؤمن بجزائه على السيئات بالمصائب وهذا المعنى بعيد كل البعد عن ظاهر السياق . فان قوله : " يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ "[6] .

والآيتين بعدها فى وصف أهل الموقف يوم القيامة ، وأن كل ذى عمل يرى عمله ، وسواء كان ذلك العمل خيرا أو شرا ، ونظيرها فى احصاء الأعمال ووزنها قوله : " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ "[7] .

ولكن يجب أن يعلم بأن الثواب للمؤمنين خاصة ، وأن الكفار أعمالهم حابطة . قال تعالى فى وعده المؤمنين : " الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ... " . الى قوله : " ... وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[8] .

وقال فى حق الكفار وما توعدهم به من أليم العقاب : " وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا

---

(١) الطبرى ٣٠ / ٢٦٨ ، ٢٧٠ .
(٢) الحلية ٣ / ٢١٣ .
(٣) عبد الرزاق ٢ / ٦٣٠ .
(٤) البغوى ٣٠ / ٥١٦ .
(٥) الدر المنثور ٣٠ / ٥٩٥ .
(٦) الزلزلة ٦ .
(٧) الأنبياء ٤٧ .
(٨) البقرة ١ : ٤ .

عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا "[1] . قال ابن كثير[2] في تفسير هذه الآية : " هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من عمل الخير والشر ، فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شئ ، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي ، إما الاخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله ، فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية ، فهو باطل ، فأعمال الكفار لا تخلوا من واحد من هذين الأمرين ، وقد تجمعهما معا ، فتكون أبعد من القبول حينئذ " . أ هـ .

وبعد هذا البيان الذي جلّينا به معنى آيتي الزلزلة هاتين ، نعود الى ما جاء عن مفسرنا من الأخبار . فنقول : إن ما أفادته جملة ينحصر في ثلاثة أمور . نوردها كما يلي :

أولا :

نص أول الخبرين على مسألتين :

احداهما : اثابة المؤمن في الدنيا والآخرة .

والأخرى : اثابة الكافر في الدنيا وحرمانه من ذلك في الآخرة ، وقد عرفت فيما سبق ضعف الخبر ، وظهر لك أنه ساقط الاستدلال ، لكن جاء في معناه ما رواه أحمد[3] ، ومسلم[4] واللفظ له عن أنس بن مالك . قال : " قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة ، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها " . أ هـ .

---

(١) الفرقان ٢٣ .

(٢) ابن كثير ١٩ / ٣٢٦ .

(٣) المسند ٣ / ١٢٥ .

(٤) مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة ، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا " ٤ / ٢١٦٢ حديث ٢٨٠٨ .

فالحديث كما ترى نص صريح الدلالة فى ثواب المؤمن على صالح أعماله عاجلا وآجلا ، كما أنه صريح الدلالة فى تعجيل حسنات الكافر فى الدنيا فقط .

ثانيا :

فى أثر عبد الرزاق ، وثالث الآثار عند ابن جرير ، قصر رؤية المؤمن حسناته فى الآخرة ، ورؤية الكافر حسناته فى الدنيا ، وهذا مدفوع بما قدمناه من الأدلة فى الأمر الأول ، وفى معنى الآيتين أن كلا من الصنفين يرى حسناته فى الدنيا والآخرة ، غير أن الكافر يحبط عمله فلا ثواب له يوم القيامة .

ثالثا :

فى بقية الآثار النص على تعجيل حسنات الكافر ، وأن ما يصيب المؤمن فى الدنيا من بلاء بسبب ما ارتكبه من السيئات ، وقد قدمنا قريبا أدلة الأول ، ويدل على الثاني ما رواه أحمد (١) ، والترمذى (٢) واللفظ له عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة" أهـ.

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن ما يصيب المؤمن فى الدنيا من مصائب تكفير لخطاياه ، وذلك خير له ، يوضحه ما رواه مسلم (٣) ، عن صهيب ابن سنان - رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد الا للمؤمن . ان أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا له " . أ هـ .

فدلالة هذا الحديث فى ايضاح ما تضمنه حديث أبى هريرة السابق أن خيرية المؤمن فيما يصيبه من البلاء مشروط بالصبر والاحتساب .

* * *

---

(١) المسند ٢ / ٢٨٧ .

(٢) الترمذى ، كتاب الزهد ، باب ما جاء فى الصبر على البلاء ٤ / ٦٠٢ حديث ٢٣٩٩ .

(٣) مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ٤ / ٢٢٩٥ حديث ٢٩٩٩ .

=((تفسير سورة العاديات))=

" فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا " . - ٢ -

٤٧٠) هي النيران بجمع . رواه البغوى[١] ، وعليه فمعنى الموريات من يوقدون النار بمزدلفة ليلة النحر ، ويشبهه ما رواه ابن أبى حاتم عن على قال : " انما العاديات ضبحا من عرفة الى المزدلفة ، فاذا أووا الى المزدلفة أوروا النيران "[٢] . أ هـ .

واعلم أن فى الآية غير ما قاله مفسرنا وعلىّ خمسة أقوال :

الأول : الخيل توري النار بحوافرها ، وبه قال عكرمة ، وقتادة ، وعطاء ، والضحاك ، والكلبي ، واختاره الفراء .[٣]

الثاني : قول قتادة . تهييج الخيل الحرب .

الثالث : الذين يورون النار بعد انصرافهم من الحرب ، وهذا قول ابن عباس .

الرابع : مكر الرجال وهو قول ابن عباس ومجاهد .

الخامس : هي الألسنة وبه قال عكرمة .

أخرجها جميعا ابن جرير[٤] ، وأخرج البغوى بعضها .

ويترجح عندى أول هذه الأقوال الخمسة . لثلاثة أمور :

أولا : أنه قول الأكثرين من أهل التفسير . كما أنه اختيار الفراء من أهل اللغة .

ثانيا : أن الخيل هي أفضل عدة القتال للفر والكر والصول والجول .

ثالثا : فيما ميّز الله به هذا النوع من الحيوان ، اذ إنه يورى النار بحافره عند اصطكاكه بالصلب من الأرض .

---

(١) البغوى ٣٠ / ٥١٧ .

(٢) ابن كثير ٣٠ / ٥٧٩ .

(٣) معانى القرآن ٣ / ٢٨٤ .

(٤) الطبرى ٣٠ / ٧٣ .

" وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ - ٧ - وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ - ٨ - أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ - ٩ - وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ". - ١٠ -

٤٧١) " وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ " قال الانسان على نفسه : " أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ " . قال حين يبعثون : " وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ " . قال: أخرج ما فى الصدور " . حكاه السيوطي[1] بهذا اللفظ ، وعزاه الى ابن أبى حاتم ، وفى الأثر ثلاثة أمور :

الأول :

تفسير الشهيد بأنه الانسان . والذى اختاره ابن جرير[2] ورواه عن قتادة ، وسفيان : أن الشهيد هو الله ، ومعنى الآية عليه : أن الله شهيد على كنود الانسان لربه .

وعندى أن ما قاله المفسر صحيح من جهتين :

الأولى : مرجع الضمير فى قوله : " وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ " الى الانسان ، لأنه أقرب مذكور بدليل السياق ، وما بعده من الضمائر . والمعنى على ما درج عليه المفسر : ان الانسان شاهد على نفسه بكفره نعمة ربه ، وذلك بلسان حاله ، وان أنكرها بمقاله .

الجهة الثانية : ما جاء فى صريح الكتاب من شهادة الجاحدين نعمة الله على أنفسهم فى مواضع كثيرة . منها قوله تعالى : " مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ "[3] .

الأمر الثانى والثالث :

تفسير البعثرة بالبعث ، وتحصيل ما فى الصدور باظهاره ، فالمعنى كما قال ، وهو بيّن ظاهر وحكاه ابن جرير[4] ، وابن كثير[5] عن ابن عباس ، وسفيان .

---

(١) الدر المنثور ٣٠ / ٦٠٤ .
(٢) الطبرى ٣٠ / ٢٧٨ .
(٣) التوبة ١٧ .
(٤) الطبرى ٣٠ / ٢٨٠ .
(٥) ابن كثير ٣٠ / ٥٨٠ .

=((تفسير سورة التكاثر))=

" ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ " . - ٨ -

٤٧٢) يعنى عما أنعم عليكم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - . رواه البغوى (١) ، وما ذهب اليه من أن النعيم الذى سيسأل الناس عنه يوم القيامة هو ما أنعم الله به عليهم من بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - صحيح جدا ، ومن أعظم الشواهد له قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " (٢) . ولا ريب أن من جنح عن منهج النبي - صلى الله عليه وسلم - أو تنكر لما جاء به أو ابتغى الهدى فى غيره ، فقد ناله أعظم نعم الله عليه ، لكن حمل الآية على العموم لتشمل كل نعيم أظهر .

قال ابن كثير (٣) - عند تفسير آية التكاثر هذه -: " أى : ثم لتسئلن عن شكر ما أنعم به عليكم من الصحة والأمن والرزق .. وغير ذلك " . انتهى محل الغرض .

قلت : وما اختاره - رحمه الله - من العموم مؤيد بثلاثة أدلة :

الأول :

ما جاء فى صريح الكتاب مثل قوله : " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " . (٤) وقوله : " إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً " . (٥)

---

(١) البغوى ٣٠ / ٥٢٢ .
(٢) الأنبياء ١٠٧ .
(٣) ابن كثير ٣٠ / ٥٨٣ .
(٤) ابراهيم ٣٤ .
(٥) الاسراء ٣٦ .

الدليل الثاني :

ما رواه البخاري [١] ، والترمذي [٢] ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :" نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ ".

وثالث الأدلة :

ما رواه البغوي ، عن غير واحد من السلف ، من الآثار ، ومفادها شمول النعيم لكل ما أوتيه الانسان من نعمة . وما أحسن قول مجاهد عند ابن كثير [٣] . اذ قال :" عن كل لذة من لذات الدنيا" . أ هـ .

* * *

* *

*

---

(١) البخاري ، كتاب الرقائق ، باب ما جاء في الرقاق ، وأن لا عيش الا عيش الآخرة ٨ / ٧٤ . حديث ٦٤١٢ .

(٢) الترمذي ، كتاب الزهد ، باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ٤ / ٥٥٠ . حديث ٣٣٠٤ .

(٣) ابن كثير ٣٠ / ٥٨٤ .

=((تفسير سورة العصر))=

" وَالعَصرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسرٍ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبرِ " . - ١ - ٣ -

٤٧٣) " وَالعَصرِ " . قسم أقسم به ربنا تعالى . " إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسرٍ " . قال الناس كلهم ، ثم استثنى . فقال : " إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا " . ثم لم يدعهم ، وذاك حتى قال : " وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ " . ثم لم يدعهم وذاك حتى قال : " وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ " . ثم لم يدعهم وذاك حتى قال : " وَتَوَاصَوا بِالصَّبرِ " . شروطا يشترط عليهم . رواه بهذا اللفظ عبد الرزاق (١) ، من طريق عبد العزيز بن أبي روّاد (٢) ، وعزاه السيوطي (٣) الى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، ولم أجده في تفسير الأخير ، فلعله في نسخة أخرى غير المتداولة ، وهذا التفسير صحيح المعنى ، وهو بيّن وظاهر من سياق السورة الكريمة ، فان الله أقسم بالعصر ، وهو الدهر كله في قول أكثر المفسرين ، واختاره ابن جرير (٤) ، ورجّحه ابن القيم (٥) ، ثم أجاب عن القسم ببيان حال الانسان ، وأنه في هلكة وخسران ، واستثنى للنجاة من الخسارة من عباده من اتصف بأربع صفات وهي : الايمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، وزيادة في ايضاح ما قاله مفسرنا نسوق لك ما قاله ابن القيم (٥) : " نبه بالمبدأ وهو خلق الزمان والفاعلين وأفعالهم على المعاد وأن قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعاد ، وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان ، وخلق الفاعلين وأفعالهم ، وجعلها قسمين : خيرا وشرا ، تأبى

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢ / ٦٣٥ .

(٢) تقدم ص : ٣٦ .

(٣) الدر المنثور : ٣٠ / ٦٢٢ .

(٤) الطبري : ٣٠ / ٢٨٩ .

(٥) التبيان في أقسام القرآن : ٥٣ .

أن يسوى بينهم ، وأن لا يجازى المحسن باحسانه ، والمسئ بإساءته ، وأن يجعل النوعين رابحين أو خاسرين ، بل الانسان من حيث هو انسان خاسر الاّ من رحمه الله ، فهداه ووفقه للايمان والعمل الصالح فى نفسه ، وأمر غيره به ، وهذا نظير رده الانسان الى أسفل سافلين ، واستثناء الذين ءامنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المردودين .

وتأمل حكمة القرآن لما قال : " إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ " فانه ضيّق الاستثناء وخصصه فقال : " إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ " . ولما قال : " ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ " وسع الاستثناء وعممّه ، فقال : " إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتُ " ولم يقل : " وَتَوَاصَوا" فان التواصى هو أمر الغير بالايمان والعمل الصالح ، وهو قدر زائد على مجرد فعله ، فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح فصار فى خسر ، ولا يلزم أن يكون فى أسفل سافلين ، فان الانسان قد يقوم بما يجب عليه ، ولا يأمر غيره ، فان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مرتبة زائدة ، وقد تكون فرضا على الأعيان ، وقد تكون فرضا على الكفاية ، وقد تكون مستحبة " .

انتهى محل الغرض .

قلت : وبهذا يظهر جليّا أن المعنى بالاستثناء فى سورة العصر هم : أكمل المؤمنين ايمانا ، وأعلاهم همّة ، اذ جمعوا بين العمل الصالح ، والدعوة . وهذا هو ما عناه القرظي (رحمه الله) .

* * *

* *

*

=((تفسير سورة الهمزة))=

" الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ " - ٢ -

٤٧٤) ألهاه ماله بالنهار ، هذا الى هذا ، فاذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة . حكاه ابن كثير (١) من غير عزو . ومعناه : أن ذلك الهامز اللامز المتوعد بأشد العذاب جمع الى صفاته القبيحة انشغاله بماله عن عبادة ربه . كما قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ " (٢) . ويؤيد قول مفسرنا ما رواه الترمذى (٣) ، من حديث أبى كبشة الانمارى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيه : " انما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ، فهو نيته ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان ، فهو نيته فوزرهما سواء " أ هـ .

فقد جعل صلى الله عليه وسلم أصحاب الأموال قسمين :

قسم : عرف حق الله وحق العباد فآتى كل ذى حق حقه ، كما أوجب عليه خالقه ، فكان شاكرا لربه محسنا الى عباده .

---

(١) ابن كثير ٣٠ / ٥٨٦ .

(٢) المنافقون ٩ .

(٣) الترمذى ، كتاب الزهد ، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر : ٤ / ٥٦٢ حديث ٢٣٢٥ .

وقسم : نسي حق الله ، وحق العباد ، وكان ماله وبالا عليه ، يتخبط فيه ، على غير هدى ، ولاشك أن اللهو بذلك المال عن طاعة الله ، والبخل بما أوجب الله فيه من الحقوق تخبط فيه بغير حق .

" الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ " . - ٧ -

٤٧٥) تأكل كل شئ فيه حتى تنتهي الى فؤاده ، فاذا بلغت فؤاده ابتدئ خلقه . رواه عبد الرحمن في تفسير مجاهد (١) ، وفي اسناده موسى بن عبيدة الربذي ، وعزاه السيوطي (٢) الى ابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد ، وهذا لفظ السيوطي . وفي الأثر مسألتان :

احداهما :

بلوغ النار قلب ذلك الهماز اللماز ، الذي جمع مالا وعدده .

والثانية :

ابتداؤه خلقا جديدا بعد ذلك .

فالمسألة الأولى : ظاهرة من لفظ الآية ، لأن الله جلّ وعلا ، ذكر من أوصاف النار اطلاعها على الأفئدة ، وهي القلوب .

وأما المسألة الثانية : فانها مجملة ، وتحتاج الى تفصيل ، فان كان يريد بانشاء خلقه من جديد اعادة جلده مره أخرى ، ليكون أبلغ في العذاب . فهذا صحيح ، ويدل له قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (٣) ... " الآية .

---

(١) تفسير مجاهد ٢ / ٧٨١ .

(٢) الدر المنثور ٣٠ / ٦٢٥ .

(٣) النساء ٥٦ .

وان كان يعنى بانشاء الخلق بعد الفناء فباطل من وجهين :

الأول :

أنه يلزم منه الفناء والحياة بعد الموت ، وذلك مردود بقوله تعالى : "وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى . الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى"[1]

فالآيات نص فى عدم انفكاك العذاب عن أولئك الفجار .

الوجه الثاني :

ما قدمناه من الاشارة الى ضعف السند مع أنى لم أجد مايؤيده من كتاب ولا سنة .

* * *

* *

*

---

(١) الأعلى ١١ ، ١٣ .

=((تفسير سورة الفيل))=

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ " - ١ -

قوله : " الْفِيلِ " :

٤٧٦) جاؤوا بفيلين فأما محمود فريض ، وأما الآخر فشجع فحصب . حكاه ابن كثير بهذا اللفظ[1] ، غير معزو . كما حكى نحو هذا القول عن غير مفسرنا من السلف ، والحق أنه ليس لذلك مستند من كتاب ولا سنة ، فيتعين الوقوف عند ظاهر لفظ الآية الكريمة ، وما تفيده من العموم ، فالفيل اسم جنس يشمل القليل والكثير ، فقد أخبر الحق تبارك وتعالى أن فيما امتن به على قريش ، وكان يجب عليهم شكره أنه أهلك أصحاب الفيل ، الذين جاؤوا لهدم البيت الحرام ، وهم أبرهة وجنده ، فخيّب سعيّهم ودمرهم عن آخرهم كما ذكر ذلك ابن اسحاق[2] وغيره .

* * *

* *

*

---

(١) ابن كثير ٣٠ / ٥٨٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٥٢ .

=((تفسير سورة الماعون))=

"وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ " . - ٧ -

قولـه : " الْمَاعُونَ " :

٤٧٧) المعروف الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم . رواه بهذا اللفظ عن مفسرنا ، والكلبي : البغوى (١) . وحكاه ابن كثير (٢) ، عن المفسر باختصار ، وهذا تفسير فى غاية الجودة لشموله كل ما احتاج الناس اليه من بعضهم وجرت عادتهم به فى تبادل المنافع .

والمعنى على ما ذهب اليه مفسرنا ، ان كل من منع ذلك واقع فى ثالثة الصفات القبيحة المتوعد أصحابها بالويل .

قال ابن كثير (٣) - فى تفسير الآية - : " أى : لا أحسنوا عبادة ربهم ، ولا أحسنوا الى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه اليهم " . انتهى محل الغرض .

قلت : وبهذا العموم أخرج مسلم (٤) ، عن حذيفة ، والترمذى (٥) ، من حديث جابر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " كل معروف صدقة " . وعليه بوب البخارى (٦) وأخرج عن أبى موسى قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " على كل مسلم صدقة ... الحديث " .

---

(١) البغوى ٣٠ / ٥٣٢ .
(٢) ابن كثير ٣٠ / ٥٩٤ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢ / ٦٩٧ حديث ١٠٠٥ .
(٥) الترمذى كتاب البر ، باب ما جاء فى طلاقة الوجة وحسن البشر ٤ / ٣٤٧ ، حديث ١٩٧٠
(٦) البخارى ، كتاب الأدب ، باب كل معروف صدقة ٨ / ١٠ حديث ٦٠٢٢ .

=((تفسير سورة الكوثر))=

" إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ " - ١ -

قوله : " الْكَوْثَرَ " :

٤٧٨) أوتيت الكوثر آنيته عدد النجوم . أخرجه عبد الرحمن فى تفسير مجاهد [(١)] ، من طريق المفسر ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو ضعيف الاسناد من قبل عيسى بن ميمون ، لكن يشهد له ما صح به الخبر بأن الكوثر ، هو النهر الذى أعطيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الجنة من وجهين :

الأول :

ما رواه البخارى [(٢)] ، عن عائشة - رضي الله عنها - وقد سألها أبوعبيدة عن قوله : " إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ " قالت: " نهر أعطيه نبيكم - صلى الله عليه وسلم - شاطئاه عليه درّ مجوف آنيته كعدد النجوم " . أ هـ .

وحكاه ابن جرير [(٣)] ، عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأنس فى قول الأكثرين ، واختاره .

الوجه الثاني :

ما رواه مسلم [(٤)] واللفظ له ، ورواه النسائي [(٥)] عن أنس قال : " بينا رسول

---

(١) تفسير مجاهد ٢ / ٧٩٠ .

(٢) البخارى ، كتاب التفسير " سورة الكوثر " ٦ / ١٤٦ حديث ٤٩٦٥

(٣) الطبرى ٣٠ / ٣٢٠ - ٣٢٣ .

(٤) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب حجة من قال البسملة ، آية من أول كل سورة سوى براءة" . ١ / ٣٠٠ حديث ٤٠٠ .

(٥) النسائي ، كتاب الافتتاح ، باب قراءة " بسم الله الرحمن الرحيم" ٢ / ١٣٣ حديث ٩٠٤ .

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم بين أظهرنا ، اذ أغفى اغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسما . فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ . قال : " أنزلت عليّ آنفا سورة " . فقرأ : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ " . ثم قال : " اتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . قال : " فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل ، عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج(1) العبد منهم . فأقول : رب انه من أمتى . فيقول : ما تدرى ما أحدثت بعبدك " أهـ .

فقد تضمن الحديث تفسير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكوثر ، وهو بيان منه للمراد من كلام ربه عز وجل ، وذلك مرجح لهذا المعنى على سواه من الأقوال .

" فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ " : ـ ٢ ـ

٤٧٩) أن ناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يصلى وينحر لله عز وجل .

أخرجه بهذا اللفظ البغوى(2) ، وأخرجه ابن جرير بنحوه(3) ، من طريق أبى صخر ، فى جملة أقوال أهل التفسير المختلفة فى المراد بالصلاة والنحر اللذين خوطب بهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومع ارسال قول مفسرنا وما فيه من الضعف فى كلا الاسنادين ، الاّ أن ظاهر الآية يشهد لصحة معناه ، وذلك أن ظاهرها أمر له صلى الله عليه وسلم بأن تكون صلاته ونحره

---

(1) يختلج : أى ينتزع ويقتطع . اللسان (خلج) ١٢٢٢ .
(2) البغوى ٣٠ / ٥٣٤ .
(3) الطبرى ٣٠ / ٣٢٧ .

ونسكـــه خالصـــين للـــه دون ســـواه .

قال ابن جرير[1] بعد ذكره أقوال السلف فى الآية :" وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فاجعل صلاتك كلها لربـــــك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذى لا كفء له . وخصّك به من اعطائه اياك الكوثـــر" . انتهى محل الغـــرض .

قلت : ونظير آية الكوثر هذه . قوله :" قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَـــايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ "[2] .

فقد نصت آيتا الأنعام هاتان على اخلاص الصلاة والنسك لله عز وجل .

* * *

* *

*

---

(١) الطـــبرى ٣٠ / ٣٢٨ .

(٢) الأنعـــام ١٦٢ ، ١٦٣ .

" اللَّهُ الصَّمَدُ " . - ٢ -

٤٨٠) الصمد : الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . رواه بهذا اللفظ ابن جرير[١] ، وعبد الرحمن ، فى تفسير مجاهد[٢] ، والاسناد فى كلا الطريقين ضعيف ، لأنه من رواية أبى معشر ، لكن يشهد له فى تفسير الصمد بما بعده ما جاء مصرحا به عند البخارى[٣] ، عن أبى هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه . قال : " قال الله : كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه اياى . فقوله : لن يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون علىّ من اعادته ، وأما شتمه اياى فقوله : " اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفأ أحد " . أهـ .

قلت : وهذا التفسير الصحيح الراجح على ما عداه من الأقوال التى أخرجها ابن جرير[٤] ، لا ينافى ما أخرجه هو والبخارى عن أبى وائل ، شقيق ابن سلمة ، من أن الصمد هو : السيد الذى انتهى سؤدده ، لأن الله هو السيد المطلق وكل سيد فى الكون دونه .

* * *

---

(١) الطبرى ٣٠ / ٣٤٦ .

(٢) تفسير مجاهد ٢ / ٧٩٤ .

(٣) البخارى ، كتاب التفسير " سورة الصمد " ٦ / ١٤٩ حديث ٤٩٧٥ .

(٤) الطبرى ٣٠ / ٣٤٤ ، ٣٤٧ .

=((تفسير سورة الفلق))=

" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " . - ١ -

قوله : " الْفَلَقِ " :

٤٨١) " الفلق : جب في جهنم مغطى " .

٤٨٢) فالق الحب والنوى ، قال : فالق الاصباح .

أخرجهما ابن جرير[١] في أربعة أقوال لأهل التفسير في الآية .

فالأول حديث مرفوع من طريق مفسرنا عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي سنده شعيب بن صفوان ، وبه قال ابن عباس ، والسدى وغيرهما .

والقول الثاني من تفسير القرظي نفسه وبنحوه : قال الحسن ، ومجاهد ، في أكثر المفسرين ، كما حكى ذلك البغوى[٢] .

والرواية الثانية : عن مفسرنا هي الراجحة لعدة أدلة منها :

أولا :

ما قدمناه من الاشارة الى ضعف سند القول الأول .

ثانيا :

ان الفلق بالتحريك ، كما هو ظاهر الآية ، لا يعرف من كلام العرب ، غير أنه فلق الصبح . حكاه الفراء[٣] .

وقال ابن منظور[٤] : " والفلق بالتحريك ما انفلق من عمود الصبح . وقيل : هو الصبح بعينه . وقيل : هو الفجر " . انتهى محل الغرض .

---

(١) الطبرى ٣٠ / ٣٤٩ - ٣٥٠ .
(٢) البغوى ٣٠ / ٥٤٧ .
(٣) معاني القرآن ٣ / ٣٠١ .
(٤) اللسان (مادة فلق) ٣٤٦٢ .

" وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ". - ٣ -

٤٨٣) النهار اذا دخل فى الليل .

٤٨٤) غروب الشمس اذا جاء الليل اذا وقب .(١)

رواهما جميعا ابن جرير (٢) ، غير أن أول القولين من طريق يونس، والثاني من طريق ابن حميد . وله عن مفسرنا مثل هذا القول ، الاّ أنه قال: "وجب" (٣) بدل " وقب " ، واسناد القول الثاني فيه غير ابن حميد ومهران مبهم، لكن جميع ما جاء عن مفسرنا مرده الى ما قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، حكاه ابن جرير (٤) ، والبغوى (٥) ، ولا منافاة بين هذا القول وقول من قال ان الغاسق هو الكوكب أو القمر ، لأن ظاهر الآية أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالاستعاذة من كل مضئ اذا أظلم ، ويشهد لذلك ما رواه الترمذى (٦) ، عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نظر الى القمر فقال : استعيذى بالله من شر هذا ، فان هذا الغاسق اذا وقب .

* * *

---

(١) قال الفراء :" اذا وقب : اذا دخل فى كل شئ وأظلم". معانى القرآن ٣ / ٣٠١ .

(٢) الطبرى ٣٠ / ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) قال ابن منظور من الليماني :" وقد وجب الوجب وجبا . وأوجب عليه ، عليه على الوجب . اللسان ٤٧٦٧ .

(٥) البغوى ٣٠ / ٥٤٧ .

(٦) الترمذى ، كتاب التفسير " سورة المغوذتين" ٥ / ٤٥٢ ، حديث ٣٣٦٦ .

الخاتمة

=((خاتمـــــة البحـــــث))=

وبعد ما عرضناه لك في هذا البحث من الدراسة لهذا العالم الجليـــل وتفسيره . نلخص أهم النتائج التى توصلنا اليها في الأمور التاليـــة :

أولا : ان ابن كعب ـ رحمه الله ، ثقة ، عالم ورع عابد ، معدود من الطبقـــة الثالثة من التابعـــين .

ثانيا : لقد نال مكانة علمية عظيمة بين معاصريه ، ويبرز تلك المكانة ما شهـــد به الأئمة كما عرفت ذلك في الباب الأول (١) .

ثالثا : عدم انشغاله ـ رحمه الله ـ بالأمور السياسية وأنه كان متفرغا للعلم والتعليم .

رابعا : لم نجد من العلماء من ذكر أن مفسرنا خاض في الفتن التى عصفـــت بالأمة في وقتـــه .

خامسا : أن عصر القرظي ـ رحمه الله ـ هو خير القرون ـ كما أخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ومن الأدلة المحسوسة على ذلك اتساع رقعه العالـــم الاسلامي ، كما أوضحنا في النبذة التاريخية عن ذلك العصر (٢) .

سادسا : لم نجد بين من ترجم له من الحفاظ مثل المزى والذهبي وابن حجـــر من طعن عليه في عقيدته بمثل الرفض والقدر والارجاء .

سابعا : عدم شذوذه في تفسيره جملة عن معاصريه مثل ابن عباس ومجاهد وعكرمة .

ثامنا : ما وقع من الضعف في تفسيره بسبب بعض رواته ، فليس هو بدعا فيـــه فان شأنه في ذلك شأن كثير من الأئمة الذين ابتلوا بضعفاء الرواة ، فهذا حبر الأمة وترجمان القرآن : عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ابتلـــى في الرواية عنه بعطية العوفي ، وبعض أحفاده وبنيه ، وذلك ما يعرف بسلسلة العوفيـــين .

تاسعا : يظهر لك خلال ما أوردناه ونحن ندرس تفسير ابن كعب ـ رحمه الله ـ أنه ليس متفردا بالأسرائيليات . فقد جاء ذلك القصص عن غيره من الأئمة مثل : ابن عباس ، والسدى ، وعمرو بن ميمون .

عاشرا : أن كثيرا من تفسير القرظي صحيح .

---

(١) انظر ص ١٨ .
(٢) انظر ص ٧ ، ٨ .

ثبت التراجم

١- =((ثبت التراجم "الملحق"))=

١ - ابراهيم بن يزيد بن شريك التيمي[(١)] ، يكنى أبا أسماء ، الكوفي ، العابد ، ثقة ، من الخامسة ، مات سنة اثنتين وتسعين وله أربعون .

٢ - أحمد بن اسحاق بن عيسى الأهوازى[(٢)] ، البزار ، صاحب السلعة ، أبواسحاق ، صدوق ، من الحادية عشرة ، مات سنة خمسين ومئتين .

٣ - أحمد بن حازم بن محمد[(٣)] بن يونس بن قيس بن أبي غزره الغفارى (أبوعمر) شيخ الطبرى . قال ابن أبي حاتم : " كتب اليّ " .

٤ - أحمد بن عبد الجبار بن محمد[(٤)] العطاردى ، أبوعمر الكوفي ، ضعيف ، وسماعه للسيرة صحيح ، لم يثبت أن أبا داود أخرج له ، من العاشرة ، مات سنة اثنتين وتسعين ومئتين -، وله خمس وتسعون سنة .

٥ - أحمد بن القاسم بن عطية[(٥)] البزار ، المعروف بأبي بكر ، صدوق .

٦ - آدم بن أبي اياس[(٦)] ، عبد الرحمن العسقلاني ، أصله خراساني ، يكنى : أباالحسن ، نشأ ببغداد ، من التاسعة ، مات سنة احدى وعشرين ومئتين .

٧ - أرطأة بن المنذر[(٧)] بن الأسود الاهاني ، أبوعدى الحمصي ، ثقة ، من السادسة ، مات سنة ثلاث وستين ومئة .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ١ / ٤٥ .
(٢) " " " : ١ / ١١ .
(٣) " " الجرح والتعديل : جـ ٢ ص١ ٤٠ / ٤٠ .
(٤) " " التقريب : ١ / ١٩ .
(٥) " " الجرح والتعديل : جـ٢ ص ٦٧ ت ١٢٥ .
(٦) " " التقريب : ١ / ٣٠ .
(٧) " " التقريب : ١ / ٥٠ .

٨ - أسباط بن نصر[(١)] الهمداني ، أبويوسف . ويقال : أبونصر ، صدوق ، كثير الخطأ ، يغرب ، ممن الثامنة .

٩ - اسحاق بن سليمان[(٢)] ، أبويحيى الرازى ، ثقة ، صدوق ، لا بأس به .

١٠ - اسماعيل بن أبي خالد[(٣)] الأحمسي ، مولاهم ، البجلي ، ثقة ، ثبت ، الرابعة ، مات سنة ست وأربعين ومئة .

١١ - اسماعيل بن رافع بن عويمر[(٤)] الأنصارى المدني ، ضعيف ، وقال بعضهم: منكرا ، السابعة ، مات سنة خمسين ومئة .

١٢ - أشعث بن سوار[(٥)] الكندى ، ضعيف ، السادسة ، مات سنة ست وثلاثين ومئة .

١٣ - بشر بن عمارة الخثعمي[(٦)] ، المكتب الكوفي ، ضعيف ، السابعة .

١٤ - بقية بن الوليد[(٧)] بن صائد بن كعب الكلاعي ، أبو يحمد ، صدوق ، كثير التدليس عن الضعفاء ، مات سنة سبع وتسعين ومئة ، له سبع وثمانون .

١٥ - جميل بن زيد[(٨)] الطائي البصرى ، عن أبي عمر قال ابن عمعين : " ليس بثقة " ، وقال البخارى : " لم يصح حديثه " ، وقال أبوحاتم : " ضعيف الحديث " ، وقال النسائي : " ليس بثقة " ، وقال ابن حبان : " واهي الحديث " .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ١/٥٣ .

(٢) " " الجرح والتعديل : جـ٢ ص٢٢٣/٧٧٣ .

(٣) " " التقريب : ١/٦٨ .

(٤) " " التقريب : ١/٦٩ .

(٥) " " التقريب : ١/٧٩ .

(٦) " " التقريب : ١/١٠٠ .

(٧) " " التقريب : ١/١٠٥ .

(٨) " " الميزان : ١/٤٢٣ ، تعجيل المنفعة : ٧٢ .

١٦ - حبيب بن أبي ثابت[(١)] ، ثقة ، فقيه جليل ، وكان كثير الارسال والتدليس ، الثالثة ، مات سنة تسع عشرة ومئة .

١٧ - حجر بن عنبس[(٢)] ، الحضرمي الكوفي ، صدوق مخضرم ، من الثانية ،

١٨ - الحسن بن دينار[(٣)] ، وهو الحسن بن دينار بن واصل ، ويقال : أن أباداود الطيالسي نسبه الى جده ، ليكي لا يفطن له ، يكنى : بأبي سعيد التميمي ، البصرى ، ضعفه أحمد وابن معين ، وقال أبوحاتم : " متروك الحديث - كذاب " .

١٩ - الحسين بن بشر[(٤)] الطرسوسي ، لا بأس به ، من الحادية عشرة .

٢٠ - الحسين بن الحسن[(٥)] ، أبوعبدالله المروزى ، البغدادى ، صدوق ، من العاشرة ، مات سنة ست وأربعين ومئتين .

٢١ - الحكم المكي[(٦)] ، روى عنه ابن المبارك ومحمد بن المقاتل المروزى ، مجهول .

٢٢ - حكيم بن معاوية بن حيده[(٧)] القشيرى ، والد بهز ، من الثالثة .

٢٣ - خالد بن معدان الكلاعني[(٨)] الحمصي ، أبوعبدالله ، ثقة عابد ، يرسل كثيرا ، من الثالثة ، مات سنة ثلاث ومائة . وقيل : بعد ذلك .

٢٤ - زياد بن أبي زياد[(٩)] ، الجصاص ، أبومحمد الواسطي ، بصرى الأصل ، ضعيف ، من الخامسة .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ١/١٤٨ .
(٢) " " التقريب : ١/١٥٥ .
(٣) " " الجرح والتعديل : ٣/١١ .
(٤) " " التقريب : ١/١٧٤ .
(٥) " " التقريب : ١/١٧٥ .
(٦) " " الجرح والتعديل : ٣/١٣١ .
(٧) " " التقريب : ١/١٩٤ .
(٨) " " التقريب : ١/٢١٨ .
(٩) " " التقريب : ١/٢٦٧ .

٢٥ - زيد بن حباب أو الحباب[١] أبوالحسين العكلي ، ثقة ، صدوق ، يخطئ في احديث الثورى ، مات سنة ثلاث ومئتين .

٢٦ - سعيد بن عبد الرحمن[٢] الجمحي ، من ولد عامر بن خزيمة ، أبوعبد الله المدني ، قاضي بغداد ، صدوق ، له أوهام ، وأفرط ابن حبان في تضعيفه ، الثامنة ، مات سنة ست وسبعين ومئة .

٢٧ - سعيد بن أبي هلال الليثي[٣] أبوالعلاء المصرى مولي عروة ابن شبيم الليثي ، ويقال : أصله من المدينة ، قال ابن حجر : " صدوق ، لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفا ، الأ أن الساجي حكى عن أحمد أنه اختلط ، من السادسة " ا . هـ . وقال فيه الذهبي: " ثقة معروف " . قلت : " وقع عند الطبرى في الاسناد عن القرظي ، ولم أجد من ذكره في تلاميذه ، مع أنه معاصر لابن كعب ، فلعل روايته عنه مرسلة .

٢٨ - سلمة بن الفضل الابرش[٤] ، مولى الأنصار قاضي الرى ، من التاسعة ، صدوق ، كثير الخطأ ، مات بعد التسعين ومئة ، وقد جاوز المائة .

٢٩ - شعيب بن صفوان بن الربيع[٥] الثقفي أبويحى الكوفي ، الكاتب ، مقبول ، السابعة .

٣٠ - شهر بن حوشب الأشعرى[٦] الشامي ، صدوق ، كثير الارسال ، والأوهام ، من الثالثة ، مات سنة اثنتى عشرة ومئة .

٣١ - طلق بن حبيب العنزى[٧] ، بصرى ، صدوق ، عابد من الثالثة ، مات بعد التسعين .

---

(١) انظر ترجمته الجرح والتعديل : ٣ / ٥٦١ ، والتقريب : ١ / ٢٧٣ .
(٢) " " " التقريب : ١ / ٣٠٠ .
(٣) " " " تهذيب الكمال : ١ / ٥٠٧ ، والميزان : ٢ / ١٦٢ ، والتقريب : ١/٣٠٧ .
(٤) " " " التقريب : ١ / ٣١٨ .
(٥) " " " التقريب : ١ / ٣٥٢ .
(٦) " " " التقريب : ١ / ٣٥٥ .
(٧) " " " التقريب : ١ / ٣٨٠ .

٣٢ - عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت[1] ، ثقة ، من السادسة .

٣٣ - عبد الله بن الزبير بن عيسى[2] القرشي الحميدى المكي ، ثقة ، حافظ ، فقيه ، أجلّ أصحاب ابن عيينه ، من العاشرة ، مات سنة تسع عشرة ومئتين ، وقيل : بعدها . قال الحاكم : " كان البخارى اذا وجد الحديث عند الحميدى لا يعدوه الى غيره .

٣٤ - عبد الله بن عبيد[3] ، بالتصغير أيضا بغير اضافة ، ابن عمير ، بالتصغير أيضا بغير اضافة ، الليثي ، المكي ، ثقة ، من الثالثة ، استشهد غازيا سنة ثلاث عشرة ومئة .

٣٥ - عبد الله بن عبيده[4] بن نشيط ، الربذى ، ثقة ، من الرابعة ، مات سنة ثلاثين ومئة ، قتلته الخوارج .

٣٦ - عبد الله بن عياش بن عباس[5] القتباني ، صدوق ، يغلط ، مات سنة سبعين ومئة .

٣٧ - عبد الله بن أبي قتادة[6] الأنصارى المدني ، ثقة ، الثانية ، مات سنة خمس وتسعين .

٣٨ - عبد الله بن وهب[7] ، واسمه عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، ثقة ، حافظ ، عابد ، مات سنة سبع وتسعين ومئة ، من التاسعة ، وله اثنتان وسبعون سنة .

٣٩ - عبد الرحمن بن سعيد[8] بن وهب الهمداني ، الخبواني ، بخاء معجمة ، ثقة ، الرابعة .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ١ / ٤٠٨ .
(٢) " " التقريب : ١ / ٤١٥ .
(٣) " " التقريب : ١ / ٤٣١ .
(٤) " " التقريب : ١ / ٤٣١ .
(٥) " " التقريب : ١ / ٤٣٩ .
(٦) " " التقريب : ١ / ٤٤١ .
(٧) " " التقريب : ١ / ٤٦٠ .
(٨) " " التقريب : ١ / ٤٨٢ .

٤٠ - عبد الرحمن بن محمد[1] بن زياد المحاربي الكوفي ، لا بأس به ، وكان يدلس ، من التاسعة ، مات سنة خمس وتسعين ومئة .

٤١ - عبد العزيز بن أبان بن محمد[2] بن عبد الله بن سعيد بن العاص الأموى ، السعيدى ، أبوخالد الكوفي ، نزيل بغداد ، متروك ، وكذبه ابن معين وغيره ، من التاسعة ، مات سنة سبع ومائتين .

٤٢ - عبد الواحد بن زياد[3] العبدى ، مولاهم البصرى ، ثقة ، عن الأعمش وحده ، فيه مقال ، الثامنة ، مات سنة ست وسبعين ومئة ، وقيل : بعدها .

٤٣ - عبيد بن عمير بن قتادة[4] الليثي ، أبوعاصم المكي ، ولد على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قاله مسلم ، وعدّه غيره في كبار التابعين ، وكان قاص أهل مكة ، مجمع على ثقته ، مات قبل ابن عمر .

٤٤ - عبيدة بن عمرو السلماني[5] ، تابعي كبير ، مخضرم ، ثقة ، ثبت ، مات سنة اثنتين وسبعين ، أو بعدها ، والصحيح قبل سبعين .

٤٥ - عطاء بن دينار الهذلي[6] ، مولاهم أبوالريان ، بالراء التحتانية الثقيلة ، وقيل : أبو طلحة ، المصرى ، صدوق ، الاّ أن روايته عن سعيد بن جبير من صحيفته ، من السادسة ، مات سنة ست وعشرين ومئة .

٤٦ - عطية بن سعد[7] بن جناده ، العوفي ، الجَدلي ، الكوفي أبوالحسن ، صدوق ، يخطئ كثيرا ، كان شيعيا مدلسا ، من الثالثة ، مات سنة احدى عشرة ومئة .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ١/٤٩٧ .

(٢) " " التقريب : ١/٥٠٧ .

(٣) " " التقريب : ١/٥٢٦ .

(٤) " " التقريب : ١/٥٤٤ .

(٥) " " التقريب : ١/٥٤٧ .

(٦) " " التقريب : ٢/٢١ .

(٧) " " التقريب : ٢/٢٤ .

٤٧ - علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1] ، زين العابدين ، ثقة ، ثبت ، عابد ، فقيه ، فاضل مشهور ، قال ابن عيينه عن الزهري : " ما رأيت قرشيا أفضل منه " ، من الثالثة ، مات سنة ثلاث وتسعين .

٤٨ - علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان[2] ، ينسب أبوه الى جد جده ، ضعيف ، الرابعة ، مات سنة احدى وثلاثين ومئة ، وقيل : قبلها .

٤٩ - عمر بن أبي ليلى[3] ، أحد بني عامر ، سمع من محمد بن كعب قوله ، روى عنه الحكم المكي ، وهو مجهول .

٥٠ - عمرو بن سعيد بن يسار القرشي ، شيخ الطبرى ، لم أقف له على ترجمة .

٥١ - عمرو بن عبد الله بن خشب[4] ، ويقال : محمد بن خشب ، الأودى ، ثقة ، العاشرة ، مات سنة خمسين ومئتين .

٥٢ - عمروبن عبد الحميد الآملى ، شيخ الطبرى ، لم أقف له على ترجمة .

٥٣ - عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار[5] ، القرشي مولاهم ، أبوحفص ، الحمصي ، صدوق ، العاشرة ، مات سنة خمس ومائتين .

٥٤ - عمرو بن علي بن بحر بن كثير[6] أبوحفص ، الصيرفي الفلاس ، الباهلي ، البصرى ، ثقة ، حافظ ، مات سنة تسع وأربعين ومئة .

٥٥ - الفضل بن عيسى[7] بن أبان الرقاشي ، أبوعيسى ، البصرى الواعظ ، منكر الحديث ، ورمي بالقدر ، السادسة .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ٢ / ٣٥ .

(٢) " " " التقريب : ٢ / ٣٧ .

(٣) " " " الجرح والتعديل : ٦ / ١٣١ .

(٤) " " " التقريب : ٢ / ٧٣ .

(٥) " " " التقريب : ٢ / ٧٤ .

(٦) " " " التقريب : ٢ / ٧٥ .

(٧) " " " التقريب : ٢ / ١١١ .

٥٦ - القاسم بن الحسن [١] بن يزيد أبومحمد الهمداني الصائغ ، كان ثقة ، توفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين .

٥٧ - القاسم بن مخيمرة [٢] ، الهمداني ، الكوفي ، نزيل الشام ، ثقة ، فاضل ، من الثالثة ، مات سنة مائة .

٥٨ - قيس بن أبي حازم [٣] البجلي ، أبوعبدالله الكوفي ، ثقة مخضرم ، ويقال : له رؤية ، مات بعد التسعين ، أو قبلها ، وقد جاوز المئة ، وتغير من الثانية .

٥٩ - قيس بن الربيع الأسدي [٤] أبومحمد الكوفي ، صدوق ، تغير ، السابعة ، مات سنة (بضع وستين ومائة) .

٦٠ - مالك بن مغول [٥] ، الكوفي ، أبوعبدالله ، ثقة ، ثبت ، مات سنة تسع وخمسين ومئة . ، على الصحيح ، من كبار السابعة .

٦١ - محمد بن حُمَيْر بن أنيس [٦] السّلمي الحمصي ، صدوق ، من التاسعة ، مات سنة مئتين .

٦٢ - محمد بن زياد الالهاني [٧] ، أبوسفيان الحمصي ، ثقة ، من الرابعة .

٦٣ - محمد بن زياد [٨] اليشكري الطحان ، الأعور ، الفأفاء ، الميمون ، الرقي ثم الكوفي ، كذبوه ، الثامنة .

٦٤ - محمد بن السائب [٩] بن بشر الكلبي ، أبوالنصر الكوفي ، متهم بالكذب ، رمي بالرفض ، من السادسة ، مات سنة ست وأربعين ومئة .

---

(١) انظر ترجمته تاريخ بغداد : ١٢/ ٣٢ .
(٢) " " التقريب : ٢/ ١٢٠ .
(٣) " " التقريب : ٢/ ١٢٧ .
(٤) " " التقريب : ٢/ ١٢٨ .
(٥) " " التقريب : ٢/ ٢٢٦ .
(٦) " " التقريب : ٢/ ١٥٦ .
(٧) " " التقريب : ٢/ ١٦٢ .
(٨) " " التقريب : ٢/ ١٦٢ .
(٩) " " التقريب : ٢/ ١٦٣ .

٦٥ - محمد بن سهل بن عسكر[1] ، التميمي مولاهم ، أبوبكر البخارى ، نزيل بغداد ، ثقة ، من الحادية عشر ، مات سنة احدى وخمسين ومئتين .

٦٦ - محمد بن عمر بن واقد[2] الأسلمي ، الواقدى ، المدني ، القاضي ، نزيل بغداد ، متروك مع سعة علمه ، من التاسعة ، مات سنة ثمان وستين ومئة .

٦٧ - محمد بن فضيل بن غزوان[3] ، الضبّي مولاهم ، أبوعبدالرحمن الكوفي ، صدوق ، عارف ، رمي بالتشيع ، التاسعة ، مات سنة خمس وتسعين ومئة .

٦٨ - محمد بن القاسم[4] الأسدى ، أبوالقاسم الكوفي ، شامي الأصل ، قيل : أن لقبة : كاو ، ضعفه أحمد والنسائي وأبوحاتم وغير واحد ، توفي سنة سبع ومائتين .

٦٩ - محمد بن ليث المروزى ، أبوصالح ، لم أقف له على ترجمة .

٧٠ - محمد بن مسلم[5] الطائفي ، واسم جده سوس ، وقيل : سوسن ، صدوق ، يخطئ ، من الثامنة ، مات قبل التسعين ومئة .

٧١ - محمد بن معمر[6] بن ربعي القيسى ، البصرى ، البحراني ، صدوق ، كبار الحادية عشرة ، مات سنة خمسين ومئتين .

٧٢ - محمد بن نجيح[7] بن أبي معشر ، صدوق ، من العاشرة ، مات سنة سبع وأربعين ومائتين .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ٢/١٦٧ .

(٢) " " التقريب : ٢/١٩٤ .

(٣) " " التقريب : ٢/٢٠٠ .

(٤) " " تهذيب التهذيب : ٩/٤٠٧ . والتقريب : ٢/٢٠١ .

(٥) " " التقريب : ٢/٢٠٧ . وتهذيب التهذيب : ٩/٤٤٤ .

(٦) " " التقريب : ٢/٢٠٩ .

(٧) " " التقريب : ٢/٢١٣ .

٧٣ - محمد بن يونس بن موسى بن سليمان الكديمي[(١)] ، أبوالعباس ، السامي ، البصرى ، ضعيف ، ولم يثبت أن أبا داود روى عنه ، من صغار الحادية عشرة ، مات سنة ست وثمانين ومائتين .

٧٤ - مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهرى[(٢)] ، أبوزراره المدني ، ثقة ، أرسل عن عكرمة بن أبي جهل ، الثالثة ، مات سنة ثلاث ومائة .

٧٥ - مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى[(٣)] ، كذبوه وهجروه ، ورمي بالتجسيم ، السابعة ، مات سنة خمس ومائة .

٧٦ - مهران[(٤)] ، بكسر أوله ، ابن أبي عمر ، العطار ، أبوعبد الله الرازى ، صدوق ، له أوهام ، سيء الحفظ ، التاسعة .

٧٧ - موسى بن سهل بن قادم[(٥)] ، أبوعمران الرملي ، نسائي الأصل ، ثقة ، من الحادية عشرة ، مات سنة اثنتين وستين على الصحيح .

٧٨ - موسى بن عقبة[(٦)] بن أبي عياش ، الأسدى ، مولى آل الزبير ، ثقة ، فقيه ، امام المغازى ، لم يصح أن ابن معين لينه ، الخامسة ، مات سنة احدى وأربعين ومئة . وقيل : بعد ذلك .

٧٩ - معاذه بنت عبد الله[(٧)] العدوية ، أم الصهباء البصرية ، ثقة ، الثالثة .

٨٠ - نبيط بن شريط[(٨)] ، الأشجعي الكوفي ، صحابي صغير ، يكنى أباسلمة .

٨١ - النضر بن عدى[(٩)] العامرى . يقال مولى حاتم بن النعمان الباهلي ، ذكره خليفة من الطبقة الرابعة ، من أهل الجزيرة .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ٢/٢٢٢ .
(٢) " " التقريب : ٢/٢٥١ .
(٣) " " التقريب : ٢/٢٧٢ .
(٤) " " التقريب : ٢/٢٧٩ .
(٥) " " التقريب : ٢/٢٨٤ .
(٦) " " التقريب : ٢/٢٨٦ .
(٧) " " التقريب : ٢/٦١٤ .
(٨) " " التقريب : ٢/٢٩٧ .
(٩) " " طبقات خليفة : ص ٣٢٠ .

٨٢ - نوف بن فضالة [1] ابن امرأة كعب الأحبار ، كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب ، الثانية ، مات بعد التسعين .

٨٣ - هشام بن محمد [2] بن السائب الكلبي ، أبوالمنذر الاخبارى النسابة ، العلاّمة ، قال فيه أحمد : " انما كان صاحب سمر ونسب ، ما ظننت أن أحدا يحدث عنه " . وقال الدارقطني وغيره : "متروك" ، وقال ابن عساكر : " رافضي ، ليس بثقة" ، مات سنة أربع ومائتين .

٨٤ - هناد بن السرى [3] ، ابن مصعب التميمي ، أبوالسرى ، الكوفي ، ثقة ، من العاشرة ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، وله احدى وتسعون سنة .

٨٥ - يحيى بن آدم [4] بن سليمان، الكوفي ، أبوزكريا مولى بنى أمية ، ثقة ، حافظ ، فاضل ، كبار التاسعة ، مات سنة ثلاث ومائتين .

٨٦ - يحيى بن رافع [5] أبوعيسى الثقفي ، روى عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وأبي هريرة روى عنه اسماعيل بن أبي خالد .

٨٧ - يحيى بن محمد [6] بن صاعد بن كاتب مولى أبى جعفر المنصور ، ولد سنة ثمان وعشرين ومئتين ، وتوفى سنة ثمان وعشرة وثلاثمائة ، وثقه الدارقطني وابراهيم الحربى ، والذهبى ، وغيرهم .

٨٨ - يزيد بن أبان [7] الرقاشى ، أبوعمر ، البصرى القاصّ ، بتشديد المهملة ، زاهد ، ضعيف ، من الخامسة ، مات قبل العشرين ومئة .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ٢ / ٣٠٩ .
(٢) " " الميزان : ٤ / ٣٠٥ .
(٣) " " التقريب : ٢ / ٣٢١ .
(٤) " " التقريب : ٢ / ٣٤١ .
(٥) " " الجرح والتعديل : ٩ / ١٤٣ .
(٦) " " تاريخ بغداد : ١٤ / ٢٣٢ ، العبر : ١ / ٤٧٨ ، تذكرة الحفاظ : ٢ / ٧٧٦ .
(٧) " " التقريب : ٢ / ٣٦١ .

٨٩ - يزيد بن شَريك[1] بن طارق التيمى ، الكوفي ثقة ، يقال : أنه أدرك الجاهلية ، من الثانية ، مات في خلافة عبد الملك .

٩٠ - يزيد بن هارون[2] بن زادان ، السلمي ، مولاهم أبوخالد الواسطي ، ثقة ، متقن ، عابد ، التاسعة ، مات سنة ست ومائتين ، وقد قارب التسعين .

٩١ - أبوأمامة[3] البلوى ، حليف بنى حارثة ، اسمه اياس ، وقيل : عبد الله ابن ثعلبة ، وقيل : ثعلبة بن عبد الله بن سهل ، صحابي له حديث .

٩٢ - أبوبكر الوراق[4] ، محمد بن اسماعيل بن العباس ، محدث ، فاضل ، مكثر ، لكنه يحدث من غير أصول ، ذهبت أصوله .

٩٣ - أبورجاء[5] العطاردى ، هو عمران بن ملحان ، يقال : ابن تيم ، ومشهور بكنيته ، مخضرم ، ثقة ، معمر ، مات سنة خمس ومائة ، وله مائة وعشرون سنة .

٩٤ - أبوسعيد الأشج[6] ، هو عبد الله بن سعيد بن حصين الكندى ، أبوسعيد الأشج ، الكوفي ، ثقة ، صغار العاشرة ، مات سنة سبع وخمسين ومائتين .

٩٥ - أبوصالح[7] ، هو ذكوان السمان الزيات ، المدني ، ثقة ، ثبت ، وكان يجلب الزيت الى الكوفة ، من الثالثة ، مات سنة احدى ومائة .

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ٢ / ٣٦٦ .
(٢) " " التقريب : ٢ / ٣٧٢ .
(٣) " " التقريب : ٢ / ٣٩٢ .
(٤) " " الميزان : ٣ / ٤٨٤ .
(٥) " " التقريب : ٢ / ٨٥ .
(٦) " " التقريب : ١ / ٤١٩ .
(٧) " " التقريب : ١ / ٢٣٨ .

٩٦ - أبوصالح[(١)]، هو عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني، أبوصالح المصري، كاتب الليث، صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابته، وكانت فيه غفلة، من العاشرة، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين، وله خمس وثمانون سنة.

٩٧ - أبوالضحى[(٢)]، هو مسلم بن صبيح الهمداني، العطار، مشهور بكنيته، ثقة، فاضل، من الرابعة، مات سنة مائة.

٩٨ - أبوعاصم[(٣)]، وهو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم، الشَّيْبَاني، أبوعاصم النبيل، البصري، ثقة، ثبت، التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة (أي ومئة). أو بعدها.

٩٩ - أبوعبد الرحمن[(٤)] السلمي، هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة، الكوفي، المقرئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة، ثبت، من الثانية، مات بعد السبعين.

١٠٠ - أبوعمر بن حيوية[(٥)]، هو محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى ابن مُعاذ الخراز، المعروف بابن حيويه، ثقة، مكثر في الحديث، روى كثيرا من المصنفات، مثل: "طبقات ابن سعد" "ومغازي الواقدي"، ويقه البرقاني، والعتيقي، والخلال، وأثنى عليه الخطيب البغدادي، ولد في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومئتين، وتوفي في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة، وله سبع وثمانون سنة.

١٠١ - أبوعون[(٦)]، هو محمد بن عبد الله بن انسان، الثقفي، الطائفي، لين، من السادسة.

---

(١) انظر ترجمته التقريب: ١/٤٢٣.
(٢) " " التقريب: ٢/٢٤٥.
(٣) " " التقريب: ١/٣٧٣.
(٤) " " التقريب: ١/٤٠٨.
(٥) " " تاريخ بغداد: ٣/١٢١.
(٦) " " التقريب: ٢/١٧٥.

١٠٢ـ أبونعيم [١] ، هو الفضل بن دكين عمرو بن حماد الكوفي الملائي ، ثقة، ثبت ، من التاسعة ، مات سنة ثمان عشرة ومئتين ، وقيل : تسع عشرة .

١٠٣ـ أبوكريب [٢] ، هو محمد العلاء بن كريب الهمداني ، مشهور بكنيته ، ثقة ، حافظ ، من العاشرة ، مات سنة سبع وأربعين ومئتين وقيل : ثمان وأربعين .

١٠٤ـ أبوهشام المخزومي [٣] ، هو المغيرة بن سلمة المخزومي ، أبوهشام البصري، ثقة ، ثبت ، من صغار التاسعة ، مات سنة مائتين .

١٠٥ـ أبومالك غزوان [٤] ، هو غزوان الغفاري ، أبومالك الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة ، من الثالثة .

١٠٦ـ أبووائل [٥] ، هو شقيق بن سلمة الأسدي ، الكوفي ، ثقة ، مخضرم ، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وله مائة .

١٠٧ـ ابن بشار [٦] ، هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي ، البصري ، أبوبكر بندار ، ثقة ، من العاشرة ، مات سنة اثنتين وخمسين (أي ومائتين) وله بضع وثمانون .

١٠٨ـ ابن حميد [٧] ، هو محمد بن حميد بن حيان الرازي ، حافظ ، ضعيف وكان ابن معين حسن الرأي فيه ، من العاشرة ، مات سنة ثلاثين (أي ومئتين) . وذكر الذهبي : " أنه توفي سنة ثمان وأربعين ومئتين ، ولعله الأرجح " .

---

(١) انظر ترجمته تهذيب التهذيب : ٨ / ٢٧٠ ، العبر : ١ / ٢٩٧ .

(٢) " " التقريب : ٢ / ١٩٧ .

(٣) " " التقريب : ٢ / ٢٦٩ .

(٤) " " التقريب : ٢ / ١٠٥ .

(٥) " " التقريب : ١ / ٣٥٤ .

(٦) " " التقريب : ٢ / ١٤٧ .

(٧) " " التقريب : ٢ / ١٥٦ . سير أعلام النبلاء : ١١ / ٥٠٣ .

١٠٩ - ابن لهيعة [1] ، وهو عبد الله بن لهيعة ، صدوق ، خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك ، وابن وهب عنه أعدل من غيرهما ، وله في مسلم بعض شئ مقرون ، من السابعة ، مات سنة أربع وسبعين ومائة .

١١٠ - ابن نافع [2] ، هو عبد الله بن نافع بن أبي نافع الصائغ المخزومي ، مولاهم أبو محمد المدني ، ثقة ، صحيح الكتاب في حفظه لين ، من كبار العاشرة ، مات سنة ست ومائتين وقيل : بعدها .

١١١ - ابن وكيع ، [3] هو سفيان بن وكيع بن الجراح ، صدوقا الا أنه ابتلي بوراقة فأدخل عليه ما ليس من حديثه ، فنصح فلم يقبل ، فسقط حديثه ، من العاشرة ، مات سنة سبع وأربعين ومئتين .

* * *

* *

*

---

(١) انظر ترجمته التقريب : ١ / ٤٤٤ .

(٢) " " التقريب : ١ / ٤٥٦ .

(٣) " " التقريب : ١ / ٣١٢ .

الفهارس

١ - ((فهـــرس الآيـــات القرآنيـــة))

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـــة
	(ســـورة الفاتحـــــة)	
٤	مالك يوم الديـــن	٦٤
	(ســـورة البقـــرة)	
١	الـــــم	٦٥
١٧	مثلهم كمثل الذى استوقد نارا	٦٦
٢٥	... وأتوا به متشابها ...	٦٦
٣٤	... الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين	٦٧
٣٧	فتلقى آدم من ربه كلمات ...	٦٧
٥٠	... فأنجيناكم وأغرقنا ءال فرعون وأنتم تنظرون	٦٨
٦٧	... ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ...	٧٠
٧١	... وما كادوا يفعلون	٧١
٧٢	واذ قلتم نفسا فأدارئتم فيها ...	٧٢
١٠٦	ما ننسخ من آيـة ...	٧٣
١١٩	انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا	٧٤
١٢٦	... ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره ...	٧٥
١٣٣	... نعبد اليهك والـه ءاباءك ابراهيم ...	٧٦
١٣٥	... حنيفـــا ...	٧٧
١٥٢	فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون	٧٨
١٨٤	... وعلى الذين يطيقونـــه ...	٧٨
١٨٥	شهر رمضان ...	٨٠
١٨٧	... ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون في المساجد ...	٨١
١٨٩	... وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ...	٨٣
١٩٥	وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ...	٨٤
١٩٦	... فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأســـــه ...	٨٥
١٩٧	... فلا رفـــث ...	٨٦

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـــة
١٩٧	... ولا فســـوق ...	٨٧
١٩٧	... ولا جـــدال في الحج ...	٨٨
٢٠٠	... كذكركم ءاباءكم أو أشد ذكرا ...	٨٩
٢٠١	... ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة ...	٩٠
٢٠٣	... في أيام معدودات ...	٩١
٢٠٣	... ومن تأخر فلا اثم عليه ...	٩٢
٢٠٥	ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ...	٩٣
٢١٠	هل ينظرون الاّ أن يأتيهم الله في ظُلَلٍ من الغمام والملائكـــة ...	٩٤
٢٢٣	نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ...	٩٥
٢٢٦	... وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم	٩٦
٢٢٨	... ولا يحل لهنّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنّ ...	٩٦
٢٣٧	... الاّ أن يعفـــون ...	٩٧
٢٣٧	... أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح ...	٩٨
٢٣٨	... وقوموا لله قانتين	٩٩
٢٤٩	فلما فصل طالوت بالجنـــود ...	١٠٠
٢٥٥	الله لا اله الاّ هو الحي القيوم ...	١٠٠
٢٧٣	للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ...	١٠١
٢٨٤	... وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ...	١٠٢
٢٨٦	لا يكلف الله نفسا الاّ وسعها ...	١٠٤
٢٨٦	... لها ما كسبـــت ...	١٠٥
٢٨٦	... وعليها ما اكتسبت ...	١٠٦
٢٨٦	... ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ...	١٠٦
٢٨٦	... ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته ...	١٠٧
	(ســـورة آل عمـــران)	
٢٧	تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ...	١٠٨
٤١	... الاّ رمـــزا ...	١٠٨

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـــة
٤١	... واذكر ربك كثـــيرا ...	١٠٩
٦٧	... حنيفـــا ...	١١٠
١٤٢	... ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين	١١٠
١٥٢	ولقد صدقكم الله وعده ...	١١١
١٧٨	ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير...	١١٢
١٨٨	ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ...	١١٣
١٩٣	ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ...	١١٥
٢٠٠	... اصبروا وصابروا ورابطوا ...	١١٦
٢٠٠	... واتقوا الله لعلكم تفلحون	١١٨

(سورة النســـاء)

٢١	... وأخذنّ منكم ميثاقا غليظا	١٢٠
٢٢	ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ...	١٢١
٢٤	والمحصنات من النساء الاّ ما ملكت أيمانكم...	١٢٣
٢٤	فما استمتعتم به منهنّ ...	١٢٣
٣١	ان تجتنبوا كبائرَ ما تنهونّ عنـــه...	١٢٥
٣٤	... فعظوهـــنّ ...	١٢٦
٣٤	... واهجروهنّ في المضاجع ...	١٢٧
٣٥	وان خفتم شقاق بينهما ...	١٢٨
٥٨	... الى أهلهـــا ...	١٢٩
٨٩	ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ...	١٣٠
٩١	... وأولئكـــم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا	١٣٢
١١٤	... أو اصلاح بين الناس ...	١٣٣
١٢٥	... حنيفـــا ...	١٣٤
١٤٤	... سلطانا مبينا	١٣٤
١٥٣	يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء...	١٣٥
١٥٦	وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما	١٣٦
١٦٣	انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين ...	١٣٧

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـة
١٦٤	... وكلم الله موسى تكليما	١٣٨

(سـورة المائـدة)

١	... أوفوا بالعقـود ...	١٤٠
٣	... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ...	١٤٢
٤	يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ...	١٤٣
٦	يا أيها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة ...	١٤٤
٣٣	انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ...	١٤٦
٣٣	... أو ينفـوا من الأرض ...	١٤٨
٣٤	الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ...	١٤٩
٤٨	... مهيمنـا عليـه ...	١٥٠
٥٤	يا أيها الذين ءامنـوا ...	١٥١
٥٤	من يرتد منكم عن دينه ...	١٥٢
٥٤	... فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ...	١٥٣
٦٧	... والله يعصمك من الناس ...	١٥٤
٧٢، ٧٣	لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ...	١٥٧
٩٠	... انما الخمر والميسـر ...	١٦١
٩٠	... والميسـر ...	١٦٣
١١٠	... بروح القـدس ...	١٦٤

(سورة الأنعـام)

١٩	... ومن بلـغ ...	١٦٦
٢٦	وهم ينهون عنـه ...	١٦٧
٢٦	وينئون عنه	١٦٨
٣٣	... فانهم لا يكذبونك ...	١٦٩
٧٩	... حنيفـا ...	١٧٠
٨٤، ٨٥	... ومن ذريتـه ...	١٧٠
٩١	... وما قدروا الله حق قدره ...	١٧٢
٩٤	ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ...	١٧٣

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـة
٩٧	وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها . . .	١٧٤
٩٩	. . . انظروا الى ثمره اذا أثمر . . .	١٧٧
١٠٩	وأقسموا بالله جهد أيمانهم . . .	١٧٨
١٢٨	. . . ربنا استمتع بعضنا ببعض . . .	١٨٠
١٢٨	. . . وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا . . .	١٨٠
١٤١	. . . كلوا من ثمره اذا أثمـر . . .	١٨١
١٤١	. . . وءاتوا حقه يوم حصاده . . .	١٨١
١٤١	. . . ولا تسرفوا . . .	١٨٢
١٥٨	. . . يوم يأتي بعض ءايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها ...	١٨٣
١٦٠	من جاء بالحسنة . . .	١٨٣
١٦٠	. . . ومن جاء بالسيئة	١٨٤
١٦١	. . . حنيفـا . . .	١٨٥
١٦٤	. . . ولا تكسب كل نفس الا عليها . . .	١٨٦

سـورة الأعـراف)

١	آلمص	١٨٧
١٦	قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم	١٨٧
٢٠	. . . أو تكونا من الخالدين	١٨٨
٢١	وقاسمهمـا . . .	١٨٩
٢٢	فدلاهما بغـرور . . .	١٩٠
٢٢	. . . وطفقا يخصفان عليهـا . . .	١٩٠
٢٣	قالا ربنا ظلمنا أنفسنـا . . .	١٩١
٢٨	. . . ان الله لا يأمر بالفحشاء . . .	١٩٢
٢٩	. . . كما بدأكم تعـودون	١٩٣
٣٣	. . . وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا . . .	١٩٥
٣٧	. . . أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب . . .	١٩٥
٣٧	. . . حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم . . .	١٩٦
٤١	لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش . . .	١٩٦

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـة
٦٩	... لعلكـم تفلحـون	١٩٧
٩٩	أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله ...	١٩٧
١١٣	وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ...	١٩٩
١٣٣	... والـدم ...	٢٠٠
١٤٣	... وكلمه ربـه ...	٢٠١
١٥٠	ولما رجع موسى لقومه غضبان أسفـا ...	٢٠١
١٥٥	... فلما أخذتهم الرجفـة ...	٢٠٢
١٥٦	... في هذه الدنيا حسنـة ...	٢٠٣
١٦٨	... وبلوناهـم ...	٢٠٣
١٧٢	واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ...	٢٠٤
٢٠١	ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان ...	٢٠٥
٢٠٢	واخوانهـم ...	٢٠٦
٢٠٤	واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ...	٢٠٧
	(سـورة الأنفـال)	
١	... وأطيعوا الله ورسولـه ...	٢٠٩
٤	... ورزق كريـم	٢١١
٩	... مردفـين	٢١٢
١٧	... وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ...	٢١٣
٢٧	يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ...	٢١٤
٣٥	... مكـاء ...	٢١٦
٣٥	... وتصديـة ...	٢١٦
٤٥	... لعلكم تفلحون ...	٢١٦
٤٧	ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ...	٢١٧
٤٨	واذ زين لهم الشيطان أعمالهم ...	٢١٨
	(سـورة التوبـة)	
١، ٢	بـراءة من الله ورسولـه ...	٢٢٠

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـة
١٩	أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد ...	٢٢١
٤١	انفروا خفافا وثقـالا ...	٢٢٣
٦٥	ولئن سألتهم ليقولنّ انما كنا نخوض ونلعب ...	٢٢٥
٦٦	... ان نعف عن طائفة منكم ...	٢٢٦
٦٩	فاستمتعوا بخلاقهـم ...	٢٢٧
٧٢	... في جنات عـدن ...	٢٢٨
٧٥	... ومنهم من عاهد الله ...	٢٣٠
٨١	فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ...	٢٣١
٩٢	ولا على الذين اذا ما أتوك ...	٢٣٢
١٠٠	والسابقون الأولون من المهاجرين ...	٢٣٤
١١١	ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ...	٢٣٦
١١٣	ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين	٢٣٨
١٢٩	فان تولوا فقل حسبي الله ...	٢٤٠

(سورة يونـــس)

١	آلـــم	٢٤١
٥٨	... هو خير مما يجمعون	٢٤١
٦٤	... لا تبديل لكلمات الله ...	٢٤٢
٨٨	... ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم ...	٢٤٢
٨٩	قد أجيبت دعوتكمـا ...	٢٤٤
٨٩	... فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون	٢٤٥
٩٠	وجاوزنا ببني اسرائيل البحـر ...	٢٤٦
٩١	الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين	٢٤٨
٩٢	فاليوم ننجيك ببدنـك ...	٢٤٩

(سورة هـــود)

٥	... ألا حين يستغشون ثيابهم ...	٢٥١
٦	... مستودعها ...	٢٥٢

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
١٥	من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ...	٢٥٤
٣٦	وأوحى الى نوح ...	٢٥٥
٤٠	... وما آمن معه الاّقليـــل	٢٥٦
٤٨	قيل يا نوح اهبط بسلام منا ...	٢٥٧
٧٧	... وقال هذا يوم عصيب	٢٥٩
٨١	قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك ...	٢٦٠
٨٢	فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ...	٢٦٠
٨٧	... أو أن تفعل في أموالنا ما نشاء ...	٢٦٣
٩٤	... وأخذت الذين ظلموا الصيحة ...	٢٦٤
١٠٠	... قائم وحصيـــد	٢٦٦
١١٤	... طرفي النهـــار ...	٢٦٧
١١٤	... وزلفا من الليل ...	٢٦٩
١١٤	... ان الحسنات يذهبن السيئات	٢٧٠
	(ســـورة يوســـف)	
٢٤	... لولا أن رأى برهان ربه ...	٢٧٣
٤٠	... ما أنزل الله بها من سلطان ...	٢٧٥
٦٧	... يا بني لا تدخلوا من باب واحد ...	٢٧٥
٧٦	... ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ...	٢٧٧
٧٦	... وفوق كل ذى علم عليم	٢٧٩
٩٤	... اني لأجد ريح يوسف ...	٢٧٩
٩٩	فلما دخلوا على يوسـف ...	٢٨٠
	(ســـورة الرعـــد)	
٣٩	يمحوالله ما يشاء ويثبت ...	٢٨٢
	(ســـورة ابراهـــيم)	
٩	... فردوا أيديهم في أفواههـــم ...	٢٨٤

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـة
١٦	... ويسقى من ماءصديـد	٢٨٥
٢١	... سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ...	٢٨٦
٢٢	وقال الشيطان لما قضى الأمـر ...	٢٨٧
٤٤ : ٤٦	... ربناأخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ...	٢٨٩
٤٨	يوم تبدل الأرض غير الأرض ...	٢٩٠
	(سـورة الحجـر)	
٢٤	ولقد علمنا المستقدمين منكم ...	٢٩٢
٧٨	وان كان أصحاب الأيكة لظالمين	٢٩٣
	(سـورة النحـل)	
١٦	وعلامات وبالنجم هم يهتدون	٢٩٤
٣٢	الذين تتوفاهم الملائكـة ...	٢٩٤
٧٢	... وحفـدة ...	٢٩٥
٩٠	ان الله يأمر بالعدل ...	٢٩٦
٩٧	... فلنحيينه حياة طيبـة ...	٢٩٧
١٠٢	... روح القـدس ...	٢٩٨
	(سـورة الاسـراء)	
٣	... انه كان عبدا شكـورا	٢٩٩
١٢	... فمحونا ءايـة الليـل ...	٣٠٠
٧١	... بامامهـم ...	٣٠١
٧٣	وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك ...	٣٠٢
٧٨	... وقرآن الفجـر ...	٣٠٣
٧٨	... ان قرآن الفجر كان مشهودا	٣٠٤
٨٠	وقل ربي أدخلني مدخل صدق ...	٣٠٦
١٠١	ولقد ءاتينا موسى تسع آيات ...	٣٠٧
١٠١	وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ...	٣٠٨

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـة
	(سـورة الكهـف)	
٤٦	... الباقيات الصالحـات ...	٣١١
٦٠	... مجمع البحريـــن ...	٣١٢
٩٩	... ونفخ في الصـــور ...	٣١٤
	(سـورة مريـم)	
١	كـهـيـعـص	٣١٧
٦	... واجعله رب رضيـا	٣١٧
٢٨	يا أخت هـارون ...	٣١٨
٥٩	فخلق من بعد هم خلق ...	٣٢٠
٥٩	... أضاعوا الصلاة ...	٣٢١
	(سـورة طـه)	
١	طـــه	٣٢٢
٦	... وما تحت الثـرى	٣٢٢
٢٧	واحلل عقدة من لساني	٣٢٢
٤٠	... ثم جئت على قدر يا موسـى	٣٢٤
٤٢	... ولا تينـا ...	٣٢٥
٧٠	فألقي السحـرة ...	٣٢٦
٧٣	... والله خـير وأبقى	٣٢٦
٧٧	... فاضرب لهم طريقـا في البحر يبسا ...	٣٢٦
١٠٨	يومئذ يتبعـون الداعي لا عوج له ...	٣٢٧
	(سـورة الأنبيـاء)	
٨١	ولسليمان الريـح ...	٣٢٩
٨٤	... رحمة من عندنا وذكرى للعابدين	٣٢٩
٨٧	... فنادى في الظلمـات ...	٣٣٠

رقم الآية	الآيـــة	الصفحـة
٩٠	... وأصلحنا له زوجـه ...	٣٣١
	(سـورة الحـج)	
١، ٢	يا أيها الناس اتقوا ربكـم ...	٣٣٢
٢٧	... يأتوك رجالا وعلى كل ضامـر ...	٣٣٤
٢٩	ثم ليقضوا تفثهـم ...	٣٣٤
٣٦	... واطعموا القانع والمعـتر...	٣٣٦
٤١	الذين ان مكناهم في الأرض ...	٣٣٧
٥٠	...ورزق كريـم	٣٣٨
٥٢	وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...	٣٣٨
	(سـورة المؤمنـون)	
٥، ٦	والذين هم لفروجهم حافظون ...	٣٤٥
٦٠	والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجله ...	٣٤٥
٩٩	... قال رب ارجعـون لعلى أعمل صالحا ...	٣٤٦
١٠٠	... ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعـثون	٣٤٧
	(سـورة النـور)	
٣١	... لعلكـم تفلحـون .	٣٤٩
٣٥	... مثل نوره كمشكاة ...	٣٤٩
٣٥	... زيتونـة ...	٣٥١
٣٥	... لا شرقية ولا غربية ...	٣٥٢
٥٥	وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ...	٣٥٢
٦٣	انما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ...	٣٥٣
	(سـورة الفرقـان)	
٢	ولم يكن له شريك في الملك ...	٣٥٥

رقم الآية	الآيـــــــة	الصفحـــة
١٦	... كان على ربك وعدا مسئولا	٣٥٥
٣٨	... وأصحاب الرس ...	٣٥٦
٦١	تبارك الذى جعل في السماء بروجا ...	٣٥٨
٦٥	... ان عذابها كان غراما	٣٥٩
٧٤	... قرة أعين ...	٣٦٠
٧٧	... فسوف يكون لزاما	٣٦١

(سـورة الشعـراء)

١	طـسـم	٣٦٢
٤٦	فألقى السحرة ساجدين	٣٦٢
٥٤	ان هؤلاء لشرذمة قليلون	٣٦٢
٦٢	كلا ان معى ربي سيهدين	٣٦٣
٦٣	... كالطود العظيم	٣٦٣
٦٦	ثم أغرقنا الآخرين	٣٦٣
١٨٩	... فأخذهم عذاب يوم الظلة ...	٣٦٤
١٩٣	نزل به الروح الأمين	٣٦٤
٢٢١	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟	٣٦٥
٢٢٣	يلقون السمع وأكثرهم كاذبون	٣٦٥

(سـورة النمـل)

١	طـس	٣٦٦
٨	... ان بورك من في النار ...	٣٦٦
٨	... ومن حولهـا ...	٣٦٧
١٢	... تسع ءايات ...	٣٦٧
١٦	... وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير ...	٣٦٨
١٧	وحشر لسليمان جنوده ...	٣٦٩
٤١	... أم تكون من الذين لا يهتدون	٣٦٩
٤٤	... فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ...	٣٧٠

رقم الآية	الآيـــــــة	الصفحـــة
٤٧	... بل أنتم قوم تفتنـــون	٣٧١
٨٢	... دابـــة ...	٣٧١
٨٧	يوم ينفخ في الصور ...	٣٧٢
٨٧	ففزع من في السموات ومن في الأرض ...	٣٧٣
٨٨	... وهي تمـــر مـــر السحـاب ...	٣٧٤
٨٩	من جاء بالحسنـــة ...	٣٧٥
٨٩	... فله خير منها ...	٣٧٦
٨٩	... وهم من فزع يومئـــذ ءامنـــون	٣٧٧
٩٠	ومن جاء بالسيئـــة ...	٣٧٧
	(ســـورة القصـــص)	
١٥	ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ...	٣٧٨
٢٩	فلما قضى موسى الأجل ...	٣٧٩
٦١	أفمن وعدنـــاه وعدا حسنـــا ...	٣٨٠
٧٨	... ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون	٣٨١
٨٤	من جاء بالحسنة ...	٣٨٢
٨٤	... ومن جاء بالسيئة ...	٣٨٢
	(ســـورة العنكبوت)	
١٧	... واعبدوه واشكروا له اليه ترجعـون	٣٨٣
	(ســـورة الـــروم)	
٣٩	وما ءاتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس ...	٣٨٤
	(ســـورة الأحـــزاب)	
٩	فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ...	٣٨٥
٣٨	ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله ...	٣٨٧

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـــة
٥٠	يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك ...	٣٨٨
٥١	ترجي من تشاء منهنّ وتؤى اليـــك ...	٣٩١
٥٣	يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوت النبي ...	٣٩٤
٥٩	يا أيها النبي قل لأزواج وبناتك ...	٣٩٦
٦٠	لئن لم ينته المنافقـون ...	٣٩٧
	(ســـورة سبـــأ)	
١٣	... اعملوا ءال داود شكرا ...	٣٩٩
٢٨	وما أرسلناك إلاّكافة للناس ...	٤٠٠
٤٦	... أن تقوموا لله مثنى وفرادى ...	٤٠٠
٥٢	وأنى لهم التناوش من مكان بعيد	٤٠١
	(ســـورة فاطـــر)	
٤٣	... ولا يحيق المكر السيئ الاّبأهلـــه ...	٤٠٢
	(ســـورة يـــس)	
٤٩	ما ينظرون إلاصيحة واحدة ...	٤٠٤
٥٦	... ألأرائـــك ...	٤٠٤
٥٨	سلام قولا من ربّ رحـــيم	٤٠٥
٥٩	وامتازوا اليوم أيها المجرمـــون	٤٠٨
	(سـورة الصافـــات)	
٤٧	... ولا هم ينزفـــون	٤٠٩
٦٥	طلعها كأنه رءوس الشياطين	٤٠٩
١٠١	فبشرناه بغلام حلـــيم	٤١٠
١٠٢	... يا بنى انى أرى في المنام أني أذبحك	٤١١

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـة
	(ســـــورة ص)	
١	ص	٤١٤
٣	. . . فنادوا ولات حين منـاص	٤١٤
٧	ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة . . .	٤١٥
١٢	. . . ذو الأوتـاد	٤١٥
١٥	وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة . . .	٤١٦
٢١	وهل آتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب . . .	٤١٧
٥٢	وعندهم قاصرات الطرف أتراب	٤٢١
	(ســورة الزمـــر)	
٥٣	قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم . . .	٤٥٢
٦٧	وما قدروا الله حق قدره . . .	٤٢٣
٦٨	ونفخ في الصور فصعق من في السموات . . .	٤٢٤
	(ســورة غافـــر)	
٣٢	. . . يوم التنـــاد	٤٢٥
٤٦	. . . غدوا وعشيـــا . . .	٤٢٥
	(ســورة الزخـــرف)	
٢٨	وجعلها كلمة باقية في عقبه . . .	٤٢٨
٣١	. . . من القريتـين . . .	٤٢٩
٣٦	ومن يعش عن ذكر الرحمـن	٤٢٩
٥٥	فلما آسفونـــا . . .	٤٣٠
٥٧	. . . اذا قومك منه يصدون	٤٣١
٨٠	أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم . . .	٤٣٢

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـــة
	(سـورة الدخـان)	
٢٤	... رهـــوا ...	٤٣٤
٢٩	فما بكت عليهم السماء والأرض ...	٤٣٤
	(ســورة الجاثيـة)	
١٤	قل للذين ءامنوا يغفروا للذين لا يرجون ...	٤٣٧
	(ســورة الأحقـاف)	
٢٩	واذ صرفنا اليك نفرا من الجـن ...	٤٤١
	(ســورة محمـــد)	
٦	ويدخلهم الجنة عرفها لهـم	٤٤٥
	(ســورة الحجرات)	
١٧	يمنون عليك أن أسلمـوا ...	٤٤٦
	(ســورة قٓ)	
١	قٓ	٤٤٩
٣٥	لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيـد	٤٤٩
٣٧	... أو ألقى السمع وهو شهيد	٤٥٠
	(ســورة الذاريات)	
١٩	... المحـروم	٤٥٢
	(ســورة الطـور)	
٦	والبحر المسجـور	٤٥٣
١٣	يوم يدعون الى نار جهنم دعـا	٤٥٣

رقم الآية	الآيـــــــة	الصفحـــة
	(ســـورة النجـــم)	
٨	ثم دنا فتدلـــى	٤٥٤
١٦	اذ يغشى السدرة ما يغشى	٤٥٦
١٧	ما زاغ البصر وما طغى	٤٥٧
١٨	لقد رأى من ءايات ربه الكبرى	٤٥٨
٣٤	وأعطى قليلا وأكـــدى	٤٥٨
٣٧	وابراهيم الذى وفّـــى	٤٥٩
	(ســـورة القمـــر)	
١٢	وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماءُ على أمر قد قدر	٤٦٠
١٣	... دســـــر	٤٦١
١٥	... فهل من مدكـــر؟	٤٦٢
٤٦	... والساعة أدهى وأمّـــر	٤٦٣
٤٧	"ان المجرمين في ضلال وسُعُرَ" ..."وكل صغيروكبيرمستطَر"	٤٦٥
٥٤	... ونهـــر	٤٦٧
	(ســـورة الرحمـــن)	
١٧	رب المشرقين ورب المغربين	٤٦٨
٤٤	يطوفون بينها وبين حميم آن	٤٦٨
٥٨	... الياقـــوت ...	٤٧٠
٦٤	مدهامتـــان	٤٧١
٧٢	... مقصـــورات ...	٤٧١
٧٦	... رفـــرف ...	٤٧٢
	(ســـورة الواقعـــة)	
٢	ليس لوقعتها كاذبـــة	٤٧٣
١٠	والسابقون السابقون	٤٧٣

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـــة
٨٩	فروحٌ وريحـــان ...	٤٧٤
٨٩	... وجنـــةُ نعـــيم	٤٧٥
	(ســـورة المجادلـــة)	
٤ : ١	قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها ...	٤٧٧
١١	يا أيها الذين ءامنوا اذا قيل لكم تفسحوا ...	٤٧٩
	(ســـورة الحشـــر)	
٢٣	... الجبـــار ...	٤٨١
	(ســـورة الصـــف)	
٣	يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون ...	٤٨٢
	(ســـورة الجمعـــة)	
٩	يا أيها الذين ءامنوا اذا نودى للصلاة ...	٤٨٣
٩	... فاسعوا الى ذكر اللـــه ...	٤٨٤
	(ســـورة المنافقـــين)	
٨،٧	هم الذين يقولون لا تنفقوا على مَنْ عند رسول الله ...	٤٨٦
	(ســـورة التحريـــم)	
٥	... سائحـــات ...	٤٨٨
٨	... توبـة نصوحا ...	٤٨٩
	(سورة القلـــم)	
١	نٓ والقلـــم	٤٩٠
٢٥	... على حـــرد ...	٤٩٠

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـة
٢٨	... أوسطهـم ...	٤٩١
	(سـورة الحآقـــه)	
٢٧	... سلطانيـة	٤٩٢
٤٦	... الوتـين	٤٩٢
	(سـورة المعـارج)	
٤	... خمسين ألف سنـة	٤٩٣
	(سـورة نـوح)	
٢٣	ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا	٤٩٥
٢٧	انك ان تذرهم يضلوا عبادك ...	٤٩٦
	(سـورة الجـن)	
١٦	... الطريقـة ...	٤٩٨
	(سـورة المزمـل)	
٥	انا سنلقي عليك قولا ثقيـلا	٤٩٩
١٢	... أنكالا ...	٥٠٠
	(سـورة المدثـر)	
٤	وثيابك فطهـر	٥٠١
	(سـورةالقيامـة)	
٢٢	وجوه يومئـذ ناضرة الى ربها ناظرة	٥٠٣

رقم الآية	الآيـــــــة	الصفحـــة
	(ســورة النبـــأ)	
٤٠	... ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابـــا	٥٠٤
	(ســورة النازعـات)	
١٠	... الحافـــــرة	٥٠٦
١٠ : ١٢	يقولون أئنا لمردودون في الحافـــرة ...	٥٠٧
	(ســورة المطففـين)	
١ : ٣	ويل للمطففـــين ...	٥٠٩
٧	... سجـــين	٥١٠
٨	وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم	٥١١
١٨	... في عليـين ...	٥١٢
	(ســورة الفجـــر)	
١	والفجـــر ...	٥١٤
٤	والليل اذا يســر	٥١٤
٧	ارم ...	٥١٥
٢٧ ، ٢٨	يا أيتها النفس المطمئنـة ...	٥١٧
	(ســورة البلـــد)	
١٠	وهديناه النجدين	٥١٩
٢٠	... مؤصـــــدة	٥٢٠
	(ســورة الشمـــس)	
١١	كذبت ثمود بطغـواها	٥٢١
	(ســورة الانشـــراح)	
٤	ورفعنا لك ذكـرك	٥٢٣

رقم الآية	الآيـــــــة	الصفحـة
	(سـورة التـين)	
١ : ٣	والتين والزيتـون ...	٥٢٥
	(سـورة القـدر)	
١	... ليلـة القـدر	٥٢٧
	(سورة الزلزلـة)	
٥	... أوحـى لهـا	٥٣٠
٧ ، ٨	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يـره...	٥٣١
	(سورة العاديـات)	
٢	فالموريات قدحـا	٥٣٥
٧ : ١٠	وانه على ذلك لشهيد ...	٥٣٦
	(سورة التكاثـر)	
٨	ثم لتسألنّ يومئذ عن النعيم	٥٣٧
	(سـورة العصـر)	
١ : ٣	السورة بأكملها	٥٤١
	(سـورة الهمـزة)	
٢	الذى جمع مالا وعدده	٥٤١
٧	التى تطلع على الأفئـدة	٥٤٢
	(سورة الفيـل)	
١	ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟	٥٤٤
	(سـورة الماعـون)	
٧	... الماعـون	٥٤٥

رقم الآية	الآيـــــة	الصفحـــة
	(ســورةالكوثـــر)	
١	... الكوثـــر	٥٤٦
٢	فصل لربك وانحـــر	٥٤٧
	(ســورة الاخـلاص)	
٢	الله الصمـــد	٥٤٩
	(ســورة الفلـــق)	
١	... الفلـــق	٥٥٠
٣	ومن شرغاســق اذا وقـــب	٥٥١

٢- =((فهـــرس الأحاديـــث النبويـــة))=

مسلسل	لفظ الحديـــث	رقم الصفحة
١	أخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب	٢١٣
٢	اذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار	٤٠٥، ٤٠٦
٣	اذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم	٤٠٨
٤	ارجعي لعـــل اللـــه	١٢١
٥	اشترط لربي أن تعبدوه	٢٣٦
٦	أمرني رسول الله حين أذاني القمل	٨٥
٧	أن رجلين من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم)	٤٨٣
٨	ان الصلوات الخمس	١٢٥
٩	ان الله عز وجل لما فرغ من خلق السموات والأرض	٣٧٢، ٣٧٣، ٤٠٤، ٤١٦
١٠	ان الله يفتح الذكـــر	٢٢٩
١١	ان أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة	٣٥٦
١٢	ان لله عبـــادا	٩٣
١٣	أوتيت الكوثـــر	٥٤٦
١٤	بعث الله جبريل ـ عليه السلام ـ الى المؤتفكة	٢٦١
١٥	بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبابكر	٢٢٠
١٦	تزوج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاث عشرة امرأة	٣٨٩
١٧	توقفـون موقفـا	٩٤
١٨	جاء مشركوا قريش الى النبي (صلى الله عليه وسلم)	٤٦٦
١٩	جاء ناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستحملونـــه .	٢٣٣
٢٠	جاء ناس من اليهود الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	١٣٥، ١٧٢

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة
٢١	جلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ناد من أندية قريش .	٣٤٠
٢٢	خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	٢٣١
٢٣	سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى الأجلين قضى موسى .	٣٧٩
٢٤	عدن داره	٢٢٩
٢٥	فرفع ذلك الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	٢٢٥
٢٦	الفلق جب في جهنم	٥١٠، ٥٥٠
٢٧	فلما تلاها عليهم	١٣٧
٢٨	فلما نزلت على النبي (صلى الله عليه وسلم)	١٠٢
٢٩	قال : أى فلان	٣٠٩
٣٠	قالوا : يارسول الله رأيت ربك	٤٥٤
٣١	قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	٩٩
٣٢	قدم عشرة رهط من بني أسد بن خزيمة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .	٤٤٦
٣٣	قلنا : يا نبي الله : هل رأيت ربك ؟	٤٥٤
٣٤	كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا نزل منزلا	١٥٥
٣٥	كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا نهض الى بيته .	٣٩٤
٣٦	كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا قرأ في الصلاة	٢٠٧
٣٧	كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ موسعا عليه في قسم أزواجه .	٣٩١
٣٨	كان بالمدينة تجار يطففون	٥٠٩
٣٩	كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتحارسه أصحابه	١٥٤
٤٠	كانت خولة ابنة ثعلبة	٤٧٧

مسلسل	لفظ الحديث	رقم الصفحة
٤١	كنّ نساء وهبنّ أنفسهنّ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)	٣٩١
٤٢	لكل منهم يومئذ شأن يغنيه	١٧٤
٤٣	لما أخبر الله رسوله بثواب شهداء بدر	٤٨٢
٤٤	لما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الي الطائف	٤٤١
٤٥	لما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تولي قومه عنه	٣٣٨
٤٦	لما رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابة الى المدينة	١١١
٤٧	لما فرغ الله من خلق السموات والأرض	٣١٤، ٣٣٢
٤٨	لما قال عبد الله بن أبي	٤٨٦
٤٩	لما مرض أبوطالب أتاه النبي (صلى الله عليه وسلم)	٢٣٨
٥٠	لا تقولوا رمضان	٨٠
٥١	ليت شعري	٧٤
٥٢	ما أحسن من محسن	٥٣١
٥٣	من أحسن من محسن	٢٥٤
٥٤	من قرأ آية الكرسي	١٠٠
٥٥	نزلت سورة المائدة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	١٣٩
٥٦	نزلت في أناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	٤٣٧
٥٧	يا ابن أخي لقد رأيتنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالخندق .	٣٨٥
٥٨	يبدل الله الأرض غير الأرض	٢٩٠
٥٩	يقضى الله بين خلقه	٥٠٤
٦٠	ينزل الله في آخر ثلاث ساعات	٢٨٢
٦١	ينفخ في الصور ثلاث نفخات	٤٢٤

٣ - =((فهـــرس الأعـــلام))=

العلـــم	الصفحـــات
* اباب بن صالـــح	٢١ - ٣٢ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١
* أبان بن عثمان بن عفان	٢٨ - ٣٩
* ابراهيم النخعـــي	٣٢ - ٨٣ - ٩٦ - ١٠١ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٦ - ١٨٢ - ١٨٤ - ١٩٥ - ٢٥٢ - ٣٥٨ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٨٢ - ٣٨٤ - ٥٢٦
* ابراهيم بن يزيـــد	٣٤ - ٣٨٦
* ابراهيم بن يعقـــوب	٣٢
* أبيّ بن كعـــــب	١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٨ - ٢١ - ٢٦ - ٧٥ - ٢٣٤ - ٣٦١
* أحمد بن اسحاق	٢٣٥
* أحمد بن جـــازم	٩٦
* أحمد بن حنبـــل	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٤ - ٩٥ - ١٣٤ - ١٣٩ - ١٤٥ - ١٥٠ - ١٦٢ - ٢١٠ - ٢١٩ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٤٦ - ٣٩١ - ٤١٢ - ٤٤٩ - ٤٧٤ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٧ - ٥٣٣ - ٥٣٤
* أحمد بن عبدالله بن يونس	٣٤
* أحمد بن عبدالجبار	٣٥٤
* آدم	٥٩
* أرطـــأة بن المنذر	٢٢٣
* أسامة بن زيد بن أسلم	٣١ - ٤٢ - ٨٥ - ٣٨٨ - ٣٩٧
* أسامة بن زيد الليثـــي	٢٧ - ٣١ - ٣٤ - ٣٩ - ٥١٢
* أسباط بن محمـــد	٣٥
* أسباط بن نصـــر	٢٢٦ - ٤١٩
* اسحاق بن سليمان	٣٣ - ٦١
* اسحاق بن عبدالله بن جعفر	٢٣
* اسحاق بن كعب بن عجره	٢٥

العلـــم	الصفحـــات

* اسحاق بن منصور الأسدى ٣٤
* اسماعيل بن أميـــة ٣٥ - ٣٩
* اسماعيل بن أبى خالد ١٦٥-٢١٥
* اسماعيل بن رافـــع ٦١ - ٩٥ - ٢٩٠-٣١٥-٣٧٤-٤٠٨-
٤٧٠-٥٠٤
* اسماعيل بن عبد الله بن جعفر ٢٣
* اسلم بن عمـــران ٨٤
* اسيد حضـــير ٢٧
* أشعث بن سوار ١٢٢
* أشعث بن سويد ٣٢
* أفلح بن سعيـد ٣١ - ٣٢ - ٢٦٨-٢٦٩
* أنس بن مالك ٣ - ٢١ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ -
٩٠ - ١٤٧-١٨٤-٢١١-٢٩١-٣٢٧-
٣٧٨-٣٨٢-٣٩٥-٤٢٠-٤٢١-٤٥٦-
٥٣٣-٥٤٦
* أوس بن الصامـــت ٤٧٧-٤٧٨-٤٧٩
* اياس بن معاوية بن قـرى ٣٥
* أيوب السختياني ٣٥ - ٣٨ - ٤٣
* أيوب بن موسى بن عمرو ٤٢
* البراء بن عازب ٢١ - ٢٤ - ٢٦ - ٨٣ - ١١٠-٢٩٥-
٤٧٤-٤٧٥-٥١٠-٥١١-٥١٧
* بريده بن سفيان الأسلمي ٣٢ - ٦٠ - ٣٠٧-٤١٢
* بشر بن عمادة الخثعمـــي
* بقيه بن الوليـــد ٢٢٣
* بكر بن عبد الله المزني ٣٨
* بلال بن ربـــاح ٢٥
* ثابت البنانـــي ٢٢٩
* ثمامة بن شفـــي ٢٤

العلـــم	الصفحـــات
* ثوبـــان	٤٢٢
* جابر بن سمـــره	٢٦
* جابر بن عبد الله	٥ -٢١ -٢٣ -٢٥ -٣٧ -٤٢ - ٤٣ -٩٥ -١١١-١٥٦-٢٣٦-٤٠٠- ٤٣٨-٤٨٤
* جبير بن مطعـــم	٩٨
* جرير بن عبد الله البجلي	٢٥ -٣٧ -٥٠٣
* جعفر بن أبي طالب	٢٣
* جميل بن زيد الطائي	٣٩١
* الحارث بن هشام	٨١ -٤٩٩
* حاطب بن أبي بلتعه	٣١٠
* حبيب بن أبي ثابت	١٦٨
* حبيش بن عبد الله الصنعاني	٢٤
* الحجاج بن أرطأة	٣٢
* الحجاج بن محمد	٧١
* الحجاج بن يوسف	٢٨
* حجر بن عنبس	٢١٧
* حذيفة بن اليمان	٢٤ -٨٤ -١٦٠-٣٨٥-٣٨٦-٣٨٧- ٥٤٥
* حرمي بن عمرو	٢٣٣
* الحسن البصـــرى	٤ -٢٤ -٤٩ -٦٨ -٧٨ -٨١ - ٨٣ -٨٨ -١٠٨-١١٠-١١٧-١٢٧- ١٤٥-١٨٤-١٩٢-١٩٣-٢١٩-٢٢٣- ٢٢٨-٢٢٩-٢٣١-٢٣٨-٢٣٩-٢٤١- ٢٥٢-٢٥٤-٢٥٩-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠- ٢٧٣-٢٧٩-٢٨٢-٢٩٧-٣٠١-٣٠٦- ٣٣٦-٣٤٥-٣٤٦-٣٥٩-٣٦٧-٣٧٥- ٣٧٦-٣٧٧-٣٨٢-٣٩٢-٤٠٩-٤١٢- ٤٢٠-٤٧٢-٤٧٤-٤٧٩-٥٠١-٥٢٠- ٥٢٦-٥٥٠-٥٥١

العلـــم	الصفحـــات
* الحسن بن الحسن بن على	٢٣
* الحسن بن دينـــار	٤١٣
* الحسن بن علـــي	٣٠١
* الحسين بن بشر الطرسوسي	
* الحسين بن الحسن المروزى	٥٩ - ٤٤٣
* الحسين بن علـــي	٣٠١
* الحكم بن عتيبـــة	٢٨ - ٣٢ - ٤٢
* الحكم المكـــي	٥٩ - ٢٨٨
* حكيم بن معاويـــة	١٢٧
* حماد بن سلمـــة	٣٥ - ٣٨
* حمـــران	٢٥ - ٤٣ - ١٤٥
* حمزة بن عبد المطلب	٣٨٠
* حمزة بن المغيرة بن شعبة	٣٥
* حيى بن عبد الله بن شريح	١٣٩
* خالد الحذاء	٣٢
* خالد بن زيد	٢٦ - ٩٣
* خالد بن مخلـد	٤٠
* خالد بن معدان	٤٩ - ٦٨ - ١٩٢
* خصيف بن عبد الرحمن	١٣٣ - ٤٦٥
* خلف بن حوشـب	٣٤
* خليفة بن خيـاط	١٦ - ٢٨
* داود بن قيس	٣٣ - ٥٩ - ٤٣٥ - ٤٦٥
* ربيع بن عبد الرحمن	٣٨
* الربيع بن أنـــس	٤ - ٣٨ - ٤٩ - ٦٥ - ٦٨ - ٨١ - ٨٦ - ٩٦ - ١٠٨ - ١١٠ - ١١١ - ١٢٠ - ١٦٥ - ١٩٢ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٥٥ - ٤٧٢ - ٤٩١ - ٤٩٧ - ٤٩٨

العلـــم	الصفحـــات
* الربيع بن كعب بن عجرة	٢٥
* الزبير بن العوام	٦ -٥١٤
* زهير بن معاويـــة	٣٦
* زياد بن أبي زياد	٤٤ -٣٩٢
* زياد بن محمد الأنصارى	٣٣ -٢٢٩-٢٨٢-٣٠٥
* زيد بن أرطأة	٣٨
* زيد بن أرقـــم	٢٢ -٥١ -٩٩-٤٨٦
* زيد بن أسلـــم	١ -٤ -٢٢ -٣٢ -٤٢ -٤٣ - ١٠٨-١١٧-١٢٩-١٨٤-٢٢٦-٢٦٣- ٣٧٦-٣٧٧-٣٨٢-٤٤٨
* زيد بن ثابـــت	٣ -٤ -٢٨ -١٣١
* زيد بن الحباب	٣٥ -٣٨ -٤٠ -٣٣٥
* زيد بـن محمـــد	٣٤
* السائب بن يزيد	٤٠
* سالم بن أبي حفصة	٣٤ -٤٦٥
* سالم بن عبد اللـــه	٣٨
* سعد بن أبي وقاص	٢٧ -٢١٠
* سعيد بن جبـــير	١ -٤ -٨ -٢١ -٣٢ -٣٣ - ٣٥ -٣٦ -٤٣ -٤٨ -٤٩ -٦٨ - ٧٨ -٨٦ -٩٨ -١٠٣-١٠٨-١٢٥- ١٣١-١٤٥-١٤٧-١٤٨-١٤٩-١٥٤- ١٦٧-١٧٠-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٩١- ١٩٢-١٩٥-٢٣٨-٢٤٢-٢٥٢-٢٥٤- ٢٧٤-٢٧٥-٢٩٠-٢٩٥-٣٤٢-٣٦٧- ٣٧٥-٣٧٧-٣٧٩-٣٨٢-٣٨٤-٤١٢- ٤٣٠-٤٤٧-٤٦٩-٤٧١-٤٧٢-٤٨٨- ٤٩١-٤٩٨-٥١٠

العلـــم	الصفحـــات
* سعيد بن عبد الرحمن الجرحي	٢١٢
* سعيد بن المسيب	٣ - ٨ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٥ - ٢٧ - ٣٤ - ٣٦ - ٣٧ - ٤٠ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٨ - ٩٨ - ١٤٦ - ٢٢٤ - ٢٣٩ - ٤٩٨
* سعيد المقبرى	٤٢ - ٨٠ - ٨١ - ٥١٧
* سعيد بن منصور	٤٠ - ٩٩ - ١١١ - ٣٢٦ - ٤١٠ - ٤٢١ - ٤٤٩ - ٤٦٣ - ٤٨١ - ٤٩٢ - ٥٠٧ - ٥١١ - ٥١٩ - ٥٢٣
* سعيد بن أبي هلال	٩٣
* سفيان الثورى	٣١ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٥٥ - ٢١٥ - ٤١٢ - ٤٣٨ - ٤٥١ - ٤٦٦ - ٤٨٧ - ٥٣٦
* سفيان بن وكيع	١٢٧ - ١٢٨ - ١٣٨ - ٢٥٧ - ٢٣٦ - ٣٧٩ -
* سلمة بن دينار	٣٢ - ٣٤ - ٤٠ - ٤١
* سلمة بن الفضل	٣٩ - ٦٠ - ٣٤١
* سليمان بن بلال	٤٤
* سليمان بن حميد	٣٤ - ٤٠٦ - ٤٢٦
* سمـــاك	٤٩٤
* سهل بن سعد	٣١٣
* سيد قطـــب	٣١٣
* شريح بن عبيد	٤٣٦
* شريك بن عبد الله	٣٦
* شعبـــة	٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٢ - ٥٩
* شعيب بن صفوان	٥١١ - ٥٥٠
* شهر بن حوشب	٣٦ - ٣٨ - ١٢٩ - ١٣٩ - ١٥٣
* صفوان بن المعطـــل	١٣٦

العلـــم	الصفحـات
* صهيب بن سنان	٢٠٤-٥٣٤
* الضحاك بن مزاحم	٣٦ -٦٦ -٧٢ -٨١ -٩٦ -١٠٨- ١١٧-١٢٦-١٣٢-١٦٥-١٩٥-١٩٧- ٢١٢-٢١٥-٢٢١-٢٢٢-٤٢٤-٢٥٢- ٢٥٦-٢٦٩-٢٧٦-٢٧٨-٣٣٦-٣٤٢- ٣٤٦-٣٦١-٣٦٥-٣٧٦-٣٧٧-٣٨٢- ٤٢٦-٤٣٠-٤٣٦-٤٣٩-٤٥١-٤٥٣- ٤٦٩-٤٧٢-٤٧٤-٤٩١-٤٩٢-٥١٨- ٥٣٥
* طارق بن شهـــاب	١٤٢
* طارق بن مخاشن	٣٢
* طاوس	١ -٢٣ -٢٨ -٣٥
* طلحة بن شيبـــه	٢٢٢
* طلحة بن عبيد الله	٦ -٢٢
* طلـــق بن حبيـــب	١١٧
* عاصم بن عـــدى	١٤٤
* عاصم بن محمد	٣٤ -٥٩ -١٥٥
* العباس بن عبد المطلب	٢٨ -٢٢٢-٤١٣
* عبادة بن الصامت	٣ -٢٠٨-٢١٠
* عبد بن حميـــد	٩٩ -١٠٠-١٠٤-٤٠٢-٤١٤-٤٨٣- ٤٩٦-٥٠٧-٥٢٥-٥٣٢-٥٣٩
* عبد الله بن أنـــس	٣٣
* عبد الله بن أبي أوفى	٤٤٨
* عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	٢٣
* عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت	٣٤ -١٣٣
* عبد الله بن الخازن	٨١
* عبد الله بن دينـــار	٣٩ -٤٠ -٤٤

العلـــم — الصفحـــات

* عبد الله بن رافـــع ٣٢ - ٤٠ - ٤١
* عبد الله بن رواحـــه ٢٣٦-٢٣٧-٢٣٨
* عبد الله بن الزبعرى ٤٣١
* عبد الله بن الزبير ٤ - ٢٤ - ٣٥ - ٤٣ - ٩٠ - ٤١٢ - ٤١٣
* عبد الله بن أبي سعيد المقبرى ٣٤
* عبد الله بن ســـلام ١٥١
* عبد الله بن أبي سلول ٥١ - ٢٣٦-٤٣٨-٤٨٦
* عبد الله بن شداد بن الهاد ٢٨ - ٦٩ - ٢٤٨
* عبد الله بن عيـــاش ١٥٢
* عبد الله بن عبد الرحمن بـن عبد الله بن عمـــــر ٣١٠
* عبد الله بن عمرو بن العاص ٥ - ١٣٩-٢٣٨-٣١٦-٣٨٤
* عبد الله بن عمرو المزنـــي ٢٣٣
* عبد الله بن عبيد ٣٦٣
* عبد الله بن عبيده الربذى ١٤٠-١٤١
* عبد الله بن أبي قتاده ٣٤ - ٣٩ - ٢١٦
* عبد الله بن كثير الدارى ٣٥ - ٢٠٧
* عبد الله بن محـــيريز ٢٤ - ٢٦
* عبد الله بن معقـــل ٨٦
* عبد الله بن المغـــيرة ٣٦
* عبد الله بن نافع الضائغ ٣٨
* عبد الله بن أبي نمـــر ٣٦
* عبد الله بن وهـــــب ١ - ٣١ - ٣٢ - ٣٥ - ٩٣
* عبد الله بن يزيد الخطمي ٢١ - ٢٤
* عبد الرحمن بن أحمد الهمزاني ١٣٦-١٦٦-٣٠٤-٥٤٢-٥٤٦-٥٤٩
* عبد الرحمن بن عوف ١٦٢
* عبد الرحمن بن أبي ليلى ٨٦

العلـــم	الصفحـــات

* عبد الرحمن بن محمد المحاربي ٦١ - ٩٥ - ٤٠٨ - ٥٠٤
* عبد الرحمن بن مطعـم ٣٥
* عبد الرحمن بن مهدى ٨١
* عبد الرحمن بن أبي الموالي ٣٥ - ٨٩٨
* عبد الرحمن بن يزيد أبوعليه ٢٣٣ - ٢٣٤
* عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٥٩ - ٧٠ - ٢٥٤ - ٣٥١ - ٤٦٥ - ٥١٩ - ٥٣٢ - ٥٣٤ - ٥٣٩
* عبد العزيز بن أبان ١٣٧ - ٢٣٣ - ٢٣٧
* عبد العزيز بن أبي روّاد ٣٦ - ٣٠٧ - ٥٣٩
* عبد الواحد بن زياد ٣٤ - ٥٩ - ٢٣١
* عبيد بن عمـير ٣٦٨ - ٤١٢
* عبيد الله بن عبد الرحمن ٣٥ - ٣٦ - ٥٢٩
* عبيده السلماني ٧٠ - ٧١ - ١٢٨
* عثمان بن حكـيم ٣٦ - ٥٩ - ٢٣٢
* عثمان بن طلحـة ١٢٩
* عثمان بن الضحاك ٤٠
* عثمان بن عفـان ٦ - ٢١ - ٢٣ - ٢٨ - ٥٠ - ١٤٤ - ١٤٥ - ٣١٠
* عدى بن ثابت ١٢٢
* العرباض بن سارية ٢٣٣
* عروة بن الزبـير ٥ - ٢٧ - ٤٣ - ١٧٤ - ٢١٩
* عطاء الخراساني ٤ - ٤١ - ٤٩ - ٦٨ - ٨١ - ٨٦ - ٨٨ - ٨٩ - ٩١ - ٩٤ - ١١٧ - ١٥١ - ١٩٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٥٢ - ٤٠٩
* عطاء بن دينـار ١٦٧
* عطاء بن أبى رباح ١ - ٣١ - ٣٤ - ٤٢ - ٦٤ - ٦٦ - ٧٤ - ٩٠ - ١٢٦ - ١٨٤ - ٢٥٢ - ٢٧٠ - ٣٧٥ - ٣٧٧ - ٣٨٢ - ٤٠١ - ٤٣٨ - ٤٥٥ - ٤٩٨ - ٥٣٥

العلـــم	الصفحـــات
* عطاء بن يسار	٢٦
* عطية العوفي	٣٤ -٥٨ -١٥١-١٦٥-٢١٦-٣٥٨-٣٦٤-٥٢٠
* عقال البجلي	٥١٩
* عقبة بن عامـر	٨٤
* عكرمـــة	١ -٤ -٣٥ -٣٦ -٤٨ -٦٦ -٨٩ -١٠٣-١٠٨-١٣٢-١٤٤-١٥١-١٧٠-١٨٤-١٩٥-٢١٠-٢١٤-٢١٥-٢٩٢-٣٢٠-٣٥٢-٣٦٨-٣٧٦-٣٨٢-٣٩٨-٤٠٥-٤١٢-٤٢٩-٤٣٠-٤٥٩-٤٨٨-٤٩٠-٤٩١-٤٩٢-٤٩٣-٥٠٠-٥٠١-٥١٤-٥١٥-٥١٨-٥٢٠-٥٢٦-٥٣٥
* علقمـــة	٨ -٢٦
* علي بن الحســين	٤٤ -١٨٣-٢٤٥-٣٧٥-٣٨٢
* علي بن زيد بن جدعان	٤١٣
* علي بن أبي طالب	٦ -٧ -١٣ -٢٢-٢٣ -٢٦ -٢٨ -٢٨ -١١٨-١٢٨-١٢٩-١٦٨-٢٢٠-٢٢٢-٢٤٠-٢٩٧-٣٠٠-٣٧٢-٣٨٠-٤٢٢
* عمار بن ياســر	٢٣ -٣٨٠
* عمر بن ابراهيم بن محمد بن الأســود	٣٦
* عمر بن الخطاب	٣ -٦ -٢١ -٢٤ -٢٥ -٢٧ -٤٢ -٩٦ -١١٧-١٤٢-١٥٤-١٦١-١٦٣-٢٣٤-٢٣٦-٢٦٩-٣١٠-٣٩٥-٤٣٧-٤٣٨-٤٣٩-٤٨٥-٤٩٨-٥٢٧-٥٢٨
* عمر بن حمزة العمــرى	٤٤

العلـــــم	الصفحـــات

* عمر بن عبد الله مولى غفره ٣٧ - ١٧٦
* عمر بن عبد العزيز ١٤ - ١٥ - ٢٨ - ٣٩ - ٤٤ - ٩٦ - ١٤٨ - ١٥٢ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٩٦ - ٣٠٦ - ٤١١ - ٤١٢
* عمر بن عثمـــان ٣٢٢
* عمر بن أبي ليلى ٢٨٧ - ٢٨٨
* عمران بن حصين ٧ - ٢٠٨
* عمرو بن سعيد بن يسار ٤٣٣
* عمروبن شرحبيـــل ٤٣
* عمروبن شعيـــب ٢٨
* عمر بن دينار ٣٣ - ٤٣ - ٥٣٢
* عمروبن عبد الله الأودى ٢٥٧
* عمرو بن عبد الحميد ١٥٥
* عمرو بن ميمون ٦٩ - ٢٩٠
* عمير بن هانئ العنبسى ٤٣
* عنبسة بن سعيد الرازى ٣٧
* عويمر بن ساعده ٨٤٤
* عنتره بن شداد ٢١٦
* عون بن عبد الله ١٨
* عيسى بن جارية ٣٧ - ٧٧ - ١٤٢
* عيسى بن ميمـــون ٣٧ - ٥٤٦
* عيسى بن يونـــس ٣٢ - ٣٦
* فضالة بن عبيـــد ٢٤ - ٨٤ - ٢٠٤ - ٢٢٩
* الفضل بن دكين ٣٨
* الفضل بن عبـــاس ٢٧
* الفضل بن عيسى ٤٠٧
* القاسم بن الحسين الهمزاني
* القاسم بن محمد بن أبي بكر ٥ - ٢٧ - ٣٨ - ١٧٤ - ٣٧٤

العلـــــم	الصفحـــــات
* القاسم بن محمد الواسطى	٤٤
* القاسم بن مخيمره	١٦٨
* قتادة	٤ -٤٣ -٤٩ -٦٤ -٦٦ -٧٨ -
	٨١ -٩٤ -٩٦ -١٠٠ -١٠١ -١٠٤-
	١٠٨ -١١٠ -١١٧ -١٢٧ -١٣٥ -١٤٦-
	١٥١ -١٦٥ -١٦٩ -١٧٢ -١٧٣ -١٧٩-
	١٨٤ -١٩١ -١٩٣ -٢٠٦ -٢١١ -٢١٢-
	٢١٤ -٢١٦ -٢٢١ -٢٣٥ -٢٣٨ -٢٤٠-
	٢٤٤ -٢٤٩ -٢٥٢ -٢٥٥ -٢٥٦ -٢٥٩-
	٢٦٢ -٢٦٩ -٢٧٤ -٢٧٦ -٢٧٨ -٢٨٤-
	٢٩٢ -٢٩٩ -٣٠١ -٣٠٣ -٣٠٦ -٣٢١-
	٣٢٤ -٣٣١ -٣٣٤ -٣٤٢ -٣٤٧ -٣٥١-
	٣٦١ -٣٦٣ -٣٦٥ -٣٦٧ -٣٧٦ -٣٧٧-
	٣٧٨ -٣٨٢ -٣٩٧ -٣٩٨ -٤٠٥ -٤٠٩-
	٤١٢ -٤١٥ -٤١٦ -٤٢٩ -٤٣٠ -٤٣٦-
	٤٦٨ -٤٧٠ -٤٧٤ -٤٨٤ -٤٩١ -٤٩٣-
	٥٠٠ -٥٠١ -٥١٧ -٥٢٠ -٥٢٦ -٥٣٢-
	٥٣٥ -٥٣٦
* قيس بن أبي حـازم	٢٥٢
* قيس بن الربيع	١٢٢
* كثير بن عبد الله بن عمرو	٣٨ -٥١٥
* كعب الأخبـــار	١٠١ -١٣٨ -٢٩٠ -٣٥١ -٤٣٤ -٥٢٦
* كعب بن سليم القرظي	١٣
* كعب بن عجره	٢٤ -٥٠ -٨٥ -٨٦
* كعب بن مالك	٢٢٦
* الليث بن سعد	٣٣ -٣٧ -٤٠ -٤١ -٤٢ -٩٣ -
	١٤٨
* ليث بن أبي سليم	٣٨ -١٣٩ -٢٢٨ -٢٥٤ -٥٣١

العلـــــم	الصفحـــــات
* مالك بن أنـــس	٤ -٤١ -٤٢ -٤٤ -١٤٧-١٥٠-١٦٢-٢٧٧
* مالك بن مغـــول	٣٤٦
* مجاهد بن جـــبر	١ -٤ -٣٣ -٣٥ -٤٣ -٤٨ -٤٩ -٦٨ -٧١ -٧٣ -٧٨ -٨٠ -٨١ -٨٤ -٨٦ -٨٨ -٨٩ -٩٠ -٩٤ -٩٦ -٩٧ -٩٨ -١٠٨-١١٠-١٢٠-١٢٦-١٢٨-١٣٥-١٤٥-١٤٧-١٤٩-١٥٤-١٦٦-١٦٩-١٧١-١٧٢-١٧٣- ١٧٤-١٩١-١٩٢-١٩٣-٢٠٧-٢١٠-٢٢١-٢٢٤-٢٢٦-٢٤٣-٢٥٢-٢٥٩-٢٦٢-٢٧٠-٢٨٢-٢٨٩-٢٩١-٢٩٩-٣٠١-٣٠٣-٣٠٤-٣١١-٣٢٠-٣٢١-٣٢٣-٣٢٦-٣٣٦-٣٤٢-٣٥١-٣٥٢-٣٦١-٣٧٥-٣٨٠-٣٨٢-٣٩٢-٣٩٧-٤٠١-٤٠٥-٤٠٩-٤١٢-٤١٥-٤٣٠-٤٣٦-٤٥١-٤٥٣-٤٥٦-٤٦٨-٤٧١-٤٧٢-٤٨٠-٤٨٨-٤٩٠-٤٩١-٤٩٢-٤٩٨-٥١٤-٥١٥-٥٢٠-٥٢١-٥٢٦-٥٣٠-٥٣٥-٥٣٨-٥٤٢-٥٤٦-٥٤٩-٥٥٠-٥٥١
* محمد الأمين الشنقيطي	٨٩ -١٤٧-٢٧٥-٤٢٧-٤٩٤
* محمد بن جعفر المدايني	٣٨
* محمد بن رفاعـــة	٣٩ -٤٥٦-٥٢١-٥٢٢
* محمد بن زياد الألهاني	
* محمد بن زياد اليشكرى	٤٣٩
* محمد بن سهل بن عسكر	٣٠٥
* محمد بن عبد الله بن نمير	١٦

العلـــــم	الصفحـــات
* محمد بن عجـــلان	٣٣
* محمد بن عقبـــة	٣٩
* محمد فؤاد عبد الباقي	١٧٧
* محمد بن قيـــس	٢٦ -٢٧ -٣٩ -٤٠ -٧١ -٧٣ - ٢١٤-٣٢٦-٥٠٦
* محمد بن كعب بن عجره	٢٥
* محمد بن ليث المروزى	٢٧٨
* محمد بن مسلم الطائفي	٢٥٥-٥٣١-٥٣٢
* محمد بن أبي معشر	٩٣
* محمد بن معمـــر	٥٩ -٢٣٢
* محمد بن المنكـــدر	٢٦ -٣٤ -٣٥ -٣٦ -٤٠ -٤٣
* محمد بن يونس الكديمي	٥٢٧
* المختار بن أبي عبيد الثقفي	٢٣
* مخشن بن حمير	٢٢٧
* مســـروق	٢ -٢٣ -٢٧ -٢٨١-٢٩٥-٤٥٦- ٥١٤
* سلـــم	٢ -٦٥ -٧٦ -٨٠ -٨٣ -٨٦ - ٩١ -٩٥ -٩٩ -١٠٣-١٠٦-١٠٧- ١١٨-١٢٠-١٢٣-١٢٦-١٤٢-١٧٤- ١٧٦-١٨٤-١٨٥-١٩٤-١٩٦-١٩٨- ٢٠٤-٢٠٧-٢٠٨-٢١١-٢٢٣-٢٢٩- ٢٣٧-٢٣٩-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢- ٢٧٦-٣٠٥-٣١٦-٣٢٧-٣٣٣-٣٣٤- ٣٤٧-٣٧٢-٣٧٦-٣٨٦-٣٩٠-٤٠٧- ٤٠٨-٤٥٥-٤٥٦-٤٥٧-٤٥٨-٤٦٠- ٤٦١-٤٦٦-٤٧٠-٤٧٣-٤٨٠-٤٨٤- ٤٨٥-٣٩٣-٥٠٣-٥٠٤-٥١١-٥١٣- ٥٢٣-٥٢٤-٥٣٠-٥٣٣-٥٤٥-٥٤٦

العلم	الصفحات
* مصعب بن سعد	٣٣٠
* معاذ بن جبل	٣ - ٢٢ - ٤٩٩ - ٥٠٠
* معاوية بن أبي سفيان	٧ - ١٤ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٤٣
* معاوية بن عبد الله بن جعفر	٢٣
* معقل بن يسار	٢٩٧
* معمر بن راشد	٣٣ - ٢٢٩ - ٥٣٢
* المغيرة بن شعبة	٢٥ - ٣٢٠
* مقاتل	٨١ - ٩٤ - ٩٦ - ١٠٨ - ٢٨٧ - ٤٣٧ - ٤٧٢ - ٤٩٧
* مكحول	١٢٩
* مكي بن أبي طالب	٢١٣ - ٤٠٩
* موسى بن سهل	٣٠٥
* موسى بن عبيده الربذى	٤٠ - ٤٢ - ٦٠ - ٦١ - ٦٧ - ٧٤ - ٧٧ - ٨٣ - ٩٩ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١١٦ - ١٢١ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤١ - ١٦٦ - ١٧١ - ١٧٧ - ١٨٠ - ١٨٦ - ١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٩ - ٢٠٥ - ٢٢٦ - ٢٣٩ - ٢٤٥ - ٢٤٧ - ٢٥٧ - ٢٦٣ - ٢٨١ - ٣٠٢ - ٣٠٩ - ٣٣٥ - ٣٥٩ - ٣٦٦ - ٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٨٩ - ٣٩٥ - ٣٩٩ - ٤٣٦ - ٤٥٧ - ٤٦٠ - ٤٨٤ - ٤٩٣ - ٥٤٢
* موسى بن عقبة	٣٣٥
* موسى بن يسار	٣٣
* مهران بن أبي عمر	٦٠ - ٤٥٤ - ٤٦٦ - ٤٧٨ - ٥١٥ - ٥٥١
* نافع مولى ابن عمر	٣١ - ٣٢ - ٣٦ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٢١٣
* نافع بن مالك الأسبحي	٤٤
* نافع مولى بني أسد	٣١

العلـــم	الصفحـــات
* نبيط بن شريط	٢١٦
* النضر بن عدى	١٣٢-١٧٠-١٩٥-٢٤٢-٢٧٥
* النعمان بن بشير	٢٢٢
* النواس بن سمعان الكلابي	٥٢٦
* نوف بن فضالـــة	٩٣
* هشام بن سعد	٤١ -٢٠٢-٢٩٩
* هشام بن عروه	٣٨ -٢١٤-٢٢٨
* هشام بن محمد الكلبي	٤٤٧
* هناد بن السـرى	٥٩ -١٥٥
* وكيـــع	٣٦ -٤٠ -٤١ -٥٩ -١٥٥-٢٩٧-٣٣٤-٥٢٩
* وهب بن منبـــه	٧١ -١٨٩-١٦٠
* يحى بن آدم	٣٤٦
* يحى بن رافع	٣٥٨
* يحى بن سعيد القطان	٢٨ -٣١ -٣٣ -٣٨ -٤٣ -٤٤ -٨١
* يحى بن محمد بن صاعد	٥٩ -٤٣٤
* يحى بن معـــين	٨١
* يزيد بن شريك التيمي	٣٨٥
* يزيد الرقاشـــى	٤٢٠-٤٢١-٤٣٥-٤٣٦
* يزيد بن أبي زياد	٤١ -٩٥ -٤٤٣
* يزيد بن هـــارون	٩٣ -٤٦٦
* يونس بن عبد الأعلى	٩٣

الكشى

العلم	الصفحات
* أبوابراهيم الأسدى	٦١
* أبوأمامة	٢٧٧-٢٨٥
* أبوأيوب الأنصارى	٣ -٢٤ -٢٦ -٨٠ -٨٤ -٢٩٠- ٢٩١
* أبوبكر الباقلاني	١٤٠
* أبوبكر البزار	٤٤٧
* أبوبكر الصديق	٦ -٢١ -٢٣ -٢٧ -١٥٢-١٥٤- ٢١٩-٣٤٦-٣٦٤
* أبوبكر الوراق	٥٩ -٤٣٤
* أبوبكره	١٩٨
* أبوحاتم	٣٢ -٣٦ -٤٠
* أبوحازم بن دينار	٤٤
* أبوحنيفة	١٤٥
* أبوداود	٣٤ -٣٥ -٣٧ -٣٩ -٨٢ -١٣٠- ١٣٤-١٦٠-١٦٣-٢٠٨-٢٠٩-٣٩٣- ٣٧٣-٤٩٣
* أبوالدرداء	٢٤ -١١١-٢٠١-٢٢٩-٢٨٢-٢٠٤
* أبوذر الغفارى	١٨٣-٥٣٠
* أبورافع	١٤٣-١٤٤
* أبورجاء العطارى	٢١٧
* أبوزرعة	١٨ -٤٢ -٤٤
* أبوسعيد الأشيع	٦١ -٢٥٧
* أبوسعيد الخدرى	١١٤-١١٥-٢٩١-٣٣٣-٤٠٨-٤٤٥- ٥١٣
* أبوسلمة عبد الرحمن	٢٦ -٣٢ -٣٧ -٣٩ -١١٨-١٢٨- ٣٤٨
* أبوالشيخ	١٧٥-٢٠٥-٢١٤-٢٤٠-٢٤١-٢٤٩- ٥٥١-٢٧٩-٢٩٥-٣٦٥-٤٥٧-٤٥٨- ٤٦٨-٤٩٦-٥٢٩

العلـــــم	الصفحـــات
* أبوصالح ذكـــوان	١٨٤-٣٧٥-٣٨٢
* أبوصالح عبدالله بن صالح	٢٤٥-٣٥٨-٣٦٨-٣٧٧-٣٨٢-٣٩٧-٣٩٨-٤٣٩-٤٥٥-٤٧٢
* أبوصخر حميد بن زياد	٣٢-٣٤-٣٧-٨٨-١٤١-١٥٢-١٧٦-١٨٣-٢٠٧-٢٠٩-٢٣٥-٢٧٣-٢٩٥-٣٠٨-٣٠٩-٣١٠-٣١٨-٣٣٧-٤٢١-٤٢٣-٤٦٢-٥١٥-٥٤٧
* أبوصرمـــه	٢٩٥
* أبوضـــم ضـــم	٢٣٤
* أبوعاصم النبيل	٣٩-٧٤-٤٦٦
* أبوالعالية الرياحي	٣-٤-٧٠-٧١-٧٣-٧٧-١٩٣-٢٤٥-٤٥٥-٤٧٢-٤٧٤-٤٧٩-٤٨٥-٥١٥
* أبوعبدالرحمن السلمي	١٠٦-٢٥٢
* أبوعبيد	١٣٩
* أبوعبيده بن الجارح	٥٤٦
* أبوعمر بن حيويه	٥٩-٤٣٤
* أبوعـــون	٤٤٨
* أبوكبشه الأنمارى	٣٨٣-٣٩٩-٥٤١
* أبوكريـــب	٦١-٣٧٤-٥٠٦
* أبولبابـــه	٢١٤-٢١٥
* أبومالـــك	١٣٢-١٧١-١٩٥-٢١٢-٣٥١-٣٩٦
* أبومعشـــــر	١٦-٣٩-٤٠-٦٠-٦١-٦٤-٦٥-٧٠-٧١-٧٣-٨٠-٨١-٨٨-٩٣-٩٩-١٠٩-١١٢-١٣٧-١٤٥-١٥٥-١٦٦-١٧٢-١٧٩-٢١٨-٢٢٠-٢٢٥-٢٢٧-٢٣١-٢٣٣-٢٣٥-٢٣٧-٢٤٣-٢٦٤-٢٦٩-٢٧٣-٢٧٦-٢٧٩-٢٩٠-٢٩٢-٣٠٢-٣٠٤-بعده..

العلم	الصفحات
"تابع" أبو معشر	٣٠٧-٣١٧-٣٣٠-٣٤١-٣٤٦-٣٦١-٣٧٩-٤٠٢-٤١٣-٤١٥-٤٥١-٤٦٨-٤٧٨-٤٨١-٤٩٦-٥٠٦-٥١٥-٥١٩-٥٤٩
* أبومـــود ود	٤٠ -١٨٨-٢٦٣-٢٧٣
* أبوموسى الأشعرى	٣ -٤ -١٥٣-٢٣٥-٢٤٩-٤٠٣-٥٤٥
* أبونعـــيم	٥١ -٥٣ -١٠٧-١٩٩-٢٧٣-٢٩٥-٣٠٦-٣٥٩-٣٦٥-٣٨٤-٤٣٤-٤٣٥-٤٥٠-٤٥١-٤٥٦-٤٧٠-٤٨٤-٤٨٦-٥٢٧-٥٢٩-٥٣٢
* أبوهريـــرة	٣ -٥ -٢٦ -٤٢ -٤٣ -٦٥ -٧٦ -٨٠ -٨١ -١٠١-١٠٤-١٠٧-١١٨-١٢٦-١٨٣-٢٠٧-٢٢١-٢٢٨-٢٣٧-٢٧١-٢٧٦-٢٨٢-٢٩٠-٣٠٤-٣٠٥-٣٠٩-٣١٢-٣١٤-٣١٥-٣٣٢-٣٣٣-٣٧٢-٣٧٥-٣٨٢-٤٠٤-٤٠٨-٤١٢-٤١٣-٤١٦-٤٢٤-٤٦١-٤٧٠-٤٧٣-٤٨٨-٤٩٣-٥٠٤-٥٠٥-٥١٠-٥١٣-٥١٨-٥٢٠-٥٢٣-٥٢٤-٥٣٤-٥٣٨-٥٤٩-٥٥٠
* أبوهشام المخزومي	٥٩ -٣٨٢
* أبووائـــل	١٨٤-٣٧٧-٣٨٢
* أبويحى الرازى	٦٢
* أبويعلي الموصلى	٣٠٩-٤٣٥
* ابن أبـــزى	٢١٦
* ابن اسحـــاق	٣٢ -٣٨ -٤١ -٤٢ -٦٠ -٦٩ -٧٥ -٢٠٠-٢١٥-٢١٨-٢١٩-٢٢١-٢٤٧-٢٦٠-٢٦١-٢٧٦-٣٢٦-بعد٥٠٠

العلـــم	الصفحـــات
"تابع"ابن اسحاق	٣٤١-٣٥٤-٣٥٧-٣٧٢-٣٨٦-٣٩٠- ٤١١-٤١٢-٤٣١-٤٤٣-٤٨٢-٤٨٦- ٥٤٤
* ابن الأنبـــارى	٤٩ - ٢٥٠
* ابن بشـــار	٤٦٦
* ابن تيميـــة	١
* ابن جريـــــج	٤٢ - ٦٦ - ٧٤ - ٧٥ - ١١٤-١١٥- ١٢٢-١٣٥-١٤٦-١٥٦-١٧٩-٢٠٢- ٢٢٤-٢٤٣-٢٤٥-٢٥٦-٢٥٩-٢٧٣- ٣٤٦-٣٥٩-٣٨٠-٤٢٧-٤٣٧
* ابن جرير الطبرى	٤٩ - ٥٠ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٣-١٠٥-١٠٦-١٠٩-١١٠-١١٣- ١١٥-١١٦-١١٧-١١٩-١٢٠-١٢٣- ١٢٤-١٢٦-١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٣٠- ١٣٢-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٤١- ١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٦-١٤٧-١٤٨- ١٤٩-١٥٠-١٥٢-١٥٣-١٥٥-١٥٦- ١٦١-١٦٢-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٨- ١٦٩-١٧٠-١٧٢-١٧٣-١٧٤-١٧٨- ١٧٩-١٨١-١٨٣-١٨٤-١٨٧-١٨٩- ١٩٠-١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٥-١٩٧- ١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٢-٢٠٤-٢٠٥- ٢٠٦-٢٠٧-٢٠٩-٢١٠-٢١١-٢١٢- ٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢٢٠-٢٢١-بعده..

العلـــم	الصفحـــات
"تابع" ابن جريرالطبرى	٢٢٢-٢٢٨-٢٣٠-٢٣٢-٢٣٣-٢٣٥-
	٢٣٧-٢٣٨-٢٣٩-٢٤٠-٢٤١-٢٤٣-
	٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦-٢٤٩-٢٥٠-٢٥١-
	٢٥٢-٢٥٣-٢٥٤-٢٥٧-٢٥٩-٢٦٠-
	٢٦١-٢٦٣-٢٦٥-٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-
	٢٦٩-٢٧٠-٢٧٤-٢٧٦-٢٧٨-٢٧٩-
	٢٨٠-٢٨١-٢٨٢-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦-
	٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠-٢٩١-٢٩٢-٢٩٧-
	٢٩٨-٢٩٩-٣٠٠-٣٠١-٣٠٢-٣٠٣-
	٣٠٤-٣٠٦-٣٠٧-٣٠٨-٣٠٩-٣١٠-
	٣١٢-٣١٤-٣٢٠-٣٢١-٣٢٢-٣٢٤-
	٣٢٥-٣٢٦-٣٣٠-٣٣١-٣٣٣-٣٣٦-
	٣٣٧-٣٤١-٣٤٢-٣٤٥-٣٥١-٣٥٢-
	٣٥٥-٣٥٧-٣٥٩-٣٦٠-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٦
	٣٦٧-٣٧١-٣٧٣-٣٧٤-٣٧٨-٣٧٩-
	٣٨٠-٣٨١-٣٨٤-٣٨٥-٣٨٦-٣٩٢-
	٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٠١-٤٠٤-٤٠٥-
	٤٠٦-٤٠٨-٤٠٩-٤١١-٤١٣-٤١٥-
	٤١٦-٤١٩-٤٢٠-٤٢١-٤٢٢-٤٢٤-
	٤٢٥-٤٢٦-٤٢٩-٤٣٣-٤٣٦-٤٣٩-
	٤٥٢-٤٥٥-٤٥٦-٤٥٧-٤٥٨-٤٥٨-
	٤٥٩-٤٦٠-٤٦١-٤٦٢-٤٦٥-٤٦٦-
	٤٦٧-٤٦٨-٤٦٩-٤٧١-٤٧٢-٤٧٤-
	٤٧٨-٤٨٠-٤٨٢-٤٨٥-٤٩٠-٤٩١-
	٤٩٢-٤٩٣-٤٩٨-٤٩٩-٥٠٠-٥٠١-
	٥٠٤-٥٠٥-٥٠٦-٥١٠-٥١٤-٥١٥-
	٥١٧-٥١٨-٥١٩-٥٢٠-٥٢١-٥٢٢-
	٥٢٥-٥٢٦-٥٣٠-٥٣١-٥٣٢-٥٣٤-
	٥٣٥-٥٣٦-٥٣٩-٥٤٧-٥٤٨-٥٤٩-
	٥٥٠-٥٥١

العلـــم — الصفحـــات

* ابن الجـــوزى ١١٣-٣١٨-١٢٠-١٥٠-٢١٠-٢٨٥

* ابن أبي حاتم ١٥ - ٤٩ - ٥٢ - ٥٣ - ٦٠ - ٦٧ -
٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤ -
٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٠ - ٨١ - ٨٣ -
٨٤ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩٣ -
٩٦ - ٩٧-٩٨ - ١٠٣-١٠٥-١٠٨-
١٠٩-١١٠-١١٣-١١٥-١١٦-١١٧-
١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٦-
١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٣١-١٣٢-١٣٣-
١٣٤-١٣٥-١٥١-١٦٣-١٦٤-١٦٦-
١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧١-١٧٣-١٧٧-
١٧٨-١٨٠-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٨٥-
١٨٦-١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٠-١٩١-
١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥-١٩٧-١٩٩-
٢٠٠-٢٠٣-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٩-
٢١١-٢١٤-٢١٦-٢١٧-٢١٩-٢٢٣-
٢٢٤-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧-٢٣٨-٢٣٩-
٢٤١-٢٤٢-٢٤٤-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩-
٢٥١-٢٥٢-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٧-٢٥٩-
٢٦٠-٢٦١-٢٦٢-٢٦٣-٢٦٤-٢٦٦-
٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠-٢٧٤-٢٧٥-
٢٧٦-٢٧٨-٢٨٠-٢٨٤-٢٩٥-٢٩٦-
٣٠٠-٣٠٢-٣١٢-٣١٤-٣١٧-٣١٨-
٣٢٠-٣٢١-٣٢٢-٣٢٣-٣٢٦-٣٢٧-
٣٣٧-٣٣٨-٣٤٢-٣٤٧-٣٤٩-٣٥٠-
٣٥١-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٥-٣٥٨-٣٥٩-
٣٦١-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦-
٣٦٧-٣٧٢-٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥-٣٧٨-
٣٨١-٣٨٢-٣٨٣-٣٨٩-٤٠٠-بعده..

العلم	الصفحات
"تابع" ابن أبي‌حاتم	٤٠٢-٤٢١-٤٩٣-٤٩٤-٥١٤-٥٢٠-٥٢٥-٥٣٦-٥٣٩-٥٤٢
* ابن حبان	١٢-١٨-٣١-٣٤-٣٧-٣٩-٤١
* ابن حجر	١٣-١٧-٢٤-٢٦-٢٨-٣٠-٣٣-٣٤-٣٦-٣٧-٣٨-٤١-١١٢-١١٥-١٢٤-٢٢٩-٢٣٤-٢٧٧-٢٨٣-٢٩١-٤٥٥-٥١١
* ابن حميد	٦٠-١١٨-٢٠٠-٢٠١-٢٦١-٣٥٧-٣٨٦-٣٩٩-٤٥٤-٤٦٦-٤٧٨-٥١٥-٥٤٢-٥٥١
* ابن زيد	١-٤-٤٢-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٩٦-١٥١-١٦٦-١٧٤-١٩٣-٢١٢-٢١٦-٢٤٥-٢٦٥-٢٦٦-٢٦٩-٢٨٤-٢٨٦-٢٩١-٣٠٤-٣٠٦-٣٤٦-٣٩١-٣٩٨-٤١٣-٤١٥-٤٢٩-٤٣٩-٤٥٣-٤٥٦-٤٨٨-٤٩٨-٥٠١-٥٢١-٥٢٦
* ابن سعد	١٧-١٨-١١٨-١٢١-٣٨٧-٣٨٩-٣٩٢-٣٩٤-٣٩٥-٣٩٦-٣٩٧-٤٤٦
* ابن سيرين	٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٩٨-١٢٠-١٢٨-٢٣٥-٥٠١
* ابن شاهين	٤٦٦
* ابن أبي شيبة	٣٣٥-٣٧٩-٣٨٩-٥١٢
* ابن طاوس	٨٦
* ابن عباس	١-٤-٨-١٥-٢٣-٢٥-٢٧-٢٨-٤٣-٤٨-٥٨-٦٤-٦٦-٦٩-٧١-٧٢-٧٤-٧٩-٨٤-٨٦-٨٨-٨٩-٩٠-بعده..

العلـــــم	الصفحـــات
"تابع"ابن عبـــــاس	٩١ -٩٣ -٩٤-٩٥ -٩٦ - ٩٧ - ٩٨ -١٠٣-١٠٥-١٠٦-١٠٧-١١٠- ١١٤-١١٥-١١٦-١١٧-١٢٠-١٢١- ١٢٣-١٢٥-١٢٦-١٢٨-١٣١-١٣٢- ١٣٥-١٣٧-١٤٠-١٤٥-١٤٧-١٤٨- ١٦٦-١٦٩-١٧٠-١٧٢-١٧٣-١٧٥- ١٨٠-١٨٣-١٨٤-١٩١-١٩٢-١٩٣- ١٩٤-١٩٥-٢٠٢-٢٠٧-٢١٢-٢١٤- ٢١٥-٢١٦-٢١٨-٢١٩-٢٢٣-٢٢٤- ٢٢٦-٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٨-٢٤٠- ٢٤١-٢٤٢-٢٤٩-٢٥٢-٢٥٤-٢٥٩- ٢٦٠-٢٦٥-٢٦٦-٢٧٠-٢٧٤-٢٧٥- ٢٧٦-٢٧٨-٢٧٩-٢٩٥-٢٩٩-٣٠٠- ٣٠٣-٣٠١-٣٠٣-٣٠٤-٣٠٦-٣١٠- ٣٢٤-٣٣١-٣٣٦-٣٤٢-٣٤٥-٣٤٦- ٣٤٨-٣٥١-٣٥٢-٣٥٨-٣٦٣-٣٦٧- ٣٧٥-٣٧٦-٣٧٨-٣٧٩-٣٨٠-٣٨٤- ٣٩٢-٣٩٧-٤٠١-٤٠٥-٤٠٩-٤١٢- ٤١٥-٤١٦-٤٢٠-٤٢٣-٤٢٤-٤٢٦- ٤٢٧-٤٢٩-٤٣٤-٤٣٦-٤٣٧-٤٣٨- ٤٤٧-٤٥٣-٤٥٥-٤٥٦-٤٦٤-٤٦٩- ٤٧١-٤٧٢-٤٨٠-٤٨٨-٤٩١-٤٩٣- ٤٩٤-٤٩٦-٤٩٨-٥٠٠-٥٠١-٥٠٢- ٥٠٩-٥١٥-٥١٨-٥١٩-٥٢٠-٥٢٦- ٥٢٧-٥٢٨-٥٣٠-٥٣٥-٥٣٦-٥٤٦- ٥٥٠-٥٥١
* ابن عبد البـــر	١٣
* ابن عبد الحكـــم	٤٣٤

العلـــم	الصفحـــات
* ابن العربـــي	٩١ -١٢٧-١٤٩-١٥٠-٣٤٢-٣٤٣-٣٩٢
* ابن عمـــر	٢ -٢٣- ٢٥- ٢٧- ٤٣- ٤٤ - ٧٩ -٨٦- ٨٨- ٩٦- ٩٧- ١٨٢- ١٨٥-٢١٦-٢٣٠-٣١١-٣١٦-٣٢٢- ٣٢٤-٣٢٥-٤١٢-٤٢٢-٤٨٠-٥٢٤- ٥٢٦-٥٤٦٠
* ابن عـــون	٤
* ابن عيينـــه	٣٣ -٣٤- ٤٣- ٤٦٦
* ابن قتيبـــة	١٠٧-١١٦-١٣٣-١٦٨-١٦٩-٢١٨- ٢٢٨-٢٦٢-٢٦٩-٣٥١-٤١٦-٣٤٠- ٤٧١
* ابن قدامـــه	٨٢ -١٤٦
* ابن القـــيم	٥٣٩
* ابن كثـــير	٤٩ -٦٧- ٧٠- ٧٢- ٧٩- ٨٦ - ٨٧ -٨٨- ٨٩- ٩٧- ١٠٩-١٢٢- ١٢٧-١٢٩-١٣٧-١٣٨-١٤١-١٦١- ١٧١-٢١٥-٢٢٤-٢٤٥-٢٤٧-٢٥٩- ٢٦٥-٢٨٤-٢٨٥-٢٩٥- ٣٠٠-٣٠٧- ٣٠٧-٣٠٩-٣١٨-٣٢٠-٣٢٣-٣٢٦- ١٣١-٣٣٤-٣٤٢-٣٤٣-٣٤٦-٤٣٧- ٣٥٢-٣٧٨-٣٨٩-٣٩٢-٤٠١-٤٠٥- ٤٠٩-٤١٠-٤١٢-٤١٤-٤٢٠-٤٢٣- ٤٢٦-٤٢٨-٤٢٩-٤٣٥-٤٣٦-٤٤٥- ٤٤٧-٤٥١-٤٥٣-٤٥٤-٤٦٢-٤٦٨- ٤٦٩-٤٧١-٤٧٣-٤٧٥-٤٧٨-٤٨٤- ٤٨٥-٤٨٧-٤٨٨-٤٩١-٤٩٢-٤٩٣- ٤٩٧-٤٩٨-٥٠٠-٥٠١-٥٠٥-٥٠٥ بعده..

العلـــم	الصفحـــات
"تابع"ابن كثير	٥٠٦-٥٠٧-٥١٠-٥١٤-٥١٥-٥١٩-٥٢٠-٥٢١-٥٢٥-٥٣١-٥٣٣-٥٣٦-٥٣٧-٥٣٨-٥٤١-٥٤٤-٥٤٥
* ابن لهيعـــة	٣٢-٣٣-٣٧-٩٠-١٣٩-١٤٧-١٦٧-١٧٥-٣٥١-٤٢١-٤٥٩-٤٦٢
* ابن ماجـــه	١٢٨-٢٠٨-٢٩٢-٤٠٣-٤٤٩-٥٠٩-٥٢٦
* ابن المبارك"	٣١-٣٢-٣٥-٣٦-٥١-٥٩-١٢٦-١٤٥-٢٦٨-٢٨٨-٢٩٩-٤٣٤-٥٢٩
* ابن المدينى	١٧-٣١-٣٥-٤٠
* ابن مسعـود	١-٢-٣-٤-٨-٢٣-٢٨-٧٣-٧٩-٨١-٨٩-٩١-١١٣-١١٦-١٦٥-١٨٣-١٨٦-١٩٦-٢٧٠-٢٧١-٢٨١-٢٨٤-٢٩١-٢٩٥-٣٦١-٣٦٣-٣٧٥-٣٧٨-٣٨٢-٤٠٣-٤١٢-٤٥٠-٤٥٦-٤٥٨-٤٥٩-٤٦٠-٤٨٥-٥١٢
* ابن معـــين	١٦-١٧-٣١-٣٤-٣٥-٣٧-٣٨-٤٠-٤١-٤٢-٤٤-٩٥
* ابن منظـــور	٢٤٨-٣٦٠-٤٦٢-٤٦٧-٤٧١-٥٠٠-٥٢٠-٥٥٠-٥٥١
* ابن المنـــذر	٥٦-١٠٠-١٠٤-١١١-١٥٨-١٦١-٣٦٣-٢٠١-٢٩٥-٣٢٦-٣٤٢-٣٦٧-٤٠٢-٤١٠-٤١٤-٤١٩-٤٢١-٤٤٩-٤٥٠-٤٦٢-٤٦٣-٤٧٤-٤٨١-٥٠٧-٥٣٢
* ابن نافـــع	٨٥
* ابن هشـــام	٢١٥-٤٣١-٤٨٢-٤٨٧

* * *

=((الألقـــــاب))=

العلـــــم ـــــــ الصفحـــــات

* الأعمـــــش ٢٢٨-٣٥٨-٣٨٦
* الألبانـــي ٢٩٢-٣٤٢-٥٠٩
* الألوســـى ١٠٦
* الأوزاعـــي ٤٣
* البخـــارى ٢ -٣ -٧ -١٦ -٢٤ -٣٤ -
٣٦ -٥١ -٥٩ -٦٥ -٧٩ -٨٢ -
٨٣ -٨٦ -٨٧ -٩١ -٩٥ -٩٩ -
١١٠-١١٢-١١٨-١٢١-١٣٠-١٣١-
١٣٥-١٤١-١٤٢-١٤٥-١٥٥-١٧٦-
١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٩٤-١٩٦-١٩٨-
٢٠٧-٢١١-٢٢٠-٢٣٦-٢٣٧-٢٣٩-
٢٥١-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢-٢٧٦-
٢٨٢-٢٨٤-٢٩٢-٢٩٧-٣٠٤-٣١٠-
٣١٤-٣١٥-٣١٨-٣١٩-٣٣٣-٣٣٦-
٣٤٧-٣٧٦-٣٨٠-٣٩٠-٣٩١-٣٩٢-
٣٩٤-٣٩٥-٤٠٠-٤٠٣-٤١٩-٤٢٣-
٤٢٦-٤٣٨-٤٤٣-٤٤٥-٤٥٠-٤٥٥-
٤٥٧-٤٥٨-٤٦٠-٤٦١-٤٦٤-٤٨٠-
٤٨٣-٤٨٤-٤٨٥-٤٨٦-٤٩٦-٤٩٩-
٥٠٣-٥١١-٥٢٤-٥٢٨-٥٣٠-٥٣٨-
٥٤٥-٥٤٩
* الـــبزار ٤٤٨
* البغـــوى ٥٢ -٦٤ -٦٥ -٦٦ -٦٧ -٨٨ -
٩١ -٩٤ -١٠٩-١٥٥-١٦٦-١٧٨-
١٨٠-١٩٢-١٩٦-٢٠٠-٢٠٢-٢٠٥-
٢١٠-٢١٣-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤-٢٣٥-
٢٣٦-٢٣٧-٢٤٣-٢٥٦-٢٥٧-٢٧٤-
٢٨٢-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٧-٢٩٠-بعده..

العلـــم	الصفحـــات
"تابع"البغـــوى	٢٩٢-٢٩٤-٢٩٧-٢٩٩-٣٠١-٣٠٢- ٣٠٦-٣١٢-٣٢١-٣٢٣-٣٢٦-٣٣١- ٣٤١-٣٤٢-٣٥٥-٣٥٩-٣٦٠-٣٦٢- ٣٦٩-٣٧٠-٣٧١-٣٧٨-٣٨٠-٣٨١- ٤٠٩-٤١١-٤١٢-٤١٤-٤١٦-٤٢٨- ٤٣٠-٤٣١-٤٣٧-٤٤٣-٤٤٧-٤٤٩- ٤٥٢-٤٥٣-٤٥٨-٤٧٣-٤٧٩-٤٨٠- ٤٨٢-٤٨٩-٤٩٠-٤٩٥-٤٩٧-٤٩٩- ٥٠١-٥١٥-٥١٩-٥٢٥-٥٣٠-٥٣٢- ٥٣٥-٥٣٧-٥٣٨-٥٤٥-٥٤٧-٥٥٠- ٥٥١
* البيهقـــي	٨١ -٣٥٤-٤٨١
* الترمـــذى	٣٥ -٥١ -٨٤ -١٢٤-١٣٠-١٣٤- ١٥١-١٦٠-١٨٠-٢٠٥-٢٠٩-٢٢١- ٢٨٥-٣٠٦-٣١٥-٣٢٠-٣٣٠-٣٤٥- ٣٨٣-٣٩٩-٤٣٥-٤٣٨-٤٤٩-٤٦٦- ٤٨٦-٤٨٧-٤٩٩-٥٠٣-٥٠٤-٥١١- ٥١٣-٥١٨-٥٢٦-٥٣٤-٥٣٨-٥٤١- ٥٤٥-٥٥١
* الجوهـــرى	٣٤٧-٣٤٨
* الحاكـــم	١٤ -١٣٩-١٤٤-٣١٦-٣٢٩-٤١١- ٤١٩
* الخرائطي	٥٣ -٧٨
* الخطيـــب البغدادى	٥١١
* الدامغانـــي	٣٠١-٣٧١-٣٩٨
* الذهـــبي	١٢ -١٧ -٣٠ -٣٦ -٣٨ -١٣٩- ١٤٤-٣١٦
* الـــرازى	١٥ -١٦٨-٢٥٠-٣٢٥

العلـــم	الصفحـــات
* الراغـــب	١١٧-١٣٦-١٨٢-٢١٦-٢٥٩-٢٩٥- ٣٥١-٣٧١-٤٢١-٤٨٨
* الزرقانـــي	١٥ -١٦٨-٢٥٠-٣٢٥
* الزركشـــي	١٤٠
* الزمخشرى	١١ -٤١ -١٨٩-١٩٣-٣٦٦-٤٥١- ٤٥٣-٤٨٩-٥٠١-٥٠٢
* الزهـــرى	٣١ -٤١ -٤٢ -٤٣ -١٨٤-٢١٥- ٣٦٥-٣٧٦-٣٧٧-٣٨٢
* الســـدى	٦٩ -٧١ -٧٧ -٨١ -٨٦ -٩٤ - ٩٦ -١٠٤-١٠٦-١٠٨-١٣٢-١٣٥- ١٤٨-١٥١-١٦٥-١٦٦-١٦٩-١٧٠- ١٨١-١٨٤-١٨٨-١٩٢-١٩٣-١٩٥- ١٩٧-٢١٠-٢١٢-٢١٩-٢٢٤-٢٢٥- ٢٤٢-٢٥٢-٢٦٠-٢٦٢-٢٧٦-٣٦٥- ٣٦٨-٣٧٧-٣٧٨-٣٨١-٣٨٢-٣٩٧- ٤٠٩-٤١٢-٤١٥-٤١٩-٤٢٠-٤٢٤- ٤٢٩-٤٣٠-٤٣٧-٤٥٣-٤٩٢-٤٩٨- ٥٢٠-٥٥٠
* السيوطـــي	١٥ -٥٢ -٥٣ -٥٦ -٧٥ -٧٨ - ٨٣ -٩٩ -١٠٢-١٠٤-١٠٦-١٠٧- ١١٢-١١٣-١١٥-١١٧-١٢٠-١٢١- ١٢٢-١٣٩-١٥٧-١٦٠-١٦٢-٢٠١- ٢٠٥-٢١٤-٢٤٠-٢٤١-٢٤٩-٢٥١- ٢٧٩-٢٨٤-٢٩٣-٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧- ٣٠٠-٣٠٢-٣١٢-٣٢١-٣٢٦-٣٢٧- ٣٣٢-٣٣٧-٣٣٨-٣٤٢-٣٤٥-٣٤٧- ٣٦٢-٣٦٧-٣٨٤-٤٠٠-٤٠٢-٤١٠- ٤١٤-٤١٩-٤٢١-٤٣٤-٤٤٩-بعده٥٠

العلم	الصفحات
"تابع السيوطي	٤٥٠-٤٦٢-٤٦٣-٤٦٦-٤٦٧-٤٧٤- ٤٨١-٤٨٣-٤٩٢-٤٩٥-٥٠٣-٥٠٧- ٥١١-٥١٤-٥١٧-٥١٩-٥٢٣-٥٢٥- ٥٣٢-٥٣٦-٥٣٩-٥٤٢
* الشافعي	٣٣ -٧٩ -١٤٥-١٥٠-١٦٢
* الشعبي	٢٢ -٢٤ -٢٦ -٢٨ -٣٢ -٣٤ - ٣٨ -٨٦ -١٠٣-١٢٦-١٢٧-١٩٢- ٢٢٢-٣٦٨-٤١٢-٤٥٣
* الشهرستاني	١٥٨
* الشوكاني	٣٤٢
* العجلي	١٨ -٢٨ -٣٢ -٣٤ -٤٢ -٤٣ - ٤٤
* العقيلي	٣٦
* العكلي	٣٣٥
* الفراء	٥٠٧-٥٥٠-٥٥١
* الغرياني	١٠٠-١٠٦-٥٣٩
* الغلابيب	١٦ -٣٧
* الفيروز أبادى	٨٧ -١٩٣-٢٥٠-١٦٠
* القاضي عياض	٣٤٢
* القرطبي	٧٦ -١١٥-١٣١-١٤٦-١٤٧-١٤٨- ١٥٠-١٥١-١٦٢-١٦٤-٢١٠-٢٨٥- ٣١٦-٣٩٢
* الكلبي	٩٤ -٤٤٦-٤٤٧-٥٣٥-٥٤٥
* اللحياني	
* المزى	١٢ -٣٠ -٥١١
* النحاس	١٧٦
* النسائي	٣١ -٣٢ -٣٥ -٣٧ -٣٨ -٤٠ - ٤١ -٤٤ -٥١ -١٧٤-٤٨٦-٥٤٦

العلـــم	الصفحـــات
* النـووى	٢٦
* الهيثمـي	٢٤٨
* الواحدى	٨٣ - ٨٩ - ١٠٩ - ١١٤ - ١٢٣ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٧ - ١٧٥ - ١٧٨ - ٢٢٢ - ٢٣٧ - ٣٠٢ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٧ - ٤٦٥ - ٤٧٨ - ٥٠٩
* الواقـــدى	١٦ - ٣٨ - ٤٠ - ١٢١ - ٣٨٨ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٤٤٧

* * * *

* * *

* *

*

=((النســـــاء))=

العلـــم	الصفحـــات
* أسماء بنت عميـــس	٢٣
* أسماء بنت يزيـــد	١٣٩
* جويريه بنت الحارث	٣٨٩
* حفصـــة	٣٨٩
* خديجـــة	٣٨٨-٣٨٩
* خولـــه	٤٧٧-٤٧٨-٤٧٩
* زينب بنت جحش	٣٨٨-٣٨٩-٣٩٥
* زينب أم المساكين	٣٨٩
* ســـوده	٣٨٩-٣٩٣-٣٩٤
* صفيـــة	٣٨٩
* عائشـــة	٥ -٦ -٢٣ -٢٧ -٨٢ -٩١ - ١٣٦-١٣٩ -١٥٥ -١٧٣-١٧٤-٢٢٩- ٢٩١-٣٤٥-٣٤٦-٣٨٩-٣٩٠-٣٩٢- ٣٩٤-٤٥٥-٤٥٦-٤٥٧-٤٨٨-٤٩٩- ٥٤٦-٥٥١
* لـــؤلـــؤة مولاة الأنصار	٢٦
* معاذة العدوية	٣٩٢
* ميمونة بنت الحارث	٣٨٩
* هند بنت عتبـــة	
* ابنت الجون	٣٩١
* أم حبيبـــة	٢٥ -٣٩
* أم سلمـــة	٣٤٨-٣٨٩
* أم شريـــك	٣٩١

* * *

** جريـــدة المراجـــع **

أولا : =((كتب التفسير وعلوم القرآن))=

١ - القـــرآن الكريـــم .

٢ - تفسير ابن أبي حاتـــم :

أبومحمد عبد الرحمن أبوحاتم محمد بن ادريس الرازى ، مخطوطة من خمسة أجزاء . وهي :

الجزء الأول : نسخة مصورة عن النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية .

الجزء الثاني : " " " " " " في مكتبة آياصوفيا بتركيا .

الجزء الثالث : " " " " " " بالمكتبة المحمودية بمكتبة المدينة المنورة .

الجزء الرابع : نسخة مصورة عن النسخة الخطية محفوظة بالمكتبة المحمودية بمكتبة المدينة المنورة .

الجزء السابع : نسخة مصورة عن النسخة الخطية محفوظة بدار الكتب المصرية .

٣ - الاتقان في علوم القرآن :

جلال الدين السيوطي ، المكتبة الثقافية - بيروت .

٤ - أحكام القـــرآن :

أبوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، دار المعرفة ، بيروت .

٥ - أسباب النزول :

أبوالحسن على بن أحمد الواحدى ، تحقيق : السيد أحمد صقـــر دار القبلة للثقافة .

٦ - أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن :

محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطي - مطبعة المدني .

٧ - البرهان في علوم القرآن :

الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمـــد أبوالفضل ابراهيم ، دار المعارف .

٨ - التبيان في أقسام القرآن :

العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) مكتبـــة الرياض الحديثـــة .

٩ - جامع البيان عن تأويل القرآن :
أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار الفكر
١٠- جامع البيان عن تأويل القرآن :
أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق : أحمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية .
١١- الجامع لأحكام القرآن :
أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي . دار الكتب المصرية .
١٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور :
الامام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر .
١٣- دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب :
محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، مطبعة المدني .
١٤- دقائق التفسير :
الامام ابن تيمية ، تحقيق : محمد السيد الخليد ، مؤسسة علوم القرآن
١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :
أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادى ، دار احياء التراث العربي .
١٦- زاد المسير في علم التفسير :
أبوالفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشي ، المكتب الاسلامي .
١٧- تفسير عبد الرزاق :
عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : مصطفى مسلم محمد ، رسالة
١٨- تفسير غريب القرآن :
أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية .
١٩- في ظلال القرآن :
الشهيد سيد قطب ، دار الشروق .
٢٠- قاموس القرآن :
الحسين بن محمد الدامغاني ، دار العلم للملايين .
٢١- تفسير القرآن العظيم :
أبوالفداء اسماعيل عماد الدين (ابن كثير) ، دار المعرفة .

٢٢- الكشاف عن حقائق التنزيل :
أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة .
٢٣- الكشف عن وجوه القرآن السبع :
أبومحمد مكي بن أبي طالب ، تحقيق : محي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة .
٢٤- تفسير مجاهد :
أبوالحجاج مجاهد بن جبير المخزومي ، تحقيق : عبد الرحمن السورتي المنشورات العلمية .
٢٥- معالم التنزيل : ج
محمد الحسن بن مسعود البغوى ، دار المعرفة .
٢٦- معاني القرآن :
يحي بن زياد الفراء ، عالم الكتب .
٢٧- المفردات في غريب القرآن :
الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) ، دار المعرفة .
٢٨- مناهل العرفان في علوم القرآن :
محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر .

ثانيا : =((الحديث والسنن))=

١ - الأسماء والصفات :
أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الكتب العلمية .
٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :
أبونعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتب العلمية .
٣ - دلائل النبوة :
أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تعليق : عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية .
٤ - الزهد والرقائق :
عبد الله بن المبارك المروزى ، تحقيق : حبيب الرحمن ، دار الباز .
٥ - سنن ابن ماجه :
أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر .

٦ - سنن أبي داود :
أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تعليق عزت الدعاس ، دار الحديث .

٧ - سنن الترمذى :
محمد بن عيسى بن سودة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٨ - السنن الكبرى :
أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار المعرفة .

٩ - سنن النسائي :
أحمد بن شعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار النسائي ، تعليق : عبد الفتاح أبو غده ، مكتبة المطبوعات الاسلامية .

١٠ - الشفا لتعريف حقوق المصطفى :
القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، مكتبة دار التراث .

١١ - صحيح البخارى :
محمد بن اسماعيل البخارى ، تحقيق : محمود النواوى وآخرين ، مكتبة الرياض الحديثة .

١٢ - صحيح مسلم :
مسلم بن الحجاج النيسابورى ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي .

١٣ - فتح البارى :
أحمد بن على بن حجر العسقلاني ، تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة .

١٤ - الفتح الرباني :
أحمد عبد الفتاح البنا :
دار احياء التراث العربي .

١٥ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الكتاب العربي .

١٦ - المستدرك :
أبوعبد الله الحاكم النيسابورى ، دار المعرفة .

١٧ - مسند أبويعلي الموصلي :
الحافظ أحمد بن على بن المثنى التميمي ، تحقيق حسن سليم أسد ، دار المأمون للتراث .

١٨- المسنـــــد :
الامام أحمد بن حنبـــل ، دار الفكر العربـــي .
١٩- الموطـــأ :
مالك بن أنس ، تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي .
٢٠- نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق :
ناصر الدين الألباني .

ثالثا : =((الفقـــــــه))=

١ - أصول الفقـه على روضة الناظـر :
محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، مطبوعات الجامعـــة الاسلامية بالمدينة المنورة .
٢ - المغـــني :
موفق الدين وشمس الدين (ابن قدامـه) ... ، دار الفكـر .

رابعـا : =((العقيـــــدة))=

١ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخـرة :
شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق : أحمـد السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية .
٢ - شرح العقيدة الطحاويـــة :
الطبعة الثالثة ، للمكتب الاسلامي للطباعة والنشر .
٣ - العظمـــة :
أبومحمد عبد الله بن محمد بن جعفر أبوالشيخ ، نسخة مصورة عـن النسخة الخطية المحفوظة في ، مكتبة كوبرلي باستانبول برقم ١٣٨
٤ - الملل والنحـــل :
أبوالفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني ، مكتبـة الريـاض الحديثـة .

خامسا : =((اللغـــــــة))=

١ - شرح المعلقات السبع :
الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ، دار الكتب العلميـــة .

٢ - الصحـــــاح :
اسماعيل بن حماد الجوهرى ، تحقيق : أحمد عبد الغفور .

٣ - القاموس المحيـــط :
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٤ - اللسان (لســان العـــرب) :
جمال الدين أبوالفضل محمد بن مكرم ابن منظور ، دار المعارف .

٥ - مختار الصحاح :
محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى ، دار الكتاب العربي .

سادسا : =((التاريـــــــخ))=

١ - البداية والنهايـــــة :
أبوالفداء الحافظ ابن كثـير ، تحقيق : أحمد أبوملحم وآخريـــن ، دار الكتب العلميـــة .

٢ - الســـيرة النبويـــــة :
ابن هشام ، تحقيق : مصطفي السقا وآخرين ، مطبعة مصطفـــى البابـي الحلـــبي .

سابعا : =((الرجـــــــال))=

١ - الاستيعاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - نهضة مصر .

٢ - الاصابة في تمييز الصحابـــة :
شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية .

٣ - تاريـــخ بغـــداد :
أحمد بن على الخطيـب البغدادى ، دار الكتب العلمية .
٤ - التاريـــخ الكبـــير :
محمد بن اسماعيل البخارى ، مؤسسة الكتب الثقافيـة .
٥ - تاريخ أسماء الثقـات :
عمر بن شاهين ، تحقيق : صبحى السامرى ، الدار السلفيـة .
٦ - تـاريـخ خليفـــة :
أبوعمرو خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمرى ، دار طيبة .
٧ - التحفة اللطيفـة في تاريخ المدينة الشريفة :
شمس الدين السخاوى ، الناشر : سعد طرابزء في الحسيني .
٨ - تذكـرة الحفـاظ :
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار احياء التراث العربي .
٩ - تعجيل المنفعـة :
شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، دار الكتاب العربي .
١٠ - تقريب التهذيـب :
شهاب الدين أجمد بن حجر العسقلاني ، دار المعرفـة .
١١ - تهذيب التهذيـب :
شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، مجلس دائرة المعـارف النصامية بالهنـد .
١٢ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال :
جمال الدين أبوالحجاج يوسف المـذى ، نسخة مصورة عن النسخة الخطية المحفوظة فى دار الكتب المصرية .(الناشر دار المأمون للتراث)،
١٣ - الجـرح والتعديـل :
أبومحمد عبد الرحمن بن أبي هاشم الرازى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند .
١٤ - سير أعلام النبـلاء :
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : ، مؤسسة الرسالـة .
١٥ - الضعفاء الكبـير :
محمد بن عمر بن موسى العقيلى ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي دار الكتب العلميـة .

١٦- طبقـــات خليفـــــــة :
أبوعمرو خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمرى ، دار طيبة .
١٧- الطبقات الكـــــــبرى :
محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، دار صـــادر .
١٨- العـــــــبر :
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : أبوهاجر محمد سعيد زغلول ، دار الكتب العلميـــة .
١٩- الكاشـــــف :
محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي ، دار الكتب العلمية .
٢٠- كتاب الثقـــات :
محمد بن حبان بن أحمد أبى حاتم البستى ، مؤسسة الكتب الثقافية .
٢١- كتاب المجروحـــين :
محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم البستى ، دار المعرفـــة .
٢٢- لسان الميزان :
شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمى ، بيروت .
٢٣- معرف الثقات للعجلـــي :
أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوى ، مكتبة الدار .
٢٤- ميزان الاعتدال :
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : على محمد البجـاوى ، دار المعرفـة

رابعا : =((الفهرس العام لمحتويات البحث))=

الموضوع	الصفحة
* المقدمة :	١/م
ـ سبب اختيار الموضوع	١/م
ـ منهجي في البحث	٢/م
ـ مصادر البحث	٥/م
ـ الطريقة في دراسة التفسير	٧/م
* تمهيد عن مدرسة المدينة :	
ـ المبحث الأول : ترجمة أبيّ بن كعب :	١
ـ منزلته العلمية	٢
ـ المبحث الثاني : أثر مدرسة المدينة في نشر التفسير	٣
ـ نبذة تاريخية عن عصر القرظي	٦
** الباب الأول : التعريف بالقرظي :	١٠
*الفصل الأول : ترجمة القرظي :	١١
ـ المبحث الأول : اسمه ونسبه	١٢
ـ المبحث الثاني : مولده ونشأته	١٣
ـ المبحث الثالث : حياته وتاريخ وفاته	١٤
ـ المبحث الرابع : مكانته العلمية	١٨
* الفصل الثاني : في شيوخه :	١٩
ـ المبحث الأول : شيوخه من الصحابة	٢١
ـ المبحث الثاني : أشهر شيوخه من التابعين	٢٨
* الفصل الثالث : الرواة عنه :	٢٩
ـ المبحث الأول : في رواه التفسير	٣١
ـ المبحث الثاني : في أشهر الرواية عنه من غير أهل التفسير	٤٢
** الباب الثاني : طريقته في التفسير والرواية عنه :	
* الفصل الأول : طريقته في التفسير	٤٦

الموضـــــوع	الصفحـــة
ـ المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن	٤٩
ـ المبحث الثاني : تفسير القرآن بالرواية	٥٠
ـ المبحث الثالث : تفسير القرآن باللغة	٥٢
ـ المبحث الرابع : تفسير القرآن بالاجتهاد	٥٣
ـ المبحث الخامس : تفسير القرآن بالقصص	٥٤
* الفصل الثاني : طرق الرواية عنه :	٥٧
ـ المبحث الأول : أصح الطرق	٥٩
ـ المبحث الثاني : أضعف الطرق	٦٠
** الباب الثالث : بالتفسير	٦٢
* تفسير سورة الفاتحة	٦٤
* تفسير سورة البقرة	٦٥
* تفسير سورة آل عمران	١٠٨
* تفسير سورة النساء	١٢٠
* تفسير سورة المائدة	١٣٩
* تفسير سورة الأنعام	١٦٦
* تفسير سورة الأعراف	١٨٧
* تفسير سورة الأنفال	٢٠٩
* تفسير سورة التوبة	٢٢٠
* تفسير سورة يونس	٢٤٠
* تفسير سورة هود	٢٥١
* تفسير سورة يوسف	٢٧٣
* تفسير سورة الرعد	٢٨٢
* تفسير سورة ابراهيم	٢٨٤
* تفسير سورة الحجر	٢٩٢
* تفسير سورة النحل	٢٩٤
* تفسير سورة الاسراء	٢٩٩
* تفسير سورة الكهف	٣١١

الموضوع	الصفحة
* تفسير سورة مريم	٣١٧
* تفسير سورة طه	٣٢٢
* تفسير سورة الأنبياء	٣٢٩
* تفسير سورة الحج	٣٣٢
* تفسير سورة المؤمنون	٣٤٥
* تفسير سورة النور	٣٤٩
* تفسير سورة الفرقان	٣٩٥
* تفسير سورة الشعراء	٣٦٢
* تفسير سورة النمل	٣٦٦
* تفسير سورة القصص	٣٧٨
* تفسير سورة العنكبوت	٣٨٣
* تفسير سورة الروم	٣٨٤
* تفسير سورة الأحزاب	٣٨٥
* تفسير سورة سبأ	٣٩٩
* تفسير سورة فاطر	٤٠٢
* تفسير سورة يس	٤٠٤
* تفسير سورة الصافات	٤٠٩
* تفسير سورة ص	٤١٤
* تفسير سورة الزمر	٤٢٢
* تفسير سورة غافر	٤٢٥
* تفسير سورة الزخرف	٤٢٨
* تفسير سورة الدخان	٤٣٤
* تفسير سورة الجاثية	٤٣٧
* تفسير سورة الأحقاف	٤٤١
* تفسير سورة محمد	٤٤٥
* تفسير سورة الحجرات	٤٤٦
* تفسير سورة ق	٤٤٩
* تفسير سورة الذاريات	٤٥٢

الموضـــــوع	الصفحـــة
* تفسير سورة الطـــور	٤٥٣
* تفسير سورة النجـــم	٤٥٤
* تفسير سورة القمـــر	٤٦٠
* تفسير سورة الرحمـــن	٤٦٨
* تفسير سورة الواقعـــة	٤٧٣
* تفسير سورة المجادلـــة	٤٧٧
* تفسير سورة الحشـــر	٤٨١
* تفسير سورة الصـــف	٤٨٢
* تفسير سورة الجمعـــة	٤٨٣
* تفسير سورة المنافقـــين	٤٨٦
* تفسير سورة التحريـــم	٤٨٨
* تفسير سورة القلـــم	٤٩٠
* تفسير سورة الحآقـــة	٤٩٢
* تفسير سورة المعـــارج	٤٩٣
* تفسير سورة نـــوح	٤٩٥
* تفسير سورة الجـــن	٤٩٨
* تفسير سورة المزمـــل	٤٩٩
* تفسير سورة المدثـــر	٥٠١
* تفسير سورة القيامـــة	٥٠٣
* تفسير سورة النبـــأ	٥٠٤
* تفسير سورة النازعـــات	٥٠٦
* تفسير سورة المطففـــين	٥٠٩
* تفسير سورة الفجـــر	٥١٤
* تفسير سورة البلـــد	٥١٩
* تفسير سورة الشمـــس	٥٢١
* تفسير سورة الانشـــراح	٥٢٣
* تفسير سورة التـــين	٥٢٥
* تفسير سورة القـــدر	٥٢٧

الموضـــــوع	الصفحـــة
* تفسير سورة الزلزلـــــة	٥٢٩
* تفسير سورة العاديـــات	٥٣٥
* تفسير سورة التكاثـــــر	٥٣٧
* تفسير سورة العصـــــر	٥٣٩
* تفسير سورة الهمـــــزة	٥٤١
* تفسير سورة الفيـــــل	٥٤٤
* تفسير سورة الماعـــــون	٥٤٥
* تفسير سورة الكوثـــــر	٥٤٦
* تفسير سورة الاخـــــلاص	٥٤٩
* تفسير سورة الفلـــــق	٥٥١
** الخاتمـــــة .	٥٥٣
** الملحـــق (ثبـــت التراجـــم)	٥٥٥
** الفهـــــارس :	
١ * فهرس الآيات القرآنيـــة	٥٧١
٢ * فهرس الأحاديث النبوية	٥٩٣
٣ * فهرس الأعـــــلام	٥٩٦
* * جريـــدة المراجـــع	٦٢٨
٤ * الفهرس العام لمحتويات البحث	٦٣٦
** حـــدول الخطأ والصـــواب .	٦٤١